الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطينة

من خلال نوازل ابن الفكون

في القرنيين 10-11هـ /16-17م

اطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

اعداد الطالب: **تحت اشراف:**

الدراجي بلخوص **أ-د. مختار حساني**

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. القشاعي فلة الموساوي	جامعة الجزائر -2- ابو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د.حساني مختار	جامعة الجزائر -2- ابو القاسم سعد الله	مشرفا ومقررا
د.خيراني ليلى	جامعة الجزائر -2- ابو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
د. شارف رقية	جامعة الجزائر -2- ابو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
أ.د. فكاير عبد القادر	جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة	عضوا مناقشا
د.آيت سوكي محند آكلي	جامعة محمد لمين دباغين سطيف	عضوا مناقشا

السنة الدراسية :2018-2019


بسم الله الرحمن الرحيم

كـلـمـة شـكـــر

الشكر لصاحب الفضل والمنّة لحسبي وكفيلي، راجيا منه أن يتقبل عملي مع قلته

وجهدي مع ضآلته، وسعيي مع شوائبه.

ثم الشكر من بعده إلى كل من علمني حرفا فأسرني به أساتذتي الكرام،

وأخص بالذكر منهم موجهي وعوني في هذا العمل

الأستاذ المشرف الدكتور "حساني مختار"

الذي لم يبخل عليَّ بخبرته ومساعدته، وجميع أساتذتي في جميع مراحل التعليم

راجيا من الله أن يجعل توفيقنا هذا في ميزان حسناتهم.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد العون

من بعيد أو من قريب فردا أو مؤسسة.

شكرا جزيلا.

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى الذين قرن العظيم عبادته بطاعتهما

فقال عزل وجل: "وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا"

إلى اللذين حصدتهما المنية قبل أن يحصدا ثمرة جهدهما

إلى الغاليين أمي وأبي.

إلى حبيبة قلبي ورفيقة دربي وسندي في الحياة زوجتي الغالية.

إلى مهجتي وقرة عيني محمد طه عبد البارئ .براء عبد الحي ، سمير

إلى جميع إخوتي وأخواتي . ح. أ. ر. ر. م. حمزة.

.الأخت الحنونة دليلة أعراب.

إلى رفاقي في أسمى مهنة الأساتذة وأخص منهم أساتذة وعمال جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية

إلى من ضاقت الأوراق بحمل أسمائهم ورحب القلب

بوسعهم إلى كل من يعرف الدراجي بلخوص


المقدمــــة

عرفت منطقة المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة وبايليك قسنطينة بصفة أخص خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي بعض التغيرات السياسية التي طرأت على المنطقة، وهذا نتيجة للصراع بين اسبانيا حاملة لواء المسيحية والعثمانيين حاملي لواء الإسلام هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الضعف الذي أصاب مختلف دول المغرب ونخص بالذكر الدولة الحفصية بتونس ، وانحصار الزيانيين بتلمسان وضواحيها ليستقر الأمر فيما بعد لصالح العثمانيين.

هذا الوضع السياسي والخارطة السياسية الجديدة للمنطقة كان له الأثر الكبير فيما آلت إليه الحياة في شتى جوانبها ، ففي الحياة الاقتصادية والتي رغم هذا التأثير إلا أنها عرفت نوعا من التطور حتى وإن لم يصل هذا التطور إلى التطور الاقتصادي في أوروبا، حيث ازدهرت الزراعة والصناعة، لكن الحظ الأوفر لهذه الحركة والازدهار الاقتصادي كان من نصيب التجارة بشقيها الداخلي والخارجي.

أما الجانب الاجتماعي ونتيجة لدخول عناصر جديدة تغيرت تركيبة المجتمع . وحتى الأنماط المعيشية تأثرت بهذا التحول . وفي خضم هذه الأوضاع والتحولات نمت وتوسعت مدن ومن أهمها مدينة قسنطينة التي أصبحت أهم مدينة في الإقليم الشرقي أو ما يعرف بإقليم قسنطينة وثاني مدينة من حيث الأهمية في القطر الجزائري ككل .كل هذه التغيرات الحاصلة على مستوى الاقليم كان لها تأثيرا على الوضعية الاجتماعية بالبايلك .

ولم يسلم الجانب الثقافي من هذه التأثيرات حيث اصبح البايلك يعرف ركودا ثقافيا ، لكن رغم هذا الركود نلاحظ ظهور العديد من العائلات العلمية والدينية على مستوى البايلك في هذه الحقبة التاريخية كان على راسها عائلة الفكون والتي كان من بين ابنائها محمد بن عبد الكريم الفكون الذي انبعث من سلالة العلماء فكان من بين أهم العلماء المفتين ببايليك قسنطينة ، والذي قام بجمع وتدوين النوازل والفتاوى الفقهية التي خلفها العديد من العلماء المحليين وعلى

رأسهم علماء مدينة قسنطينة وبالأخص علماء آل الفكون اضافة الى علماء من مختلف مناطق الجزائر بجاية تلمسان ، مدينة الجزائر وغيرها من المناطق ، والعلماء الاجانب من العالم العربي الاسلامي بمغربه ومشرقه ، هذه النوازل التي جمعت في مخطوط يحفظها فكانت لسان حال المجتمع القسنطيني ، فهي مرآة تعكس لنا الوضعية الاجتماعية في بايليك قسنطينة ، فبها يعد مخطوط نوازل ابن الفكون من أهم المصادر إن لم نقل أهمّها خاصة في ظل انعدام وندرة المصادر التي تناولت المنطقة الشرقية وبايلك قسنطينة خاصة في الشق الاجتماعي ..هذه الاهمية جعلت نوازل ابن الفكون محل اهتمام العديد من الباحثين و الدراسات الثقافية والفكرية وحتى التاريخية حول بايليك قسنطينة ، فتناول أصحاب هده الدراسات مخطوط النوازل من حيث التاريخ الثقافي والحياة الفكرية وحتى مرجعيات الإفتاء دون تخصيص حيز واسع للحياة الاجتماعية . و انطلاقا مما يزخر به المخطوط و نوازله من معلومات قيمة تخص الحياة الاجتماعية على مستوى بايلك قسنطينة في مختلف فروعها من الاسرة وصولا الى التكافل الاجتماعي مرورا بالجانب الصحي وعناصر المجتمع وغيرها من المواضيع الاخرى ذات الصبغة الاجتماعية . ورغبة منا في ورود العلوم من منابعها قمنا بهذه الدراسة التحليلية والاستنتاجية لنوازل ابن الفكون وقراءة ما بين سطورها للتعرف على واقع المجتمع و الوضعية الاجتماعية ضمن هذا الحيز الجغرافي المترامي الاطراف والمعروف ببايلك قسنطينة وخلال فترة قرنين من الزمن (16-17م/10-11هـ) عرفت وشهدت خلالها المنطقة عدة تحولات مست مختلف جوانب الحياة السياسية ، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . كان اختيارنا للموضوع والذي جاء بعنوان "**الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطية من خلال نوازل ابن الفكون في القرنيين 10-11 الهجريين / 16-17 الميلاديين** ". وهذا لقلة الدراسات في هذا المجال ان لم نقل انعدامها خاصة التي تعتمد على النوازل كمصدر اساسي للدراسة هذا من جهة ، ومن جهة ثانية التعرف على الوضعية الاجتماعية ببايلك يعد أكبر بايلك في الجزائر العثمانية جغرافيا وبشريا وهذا من خلال تساؤلات ونوازل كتبها أصحابها أو من ناب

عنهم ، واجابات وفتاوى لعدد كبير من علماء الجزائر وتونس ومصر وغيرها من المناطق الاخرى ، سيكون عملا وموضوعا شيقا على رأي الاستاذة الفاضلة فاطمة الزهراء قشي .

أسباب اختيار الموضوع :من بين الاسباب التي دفعتني وحفزتني للخوض في هذا الموضوع أذكر :

*تكملة الخوض في المواضيع الاجتماعية والتي تكون فيها النوازل مادة اساسية ، فهذا الموضوع أو ان صح التعبير جوانب وجزئيات منه تطرقنا اليها في مرحلة الماجستير ، فبذا اردنا ان نبني على اساسات وضعناها قبل خيرا من أن نخوض في موضوع آخر ربما سيأخذ منا جهد ووقتا اكثر .

* المواضيع الاجتماعية وما تحمله من تشويق ومن اهمية تستهوي أي باحث ، وهذا ما دفعنا للخوض في الموضوع الذي بين ايدينا ، لان دراسة الحياة الاجتماعية يجعلنا نعيش الماضي متخذين من النوازل بوابات للمرور نحوه ، خاصة وان الكثير من المظاهر والمميزات الاجتماعية في الفترات السابقة لاتزال تحتل حيزا ضمن مجتمعاتنا الحالية.

* تسليط الضوء على المجتمع القسنطيني ووضعيته الاجتماعية من خلال التطرق والتعرض لمختلف شرائح المجتمع ومدى حضور كل فئة ضمن هذا المجتمع إضافة الى دراسة مختلف العوامل والاسباب التي ساهمت في الوضعية الاجتماعية الحالية ، وهذا بالاعتماد على مصدر يعتبر مصدرا بديلا قل استعماله خاصة ضمن الحيز الجغرافي والزمني المراد دراسته.

*التعريف بنوازل ابن الفكون خاصة والنوازل عامة لتوجيه الباحثين الى هذه المصادر خاصة الباحثين في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا بسبب ما تزخر به هذه المصادر والتي بقيت للأسف ملاذا وبيوتا للعنكبوت هذا من جهة .ومن جهة ثانية تعد النوازل مصدرا او مادة عذراء فهي تعبر عن حال اصاحبها بكل عفوية ، صدق ومصداقية . فالباحث في النوازل في كثير من الاحيان يشعر وكانه في جلسة او حلقة استماع لأناس واشخاص يستفتون يريدن حلا لنوائبهم ومصائبهم .

الدراسات السابقة: هناك مجموعة من الباحثين الذين اهتموا بهذا المخطوط، وعلى رأسهم الأستاذ حساني مختار الذي تناوله في كتابه موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة الجزائر 2007. بالإضافة إلى الأستاذة فاطمة الزهراء قشي والتي تناولت المخطوط في مقال بعنوان "الحياة الفكرية في قسنطينة" خلال العهد العثماني: مساهمة عائلة الفكون، عرض كتاب النوازل، وقد نشر هذا المقال بالمجلة التاريخية لمغربية عدد 57-58-1990، ص319-338. والأستاذ عبد الرحمن قفاف الذي اعتمد على المخطوط في إعداد رسالة الماجستير بعنوان: "مرجعية الإفتاء على نوازل ابن الفكون من خلال مخطوط النوازل بين القرنين 10هـ-11هـ".ودراستنا السابقة في مرحلة الماجستير والتي جاءت بعنوان : "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون في القرنين 16-17م (10-11هـ) "، ودراسات أخرى .

اشكالية الموضوع : تمحورت إشكالية موضوعنا حول سؤال رئيسي جاء كالتالي :

كيف كانت الوضعية الاجتماعية ببايلك قسنطينة ؟ و إلى أيّ مدى استطاعت نوازل محمد ابن الفكون ان تبين وتوضح لنا هذه الوضعية ؟

لتنبثق من هذه الاشكالية اسئلة فرعية :

-1- بما امتازت الاوضاع السياسية والاقتصادية ببايلك قسنطينة؟

-2- كيف هو واقع الاسرة في ظل كل هذه المتغيرات التي عرفها البايلك ؟

-3-ما مدى حضور وفعالية المرأة القسنطينية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعي والاقتصادي ؟

-4- ماهي أهمّ عناصر المجتمع التي تعرضت اليها نوازل ابن الفكون ؟ ومدى فعالياتها ضمن المجتمع القسنطيني ؟

-5- كيف رسمت لنا نوازل ابن الفكون الوضع الصحي على مستوى اقليم قسنطينة ؟

-6- ما الدور الذي لعبه الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي بين افراد المجتمع القسنطيني؟

خطة البحث: اجتهادا منا في تقديم إجابة شافية وكافية للإشكالية الرئيسية ، ومن ورائها الاسئلة الفرعية ، ارتأينا وضع خطة بحث احتوت خطة البحث على مقدمة وستة فصول وخاتمة

الفصل الاول : جاء تحت عنوان **بايلك قسنطينة** ،قسمناه إلى ثلاث مباحث الأول تحت عنوان : الاوضاع العامة بالبايلك ، تناولنا فيه الأوضاع العامة ببايليك قسنطينة في الجانب السياسي من خلال التطرق إلي: الأوضاع في البايليك مع نهاية القرن 15م وبداية الفرن 16م ،وتاريخ دخول الأتراك إلى البايليك وتكوينه والموقع الجغرافي للبايليك ، ثم تناولنا أهم مدن وحواضر البايلك وعلى راسها مدينة قسنطينة باعتبارها عاصمة البايلك وتوضيح أهميتها . ، مع إعطاء فكرة عن التنظيم الإداري للبايليك والجهاز الإداري الذي كان يسيره دون أن ننسى الجهاز الشرعي في المدينة .

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان نظرة حول النوازل الفقهية تطرقنا فيه الى النازلة وتعريفها ومكوناتها ، واهم خصائص النوازل دون ان ننسى اهمية النوازل بالنسبة الفرد والمجتمع على حد سواء .لنختم المبحث بعنوان حول فقه النوازل وتطوره خاصة بالنسبة لمنطقة الغرب الاسلامي ..

والمبحث الثالث فعنوناه ب: ابن الفكون ونوازله تعرضنا فيه إلى التعريف بالمخطوط من حيث الشكل واللغة والخط الذي كتب به، ومحتواه وتاريخ كتابته، وأهميته والدراسات السابقة حول المخطوط . كما تطرقنا الى التعريف بصاحب المخطوط مركزين على مولده، نسبه، تعليمه وأهم الوظائف التي تقلدها. لنختم المبحث بالتطرق الى مكانة عائلة الفكون على مستوى البايلك في شتى المجالات السياسية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية .

فصلا ثانيا: خصصناه لدراسة الاسرة ببايليك قسنطينة ، فجاء بعنوان :**واقع الاسرة ببايلك قسنطينة** قسمناه إلى ثلاثة مباحث . جاء المبحث الاول تحت عنوان : تكوين الاسرة (الزواج) تطرقنا فيه الى مراحل تكوين الاسرة والمشاكل التي تعترض الزواج حيث تطرقنا الى الزواج من حيث الانواع ، الخطبة ومراحلها ، الصداق ،الشوار او التشوير وصولا الى أخر يوم ألا وهو

يوم الزواج أو كما يعرف بيوم البناء (ليلة الدخلة) وما يتعلق بها .و المبحث الثاني : تناولنا فيه : العلاقات الزوجية من حيث مداخيل الاسرة ، و النفقة ، وغيرها من العلاقات ، إضافة الى الخلافات الزوجية وطرق حلها . والمبحث الثالث :جاء بعنوان الطلاق وآثاره تناولنا فيه الطلاق وانواعه ،اسباب الطلاق ونتائجه واثاره على الاسرة والمجتمع على حد سواء.

الفصل الثالث : جاء بعنوان : **واقع المراة ببايلك قسنطينة** قسمناه الى ثلاثة مباحث ،المبحث الاول : عنوناه بالمرأة والمجتمع او بعبارة اخرى دور المرأة في الجانب الاجتماعي على مستوى الاسرة والمجتمع على حد سواء من حيث مساهمتها وحضورها في التكافل الاجتماعي . كما تناولنا فيه دور المرأة في الجانب الطبي او ما يعرف بالقابلة ودورها .أما المبحث الثاني فكان بعنوان : المرأة والحياة الاقتصادية تناولنا فيه عدة نقاط من اهمها المرأة والملكية او التملك ، المرأة والعمل ، لنختم الفصل بمبحث يوضح ويختصر لنا مدى ما كانت المرأة تعانيه لذا جاء بعنوان معاناة ومشاكل المرأة والمعاناة حيث تناولنا فيه العوامل التي كانت وراء معاناة المرأة والتي على راسها الصراعات والحروب والسياسية العثمانية المطبقة بالإقليم دون ان نهمل الاسرة كأحد اهم اسباب المعاناة وآثار ذلك عليها.

الفصل الرابع: الفئات الفاعلة في المجتمع ، قسمناه الى ثلاثة مباحث كل مبحث تناولنا في عناصر معينة فالمبحث الاول تناولنا فيه أصحاب المهن الحرة والفئات الهشة كالتجار والحرفيين والبراح والدلال وغيرهم من العناصر اضافة الى فئة العبيد والمساجين .أمّا المبحث الثاني فتناولنا فيه العلماء ورجال الدين من حيث المكانة والدور ضمن المجتمع القسنطيني .والمبحث الثالث تطرقنا فيه الى عناصر الهيئة القضائية والسياسية والعسكرية من قضاة وعدول وموثقين وغيرهم ، اما السلطة السياسية و المؤسسة العسكرية فتطرقنا الى الباي و الجند والقواد وغيرهم من العناصر الاخرى .

الفصل الخامس : الوضع الصحي في بايلك قسنطينة .قسمناه الى ثلاثة مباحث الاول خصصناه للعوامل المؤثرة في الوضع الصحي سواء العوامل البشرية او الطبيعية كالحروب والصراعات ، والكوارث الطبيعية كالجفاف الجراد وغيرها من العوامل الخرى. اما البحث الثاني فكان عنوانه الامراض والاوبئة بالبايلك و تأثيرها على السكان تناولنا فيه العوامل والاسباب وطرق ووسائل انتقال الامراض والاوبئة ، وعرفنا بمختلف الامراض التي جاء ذكرها في نوازل ابن الفكون كالزهري ، الحمى لمختلف انواعها ، الامراض الجلدية وغيرها من الامراض الاخرى ، كما تناولنا الاوبئة وعلى راسها الطاعون من حيث مصدره انتقاله ، علاقته بمختلف الكوارث الطبيعية ، ثم تطرقنا الى تأثير الامراض والأوبئة على السكان .لنختم المبحث بالتطرق للمواقف من الامراض والاوبئة. اما المبحث الاخير فكان عنوانه الرعاية الطبية بالبايلك ركزنا فيه على السلبيات في الجانب الصحي والطبي و الايجابيات او بصيغة اخرى الإمكانيات المتاحة على مستوى البايلك الطبيعية منها والبشرية .لنختم البحث بالتطرق لأساليب ووسائل للوقاية والعلاج وطرقه .

الفصل السادس :تطرقنا فيه الى التكافل الاجتماعي وهذا من خلال إعطائه عنوانا : **الوقف ودوره في التكافل الاجتماعي بالبايلك** ، وبدوره قسمناه الى ثلاثة مباحث ،الاول جاء بعنوان : الوقف بين المشروعية والاهداف ، تطرقنا فيه الى تعريف الوقف في نظر المذاهب الاربعة ، والى مشروعية الوقف من الكتاب والسنة النبوية وفي الاخير تطرقنا الى اهداف ودور الوقف .أما المبحث الثاني فجاء بعنوان : اقسام الوقف وانواعه، تطرقنا فيه للوقف الاهلي والوقف الخيري .والمبحث الثالث فجاء ليعالج وضعية الاوقاف بالبايلك تطرقنا فيه للناظر كونه المشرف على الاوقاف ، والتعدي على الاوقاف ، وختمناه بحالة ووضعية الاوقاف والاحباس بالبايلك قسنطينة. لنختم دراستنا ببعض الاستنتاجات التي خرجنا بها من بحثنا هذا وأبدينا بعض الآراء.

المنهج المتبع : اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي و التحليلي الذي من شأنه أن يكشف لنا عن الأبعاد السياسية ، الاقتصادية و الاجتماعية لموضوعنا، واستنباط المادة التاريخية له في فترة دراستنا.

المصادر والمراجع المعتمدة :للإجابة عن اشكالية هذا الموضوع المتشعب كان لابد علينا ان نعتمد على مجموعة من المصادر تنوعت ما بين مصادر مطبوعة ومخطوطة ، مصادر عربية واخرى اجنبية اضافة الى عدد من المراجع المتخصصة في الموضوع والتي انارت درب بحثنا .

المصادر : اعتمدنا في دراستنا هذه على عدد من المصادر ذات الصلة بالموضوع سواء من قريب أو من بعيد سناتي على ذكر اهمها :

* مخطوط نوازل ابن الفكون لصاحبه محمد ابن عبد الكريم الفكون والذي ينتمي الى اشهر العائلات القسنطينية ألا وهي عائلة الفكون فهذا المصدر يعد محور دراستنا هذه فجل محتوياتها مستنبطة من نوازل ابن الفكون ، هذه الاخيرة زودتنا بمعلومات ومعطيات اختلف قيمتها واهميتها من فصل الى اخر ، ورغم بعض النقائص الا ان ما حمله المخطوط سهل لنا مشاق وعناء البحث

**مراسلات بايات قسنطينة، مجموعة 1641 ، رغم ان هذه المراسلات والوثائق الارشيفية تبعد عن الحيز الزمني لموضوع دراستنا الا انها تحمل معلومات يمكن اسقاطها على الفترة المدروسة خاصة فيما يتعلق بالحياة الصحية في البايلك كالأمراض و الاوبئة وغيرها

** منشور الهداية في من ادعى العلم والولاية لصاحبه عبد الكريم الفكون تحقيق ابو القاسم سعد الله ، يعد هذا المصدر من اهم المصادر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر (10-11هـ) ،كما يعد المصدر من اهم المصادر التي تناولت المجتمع القسنطيني في هذه الحقبة الزمنية ، فالمصدر اضافة الى تطرقه الى مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية في بايلك قسنطينة خاصة على مستوى العاصمة مدينة قسنطينة ،نجد انه ترجم لعدد لابأس به من العلماء من داخل وخارج الاقليم .ولكن رغم اهمية كتاب منشور الهداية الا ان ما يأخذ عليه هو تجاهله لبعض الاحداث على

مستوى البايلك واي احداث ، احداث عصفت بالبايلك والمجتمع كثورة ابن الصخري التي سكت عنها ابن الفكون ، هذا من جهة ومن جهة ثانيه ان الكتاب طغت عليه النزعة الدينية الجانب الديني.

** العدواني محمد بن محمد بن عمر ، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله. يعد كتاب العدواني من المصادر القليلة التي تناولت المجتمع القسنطيني في الفترة المدروسة ، فالمصدر حمل معلومات هامة ومهمة عن الحياة الاجتماعية ، خاصة قبائل الشرق او بايلك قسنطينة والتي كانت تمثل غالبية المجتمع القسنطيني .

**وصف افريقيا لصاحبه حسن الوزان ، يعد هذا المصدر بمثابة موسوعة جغرافية وبشرية لمنطق المغرب العربي ككل ، فالكتاب حمل وتضمن معلومات لا يمكن لأي باحث وفي مختلف الجوانب الاستغناء عنه ، وتكمن اهمية الكتاب في كونه جاء بما جاء به من معلومات ومتى في مرحلة تكاد تنعد فيها المصادر وخاصة بالنسبة للجزائر والبايلك على حد سواء الا وهي فترة القرن السادس عشر ، فالكتاب يعد مصدرا اساسيا للحياة الاجتماعية باليايلك خلال القرنين 15و16م (09-10هـ).لكن الكتاب كغيره من المصادر والكتب الاخرى لا يخلوا من النقائص فما يؤخذ عنه ان صاحبه حسن الوزان كتب بنوه من التعالي وفي هذا ممكن ان نجد له بعض الاعذار والتي تتعلق بحياته في اوربا والبلاط الملكي والتي ربما انعكست في بعض كتاباته واحكامه.

** نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، للمؤلف احمد بابا التمبكتي يعد هذا المصدر من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها في الدراسات الاجتماعية الدينية مثل الدراسة التي بين ايدينا ،كونه يعد موسوعة لمختلف العلماء ورجال الدين على المستوى العالم الاسلامي ككل .

**تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية لصاحبه الزركشي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ، ، تحقيق وتعليق ، محمد ماضور يتناول هذا المصدر تاريخ الدولة الحفصية وبالتالي فهو مهم في دراستنا خاصة اذا عرفنا ان جزء كبير من البايلك او الشرق الجزائري كان يدخل ضمن نطاق للحفصيين

** ماء الموائد او الرحلة العياشية لصاحبها العياشي تحقيق احمد فريد المزيدي ورغم ان الكاتب من المغرب الا ان تكوينه ومسار رحلته وعلاقاته مع علماء الجزائر وخاصة علماء بايلك الشرق وبالأخص علماء ال الفكون ، هذا جعل العياشي يترك لنا مادة علمية قليلة في كمها لكن قيمة في محتواها خاصة ماتعلق بالجانب الاجتماعي كالدين والامراض والاوبئة وغيرها ، فالرجل وما يحمله من تكوين ديني ومعرفي يجعل منه احد اهم المصادر الاجنبية للقطر الجزائر عامة وبايلك الشرق خاصة ، وما يؤخذ عليه ربما يتعلق بالرحلة ومساراتها فالمسار وعوامل اخرى جعلته يكون شحيحا في معلوماته وكتاباته حول البايلك بصفة خاصة .

**** مجاعات قسنطينة، ابن العنتري صالح، تحقيق وتقديم رابح.والذي يعد اهم مصدر تناول المجاعات وتأثيرها على السكان في البايلك ورغم ان الكتاب متأخر نوعا ما الا انه لا يمكن الاستغناء عنه نظرا لما يحمله من معلومات قيمة ومهمة خاصة المتعلقة بالجانب الاجتماعي في شقه الصحي والمتعلق في العوامل المؤثرة على الصحة والسكان لكن الكتاب يمكن ان نطلق عليه انه مصدرا من الدرجة الثانية وهذا لان صاحبه لم يعش الفترة وانما كتب عنها .

** فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، ابن العنتري محمد بن صالح ، مراجعة وتقيم وتعليق: يحي بوعزيز، وهذا المصدر من المصادر التي لا يمكن للباحث في تاريخ بايلك قسنطينة ان يستغني عنه فهو مصدر تعددت مواضيعه وتنوعت اهميته من سياسية الى اقتصادية الى اجتماعية ، لكن هذا الكتاب مثله مثل سابقة (المجاعات) يبقى مصدرا ناقصا مقارنة بمصادر عاش اصحابها الفترة الذين كتبوا عنها .

المراجع :

اعتمدنا في دراستنا هذه على عدد لابأس به من المراجع المتخصصة والتي تناولت الموضوع مباشرة او غير مباشرة ومن اهم هذه المراجع :

**أوضاع المرأة بالغرب الاسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي للباحثة ربوح زهور حيث تناولت الموضوع من زاوية دراسة فقهية اجتماعية .وتعد هذه الدراسة من اهم الدراسات الاكاديمية التي تناولت جزا من الحياة الاجتماعية الا وهي المرأة ، فالموضوع من الوهلة الاولى ومن خلال عنوانه يحكم عليه القارئ على انه موضوعا مستهلكا الا ان مجرد الدخول في اعماق الكتاب نلاحظ ذلك التميز في طرح ومعالجة الباحثة لموضوع المراة من خلال نوازل المعيار .فالكتاب وما يحمله من اشكاليات واستنتاجات يعد يجعل الباحث في الشؤون الاجتماعية خاصة من خلال النوازل لا يمكنه الاستغناء عنه.

**شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية من تاليف ابو القاسم سعد الله يعد هذه المرجع من المراجع الهامة التي تناولت شخصية محورية في المجتمع القسنطيني الا وهي شخصية عبد الكريم الفكون ، استطاع الكاتب من خلال هذا التاليف اعطاء صورة تكاد تكون واضحة لفئة هامة في المجتمع القسنطين الا وهي فئة العلامء ورجال الدين ومدى حضورها على مختلف الاصهة السياسية الاجتماعية والثقافية .ومايؤخد على الكتاب هو انه يحمل في بعض الاحيان مبالغات اتجاه هذه الشخصية الدينية .ولكن رغم هذا يعد التاليف قيمة علمية واضافة نوعية .

** الصحة والسكان في الجزائر اثناء العهد العثماني واوائل الاحتلال الفرنسي 1519-1871م للباحثة القشاعي الموساوي فلة ، تعد هذه الدراسة التاريخية الاجتماعية من الدراسات القلائل في هذا المجال ، فالفترة الزمنية والحيز الجغرافي للدراسة من جهة وما تحمله من اشكالية وتحليل واستنتاجات لموضوع الصحة والسكان للجزائر من جهة ثانية اعطى لها قيمة علمية واضافة نوعية للدراسات التاريخية الحديثة بعيدا عن النظرة الكلاسيكية السردية للتاريخ عامة والتاريخ السياسي خاصة . هذه القيمة والاهمية العلمية لهذه الدراسة جعلتها مصدرا اساسيا في دراستنا خاصة في الجوانية الصحية والديموغرافية .

**الزواج والاسرة في قسنطينة في القرن 18 ، للمؤلفة قشي فاطمة الزهراء تكمن قيمة هذا الكتاب كونه تناول الاسرة والزواج في القسنطينية بنظرة باحثة متخصصة في الدراسات الاجتماعية انطلاقا من المادة الارشيفية وما تحمله هذه الاخيرة من معلومات قيمة حول المجتمع .

المراجع الاجنبية :من اهم المراجع الاجنبية المعتمد عليها والتي تناول اقليم وبايلك قسنطينة نجد :

GRANGAUD ISABELLE:La ville imprenable , une Histoire Social de Constantine au XVIII ème Siècle, .

يعد من اهم المراجع المتخصصة التي تناولت المجتمع القسنطيني خاصة والبايلك عامة ورغم ان الكتاب يحمل نظرة اجنبية الا انها كان الى حد كبير نضرة علمية موضوعية للموضوع ، خاصة اذا عرفنا ان صاحبة الكتاب لها باع في الدراسات المتعلقة بقسنطينة ومن ورائها البايلك

**ايضا من المراجع الاجنبية التي تناولت البايلك وقسنطينة بالدراسة كتاب :.

VAYSSETTES (E) : Histoire de Constantine sous la domination turque 1517 à 1837 .

يعد من أهم المراجع التي تناولت بايلك قسنطينة خلال الفترة العثمانية .تنوعت مواضيعه حيث شملت مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية وغيرها من المواضيع .

** ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832- 1837، للمؤلف شولصر فندلين ترجمة وتقديم، الدكتور أبو العيد دودو. رغم ما يحمله الكاتب من نظرة نوعا ما سلبية عن المجتمع القسنطيني . الا ان الكتاب ساهم ولو بالقليل في اعطائنا نظرة معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية ببايلك قسنطينة خاصة وانه يجسد نظرة الاجنبي للمنطقة بعيدا نسبيا عن العاطفة . .

صعوبات البحث: بحثنا كغيره من البحوث العلمية التي لا تخلو من عراقيل وصعوبات تواجه الباحث إلا أنها لم تزدنا إلا إلحاحا وإصرارا على الاستمرار وإنتاج هذا البحث على الصورة التي بين أيديكم بكل ما أوتينا من جهد وإمكانيات. فمن مجمل الصعوبات التي واجهتنا :

اولا: صعوبة الحصول على نسخ مصورة من المخطوط وفي حالة حصلت على صورة او نسخة منه تكون منقوصة حيث تحصلت شخصيا على ثلاث نسخ مصورة وكلها ناقصة بعض اوراقها ، هذا من جهة ومن جهة ثانية صعوبة قراءة بعض الاوراق بسبب الخط وتشابه حروفه وكلماته .

ثانيا: قلة الدراسات التاريخية سواء على مستوى الماجستير أو على مستوى الدكتوراه والمتعلقة بموضوع المجتمع من خلال النوازل وهذا خلال الفترة الحديثة للجزائر عامة ومنطقة قسنطينة خاصة .

ثالثا : قلة المصادر التاريخية المحلية منها والاجنبية وهذا خلال هذه الفترة (16-17م) والتي تمثل مرحلة انتقالية في تاريخ الجزائر ، وخاصة المتعلقة بالقرن السادس عشر ميلادي (10هـ) فهي تكاد تكون نادرة وهذه الندرة مست مختلف المصادر المطبوعة منها او المخطوطة وحتى المتعلقة بالوثائق الأرشيفية .

رابعا :المشاكل التي يعاني منها الباحث والاستاذ الجامعي على مختلف المستويات ، في العمل ، في البحث وميادينه ، اضافة الى مختلف الضغوطات من مختلف الجهات الوصية ، كل هذا سينعكس سلبا على الباحث ومردوده العلمي .

ورغم كل هذه الصعوبات إلا أن تحديها كان من أسباب المواصلة وهذا بالتوفيق من المعين الذي لا يخيب من توكل عليه واستطعنا ان نخرج هذا العمل الى النور .

والله الموفق والمستعان والهادي الى سواء السبيل

الفصل الاول

بايلك قسنطينة

المبحث الاول :الأوضاع العامة في البايلك

المبحث الثاني : نظرة حول النوازل الفقهية

المبحث الثالث : ابن الفكون ونوازله

اقليم قسنطينة (بايلك قسنطينة) منطقة ضاربة في اعماق التاريخ ،كان محط انظار العديد من الشعوب والامم والدول ، وهذا منذ حقبة ما قبل التاريخ ، ليستمر هذا الاهتمام الى الفترة الحديثة مع انحصار النفوذ الحفصي والتوسع العثماني ، هذا الاهتمام بعكس مدى اهمية هذا الاقليم .

المبحث الاول : الاوضاع العامة

1- الأوضاع السياسية: كانت معظم مدن الشرق الجزائري وعلى رأسها قسنطينة، عنابة وبجاية تحت الحكم الحفصي خلال القرن الخامس عشر ميلادي(15م) وحتى بداية القرن السادس عشر ميلادي (16م)[1]، وكان أغلب ولاة هذه المدن حفصيون يعينهم الأمير الحفصي[2]. وبطبيعة الحال فإنه من البديهي أن يتأثر الشرق الجزائري ومن ورائه المدن الرئيسية بكل ما كان يحدث في الإمارة الحفصية بتونس، ممثلة في النظام الحفصي والذي كان في نهاية القرن التاسع هجري (15م) وبداية القرن العاشر هجري (16م) يحتضر[3].حيث كانت نتيجة الضعف الحفصي عدم اعتراف امراء الدولة الحفصية في كل من قسنطينة ، بجاية ، عنابة بالسلطة المركزية في تونس[4] . هذا التدهور والضعف السياسي الحفصي قابله ازدياد القوة والخطر الصليبي الذي ترأسته إسبانيا حاملة لواء المسيحية من جهة والمدّ العثماني حامل لواء الإسلام من جهة أخرى[5]. هاتين القوتين الإسبانية والعثمانية

---

1 -GRANGAUD ISABELLE:La ville imprenable , une Histoire Social de Constantine au XVIII ème Siècle, éditions media- plus , Constantine , 2004. p244.

- الميلي مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، تقديم وتصحيح محمد الميلي، دار الكتاب العربي، 2007، ص 934.

[2] سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ،ط1، دار المغرب الإسلامي، 1406(1986)، ص11.

- الميلي مبارك بن محمد : المرجع السابق ، ج3، ص 934.

[3] - سعد الله أبو القاسم : المرجع السابق ، ص12.

[4] - دراج محمد : الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس 1512-1543، ط03، شركة الاصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015، ص80،81.

[5]- دراج محمد : المرجع السابق، ، ص12.

صوبتا اهتمامهما الى المغرب الادنى ، حيث أصبحت الدولة الحفصية وجميع مناطقها وعلى رأسها إقليم الشرق الجزائري محل أطماعهما[1].

نتيجة للأوضاع المتدهورة والمضطربة للمملكة الحفصية أصبحت المنطقة الشرقية للمغرب الأوسط منطقة نفوذ لعدة أطراف محلية متمثلة في شيوخ القبائل الذين حاولوا فرض إرادتهم على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فكان الخطر الإسباني يقابله المد العثماني هذا الأخير كان يسعى إلى إدخال تونس وإقليم قسنطينة تحت حكمه للوقوف في وجه الخطر الإسباني الذي ازدادت وكبرت أطماعه خاصة بعد تحالف فرديناند وإيزابيلا ، والذي نتج عنه القضاء على آخر معقل للمسلمين بالأندلس ألا وهو غرناطة1492م[2].

1-1-التواجد العثماني بإقليم قسنطينة: هناك خلاف بين الباحثين والمؤرخين حول تاريخ دخول وتواجد العثمانيون بمدينة قسنطينة واستقرارهم بها ومن ثم السيطرة على كل الإقليم، ففايسيت جعله سنة 1517م[3]، وميرسي يرى أنه ما بين 1519م و1522م[4]، والعنتري جعله عام 1050هـ(1640م)[5] ، أما الأستاذ يحي بوعزيز فيرجح ان تكون سنة 1514م[6].

أمام تضارب هذه الروايات والتواريخ ارتأينا أن نتطرق إلى موضوع دخول و تواجد العثمانيون بإقليم قسنطينة ، حيث ارتأينا أن نختصر ذلك في ثلاث مراحل :

[1] – دراج محمد : المرجع السابق، ص12.

[2] – غطاس عائشة : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م ، ص 13 .

- MERCIER ERNEST :histoire de Constantine ,Constantine , 1903 , p18 .

[3]- VAYSSETTES (E) : Histoire de Constantine sous la domination turque 1517 à 1837 , présentation de oùarda siari media plus 2010. P44.

[4] - MERCIER ER NEST OP.CIT. P191

[5]– ابن العنتري محمد الصالح : فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، الطبعة 2، دار هومة، 2007، ص11.

[6] – نفسه ، ص12.

1-1-1- المرحلة الاولى: (1500م-1519م) مع مطلع القرن العاشر هجري (16م) كانت شهرة الإخوة بربروس قد شاعت في الحوض الغربي للمتوسط ، وهذا بفضل الأعمال الجهادية التي كان يقوم بها هؤلاء الإخوة متخذين من جزيرة جربة ومن مرسى حلق الواد قاعدة لهم وهذا بعد ان سمح لهم السلطان الحفصي بذلك مقابل بعض الامتيازات والغنائم يحصل عليها السلطان الحفصي [1]. في هذه الأثناء وبالضبط في 1512م[2]، استنجد أعيان وعلماء بجاية بعروج لتخليصهم من الاحتلال الإسباني ، الذي كان قد استولى على المدينة 1510م[3]، فما كان من عروج إلا تلبية النداء لكن محاولته باءت بالفشل، وتعد هذه المحاولة بمثابة الاحتكاك الفعلي بين سكان الشرق الجزائري والعنصر العثماني[4]، ثم جاء دور جيجل التي دخلها الإخوة بربروس في1514م[5]، ووضعوا بها حامية لحراستها[6] . بعد ذلك استنجد سكان مدينة الجزائر بالإخوة فهبوا لنجدتهم [7]،حيث عرج عروج على شرشال ثم منها الى مدينة الجزائر التي دخلها في 1516م ، وفي هذه السنة تعرضت الجزائر لحملة اسبانية في 30 سبتمبر

[1] - بربروس خير الدين : مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة وتعليق محمد دراج ، ط2، الاصالة للنشر و التوزيع، الجزائر العاصمة ،2013، ص ص45-47.

[2] - نفسه ، ص ص64،65. - جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830 ، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة ،ج2، الدار التونسية للنشر، 1398، ص326.

[3]- دراج محمد : الدخول العثماني...، ص ص 122- 124.

- نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط 1 ، دار الحضارة، بئر توتة، 2006، ص 49 .

[4]- بربروس خير الدين ، المصدر السابق ، ص 51. - غطاس عائشة ، المرجع السابق ، ص ص20 ،21.

[5]- دراج محمد ، الدخول العثماني ...، المرجع السابق ، ص ص216-217. - المدني احمد توفيق : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791(سيرته،حروبه ، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986.ص23. ---

- Haedo (Fray Diego de): ***Histoire des rois d'Alger***, traduit et annotée par H. D.DeGrammont, Alger, 1881.p14..

[6]- دراج محمد : الدخول العثماني ...، المرجع السابق ، ص ص 216،217.

[7]- بربروس : المصدر السابق ، ص ص 69-74. -محمد بن محمد بن عبد الرحمان التلمساني :الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة، نسخ ، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1626، الورقة 1،2. - التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية : الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة ، ضبط وتعليق ، خير الدين السعيدي الجزائري ، ط1 ، اوراق ثقافية للنشر والتوزيع ، 2017 ،ص ص84،85.

بقيادة دييقو ديفيرا diego de vera استطاع خير الدين أن يردها وهذا بالتعاون مع السكان[1] .ولم يلبثوا طويلا حتى أصبحت الجزائر أيالة عثمانية ، بقيادة خير الدين باشا بايلربايا عليها [2]، 1519 م [3].

1-1-2-مرحلة إنشاء الحاميات (1520-1541م): لم تستقر الأوضاع لخير الدين بمدينة الجزائر فلم تحل سنة 1520م حتى شهدت مدينة الجزائر عدة اضطرابات واحداث كانت نتيجتها خروج خير الدين منها وتوجه إلى مدينة جيجل [4]، استغل ابن القاضي أمير كوكو الفرصة و احتل مدينة الجزائر [5]. ومن جيجل بدأ خير الدين في التوغل داخل إقليم قسنطينة حيث دخل مدينة القل 1521م ووضع بها حامية ثم عنابة 1522م، ومدينة قسنطينة فوضع بها حامية تتكون من 600 جندي تحت قيادة قائد العسكر يوسف، وترك لكل قائد حامية الحرية في التصرف وحثهم على تحسين علاقاتهم بالسكان، وخاصة سكان مدينة قسنطينة بحكم موقعها في الداخل ، وعملا بنصيحة خير الدين قام القائد يوسف بربط علاقات مع شيخ البلاد الشيخ الفكون الذي كان له الفضل في ربط القائد يوسف لاتصالات مع إحدى أشهر قبائل المنطقة وهي قبيلة أولاد يعقوب بن علي والتي تعهدت بتأمين المؤونة والمواد للحامية العثمانية مقابل حصولها على البارود[6]. وبعد رجوع خير الدين إلى مدينة الجزائر وتثبيت حكمه بها خاصة بعد القضاء على حصن

---

[1] - جوليان شارل أندري، مرجع سابق ، ص327. - عبد القادر نور الدين ، المرجع السابق ، ص49.
-DE GRAMMONT H-D : HISTOIRE D'ALGER SOUS LA DOMINATION TURQUE 1515-1830 , PARIS , 1887, P23

[2]- بربروس: المصدر السابق ، ص ص92،93.

[3]- غطاس عائشة ، مرجع سابق ، ص25. - جلال يحيى : المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، د ط ، دار النهضة العربية بيروت، 1981، ص ص 24 ،25.

[4]-كورين شوفالي : الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر 151-1541م، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007، ص 43. - بربروس: مصدر سابق ، ص ص 110-115.

[5] - نفسه ، ص ص 110-115. - مجهول : سيرة المجاهد خير الدين بربروس ، تحقيق وتقديم وتعليق ، ط1، عبد الله حمادي ، دار القصبة للنشر، 2009 ،ص ص 124-133. - عبد القادر نور الدين ، مرجع سابق، ص69 و 70.

[6] - ابن العنتري ، مصدر سابق ، ص 39.

البينيون(مـاي 1529م)[1]، توجـه نحـو تـونس والـتي تمكـن منهـا 1534 م، إلا أن التواجـد العثمـاني بهـا لم يـدم طـويلا فمـا لبثـت أن عـادت للحكـم الإسـباني في سـنة 1535م[2] ، لينسـحب خـير الـدين إلى عنابـة، ثم منهـا إلى مدينـة الجزائـر . ثم يـأتي دور حسـن قورصـو الـذي عمـل علـى تـوطين التواجـد العثمـاني بالمنطقـة مـن خـلال وضـعه لحاميـات عسـكرية بعـدة منـاطق اسـتراتيجية ومنهـا زمـورة، المسـيلة، والبـويرة ، كمـا عمـل علـى توسـيع سـلطة العثمـانيين في القسم الجنوبي للإقليم حتى الزاب، تقرت، وبسكرة وأخضعها لسلطته[3].

1-1-3-مرحلـة الحكـم المباشـر : 1541-1565م. بـدأنا هـذه المرحلـة بتعـين أبي الفضـل قاسـم الفكـون قاضـيا علـى قسـنطينة 948هـ/ 1541م[4] ، وهـذا التعيـين يعتـبر بمثابـة اتصـال مباشـر بقسـنطينة ، ومـع مطلـع النصـف الثـاني مـن القـرن (16م) كـان إقلـيم قسـنطينة تحـت سـلطة العثمـانيين سـواء مباشـرة بواسـطة الحاميـات العسـكرية أو غـير مباشـرة بواسـطة الـولاء مـن بعـض القبائـل. كمـا تم خـلال هـذه المرحلـة وبالضـبط في سـنة 1555م تقـدم سـكان مدينـة قسـنطينة برسـالة للسـلطان العثمـاني سـليمان القـانوني في شـأن صـالح رايـس (1555)(963هـ)[5] ، وهـي السـنة الـتي يـرى الأسـتاذ سـعيدوني أنهـا سـنة دخـول العثمـانيين إلى قسـنطينة بصـفة نهائيـة مسـتدلا بهـذه الرسـالة . كمـاتم تحريـر مدينـة بجايـة خـلال هـذه السـنة

[1] - كورين شوفالي ، مرجع سابق ، ص 47،48.- عبد القادر نور الدين ، مرجع سابق ، ص27.
- BELHAMISSI MOULAY: histoire de la marine algérienne(1516-1830),enal ,Alger,1986,p82
-DE GRAMMONT H-D , op.cit., p3
[2] - سعيدوني ناصر الدين ، "صفحات من ماضي الجزائر المجيد :البحرية الجزائرية" ، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، العدد العاشر، جامعة الجزائر 1997/1417، ص ص 38،39 .
- وولف جون .ب: الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط خ ، دار الرائد، 2009، ص ص46- 48.
[3] ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق ، ص41.
[4].MERCIER ERNEST, op.cit. , p196
[5] سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2000، ص ص111،112.

(1555م[1]) مـن يـد الاحـتلال الإسـباني . لتـأتي فـترة حكـم حسـن ابـن خـير الـدين والـذي عمـل علـى تكملـة عمـل سـابقيه ، فقـام بتفكيـك تحـالف القبائـل منـذ العثمـانيين ثم إخضـاعها فيمـا بعـد ، فمـع حلـول 1559م كـان قـد كسـب إلى صـفه ابـن القاضـي وقضـى علـى عبـد العزيـز خليفـة مجانـة، ومـن خلفـه رضـخ لشـروط حسـن ابـن خـير الـدين[2]. وفي ولايتـه الثالثـة والـتي بـدأت (1562م)[3] أكمـل حسـن ابـن خـير الـدين مهامـه السـابقة وعمـل علـى تنظـيم الأيالة الجزائرية ، وبهذا تصبح قسنطينة تحت حكم العثمانيين بشكل رسمي .

1-2- تكـوين بايليـك قسـنطينة: بهـدف تنظـيم الدولـة وتسـهيل تسـييرها عمـل حسـن بـن خـير الـدين علـى تقسـيمها إلى ثلاثـة بايليكـات[4] وهـي: بايليـك التيطـري ، بايليـك الغـرب، و بايليــك الشــرق أو قســنطينة. وبعــد عــامين مــن التقســيم أي 1567م[5] تم تعيــين رمضــان تشــولاق[6] كــأول بــاي علــى بايليــك قســنطينة، وحســب فايســيت(VAYSSETTES)فــإن تعيـين رمضـان هـذا حصـل بعـد ذهـاب وفـد مـن قسـنطينة إلى باشـا الجزائـر لشـرح الأوضـاع المتـدهورة وكــان مــن بــين أعضــاء هــذا الوفــد الشــيخ عبــد الكــريم الفكــون، وعبــد اللطيــف المســبح[7]. بعــد رمضــان جــاء دور جعفــر بــاي[8] (1574م – 1588م) الــذي عمــل علــى

[1] VAYSSETTES, op.cit. p54.
- BELHAMISSI MOÙLAY . op.cit . p82.

[2]- ابن العنتري محمد صالح ، المصدر السابق ، ص 42. - غطاس عائشة ، مرجع سابق ، ص206.

[3]- ابن العنتري محمد صالح ، المصدر السابق ، ص 43.

[4] - نور الدين عبد القادر ، مرجع سق ذكره ، ص104.

[5] - غطاس عائشة ، المرجع السابق ، ص207.

[6]- عينه البايلرباي محمد بن صالح رايس ، دامت فترة حكمه من سنة 1567م الى 1574م .انظر :ابن العنتري محمد الصالح : تاريخ قسنطينة ، ط خ2009، دار البصائر ،الجزائر ، ص 30.

[7]-VAYSSETES, op.cit. , p56. - MERCIER ERNEST, op. cit , p203,204.

[8]- بعد استدعاء الباي رمضان تشولاق الى الجزائر العاصمة تم تعيين جعفر مكانه بايا على قسنطينة ، اتسمت سياسته بالحكمة من خلال العمل على توثيق الصلة بالعائلات النافذة على مستوى البايلك وخاصة المدينة قسنطينة ، قدم خدمات جليلة لحكام الايالة من اهمها تزويد العلج علي بالجنود والفرسان في حملته ضد سلطان المغرب 1576م .ليستدعي الى مهام اخرى 1588م .انظر : ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص 32.

استمالة العائلات النافذة في البايليك ، ثم جاء بعده محمد بن فرحات باي[1] ويمكن أن نطلق على فترة حكمه اسم الحكم المحلي لأنه كان من سكان قسنطينة ، حدثت خلال فترته عدة اضطرابات كان أهمها تهديد المقرانيين وابن القاضي اللذين تحالفا ووصل تهديدهما إلى مشارف مدينة الجزائر بعدما هددوا مدينة قسنطينة وحكامها، ولم يقتصر الخطر على الداخل بل تعداه إلى الخارج حيث تعرضت مدينة عنابة لحملة عسكرية كان من بين نتائجها استشهاد الباي محمد بن فرحات[2].

أما خلال القرن السابع عشر ميلادي فتوالى على قسنطينة عشر بايات وأهم ما ميز هذه الفترة :

أولا: ضبط الحدود مع تونس لكن التونسيين قاموا بخرق الحدود مما جعل الجزائر توجه حملة عسكرية على تونس أرغمت خلالها على إبرام اتفاقية ضبط الحدود 1628م[3].

ثانيا: عرف البايليك اندلاع إحدى أخطر الثورات ألا وهي ثورة ابن الصخري(1637م)[4]، والتي شملت كل أرجاء البايليك بزعامة ابن أحمد الصخري ونتيجة لهذه الثورة عمت الفوضى وانعدم الأمن بالمنطقة ،كما شهدت قسنطينة ثورة أولاد عبد المؤمن1642م[5] ، بالإضافة إلى ثورة المقرانيين بالبيبان و سطيف ضد العثمانيين[6] سنة 1643م[7].

---

[1]- لم يكن من العنصر التركي وانما كان من نبلاء قسنطينة جاء الى الحكم 1588م واستمر الى 1608م ، عرف بالطيبة مما جعل القبائل تتمرد عليه خاصة فيما يخص دفع الضرائب، مما جعل يواجه صعوبات مالية ، عرفت فترة حكمه الكثير من الكوارث الطبيعية على راسها الطاعون الجفاف والمجاعة والتي خلفت الكثير من القتلى ،استشهد في ساحة الوغى ضد حملة الدوق الطوسكان كونتابل بيكو ليميني على مدينة عنابة 1607.انظر : ابم العنتري ، المصدر السابق ، ص ص 32-34.

[2] - ابن العنتري محمد الصالح ، المصدر السابق ، ص 48،45 .

[3]- نفسه ، ص ص48،49.

[4]- نفسه ، ص51.

[5]- نفسه ، ص53.

[6]- VAYSSETTES ,op,cit,pp78-79..

[7]- ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص ص 53 ،54.

ثالثا: أهم ما ميز النصف الثاني من القرن السابع عشر حالة الاستقرار والأمن وهذا بفضل التحالف الحاصل بين عائلة الفكون من جهة والسلطة العثمانية المتمثلة في الباي فرحات من جهة ثانية [1].

1-3-الموقع الجغرافي للبايليك : يعتبر إقليم الشرق أو بايليك قسنطينة أكبر البايلكات جغرافيا في أيالة الجزائر ، فهو يمتد من البحر المتوسط في الشمال إلى ما وراء الصحراء جنوبا، ومن الشرق الحدود التونسية من وادي سوف جنوبا مرورا بتبسة وصولا إلى طبرقة على الساحل المتوسطي شمالا، ومن الجهة الغربية جبال البيبان وقرى بني منصور، ومن الجنوب الغربي قرى سيدي هجرس وسيدي عيسى اللتين تفصلانه عن بايليك الوسط أو التيطري[2].الذي يمتاز بالتضاريس التالية :

الجبال : وهي المظهر الطاغي على الإقليم حيث نلاحظ وجود عدة جبال منها: جبال الأوراس، جبال البيبان، جبال جرجرة، جبال الحضنة، جبال الزاب، والزيبان[3].

السهول والأحواض: يحتوي البايلك على عدة سهول منها: السهول العليا بقسنطينة سهل عنابة، سهل سكيكدة ، سهل نقاوس[4]. أما الأحواض فمن أهمها حوض وادي الصومام، وحوض وادي سوف[5].

الأودية : يجري بإقليم قسنطينة عدة أودية منها: وادي سوف، وادي ريغ، وادي الصومام، وادي الشبكة[6].

1- سعد الله أبو القاسم : المرجع السابق ، ص54.

2- غطاس عائشة ، مرجع سابق ، ص210.

3 - ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق ، ص ص25 ، 26.

4 - ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق، ص ص25، 26.

5 - نفسه ، ص26.

6 - نفسه ، ص ص25،26.

الواحات : من أشهر الواحات الموجودة على مستوى بايلك قسنطينة واحات بسكرة، وتقرت، وواحات ورقلة، ووادي سوف، وواحات ميزاب[1].

1-4- حواضر البايلك : يحتوي بايلك قسنطينة على عدد هائل من المدن والحواضر تختلف فيما بينها من حيث: الديمغرافيا و الاهمية السياسية والاقتصادية وغيرها من نقاط الاختلاف .

1-4-1 -مدينة قسنطينة: تاريخيا يعود تأسيس مدينة قسنطينة إلى فترة ما قبل الميلاد وبالضبط إلى سنة 203ق.م أسسها الرومان[2]، في البداية كانت تعرف باسم سرت لتصبح منذ 313 م باسم قسنطينة[3]، كما يذكر العدواني أن تسميتها اقتبست من شجرة في أعلى الجبل كثيرة الأغصان تسمى قطنطينة[4] . بنيت قسنطينة على جبل شاهق تحيط بها الصخور العالية من جهة الجنوب يمر عند قدميها وادي يعرف بواد الرمال، هذا الموقع المتميز بطبيعته الدفاعية جعل منها مدينة محصنة طبيعيا[5].

احتلت قسنطينة مكانة هامة منذ تأسيسها، ففي العهد النوميدي كانت عاصمة للنوميديين منذ القرن 3م[6]. لتستمر أهمية قسنطينة خلال العصور الإسلامية ففي الفترة الحفصية كانت إحدى المدن الرئيسية في الإقليم الغربي للحفصيين كان على رأسها في معظم الفترات أقارب السلطان الحفصي[7]. أما في العهد العثماني فنجدها ثاني مدينة من

---

[1] – ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق ، ص ص25،26.

[2] – حساني مختار : موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3 مدن الشرق، د ط ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص130.

[3]– برنشفيك روبار : تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تعريب حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص418.

[4] – العدواني محمد بن محمد: تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص280.

[5] – برنشفيك روبار ، المرجع السابق ، ص418.

[6] –نفسه ، ص418.

[7] – نفسه ، ص418.

حيث الأهمية بعد مدينة الجزائر حيث كانت مقر بايليك الشرق، خاصة وأن وهران كانت تحت الحكم الإسباني وتلمسان قد أفل نجمها في هذه الفترة[1].

أما في المجال الاقتصادي فنجد أن مدينة قسنطينة ورغم أنها مدينة داخلية تبعد عن الساحل بمائتي ميل[2]، إلا أنها تعتبر من أهم المدن الاقتصادية في الجزائر في العهد العثماني، وهذه المكانة كانت وراءها عدة عوامل من بينها:

-أن المدينة تعتبر من أهم المراكز الصناعية حيث اشتهرت بها عدة صناعات من أهمها الطرز، الحلي، وغيرها من الصناعات النسائية[3].

- تمثل المدينة إحدى أهم المراكز التجارية في البايلك خاصة والجزائر عامة، فهي تحتوي على عدد هائل من الأسواق، ومنها: سوق الجلد، سوق القمح، كما تظم المدينة على عدد كبير من الحمامات، المحلات التجارية، كمحلات الأقمشة وغيرها[4].

-تحتل قسنطينة موقعا استراتيجيا فهي تمثل نقطة تحرك معظم القوافل التجارية بين إفريقيا وبلاد المغرب[5].

ومن حيث السكان فنجد بها عددا كبيرا ، حيث وصل حسب بنانتي الإيطالي إلى مائة ألف نسمة[6]، هذا العدد الكبير من السكان جعل المؤرخين يصفونها بالمملكة[7]، وهؤلاء السكان هم مزيج من عدة أجناس وطوائف وتركيبهم لا يختلف عن تركيب سكان مدينة

---

1 - حساني مختار : المرجع السابق ، ص87.

2 - سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، بدون سنة، ص176 .

3 - سبينسر وليم : الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص120.

4 -DE PARADIS VENTURE: Alger au XVIII[ème] siècle, Edité par E.Fagnon, Alger, 1898, p33.

5 - بزنشفيك روبار ، مرجع سابق ، ص419.

6 - سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي.....، ج 1 ، المرجع السابق ، ص174.

7 - فيلالي عبد العزيز :مدينة قسنطينة (تاريخ، معالم ، وحضارة) ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، بدون سنة، ص161.

الجزائر. ومن حيث العمران فالمدينة بها عددا كبيرا من الثكنات العسكرية، المساجد، القصور، المدارس، والزوايا[1].

1-4-2-مدينة جيجل : جيجل أو قصر جيجل ، قصر ضارب في التاريخ شيده الأفارقة على صخرة شاهقة ،على شاطئ البحر المتوسط .تبعد عن مدينة بجاية بحوالي سبعين ميلا[2].تحتوي هذه المدينة على ميناءين ، الاول موجود بالجهة الجنوبية للمدينة يمتاز بالصعوبة الدخول اليه ، أما الثاني فيقع شمالا ويعرف بمرسى الشعرا ، وهو عكس سابقه يمتاز بهدوئه ،ومن السهولة ارساء السفن به ، لكن الشيء السلبي في هذا الميناء هو صغره ، فهولا يحتمل الا عددا قليلا من السفن للإرساء به[3].

بقيت مدينة جيجل (القصر) تتمتع بنوع من الاستقلال والحرية في العهد الحفصي وهذا لصعوبة حصار هذا القصر. أما في الفترة الحديثة فيذكر حسن الوزان ان مدينة جيجل خضعت طواعية للإخوة بربروس ، فرضت على سكانها زكاة العشر على الثمار والحبوب ، كان عليها ممثلا للأتراك بقصر المدينة[4] .

اما من الناحية الاقتصادية فالمدينة فلاحية بالدرجة الاولى ، و جل رجالها فلاحين يمارسون أعمال الفلاحة . تعرف المدينة وما حولها من المناطق بكثرة خيراتها سواء النباتية أو الحيوانية ،كالعسل ، السمن ، الالبان [5]، الحبوب وخاصة الشعير وهذا حسب طبيعة المنطقة والتي تمتاز بوعورة أراضيها ،كما تعد المنطقة منطقة ملائمة للكتان [6].أما على

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 ، مرجع سبق ذكره ، ص174.

[2]- الوزان حسن : وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،، ص51.

[3]- الادريسي الشريف.: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية " مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " 548هـ/1154م ، صححه ونشره هنري بيريسي ، الجزائر 1957، ص ص69،70.

[4]- الوزان : المصدر السابق ، ص ص52،51 .

[5] -. الادريسي الشريف ، المرجع السابق، ص 69.

[6]- الوزان: المصدر السابق ، ص52.

مستوى الفواكه فالمنطقة غنية بمختلف الفواكه وعلى راسها الجوز والتين اللذان يتواجدان بكثرة [1] .كما نجد المنطقة والمدينة تحتوي على ثروة حيوانية خاصة الحوت والسمك الذي يتواجد بكثرة بالمنطقة [2].

أما من حيث السكان فجيجل حسب الوزان كان بها حوالى 500 كانون ، يمتاز رجالها بالكرم والوفاء ، كما يمتازون بالشدة .والمدينة تحتوي على عدة مساكن ميزتها الجمال [3].

1-4-3-مدينة بجاية :تعود مدينة بجاية الى الفترة البيزنطية تمثل مرسى أو ميناء بنيت بمنطقة تزاوج فيها البحر بالجبل وهذا ما جعلها تمتاز بالحصانة الطبيعية [4]. تم تشييد المدينة على يد الامير الحمادي الناصر بن علناس 460هـ(1067م)[5] ، اتخذت المدينة أسم الناصرية نسبة لاسم مؤسسها الذي جعلها واتخذها عاصمة للدولة[6]، جاء ذكر مدينة بجاية في الكثير من المصادر حيث ذكرها ابن حوقل في كتابه (صورة الارض) ، والبكري في كتابه (المسالك والممالك)[7].تحتوي المدينة على سبعة (07) أبواب وهي : باب البحر ، باب تاطنت ، باب أمسيون ، باب المرسى ، باب اللوز ، باب الجديد ، وباب البنود[8]، كما اشتملت المدينة على عدة قصور منها قصر اللؤلؤة والذي شيده الناصر

---

[1]- الوزان ، مصدر سابق ، ص52.

[2]- الادريسي: المصدر السابق ، ص 69.

[3]- الوزان : المصدر السابق ، ص 52،51

[4] - طويل الطاهر : المدينة الاسلامية وتطورها في الغرب الاسلامي من النصف الثاني القرن الهجري الاول الى القرن الهجري الخامس ، ط1، مطابع حسناوي ، 2011، ص ص 297-300.

[5]- عمارة : "التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الاسلامي الوسيط" ،**مجلة** ، العدد 26، رمضان 1429-سبتمبر 2008، ص ص229،228.

[6]- طويل ، المرجع السابق ، ص ص 297-300.

[7]- عمارة ،المرجع السابق ، ص232

[8]- طويل، المرجع السابق ، ص301.

بن علناس ، قصر الكوكب ، قصر أمينون[1] .كما احتوت المدينة على مسجد وفنادق زمن الموحدين .[2]

كانت بجاية احدى أهم مراكز وقواعد بني حفص بالمغرب الاوسط ، استمر الحكم الحفصي بها الى غاية احتلالها من قبل الاسبان على يد الملك فردناند[3] . حاول الاخوة بربروس استرجاع المدينة من يد الاسبان ، ورغم تمكنهم من قلعة المدينة الا أنهم فشلوا في تحريرها نهائيا ، وهذا نتيجة لعدة عوامل مما اضطر الاخوة بربروس الى التراجع نحوى جيجل[4].لتبقى المدينة تحت حكم الاسبان حوالي نصف قرن من الزمن ليتمكن صالح رايس من تحريرها وطرد الاسبان منها نهائيا 1555م [5].

أما من الناحية الاقتصادية فبجاية من أهم الموانئ ببلاد المغرب الاوسط ، حيث يذكر الادريسي : ((...ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الاوسط ...والسفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة والامتعة اليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها ناقصة وأهلها مياسير تجار وبها الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد واهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق ...))[6]. ومن ناحية الفلاحة فالمنطقة تحتوي أراض تنتج مختلف المحاصيل من حنطة وشعير وغيرها ، وتمتاز المنطقة بتنوع فواكهها[7] . أما من حيث الصناعة فالمدينة بها دار للصناعة [8]كما بها دار للسكة [9]،ومما زاد من

[1]- طويل، المرجع السابق ، ص ص302،303.
[2]- عمارة ، المرجع السابق ، ص ص242،241.
[3]- الوزان ، مصدر سابق ، ص49.
[4]- نفسه ، ص 51.
5- ابن العنتري ، مصدر سابق ، 29.
[6]- الادريسي : مصدر سابق ، ص ص62 ،63.
[7]- نفسه ،ص 63.
[8]- نفسه .
[9]- عمارة ، المرجع السابق ، ص 242.

أهمية المنطقة والمدينة الاقتصادية هو وقوعها بين الاسكندرية والمرية فهي بهذا تعتبر همزة وصل بحرية بين المدينتين[1]. ويتواجد السكان بمدينة بجاية بنسبة قليلة اذ لا يتجاوز عددهم الفين نسمة [2].

1-4-4-مدينة بسكرة :مدينة بسكرة مدينة ضاربة في أعماق التاريخ ، فتأسيسها يعود الى عدة قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام حوالي 7000قبل الميلاد ، نتيجة لقدم هذه المدينة كان من البديهي أن تعرف عدة مراحل وتتعاقب عليها عدة حضارات في مختلف الحقب التاريخية المخالفة من القديمة الى الحديثة [3].

تختلف المصادر التاريخية حول اسم مدينة بسكرة وكيف اطلق عليها ، فمنهم من يرى أن اسم المدينة مشتق من كلمة (vescera) والذي يعني الموقع التجاري ، وهذا بحكم الموقع المتميز للمدينة، فهي نقطة التقاء الطرق التجارية . ومنهم من يرى أن اسم المدينة يرتبط بتمورها والتي تشتهر بها وخاصة دقلة نور [4].تعرف بسكرة بمملكة الجنوب ، عرفت خلال تاريخها الطويل مر على حكمها عدة دول كان بدايتها الاحتلال الروماني ، لتدخل بعدها المدينة تحت الحكم الاسلامي جراء الفتح بقيادة عقبة بن نافع ، لتعرف تعاقب حكم عدة دول وامارات منهم الاغالبة ، الحماديين ، وغيرهم من الدول[5].

خلال الفترة الحديثة وقفت بسكرة في وجه الاتراك بقوة ، ليتمكنوا أخيرا من دخولها ،لكن بصعوبة وهذا بعد حصار ضربوه حول المدينة دام لأشهر كان نتيجته سقوط الكثير من الموتى بسبب نقص الماء والعطش .بعد أن دخلها الاتراك هجرها سكانها ، مما جعل بسكرة تنقسم الى مدينة قديمة

---

[1] عمارة ، المرجع السابق ، ص242 .

[2]- الزبيري العربي: "نبذة تاريخية عن الدولة الجزائرية "، مجلة الاصالة ،العدد14-15، ماي جوان 1973.، ص262

[3]- بومعزة عبد القادر : بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ،ج1 ، ط1 ، دار على بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة ، الجزائر ، 2016، ص ص27-30.

[4]- بومعزة ، المرجع السابق ، ص ص 27،30.

[5]- العوامر محمد الساسي محمد : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، تعليق الجيلالي بن ابراهيم العوامر ، ط خ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص31.

مهجورة وتشمل قداشة ،باب الغرب ، البرج التركي والمدينة الجديدة وتحتوي على المسيد ، راس القرية ، وسيدي بركات[1] ،وتعود قدرة سيطرة الاتراك على المدينة الى سيطرتهم على مياهها حيث بنوا حصنا عسكريا يشرف على العين التي تزود المدينة [2] .ويعودتاريخ دخول الاتراك الى المدينة في فترة حسن آغا (1531-1545) الذي دخل بسكرة واخضعها سنة 1540(947هـ)[3].

وصفها صاحب الرحلة الناصرية فيذكر على انها من اعجب المدن جمعت بين التل والصحراء [4].ويذكرها العياشي في رحلته فيقول (...فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش))[5]، اما الحضيكي فيما بعد فيصفها بقوله :"" ..واقمنا فيها ثلاثة ايام ، و فيها نخيل واجنة ، ومزارع ذات قرار ومعين ،وفي وسط النخيل مدينة عظيمة ، ...غير انها الان خربت ولم يبقى فيها الا سوق في وسطها وذلك المسجد ، وتركها الناس وسكنوا فيها من طل جانب..."[6] .يمتاز مناخها بالاعتدال شتاء وبالحرارة صيفا[7].

تحتوي المدينة على عدة أبواب منها باب الحمام ، وباب المقبرة وباب ثالث يسكنه به المولدون ، بالمدينة عدة بنايات ومرافق اشتملت على المساجد ، الحمامات هذه الاخيرة عرفت بكثرتها [8]. ومن حيث المياه فالمدينة بها عدد من الابار تمتاز بمياهها العذبة ،كما تحتوي بسكرة على عدة بساتين

---

[1] - بومعزة عبد القادر ، المرجع السابق ، ص30.

[2] - الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر : الرحلة الناصرية ، حققها وقدمها عبد الحفيظ ملوكي ، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع ، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة ، 2011 ، ، ص139 .

[3] - ابن المفتي حسين بن رجب شاوش : تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ، دراسة وتحقيق كعوان فارس ، ط1 ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009 ،ص 39،40.-

[4] - الدرعي ابو العباس احمد، المصدر السابق ، ص 139.

[5] - العياشي عبد الله ن محمد: الرحلة العياشية "ماء الموائد" ،تحقيق وتخريج وتعليق احمد فريد المزيدي ، ج 2 ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،2011، ص523.

6- الحضيكي ابي عبد الله محمد بن احمد السوسي : الرحلة الحجازية ، ضبط وتعليق ، عبد العالي لمدبر ، مركز الدراسات والابحاث واحياء التراث ، الرباط ، المغرب ، دون تاريخ ، ص 86.

[7] - العوامر محمد، المرجع السابق ، ص31.

[8] - الناصري ، المصدر السابق ،ص ص 144،145.

وجنات[1] ، بها اشجار النخيل بكثرة ، كما اشتهرت بأشجار الزيتون .أما من الناحية التجارية فالمدينة بهت عدة اسواق تعرض بها مختلف المنتجات الحيوانية، والنباتية على حد سواء من لحوم ، وسمن وغيرها[2] ،اضافة الى كل الخيرات تشتهر المنطقة ومدينة بسكرة بوفرة مادة الملح [3].

1-4-5- عنابة : عنابة أو بونة مدينة قديمة التأسيس بناها الرومان على ساحل المتوسط ، ثم بعد ذلك بنيت مدينة أخرى بالقرب منها بحوالي ميلين (02ميل)[4] . عرفت المدينة عدة تسميات منها هيبون وهذه الكلمة اذا ما قارناها بكلمة عبون بالفينيقية والتي تدل أو تعني الخليج، وهذا ربما تكون المدينة عرفت باسم الخليج ومع مرور الوقت تحولت الي هيبون[5] .كما عرفت باسم هيورجيوس والتي تعني هيبون الملكية [6]، كما عرفت باسم عنابة وهذا نسبة الى فاكهة العناب التي كانت بكثرة بتلك المنطقة[7]والتي نجدها في ألغاز سكان المدينة حيث يقول أحد الالغاز "حمر حماير في السماء يطاير ""[8] ، ونفس الاسم عرفت به في نوازل ابن الفكون حيث تذكر احداها على لسان صاحبها قوله :" ... استعار فرسا ليسافر عليها من بلد العناب إلى مدينة قسنطينة..."[9]. وحتى الوثائق الرسمية كانت تحمل اسم بلد العناب مثلما جاء في المراسلات الرسمية لبايات قسنطينة حيث تذكر احداها :" ...قائد بلد العناب ...."[10] .

---

[1]- الناصري ، المصدر السابق ، ص 144،145.

[2]- العياشي، المصدر السابق ، ص523.

[3]- الدرعي ابو العباس احمد، المصدر السابق ، ص 144،145 .

[4]- الوزان ، مصدر سابق ، ص61.

[5]- دحماني سعيد : من هيبون –بونة الى عنابة : تاريخ تأسيس قطب حضري ، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر،1428هـ- 2007، ص 40،41.

[6]- نفسه ، ص40،41

[7]- الوزان ، مصدر سابق ، ص 61.

[8]- حميود رتيبة : الالغاز الشعبية في مدينة قسنطينة ، دراسة احصائية تحليلية ، رسالة ماجستيرفي الادب تخصص أدب شعبي ، 2004-2005 ، ص 55.

[9] – ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة: 201.

10- مخطوط رقم 1641 ، المكتبة الوطنية الورقة :12، 17.

تحتل المدينة موقعا جغرافيا يمتاز بالحصانة فهي تطل على المتوسط ،كما تستند على منحدر جبل الادوغ من الجهة الغربية ، تنفتح المدينة على عدة سهول من أهمها السهل الكبير هذا الاخير يسقى من وادي سيبوس ووادي بونموسة [1].

عرفت الدول الاسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الاوسط قيمة ومكانة مدينة عنابة بداية بالفاطميين والصنهاجيين وصولا الى الموحدين حيث خضعت المدينة ، أما في الفترة الحفصية فالمدينة كان يشرف عليها أمير من أسرة بني حفص بتونس[2] .وفي سنة 1534 م (أوت) انتفض سكان المدينة ضد الحفصيين وطلبوا مساعدة خير الدين بربروس الذي لبى النداء ودخل المدينة وعين عليها حاكما تدعمه حامية عسكرية [3]، لكن المدينة سقطت مرة اخرى في يد الاسبان 1535م (أوت) ووضعوا حامية عليها وهذا بعد مقاومة مستميتة من سكان المدينة استمرت ثلاثة ايام [4] ، ثم بع ذلك استطاع العثمانيون أن يحرروا المدينة لتدخل نهائيا تحت راية الايالة الجزائرية وتشكل احدى اهم موانئ بايلك الشرق.

أما من الناحية الاقتصادية فالمدينة ومن ورائها المنطقة تشرف على عدة سهول تشتهر بإنتاج الحبوب ،تنوعت ثمارها وفواكهها حيث يصفها احدهم بقوله :((...وتفاح نشره قد فاح ...ورمان بديع النظام ، عديم العظام ....وعناب على صحبه عتاب ...الى غير ذلك من الازهار ...والثمار ...))[5] كما تكثر بها الثروة الحيوانية حيث يذكر لنا الوزان قبيلة مرداس هذه الاخيرة تشتهر بامتلاكها ثروة حيوانية هائلة ومتنوعة من ابقار واغنام وغيرها هذه الكثرة جعلت من مادة الزبدة تكون بمقابل رمزي [6].وبالمدينة تنتشر الحرف والصنائع ، من اهمها الصباغة، الفخار ، معاصر الزيتون ، وغيرها من

---

[1]- دحماني ، المرجع السابق ، ص13،

[2]- نفسه ، ص ص 63،69.

[3]- نفسه ،ص74.

[4]- دراج محمد : دخول العثمانيين ...، مرجع سابق، ص 296.

[5]- دحماني ، المرجع نفسه ، ص ص 77- 82.

[6]- الوزان ، مصدر سابق ، ص 62.

الصناعات[1].أما في المجال التجاري فان المدينة تعرف حركة تجارية فهي على قول الاستاذ الزبيري مدينة تجارية بالدرجة الاولى ، فهي ملتقى لمختلف انواع التجارة ، وهذا كون المدينة تشرف على أحد أهم الموانئ ببايلك الشرق[2] ، ينعقد بالمدينة سوق اسبوعي كل جمعة يكون مكان انعقاده خارج المدينة[3].

أما سكان عنابة فقد قدرهم حسن الوزان بحوالي 300 كانون [4]، والاستاذ العربي الزبيري فيذكر ان عدد سكان المدينة يتراوح ما بين 3000 و4000 نسمة [5] ، يمتازون بالشراسة والتكبر ، كثيرا ما كانوا وراء قتل الحكام ، والاكثر من هذا أنهم دائما ما عملوا على تسليم المدينة للأجانب (الاوربيين) وهذا في حالة ما لم يؤخذ برايهم في تولية من يشتهر بالعدل والاستقامة عليهم[6].أما مساكن المدينة فهي منازل قبيحة باستثناء البعض منها ،كما تحتوي المدينة على جامع اشتهر بجماله[7].

1-5- التنظيم الإداري للبايليك : يتولى الباي مهمة الإشراف على البايليك، هذا الأخير قسم إداريا إلى أربعة أقسام على رأس كل واحد منها حاكم مستقل يخضع لسلطة الباي مباشرة وهي: القسم الشرقي ويشمل مواطن الحنانشة وادي زناتي، وعامر الشراقة، ومن أهم وأبرز زعمائه كبار الحنانشة . والقسم الشمالي و الذي يمتد من عنابة حتى بجاية ، واهم زعمائه أولاد بن عاشور في فرجيوة ، وأولاد بن عز الدين في الزواغنة. أما القسم الغربي فيمتد من سطيف إلى مرتفعات البيبان وقرى بني منصور، ومن أشهر زعمائه أولاد مقران بقلعة بني عباس ومجانة . والقسم الجنوبي ومن أهم

[1]- دحماني ، مرجع سابق ، ص 47،49.
[2]- الزبيري ، مرجع سابق، ص 262.
[3]- الوزان ،مصدر سابق، ص 62.
[4]- نفسه ، ص 61.
[5]- الزبيري ، مرجع سابق، ص 262 .
[6]- الوزان ، مصدر سابق ، ص 61 .
[7]- نفسه ، ص 61.

زعمائه الدواودة ، وأولاد بن قانة[1]. ويساعد الباي قواد وشيوخ والذين يعينهم بنفسه[2]، يخضعون مباشرة لسلطته وبعض خلفائه، الذين يساعدهم الكتاب والمكاحلية في زمالاتهم ويبلغ عددهم حوالي 35 شيخا، وقائد وحاكما من أهمهم:

- شيخ النمامشة وتحته 12 قبيلة.

- شيخ العرب بالزاب (بسكرة) ويشرف على 11 قبيلة من البدو الرحل.

- قائد الحراكتة الذي يقيم بعاصمة البايليك قسنطينة لأهميته، ويحكم 32 قبيلة صغيرة تمثل معظم سكان الشاوية.

- قائد الأوراس وتحته 12 قبيلة.

- شيخ أولاد مقران بمجانة ويشرف على 13 قبيلة.

- قائد ميلة.

- قائد تبسة .

- قائدة زمورة[3].

1-5-1-الجهاز الإداري للبايليك: تتكون إدارات بايليك قسنطينة من أجهزة ومؤسسات إدارية مختلفة في المدينة وخارجها، ويمكن أم نميز منها الأجهزة التالية:

أولا: ديوان الأوجاق: ويتألف من رجال المخزن وهم وزراء الباي يحيطون به ويشاركونه في إدارة البايليك ويتصلون به مباشرة يستشيرهم في مختلف القرارات ، وهم :

---

[1] - ابن العنتري محمد صالح ، مصدر سابق ، ص 29.

[2] - خوجة حمدان بن عثمان : المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2005، ص38.

- المدني أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، ط 1، دار البصائر، 2007، ص311.

[3]- ابن العنتري محمد صالح ، مصدر سابق ، ص ص 29، 30.

*ا**لخليفة**: يشرف على شؤون أوطان البايليك، يخضع له القادة، يعمل على تنظيم عملية استخلاص الضرائب ويتولى إخضاع السكان لسلطة الباي، كما يتولى حمل الدنوش إلى الباشا مرتين في السنة في الربيع والخريف، وذلك عند عدم ذهاب الباي بنفسه.

* **قائد الدار**: يضاهي شيخ البلدية في الوقت الحالي مهمته الإشراف على الإدارة والشرطة في المدينة وهو المسؤول عن صرف رواتب الجند وأئمة المساجد والقضاة والمفاتي.

* **المقتصد**: هو الذي يتولى المصالح المالية، والإنفاق وجمع الضرائب، وإعداد أموال الدنوش.

* **آغا الدايرة**: يدير فرق القوم غير المنظمة في الريف، ويخرج مع الباي لمعاقبة القبائل المتمردة أو العاصية[1].

* **الباش كاتب**: وهو الكاتب العام في البايليك يشرف على تحرير وتصحيح البرقيات ورسائل الباي، وكل ما يتعلق بالشؤون السياسية للبايليك، كما يعمل على تسجيل كل أملاك البايليك كالنقود، والأحصنة، البغال، وقطعان الأغنام.

* **الباش سيار**: هو المسؤول عن قافلة البريد، يحمل بنفسه رسائل الباي إلى الباشا بالجزائر العاصمة، ويصحب الخليفة عند حمله الدنوش إلى الباشا.

* **باش سايس أو قائد الزمالة** : هو المسؤول الأول عن حيوانات البايليك وحمايتها ورعايتها.

* **باش شاوش**: مهمته تنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك، تساعده في ذلك قوات تتألف من الانكشارية والفرسان والصبايحية وقوات أخرى من المخزن.

---

[1] – ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق ، ص 31.

* **شاوشا الكرسي**: هما تركيان يتوليان وظيفة الجلد، كما يتوسطان بين الباي وبين بعض المسؤولين الأجانب في مسائل السلم.[1].

ثانيا: الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة : هناك عددا من الموظفين في البايليك ، يشرفون على مختلف الشؤون لكنهم لا يتصلون بالباي مباشرة وإنما بالخليفة أو بعض الوزراء ، ومن أهمهم :

– **آغا الصبايحية** : يشرف على الصبايحية.

– **باش المكاحل**: وهو رئيس حرس الباي يتولى حمل أسلحة الباي في الحفلات العامة.

– **قائد موهر باشا أو خوجة الخيل** : وهو المسؤول عن تنشيط سير البغال والأحصنة كما يصحب الخليفة إلى مدينة الجزائر.

– **باش سراج** : وهو المسؤول عن إسطبلات الباي في مدينة قسنطينة[2].

ثالثا: موظفو القصر: وهم:

–قائد المقصورة : وهو مقتصد قصر الباي.

–باش فراش : تولى فراش قاعات القصر.

–قائد الجبيرة : مكلف بجبيرة الباي وتزويدها بالأموال.

–قائد السيوانة : يحمل مظلة الباي.

–قائد السبسي : مكلف بغليونة الباي.

–باش قهواجي : مهمته إعداد القهوة للباي والضيوف.

---

[1] – ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق ، ص 31.

[2] – نفسه ، ص34.

-VAYSSETTES : op.cit.26.

.

-قائد الدريبة : وهو البواب الأول لمنزل الباي[1].

رابعا: موظفو المدينة: يخضعون لسلطة قائد الدار وهم:

-أمين الخبازين.

-أمين الفضة.

-قائد الباب وهو المسؤول عن السلع التي تدخل أسواق المدينة

-قائد السوق وهو بمثابة المفتش.

-قائد الزبل مسؤول عن النظافة في المدينة.

-قائد القصبة وهو المسؤول عن شرطة المدينة ليلا.

-البراح مهمته تبليغ الناس أوامر قائد الدار، الخليفة، والباي.

-باش حمار: المسؤول عن البغال.

-وكيل بيت المال: له عدة مسؤوليات منها إعانة الفقراء والمساكين وحفر القبور، وحماية المقابر[2].

1-5-2-الجهاز الشرعي والديني بقسنطينة: يوجد بمدينة قسنطينة مفتي وقاضي مالكي لعموم الناس، وقاضي حنفي للأتراك والكراغلة ، وعدلان وناظر للأوقاف ، يكونون المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في القضايا والفتاوى المختلفة تحت رئاسة الباي أو قائد الدار[3].

2- الأوضاع الاقتصادية:

---

[1] - ابن العنتري محمد صالح ، مصدر سابق ، ص 34.

[2] - نفسه ، ص ص 34 ، 35.

-VAYSSETTES : op.cit.p27-28

[3] - ابن العنتري محمد الصالح ، مصدر سابق ، ص 35.

رغم الظروف السياسية التي عرفها المغرب الأوسط وخاصة المنطقة الشرقية والتي تميزت بالفوضى ، مما ادى الى تدهور الحياة الاقتصادية إلا أننا نلاحظ وجود حركة أو نشاط اقتصادي بإقليم قسنطينة خلال القرنين السادس عشر (16م) والسابع عشر ميلادي(17م).

فالزراعة اشتهرت في الشرق الجزائري قبل مجيء العثمانيين وبعد مجيئهم ورغم عدم اهتمامهم بها إلا أن الانتاج الزراعي كان يغطي حاجيات السكان، كما أن نوعية المحاصيل الزراعية بالبايليك كانت ذات شهرة عالمية[1]، هذا الازدهار كان وراءه عدة عوامل متضافرة فيما بينها من أهمها :

-الأراضي الزراعية: تشتهر المنطقة بوجود عدة أراضي خصبة حيث يذكر حسين الوزان أن قسنطينة تحيط بها عدة أراضي خصبة و توجد بها البساتين الجميلة، ونفس الشيء ينطبق على عنابة فهي تحتوي عدة سهول خصبة .[2]

-التنوع المناخي: إن شساعة إقليم بايليك قسنطينة وامتداده من الشمال حيث المناخ المتوسطي المعتدل إلى الجنوب حيث المناخ الصحراوي سمح بتنوع المحاصيل الزراعية.

--الجالية الأندلسية: كان للأندلسيين دور كبير في التطور الزراعي بالبايليك حيث عمل هؤلاء على نقل معارفهم الزراعية إلى المنطقة فقاموا باستصلاح الأراضي وخاصة ناحية عنابة ، كما غرسوا الأشجار المثمرة المتنوعة من كروم وتفاح وزيتون بالإضافة إلى زراعة العناب[3].

---

[1] – الزبيري محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 60 .

[2] – الوزان ، مصدر سابق، ص58.

[3] – بن خروف عمر : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ(16م)، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ،ص26.

أمـا الصـناعة فـرغم أنهـا لم تصـل إلى درجـة التطـور إلا أننـا نلاحـظ انتشـار بعـض الصـناعات كالصـناعات النسـيجية[1] خاصـة مـع وجـود المـواد الأوليـة كالصـوف والـذي كانـت عنابـة تشـتهر بـه علـى المسـتوى العـالمي[2] . وفيمـا يخـص التجـارة فكـان لهـا الحـظ الأوفـر مـن النشـاط الاقتصـادي وهـذا نتيجـة للموقـع الاسـتراتيجي للبايليـك فهـو يطـل علـى البحـر المتوسـط مـن جهـة واشـتراكه في الحـدود مـع عـدة منـاطق كـل هـذا كـان لـه دور كبـير في ازدهـار التجـارة بشـقيها الـداخلي والخـارجي. فعلـى المسـتوى الـداخلي تنوعـت الأسـواق[3] وتعـددت، وكثـرت الـدكاكين[4] في مختلـف مـدن الإقلـيم .أمـا علـى المسـتوى الخـارجي فكانـت هنـاك حركـة تجاريـة سـواء عـن طريـق البحـر أو عـن طريـق الـبر، فعـن طريـق البحـر كـان الإقلـيم يصـدر عـدة منتجـات حيـث يـذكر احـد البـاحثين أنـه خـلال القـرنين 17م و18م كميـة الأصـواف المصـدرة مـن عنابـة تـتراوح مـا بـين 1000و12.000 قنطـار، وتصـدّر 550.000 قطعـة جلـد بقـر سـنويا باتجـاه أوروبـا[5]، أمـا عـن طريـق الـبر فـالإقليم وبـالأخص قسـنطينة كانـت تربطهـا عدة علاقات تجارية مع مختلف الأقطار العربية وعلى رأسها تونس و بلاد السودان[6].

مـن خـلال هـذه الإطلالـة علـى الحيـاة الاقتصـادية حاولنـا أن نعطـي ولـو فكـرة عـن الأوضـاع الاقتصادية ببايليك قسنطينة.

3- الأوضـاع الاجتماعيـة: كـان للأوضـاع السياسـية والاقتصـادية الـتي عرفهـا إقلـيم قسـنطينة الأثـر البـالغ فيمـا أصـبحت عليـه الحيـاة الاجتماعيـة في هـذا البايليـك ، فـالخروج مـن الحكـم الحفصـي والـدخول تحـت الحكـم العثمـاني ومـا صـاحبه مـن فوضـى واضـطرابات في البدايـة

[1] - الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية ... ، المرجع السابق ، ص61.
[2] - سعيدوني ناصر الدين : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 214.
[3] - الوزان ، مصدر سابق ، ج1، ص56.
[4] - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي... ، مرجع سابق ، ج1، ، ص176.
[5] - سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق ، ص214.
[6] الزبيري ، التجارة الخارجية ...، مرجع سابق ، ص ص103- 105 .

والاستقرار للأوضاع فيما بعد لصالح العثمانيين ، كل هذا ساهم في تحول المجتمع القسنطيني و تركيبته من خلال إضافة عناصر جديدة وبروز عناصر أخرى. أما التغيرات الاقتصادية فنتج عنها ظهور طبقات جديدة تمثلت في العائلات المالكة رغم أنها كانت مشهورة فيما قبل. ولمعرفة ملامح المجتمع في بايليك الشرق عمدنا إلى تقسيمه إلى: المدينة والريف أو الحواضر والبوادي.

المدينة: يحتوي البايليك على عدة مدن من أهمها : عنابة ، القل ، ميلة، قسنطينة. وسنحاول دراسة المجتمع باتخاذ مدينة قسنطينة كنموذج لذلك ، وهذا باعتبارها أهم واكبر مدن البايليك. احتوت عدة أجناس وطوائف في مقدمتها فئة الأتراك التي تأتي في قمة الهرم الاجتماعي و لها السلطة المطلقة في البايليك ، وتشمل البايات والوزراء، والقادة والديوان [1]. ثم تأتي بعدهم فئة الكراغلة ورغم أنهم أبناء العثمانيين إلا أنه لم تكن لهم طموحات سياسية.[2] بالإضافة إلى الحضر وهم سكان المدينة أو الحاضرة وتشمل هذه الفئة العلماء، و التجار، والحرفيين، والكتاب، و الإداريين، و الصنايعية[3] .لتأتي فئة البرانية أو الغرباء وهم الوافدون إلى المدينة بهدف التجارة أو العمل، أو العمال الموسميين[4]، يضاف إلى الفئات السابقة الجالية اليهودية والتي كانت تقدر بحوالي خمسة ألاف يهودي[5]من مجمل السكان والمقدر عددهم بستين الف نسمة[6].

الريف: أو البادية والتي كانت تحتوي على غالبية السكان وكانت تشتمل نوعين من القبائل. قبائل المخزن وهي القبائل المتعاونة مع السلطة العثمانية في البايليك ومن مخزن

[1]- سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام ...، مرجع سابق ، ص22 .

[2]- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي.. ، ج1 ، مرجع سابق ، ص175 .

[3] - نفسه ، ص155.

[4] - سعد الله أبو القاسم: شيخ الإسلام ...، مرجع سابق ، ص170.

[5] - فيلالي عبد العزيز : مرجع سابق ، ص170.

[6] - سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 ، مرجع سابق ، ص152.

الزواتنة، مخزن العثمانية، ودوائره بوصلاح بنواحي قسنطينة[1]. قبائل الرعية وهي معظم سكان الريف وهي قبائل خاضعة للسلطة أثقل كاهلها مختلف الضرائب. ولقد امتازت الحياة الاجتماعية ببايليك قسنطينة بمايلي :

* الاختلال بين الريف والمدينة وهذا نتيجة النظام الاقتصادي الذي انتهجه العثمانيون، وأصبح الفلاح مستغلا يأتي في آخر فئات المجتمع[2].

* دور الطائفة اليهودية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية بمدينة قسنطينة من خلال دورها في الحياة الاقتصادية[3].

* دور وبروز العائلات الكبير على الساحة الاجتماعية في قسنطينة والبايليك على حد سواء ، ومن أشهر هذه العائلات عائلة الفكون ، وعائلة عبد المؤمن[4].

* مظاهر الفساد والانحلال الخلقي وانتشارها في المجتمع القسنطيني[5] وخاصة في المناطق الريفية أو في البادية [6].

---

[1] – سعد الله أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، الطبعة 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986، ص109.

[2] – فيلالي عبد العزيز ، مرجع سابق ، ص168.

[3] – نفسه ، ص168.

[4] – سعد أبو القاسم ، شيخ الإسلام... ، مرجع سابق ، ص23.

[5] – الوزان حسن ، مصدر سابق ، ج1، ص103.

[6] – ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1408هـ(1987)، ص ص133، 201.

المبحث الثاني: : نظرة حول النوازل الفقهية

1- تعريف النوازل

1-1- اصطلاحا: تعددت التعاريف الخاصة بالنوازل ، فهناك من يعرفها على أنّها :"...الوقائع الجديدة التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد .."[1] ، وباحث آخر فيعرفها بقوله:"...النازلة هي في الواقع مشكلة عقائدية أو اخلاقية يصدم بها المسلم في حياته اليومية ، فيحاول أن يجد لها حلا يتلاءم وقيم المجتمع بناء على قواعد شرعية. .."[2] ، ويعرفها آخر فيقول :" ...تلك الحوادث والوقائع اليومية التي تنزل بالناس فيتجهون إلى الفقهاء للبحث عن الحلول الشرعية ..."[3]

وبجمل القول فان النوازل هي تلك المصائب والاحداث التي تصيب الانسان ، ويجب ايجاد حلولا لها شرعية ، فهي وقائع وأحداث قد تكون سياسية، أو اقتصادية ،أو اجتماعية، أو دينية فقهية تستعصيه .توجب على الفقيه النوازلي أن يجد لها مخرجا وهذا باستخدام رأيه، والقياس، والاجتهاد في هذه النازلة [4]. فالنازلة في معناها الاصطلاحي تختلف عن الفتوى ، فالأولى هي كل ما يقع ويحدث أما الثانية فهي التي تختص بتوضيح وطرح الحكم الشرعي في أي مسألة من المسائل بغض النظر وقعت أم لم تقع[5].

1-2- لغة: النوازل هي جمع نازلة وهي تعبير عن مجموعة من المعاني التي تأخذها هذه الكلمة عند العرب وهي كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه ونزل على دابته نزولا ونزل المطر من

---

[1] -كربوع مسعود: نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي ، جمعا ودراسة وتحليلا ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2012- 2013 ،ص ص37،38.

[2] - ربوح زهور : أوضاع المرأة بالغرب الاسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي ، دراسة فقهية اجتماعية، ط1، دار الامان ، الرباط ، المغرب ،2013 ، ص 16 .

[3] - نفسه ، ص 17.

[4] - حمداوي جميل : فقه النوازل في الغرب الاسلامي "نحو مقاربة تأصيلية " ،ط1، الالوكة، 2015.، ص ص8،9

[5] - خروبي عفيفة : أصول ابي العباس الونشريسي من خلال المعيار المعرب ، ج2 ، القافلة ،باب الزوار ، الجزائر ، 2011، ص 590 .

السماء نزولا، والنازلة: هي الشديدة من شدائد الدهر، والنزال في الحرب، ويعني نزال الفريقان والنزل: من يهيأ للنزيل، ونزل: أي ذو فضل، والنزول هو تعبير عن الحج، والنازلة: ماء الرجل، والنزيل: ويعني به الضيف والنزيل ترتيب الشيء ووضعه منزله[1]، أما ابن منظور فيعرف النازلة على انّها الشديدة تنزل بالقوم وجمعها نوازل، والنازلة هي الشد من شدائد الدهر تنزل بالناس[2].

أما تعريفها من خلال نوازل ابن الفكون فجاء على لسان أحد السائلين بقوله :"...الحمد لله جواب السادة القادة ...في مسئلة (مسألة) نزلت . وغريبة دهمت..."[3]

2- مكونات النازلة : كل نازلة مهما كان نوعها أو المجال الذي طرحت فيه نجدها تتكون من شقين أو جزئين وهما السؤال والجواب.[4]

2-1- السؤال : وهذا الجزء أو الشطر من النازلة يتمثل في السؤال أو الاستفتاء، وهو الجزء الذي يصدر عن الشخص أو الجهة التي وقعت أو نزلت بها النازلة[5] ، فالسؤال يمثل الواقع أو الحقيقة[6].ولغة السؤال تكون حسب مستوى صاحبه ركيكة أو فصيحة ، ويختلف السؤال من نازلة الى اخرى فهناك نوازل يكون سؤالها مختصرا[7] ، واخرى يكون فيها السؤال طويلا متفرعا [8].

[1]-أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج5، دار االفكر، بيروت، لبنان، 1989م- 1399هـ ، ص417.

- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، د- ت، ج11، ص659.

[2]- ابن منظور ، نفسه ، ج11 ، ص 659.

[3]- ابن الفكون محمد ، مصدر السابق ، ورقة 57 .

[4]- حمداوي ، المرجع السابق ، ص 37.

[5]- نفسه ، ص 37

-كربوع ، المرجع السابق ، ص37-38

[6]- نفسه ، ص 37،38

[7]- ابن الفكون محمد ، مصدر السابق ، ورقات 86،16،15،8،7.- حمداوي ،مرجع سابق ، ص11.

[8]- ابن الفكون محمد ، مصدر السابق ، ورقات : 128-138.- حمداوي ،مرجع سابق ، ص11.

2-2- الجواب : وهذا الشطر من النازلة يتمثل ويتجسد في اجابة النوازلي أو الذي صدرت عنه الفتوى عن النازلة المطروحة عليه . وقد يكون الجواب أو نص الفتوى مختصرا [1].كما يمكن أن يكون طويلا يتعدى عدة صفحات [2].كما أن هناك بعض النوازل تكون فيها الاجابة بنوع من التفصيل مما يجعلها طويلة نوعا ما [3]. وهذا الشطر والمتمثل في الجواب يصبح هو القانون المعتمد[4] .

أما النازلة من حيث الشكل والكلمات التي الدالة عنها وتميزها عن غيرها فنجدها تكون على عدة اشكال من أهمّها : سأل ، سئل ، أجاب ، ونزلت وغيرها من الكلمات والتي تحمل نفس المعنى .والنازلة قد تكون مكتوبة كما يمكن ان تكون على شكلها الشفوي ،كما تختلف النوازل عن بعضها البعض من حيث السائل وحضوره، فهناك من النوازل يكون فيها السائل حاضرا باسمه أو شهرته ، وقد يكون في محل المجهول وللإجابة عن مختلف النوازل يعتمد معظم النوازليين على أسس ومبادئ وآراء المذهب السائد بمنطقة المغرب ألا وهو المذهب المالكي[5].

النوازلي وشروطه : هو شخص بدرجة فقيه مجتهد يكمن عمله في الافتاء وايجاد حل للنازلة كما يعمل على جمع مختلف النوازل والمسائل والفتاوى ، ومن ثم يقوم بتدوينها والدراسة وتنزيل حكم شرعي فقهي اعتمادا على أسس ومبادئ الامام مالك ، يتماشى والنازلة المطروحة أمامه وهو بهذا يبذل جهدا كبيرا في سبيل ايجاد حل أو حكم لهذه الواقعة [6] . والنوازلي يختلف عن رجال الدين الآخرين وبصفة خاصة المفتي كون النوازلي هو أصلا مفتيا بينما لا يمكن أن يكون كل مفتي نوازليا .وهذا يعود الى كون النوازلي يقوم بالإفتاء والاحتكاك بأرض الواقع، وهذا لأجل فهم النازلة من

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر السابق ، ورقات 86،40،15،2. - حمداوي ، المرجع السابق ، ص11.
[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر السابق ، ورقات 122- 128. - حمداوي ، المرجع السابق ،ص 11.
[3]- نفسه ، ص39.
[4]-كربوع ، المرجع السابق ،ص 37،38
[5]- حمداوي ، المرجع السابق ،ص38،39.
[6]- نفسه ، ص 14

مختلف زواياها فبهذا يجب أن يكون النوازلي فقيها واقعيا[1] . لهذا يرى ابن القيم أن معرفة الناس من أهم الشروط والاصول التي يجب أن تكون بيد المجتهد أو النوازلي.[2]

3- خصائص النوازل : تمتاز النوازل بعدة مميزات و خصائص نجملها في النقاط التالية:

3-1- الواقعية : النوازل عامة واجمالا تكون مرتبطة بالواقع المعاش ، بحكم أن هذه المصائب والشدائد تكون قد وقعت فعلا ، من هنا اكتسبت النوازل صفة وخاصية الواقعية . هذه الخاصية كون المالكية أو أصحاب المذهب المالكي بصفة خاصة نجده أكثر واقعية ويعتمد بالدرجة الاولى على فقه المسائل التي وقعت حقيقة لا فرضية[3] . وفقهاء المغرب الاسلامي والذين من بينهم فقهاء وعلماء الجزائر يتبعون ويعتمدون الفقه المالكي الذي يمتاز عن غيره من المذاهب بواقعيته[4] ، فالإمام مالك كان ينهى عن الفتوة في الامور الافتراضية المجردة بل التعامل مع الواقع[5] .ففي هذا الباب يذكر أحد تلامذة الامام مالك :(...كان مالك لا يكاد يجيب ، وكان أصحابه يحتالون أن يجيئ الرجل بالمسالة التي يحبون أن يعلموها كأنها مسالة بلوى فيجيب فيها)[6] .

3-2- التجدد: الشيء الجميل في تآليف النوازل هو أنها دائمة التجدد من حيث المضمون ، وهذه الخاصية للنوازل كون النوازل مرتبطة بالحياة اليومية للناس والفرد ، فهي غير مستقرة وانما نجدها تتغير لتساير أحوال الناس .وهذا ما يفسر عدم تطابق النوازل فيما بينها ، هذه الخاصية تكاد تنفرد بها

---

[1]- حمداوي ، المرجع السابق ، ص 13

[2]- لشهب بوبكر: منهج الاجتهاد في النوازل ،مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي الوادي ، العدد 01 يونيو 2010 ، ص58.

[3]- حجي محمد : نضرات في النوازل الفقهية ، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، النجاح ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1420هـ-1999، ص 55.

[4]- ربوح زهور، مرجع سابق ، ص 19.

[5]- حمداوي ، مرجع سابق ، ص41.

[6]- حجي محمد ، المرجع السابق ، ص55.

تآليف وكتب النوازل على عكس التآليف الفقهية الأخرى والتي تظل جامدة وثابتة مضمونها لا يتغير مع مرور الوقت ومع تغير أحوال الناس ، فهي على ماهي عليه منذ وجودها أول مرة [1].

3-3- المحلية :تعتبر ميزة وخاصية المحلية من أهم مميزات تآليف النوازل ، ففقه النوازل أو النوازل نجدها ترتبط أو محددة التاريخ والجغرافيا والموضوع[2] .وهذا على عكس ما نجده في مختلف الكتب الفقهية العامة ، والتي تشتمل فضاء واسعا مفتوحا [3] ، فخاصية المحلية تضع وتجعل الدارس أو الباحث في مكان وحيز تاريخيا وجغرافيا وأحيانا موضوعا واحدا ، هذا كله يسهل للباحث أو الدارس دراسة منطقة معينة وما تتميز به [4]. من هذا المنطلق فان النوازل مثلما قال عنها أحد الباحثين :(...بخلاف النوازل فهي تمثل الاحداث الحية التي عاشها الناس ويعيشونها ،ومن ثم فهي مصبغة بالصبغة المحلية ومتأثرة دائما بمؤثراتها الوقتية .)[5]. وتمثل نوازل ابن الفكون والتي نحن بصدد دراستها أبرز دليل على خاصية المحلية كون هذه النوازل تختص برقعة جغرافية تكاد تكون محددة وهي منطقة الشرق الجزائري عامة ومدينة قسنطينة خاصة .

3-4- التنوع : الدارس لكتب النوازل يلاحظ ذلك التنوع من حيث الشكل والمضمون ، فهي من حيث الشكل نجدها متنوعة ، فمنها ما هو من تأليف الفقيه نفسه ، ومنها ما بقي مبعثرا في أوراق أو كراريس ثم تم جمعها فيما بعد من طرف الابناء[6] ، مثلما هو الحال بالنسبة لنوازل ابن الفكون [7] وقبلها نوازل القاضي عياض المعروفة بمذاهب الحكام والتي جمعها ابنه محمد . أما من حيث المضمون فان نوازل فترة ما بين القرنين 04-07هـ (10-13 م) والتي تعرف بنوازل المرحلة الثانية

---

[1]- حجي محمد ، المرجع السابق ، ص56.
[2]- نفسه ، ص ص58،59.
- ربوح زهور ، مرجع سابق ، ص20.
[3]- حجي محمد ، المرجع السابق ، ص ص58،59.
[4]- ربوح زهور ، مرجع سابق ،ص20.
[5] - نفسه ، ص20.
[6]- حجي محمد : المرجع السابق ، ص57.
[7]- جمعها محمد ابن عبد الكريم الفكون .انظر الملحق رقم :01، ص 330.

والتي هي فتاوى للمؤلف بالدرجة الاولى مع وجود إضافات لها على شكل فتاوى لفقهاء آخرين قد يكونوا شيوخا للمؤلف[1] . أمّا بالنسبة للنوازل التي جاءت في القرن 08هـ (14م)وما بعده والتي تعرف بنوازل المرحلة الثالثة ، فهذه التآليف نجدها عبارة عن خليط من فتاوى المؤلف وفتاوي فقهاء آخرين ، قد يكونوا معاصرين له أو سابقين ، ومن التآليف التي جاءت فيما بعد القرن08هـ (14م) نجد الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، وجامع مسائل الاحكام مما نزل بالمفتين والحكام للبرزلي التونسي[2]، اضافة الى نوازل ابن الفكون وغيرها من النوازل الاخرى.

كذلك التنوع من حيث المواضيع ومجالات الحياة فالنوازل نجدها تتطرق أو تغطي مختلف مناحي الحياة كالعبادات ، والمعاملات ، المجتمع ، والساسة ، وغيرها من المجالات[3]، وهذا ما اشتملت عليه نوازل ابن الفكون[4] .

3-5- الاستناد الى العرف : العرف والهدف والمقصد منه له حيز واسع في فقه النوازل ، فكثيرا ما يصادفنا في النوازل جملة أو مصطلح ((ما جرى به العمل))[5] .وهذه الخاصية والمتعلقة بالاستناد الى العرف كثيرا ما جاء ذكرها في نوازل ابن الفكون ، فالعرف احتل حيزا هاما في نوازل ابن الفكون خاصة ومن الأمور التي استند فيها الى العرف أو كما يطلق عليه ((ما جرى العمل به)) قضية الوقف (الحبس) على الانثى، فمذهب الامام مالك نجده مذهبا يعمل بالضعيف بهدف درءِ المفسدة لتحقيق المنفعة ، ففي هذا المجال يذكر أحد أئمة المالكية قوله :(...لو خرجنا نحن من ذلك البلد الى بلد آخر عوائدهم على خلاف عادة البلد الذي كنا فيه ، وكذلك اذا قدم علينا أحد من بلد عادته مضادة للبلد الذي نحن فيه لم نفته الا بعادته دون عادة بلدنا))[6]

1- حجي محمد ، مرجع سابق ، ص ص57،58.
2- نفسه ، ص ص57،58.
3- حمداوي ، مرجع سابق ، ص 40 .
4- انظر الملاحق رقم: 02-09، ص ص 331-338.
5- ربوح زهور ، مرجع سابق ، ص 20.
6- نفسه، ص ص 20،21.

4- أهمية النوازل : بحكم واقعية فقه النوازل وارتباطه بالمجتمعات و الناس ، فان النوازل تعتبرا مصدرا وموردا هاما في عملية التاريخ للمجتمعات ، وهذا ما تفطن واقتنع به الكثير من الباحثين والدارسين[1] .فها هو أحد الباحثين يشببها بالمنجم بقوله :(...منجما غنيا ، بمعلومات موازية يستفيد منها المؤرخ والاجتماعي وغيرهما .)[2]. فالنوازل أصبحت كونها تفتح للباحث آفاقا جديدة فيما يخص البحث العلمي ، ففي هذا الباب واقرارا بأهمية النوازل يذكر الباحث قربة :(...تجاوز مواضيع التاريخ الحديث الذي توفره المؤلفات الاخبارية والاهتمام بأحوال المجتمع بمختلف تشكيلاته وطبقاته ، وهذا يعني عمليا التركيز على الانسان ، بدل تتبع منطق الأسطغرافيا التقليدية ، الذي جعل من تسلسل الدول وتعاقب الحكام محورا للتاريخ.. .)[3] . أمّا عبد الله العروي في كتابه تاريخ المغرب فيرى أنّ :((فقه النوازل هو الكفيل بأن يقربنا أكثر من واقع الاوضاع السياسية والاجتماعية ..))[4]. أمّا محمد بن شريفة فيقول :" ...ومن هذا التراث الفقهي فروع مثل النوازل والفتاوى والشروط والرسوم العدلية ... أصبحت اليوم تثير اهتمام الدارسين وتلفت نظر الباحثين لما تشتمل عليه من فوائد قيمة تتصل بالحياة الاجتماعية والاقتصادية "**[5]** . أمّا الباحثة ربوح زهور فتذكر :(..يجوز القول أن مصدرية فقه النوازل تترجح على مصدرية الكتابات ...للأخبار و التأريخ .))[6]

فكتب النوازل ومدى أهميتها بالنسبة للباحثين وخاصة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية هذا من جهة، ومن جهة ثانية أهميتها في دراسة تاريخ الغرب الاسلامي .هذه القناعة وصل اليها الباحثين الغربيين أيضا، فها هو الباحث الالماني جوزيف شاخت يقرّ ويعترف بأهمية النوازل بحيث يرى أن مؤلفات هذا النوع من الفقه ، تعتبر منجما لايزال بكرا لم ينقب فيه ، يجب البحث والتنقيب

---

[1]- ربوح زهور ، مرجع سابق ، ص ص 21،22.

[2] - حجي محمد ، مرجع سابق ، ص58،59.

[3]- بن قربة صالح : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ،ط خ ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر 1954، 2007، ص117.

[4]- ربوح زهور ، مرجع سابق ،ص21،22.

[5]- نفسه ، ص 22.

[6]- نفسه، ص23.

فيه ، وهذا في مختلف الابحاث والدراسات التاريخية وخاصة المتعلقة بتاريخ منطقة أو اقليم الغرب الاسلامي[1]. وأيضا تبرز أهمية النوازل كونها تغطي بعض النقائص ويمكنها ان تسد لنا بعض الثغرات التي بقيت مفتوحة وهذا الطرح والراي نجده عند الباحث ابراهيم القادري بوتشيش ، هذا الاخير يذهب الى شيء أبعد ، حيث يرى أن كتب النوازل هي الوحيدة التي تناولت بعض الجزئيات التاريخية وهذا عكس المصادر الأخرى التي أهملتها[2]

5- فقه النوازل :

5-1- تعريف الفقه : يعتبر فقه النوازل على انه فقه يعتمد على الاجتهاد في موضوعات لا نص لها، فهو تشريع واجتهاد فقهي حمله مجموعة من النوازليين منهم: المفتي ، القاضي ،و العالم، وغيرهم ، بهدف ايجاد حل واجابة شافية وكافية لمختلف النوازل التي نزلت على الناس سواء في الاندلس أو المغرب العربي وفق المذهب المالكي[3] . ولفقه النوازل عدة مصطلحات تدل عليه من أهمها : الفتاوى أو الفتاوي ، نوازل الاحكام ، مسائل الاحكام ، فقه المقاصد ، فقه الواقع وغيرها من المصطلحات الاخرى . لكن من بين هذه المصطلحات هناك القليل منها عرف انتشارا وشهرة وهي : النوازل ، الفتاوى ، الاجوبة ، المسائل[4].

هذا العلم الجديد في الاسلام يعود تاريخ ظهوره الى فترة التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لان الصحابة والمسلمين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه ويستفتونه في مختلف المسائل وهو يجيبهم على ذلك . وفعل الاستفتاء نجده في القرآن الكريم في عدة مواضع وعدة سور ، حيث يقول الله عز وجل :(ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن...). سورة النساء الآية 127

[1] -كربوع مسعود: كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي "المعيار المعرب للونشريسي انموذجا"، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة باتنة ، العدد09مارس 2014، ص52.

[2] - نفسه ، ص ص52،53.

[3] - حمداوي ، مرجع سابق، ص ص 9،10.

[4] - حجي محمد ، مرجع سابق ، ص10.

. وفي موضع آخر يقول تعالى :(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) وغيرها من الآيات و السور[1]. بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم لجأ الناس الى الخلفاء و الصحابة عامة يستفتونهم حول النوازل التي حلت بهم . فيبحث هؤلاء عن نص يخص هذه النازلة في الكتاب والسنة والا فالاجتهاد حل آخر ، ومع اتساع رقعة البلاد الاسلامية –نتيجة الفتوحات – ازداد الاستفتاء وازداد مع الاجتهاد.[2] ومن أشهر الفقهاء من الصحابة نجد عمر بن الخطاب ،علي بن ابي طالب ،عبد الله بن مسعود ،عبد الله بن عباس ،عبد الله بن عمر ،وزيد بن ثابت . أما على مستوى النساء فاشهرهم السيد عائشة أم المؤمنين .أما الذين جاءوا بعد الصحابة التابعين فعددهم كثير اشتهر منهم : سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وآخرين [3].

6- أقدم النوازل :من أشهر وأخطر ما نزل على المسلمين من مصائب وهذا بحكم خطورتها وأثرها وتأثيرها على المسلمين هي تلك النازلة التي حلت بالمسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تمثلت في وصول أخبار عن ارتداد عدد كبير من القبائل عن الاسلام وتنكر قبائل اخرى كعبس وذبيان عن ركن من أركان الاسلام ألا وهو الزكاة وهذا مع بقائهم مسلمين .وهي نفس النازلة التي نزلت أيام حكم عمر بن عبد العزيز. فالنوازل خلال القرن الأول (1هـ) نجدها تتماشى مع الفقه[4].

7- تطور فقه النوازل : عرف فقه النوازل في تطوره ثلاثة مراحل:

7-1-الاولى (2هـ-3هـ): خلال هذه المرحلة ازدهرت الحركة الفكرية زمن العصر العباسي الاول ، وفيها أصبح الفقه ينظر في النوازل التي وقعت والتي لم تقع وتوجد لها احكام وتدون ، ومن المذاهب

[1] - حجي محمد ، مرجع سابق ، ص09.- سورة البقرة ، الآية 189.
[2]- نفسه ، ص11.
[3]- نفسه ، ص 12 وما بعدها.
[4]- نفسه، صص19-21

التي دونت في تلك الفترة بداية بمذهب أبي حنيفة النعمان (150هـ/767م) الى محمد بن جرير الطبري (310هـ/923م) ومن هذه المذاهب بقي أربعة مذاهب وهي الحنفي (150هـ) ، المالكي (179هـ) ، الشافعي (204هـ) ، الحنبلي (241هـ).[1] بالإضافة الى المذاهب الأربعة السنية هناك المذاهب الشيعية كالجعفرية (148هـ) ،الزيدية (122هـ) ، وغيرها .كما شهدت هذه المرحلة أشهر التآليف والكتب كالموطأ للإمام مالك ، الفقه الاكبر للإمام أبي حنيفة ، الام للشافعي ، المسند للإمام أحمد ابن حنبل .ليستقل الفقه ويصبح علما قائما بحد ذاته لا حاجة له بالنوازل ، هذه الاخيرة تأثرت بذلك حيث جاء ذكرها في هذه الفترة بنسبة قليلة الا بعض النوازل[2] .

7-2- الثانية (4-7هـ) :شهدت هذه المرحلة تطورا كبيرا في عملية تدوين الفقه الاسلامي والذي مس جميع المذاهب وعرفت ظهور أمهات الكتب والموسوعات ، نتيجة لكل هذا التشبع في كتب وتأليف الفقه جعل من الصعب التعامل مع بعض المسائل الفرعية أو الجزئية وكيفية استخراجها من المؤلفات، أمام هذه الحالة وأمام هذا الوضع ظهرت مؤلفات وكتب النوازل كجزء من الكتب الفقهية ، لكن بشكل مستقل يتكفل بمختلف النوازل والمسائل التي وقعت حقيقة[3] . ومن أشهر نوازل هذه المرحلة نجد نوازل السمرقندي على المذهب الحنفي (319هـ) ،نوازل ابن قفطان أحمد الطبري الشافعي (335هـ) ، ابن رشد على مذهب الامام مالك خلال القرن السادس الهجري (520هـ).

7-3- الثالثة (8-12هـ): خلال هذه المرحلة عرف الفقه والنوازل انحطاطا ودخل في متاهات ، فأصبحت النازلة الواحدة تختلف حولها الفتاوى والاحكام ، ومن أشهر نوازل هذه المرحلة المعيار للونشريسي (914هـ) ، نوازل البرزلي (844هـ) ، الدرر المكنونة للمازوني (883هـ) ، نوازل العباسي (1007هـ)[4] ، إضافة الى نوازل ابن الفكون محل الدراسة (10-11هـ).

---

[1] - حجي محمد ، مرجع سابق ، ص ص24،25.
[2] - نفسه ، ص ص 26،27.
[3] - نفسه ص ص28-30.
[4] - نفسه ، ص ص 40 – 48.

8- فقه النوازل والغرب الاسلامي : ارتبط فقه النوازل بمنطقة الغرب الاسلامي وخاصة الاندلس ، المغرب الاقصى وشمال افريقيا ، وبهذا فان فقه النوازل يعد ماركة مغاربية ، ففي الاندلس ظهر مع طلبة الامام مالك أمثال يحي بن يحي الليشي وعبد الرحمان بن دينار ، لتظهر بع ذلك عدة مؤلفات في فقه النوازل بداية من القرن الثالث الهجري (200هـ) ومن أشهر هذه المؤلفات (النوازل) نوازل عيسي بن دينار (212هـ) ، نوازل محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الجد (520هـ) ،وغيرها من الكتب الأخرى[1] .

[1] - حجي محمد ، مرجع سابق ، ص ص21-23.

المبحث الثالث : ابن الفكون ونوازله

1- التعريف بالمخطوط(النوازل): يعتبر مخطوط النوازل أو كتاب النوازل لصاحبه محمد بن عبد الكريم الفكون من المخطوطات والمصادر البالغة الأهمية لدراسة تاريخ بايلك قسنطينة خاصة في شقيه الاجتماعي والاقتصادي . وهذا المخطوط هو ارث ثقافي لعائلة الفكون وهي إحدى أعرق العائلات القسنطينية، وقد تمكنا من الحصول على هذا المصدر النادر من عدة جهات واشخاص على راسهم الاستاذ المشرف حساني مختار بهدف استنطاق وتحليل النوازل التي احتواها هذا المخطوط والاستفادة منها في كتابه تاريخ البايلك الاجتماعي بالدرجة الاولى .

1-1- محتوى المخطوط : احتوى هذا المخطوط أو كتاب النوازل على أكثر من ثلاثمائة (300) نازلة ، جاءت في ما يناهز 600 ورقة ، مرقمة ترقيما تسلسليا بأرقام هندية ، شملت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية ، الاجتماعية، و الثقافية وحتى السياسية . االتي واجاب عنها الكثير من العلماء من جهات مختلفة من الايالة الجزائرية من تلمسان، وبجاية ، ومدينة الجزائر ، ومن خارج الجزائر من مصر والمغرب وتونس وغيرها من المناطق [1]. و قد عمل صاحب المخطوط على تقسيمه إلى ثمانية (08) فصول، أو أقسام، كل فصل يحتوي على عدد من النوازل ، تهتم بجوانب معينة من الحياة بالبايلك . كما أنّ هذه الفصول جاءت مختلفة عن بعضها البعض من حيث عدد النوازل التي احتواها كل فصل . وقد جاء التقسيم على النحو التالي:

الفصل الأول: جاء تحت عنوان "من مسائل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام "[2].

الفصل الثاني: عنونه صاحبه بـ :"ومن مسائل النكاح والطلاق والخلع والعدة والنفقات"[3].

الفصل الثالث: عنوانه: "ومن مسائل البيوع والصرف والشفعة والقسمة والاستحقاق"[1].

---

[1]- انظر الملحق رقم :19، ص ص 351-358.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة : 02 .أنظر: الملحق رقم:02، ص 331.

[3]- نفسه ، ورقة ،37. أنظر:- الملحق رقم: 03 ، ص332.

الفصل الرابع: بعنوان: "ومن مسائل الشركة والوديعة والعارية والقراض والصلح والغصب"[2].

الفصل الخامس: "نوازل الأكرية والإجارة والرهون"[3].

الفصل السادس: جاء بعنوان: "ومن مسائل الهبة والصدقة والوصايا والحبس"[4].

الفصل السابع: جاء بعنوان:" ومن مسائل القضا و الشهادات والقذف والزنى والسرقة والجراح "[5]

الفصل الثامن : جاء بعنوان:" ومن مسائل كتاب الجامع "[6].

أما فيما يخص الخط فقد كتب المخطوط بخط مغاربي (أندلسي) واضح نوعا ما، وبلغة تمازجت فيها العامية وهي اللغة التي يسأل بها أصحاب النوازل ولغة سليمة استعملها بصفة خاصة العلماء والفقهاء الذين أجابوا عن هذه النوازل. وبالنسبة لنسخ المخطوط فحسب معلوماتنا توجد نسخة واحدة له هي ملك عائلة الفكون بمدينة قسنطينة.

1-2- تاريخ كتابته : أو بالأصح تاريخ جمع هذه النوازل في كتاب، فرغم عدم وجود ما يدل لكتابته إلا أنه يمكن استنتاج ذلك، فالشيء المؤكد أن صاحب الكتاب جمعه بعد وفاة والده عبد الكريم الفكون[7]وما يدل على هذا الطرح هو أن الكاتب كثيرا ما استعمل جملة "سئل الوالد رحمه الله"[8] .كما أن هذه النوازل وإجابات العلماء عليها كانت محفوظة عند العائلة، وما يؤكد اهتمام العائلة بالنوازل ما ذكره الأستاذ سعد الله عن جد والد المؤلف

---

[1] – ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة ،75 . أنظر: الملحق رقم:04، ص333.

[2] – نفسه ، ورقة ، 194. أنظر: الملحق رقم : 05 ص 334.

[3] – نفسه ، ورقة ، 227. أنظر: الملحق رقم:06، ص 335.

[4] – نفسه ، ورقة ،249. أنظر: الملحق رقم:07، ص 336

[5]– نفسه ، ورقة ،466. أنظر: الملحق رقم:08 ، ص 337.

[6]- نفسه ، ورقة 506 . أنظر: الملحق رقم:09 ،ص 338 .

[7]– عبد الكريم الفكون: سياتي تعريفه فيما بعد .

[8] – ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة .38،40،78،79،99.

الـذي كانـت لـه حاشـية علـى المدونـة ضـمنها نـوازل[1]. و بهـذا يمكـن أن نقـول أن كتابـة هـذا التـأليف كـان بعـد 1073هـ (1662) ، كتبهـا ابـن جـامع هـذه النـوازل والمعـروف هـو ايضـا باسـم محمد .

1-3- أهميـــة الكتــاب : يعتـبر كتـاب النـوازل لصـاحبه محمـد ابـن الفكـون مـن أهـم المصـادر التاريخيـة إن لم نقـل أهمهـا لكتابـة التـاريخ عامـة والتـاريخ الاجتمـاعي والاقتصـادي لبايلـك قسـنطينة، خـلال القـرنين العاشـر هجـري (16م) والحـادي عشـر هجـري (17م) خاصـة مع ندرة المصادر في هاذين القرنين ، وتكمن أهميته في كونه:

* مـرآة عاكسـة للوضـع والحيـاة الاجتماعيـة لسـكان اقلـيم قسـنطينة ، فـالنوازل تطرقـت الى الاسـرة باعتبارهـا النـواة الاولى للمجتمـع والى العلاقـات الاجتماعيـة ومختلـف مظاهرهـا : مـن علاقـات المصـاهرات ، والمشـاكل ، وصـولا الى مظـاهر التكافـل الاجتمـاعي والـتي جـاء علـى راسـها الوقـف كـاهم مظهـر مـن مظـاهر هـذا التكافـل، اضـافة إلى التطـرق للعـادات والتقاليـد والأعراف التي كانت منتشرة في البايلك.

*تطـرق المخطـوط لمختلـف الفئـات الفاعلـة علـى مسـتوى البايلـك في المدينـة والريـف علـى حـد سـواء مـن بايـات وقضـاة ، وقـواد ورجـال الـدين مـن علمـاء وفقهـاء ومفتـين ، واصـحاب المهـن الحـرة مـن جـزارين ، وتجـار ، وغـيرهم إضـافة الى فئـة المـوظفين ومـنهم المـوثقين ، والنظـار. كـل هذا يعطينا فكرة وصورة تكاد تكون كاملة عن المجتمع القسنطيني ومختلف فعالياته .

* احتوائـه علـى عـدد كبـير مـن النـوازل الـتي تمـس الجانـب الاقتصـادي في مختلـف مجالاتـه مـن زراعـة وصـناعة وتجـارة واحيانـا جـاء تنـاول هـذه الجوانـب بنـوع مـن التفصـيل حيـث تطـرق الى وسـائل الانتـاج الزراعـي والصـناعي ومختلـف المحاصـيل الزراعيـة امـا في الجانـب التجـاري فتطـرق الى مختلـف المعـاملات والـنظم الماليـة الـتي تـتم علـى مسـتوى البايلـك ، كـل هـذا يعطينـا فكـرة وصورة واضحة عن النشاط الاقتصادي ومختلف مميزاته على مستوى هذا الاقليم .

[1]- سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام....، مرجع سابق ، ص40،37.

* ذكر المخطوط لعدد كبير من العلماء والشخصيات الفكرية واعتماده على أمهات الكتب يجعله مصدرا ثقافيا وفكريا بالغ الأهمية. التفصيل الذي حمله الكتاب فيما يخص إجابات العلماء والاستدلال بمختلف الفتاوى الفقهية يجعل من الكتاب احد أهم المصادر الدينية والفقهية.

1-4- ملاحظات حول المخطوط: من خلال تفحصنا لمخطوط النوازل خرجنا ببعض الملاحظات حوله نحصرها في:

- بعض النوازل جاءت دون السؤال واكتفى صاحب المخطوط بالإشارة الى ذلك بقوله: " عن مسألة يفهم مضمونها من جوابكم "[1].ورغم اننا نفهم ما السؤال او النازلة المطروحة الاّ أنّ هذا ينقص من قيمة النازلة والمعلومات التي تحملها.

- معظم النوازل تتناول القرنيين العاشر هجري (16م) والحادي عشر هجري (17م) إلا أنه هناك بعض النوازل عددها حوالي عشرة (10) نوازل تعود للعهد الحفصي وبالضبط للقرن التاسع هجري (15م).

- عدم تعرض الكاتب لذكر الأسماء والتواريخ إلا نادرا، هذا ما ينقص نوعا ما من أهمية وقيمة هذا المخطوط.

- النوازل جزء منها كتب بخط مغاير للخط السابق وهذا ما يبين انّ من كتب النوازل هم اشخاص وليس شخص واحد .

من خلال هذا التقديم القصير حاولنا أن نعطي صورة شاملة وواضحة لهذا المخطوط النادر .

2- التعريف بالكاتب:

2-1- مولده ونسبه: هو محمد بن عبد الكريم ابن محمد بن عبد الكريم الفكون[1] المكنى بأبي عبد الله[2]، من مواليد قسنطينة في النصف الأول من القرن الحادي عشر

[1] - ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقات: ،352، 56،41،248،241،.

هجـري(17م)[3]، سـليل إحـدى أعـرق وأقـدم العـائلات القسـنطينية ألا وهـي عائلـة الفكـون[4] والـتي تنتسـب إلى قبيلـة تمـيم العربيـة[5]، وهنـاك مـن يرجـع نسـب العائلـة الي فقونـة وهـي احـدى القري بجبال الاوراس[6] .

يصـفه العياشـي فيقـول : "..وممـن لقيتـه بطـرابلس الشـيخ الفقيـه المشـارك النبيـه سـيدي محمـد بـن العلامـة الفهامـة الناسـك الخاشـع الجـامع ...سـيدي عبـد الكـريم الفكـون القسـمطيمي ...علـى نهـج ابيـه وعاداتـه في ذلـك محافظـا علـى سـلوك وسـيرة والـده ...والحلـم والوقـار ، فأحبته القلوب ومالت اليه النفوس ..."[7].

2-2-تكوينـــه العلمـــي : لم نجـد معلومـات حـول تعليمـه أو المشـايخ الـذين أخـذ عـنهم ولكـن رغـم ذلـك فـالأرجح أن تعليمـه كـان بمدرسـة العائلـة بقسـنطينية علـى يـد أبيـه الـذي كـان مدرسـا وإمامـا وخطيبـا بالجـامع الكبـير لمدينـة قسـنطينة[8]، ليصـبح محمـدا بعـد ذلـك عالمـا مـن فقهاء المالكية[9].

2-3-الوظـائف التـي تولاهـا : الشـيء المعلـوم والمؤكـد هـو أن المهـام والوظـائف في عائلـة الفكـون متوارثـة أبـا عـن جـد، لـذا نجـد أن محمـد بـن عبـد الكـريم الفكـون تـولى جميـع مهـام والـده

---

[1] - ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة:02 .

[2] - نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، 1400(1980)، ص255.

[3] - لم نجد تاريخا لمولده، ولكن على الأرجح يكون قد ولد في هذه الفترة.

[4] - سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام......، مرجع سابق ، ص37.

[5] - ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية... ....، مصدر سابق ، ص70.

[6] - سعودي يمينة : الحياة الادبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية ، شهادة الماجستير في الادب الجزائري القديم ، جامعة الاخوة منتوري قسنطينة ، 2005-5006، ص ص 56،57 .- الصيد : نفح الازهار عما في مدينة قسنطينة من الاخبار ، ص.

[7] - العياشي ، مصدر سابق ، مج2 ، ص 514.

[8] - سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام ...، مرجع سابق ، ص12.

[9] - نويهض عادل ، مرجع سابق ، ص255.

من إمامة، وخطابة وتدريس وإفتاء في الجامع الكبير لقسنطينة، كما كانت له مهمة تسيير أحباس الجامع المذكور[1].

2-4-امارة ركب الحج: بالإضافة إلى كل المهام السابقة هناك تشريف أو وظيفة إمارة الحج والتي تعد من أهم الوظائف في بايلك قسنطينة ، وعند العائلة ،تولاها أولا عبد الكريم الفكون ، وبسبب عدم قدرته على هذه المهمة والتي تعرف بمشاقها كان ابنه محمد ينوب عنه[2] ، ثم بعد وفاة عبد الكريم الفكون (1073هـ) خلفه محمد ابنه رسميا على رأس امارة ركب الحج ، حيث يذكر لنا العياشي في هذا الباب كيف التقى بمحمد ابن الفكون بقوله : "وممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه ...سيدي محمد بن العلامة ..سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني ...قدمها حاجا وهو أمير ركب الجزائر وقسمطينة وتلك النواحي على نهج أبيه ... ولم يطلع امير الا في هذه السنة ، وقبل ذلك انما كان يطاع بالركب والده ،رضي الله عنه ، فلما توفي قام ولده هذا مقامه في ذلك أعانه الله وسدده ،وكانت وفاته رضي الله عنه عشية الخميس 27ذي الحجة 1073هـ ، شهيد بالطاعون "[3]. تولى هذه المهام في سنة 1074هـ- 1663م[4] واستمر اربعون سنة (40سنة) مشرفا على امارة ركب الحج ، ليخلفه بعد وفاته ابنه بدر الدين[5].

إذا ما قارنا محمد ابن الفكون بأبيه عبد الكريم الفكون (صاحب المنشور) ،فإننا نلاحظ أن محمدا لم يكن له تأثير على مستوى الحياة الثقافية والعلمية بقسنطينة والبايلك على حد سواء .أما على مستوى الحياة السياسية فمحمدا هذا لم تسجل المصادر التاريخية مواقفا له. ويبدو أن الاستاذ سعد الله حاول اعطاء تبريرا لحالة الخمول والركود التي عرفتها قسنطينة

1- سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام ...، مرجع سابق ، ص55.

2 - نفسه ، ص ص52-55 .

3 - العياشي : المصدر السابق ،مج 2 ،ص 514.

4 - نفسه ، ص ص55،56 . - الجيلالي عبد الرحمن ،تاريخ الجزائر العام ، ج3، ط6، دتر الثقافة بيروت، لبنان ،1403هـ-1983 ، ص149.-انظر الملحق رقم 15، ص ص 345،344.

5- سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام ...، مرجع سابق، ص ص56 .55

أيام محمد بن الفكون عكس أبيه عبد الكريم ، وهذا التبرير يكمن في تلك الحالة من الاستقرار والهدوء السياسي بقسنطينة والبايلك ، وهذا نتيجة لذلك التحالف الحاصل بين آل الفكون الذين يمثلون الجانب الروحي والبايات الذين يمثلون الجانب المادي [1]. توفي محمد بن عبد الكريم الفكون مع مطلع القرن12هـ وبالضبط سنة 1114هـ[2].

3- مكانة عائلة الفكون في قسنطينة: بما أن المخطوط الذي بين أيدينا ملك لأحد أبناء عائلة الفكون[3] ، ارتأينا أن نعرف بهذه العائلة وتوضيح مكانتها في بايليك الشرق عامة وفي مدينة قسنطينة .

3-1- المكانة الاجتماعية : تعتبر عائلة الفكون من أهم وأعرق العائلات القسنطينية فمن ناحية النسب هي فرع من قبيلة تميم العربية[4]. احتلت مكانة مرموقة في المجتمع القسنطيني قبل مجيء العثمانيين وبعد مجيئهم ، هذه المكانة ازدادت خاصة بعد مصاهراتها مع كبرى العائلات القسنطينية أمثال عائلة ابن باديس، ابن نعمون وعائلة الغربي. كما كان لامتلاك العائلة لزاوية ومدرسة بقسنطينة دورا كبيرا فيما وصلت إليه العائلة خاصة في الجانب الروحي والديني بين السكان[5] . بالإضافة إلى تولي العائلة مهمة ركب الحج[6]، الذي كان له الأثر الكبير فيما وصلت إليه العائلة، حيث لم يقتصر كبر شأن هذه العائلة في بابليك قسنطينة وإنما تعداه لتصبح من أشهر العائلات في العالم العربي خاصة بالمناطق التي تمر بها قافلة الحج.

---

[1] - سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام ...، مرجع سابق ، ص ص56 ،55.

[2] - نفسه ، ص55 .

[3] - أصبح الاسم ينطق بالكاف المعقودة ابتداء من مطلع القرن التاسع عشر .أ نظر/- قشي فاطمة الزهراء ، شهود العدالة في قسنطينة القرن التاسع عشر الانتماء العائلي والمسار المهني ، إنسانيات المجلة الجزائرية في الانثروبولوجة والعلوم الاجتماعية ، قسنطينة مدينة في تحول ، ص66.

[4] - ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص07 .

- سعد أبو القاسم :شيخ الإسلام... ، مرجع سابق ، ص ص37 ، 38.

[5] - سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام...، مرجع سابق ، ص45 .

[6] - نفسه ، ص11.-انظر الملحق رقم 15، 16، ص ص 344،345.

كما أن منح عبدالكريم الفكون لقب شيخ الاسلام ، والذي يعد من الالقاب الدالة على مكانة وأهمية حامله ، خاصة اذا عرفنا أن هذا اللقب كان يمنح لاتباع المذهب الحنفي فقط ، لكن حصول ابن الفكون عليه يعد دلالة صريحة من العثمانيين على مدى أهمية ومكانة عبد الكريم الفكون ومن ورائه العائلة ككل دينيا واجتماعيا وحتى سياسيا [1].

وكنتيجة حتمية لهذه المكانة أصبحت كلمة العائلة مسموعة بقسنطينة وخاصة بالناحية العليا للمدينة أو ما يعرف بحومة البطحاء حيث أصبح يعرف هذا الحي باسم أولاد سيدي الشيخ[2] والأكثر من هذا أصبح للعائلة حق الحماية في منزلها أو غيره، فكل من كان يحتمي بآل الفكون لا يجوز التعرض له[3].

3-2-المكانة الاقتصادية: أما فيما يخص الجانب الاقتصادي أو بالأخص الجانب المالي فإن عائلة الفكون كانت من أغنى العائلات بمدينة قسنطينة وهذا الغنى لم يكن مرتبطا بالفترة العثمانية وإنما يعود الى ما قبل دخول الأتراك الى قسنطينة[4]، لتزداد ثروة العائلة خلال العهد العثماني وهذا نتيجة للامتيازات التي استفادت منها[5] ومن أهمها:

- امتلاك العائلة لعدد هائل من العقارات والأراضي بقسنطينة[6].اضافة الى إعفاء أملاك العائلة من كل الضرائب والرسوم داخل المدينة أو خارجها[7]، و من مختلف الرسوم والأعمال وتوفير السكن والغذاء للقوات العثمانية، كما مسّ الإعفاء خدم العائلة ورعاها[1].

---

[1]- بوخلوة حسن : عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (1580-1663هـ/988-1073هـ) ، شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة السانية وهران 2008- 2009 ، ص66.

[2] - سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2000. ص109.

[3] - سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام...، مرجع سابق ، ص75، 76.

[4] - نفسه ، ص46.

[5]- انظر الملحق رقم : 16،17 ، ص ص 346-348.

[6] - سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1 ، مرجع سابق ، ص520 .

[7] - سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام...، مرجع سابق ، ص75.

– إشرافها على أوقاف الجامع الكبير وحصولها على فائض هذه الأوقاف[2] ، و استفادة العائلة من فوائد سوق الفواكه والخضر[3]، كما كان لها العشر في الزرابي والخشب المجلوب من الأوراس[4].

– حصول العائلة على الهدايا والعطايا العقارية وغيرها من الاشياء ،كل هذا زاد من أملاك العائلة وثروتها [5].

3-3-المكانة السياسية: رغم أن العائلة لم يتول أي أحد من أفرادها لأي مهام سياسية رفيعة في الدولة، إلا أنه كان لها دور فعال في الحياة السياسية بالبايليك ومنذ دخول الأتراك إلى قسنطينة، عملوا على ربط اتصالات بعائلة الفكون لطلب الدعم وقوبل هذا الطلب بالترحاب[6] حيث توجه يحيى[7] الفكون إلى تونس لملاقاة خير الدين. ليزداد هذا الدور بعد تولي أبو الفضل قاسم الفكون منصب القضاء بقسنطينة 948هـ[8]. وهذا في عهد حسن آغا[9]. واستمر الرباط بين العثمانيين وآل الفكون بقسنطينة وما توجه عبد الكريم الفكون صحبة عبد اللطيف المبسح إلى مدينة الجزائر لتهنئة الباشا الجديد[10] إلا دليلا على ذلك. ومن الأسباب التي كانت وراء اعتلاء آل الفكون لهذه المكانة هو تأييدها

---

1 -MERCIER ERNEST, op.cit., p15.

2 – سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام... ، مرجع سابق ، ص75.

3 - VAYSSETES, op.cit, p85.

4 – سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام...، مرجع سابق ، ص75.

- GRANGAUD ISABELLE .op.cit , p250.

5 – سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام... ، مرجع سابق ، ص75.

6 – سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية...، المرجع السابق ، ص113.

7 – يحيى الفكون هو جد عبد الكريم الفكون توفي سنة 1535م إثر حملة إسبانيا على تونس، أنظر/– فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس ، قسنطينة، 2005، ص37.

8 – الموافق لـ 1541م ، وهذا بعد اعتذار عمر الوزان عن هذا المنصب، أنظر:– مرسي ، تاريخ قسنطينة ، مرجع سابق ، ص ص195،196. – فايسيت ، مرجع سابق ،ص ص52،53.

9 – سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام ...، مرجع سابق ، ص ص15.

10 – ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية... ، مصدر سابق ، ص ص48 ، 49.

للعثمانيين[1] فكثيرا ما اتخذت العائلة مواقف سياسية وخاصة إذا تعلق الأمر بالأمن والصالح العام. كما أصبح للعائلة اليد الطولى في تعيين البايات فهي التي كانت تقترح على السلطة المركزية اسم الباي الجديد للبايليك مثلما حدث بعد ثورة ابن الصخري[2].

والجدير بالذكر أن عائلة الفكون كان لها دور كبير في الاستقرار السياسي الذي عرفته قسنطينة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري(17م)، بعد تحالف عبد الكريم الفكون. مع فرحات باي هذا التحالف أصبح الميزة الرئيسية لهذه الفترة ، فآل الفكون كانت تتحكم في الأرواح والعقول ، وآل فرحات تتحكم في الأبدان والنظام العام[3]، وبموجب هذه المكانة التي وصلت إليها العائلة أصبحت تتصرف بثقة مطلقة ولا يعترض على حكمها لا القضاة ولا حتى السلطة المحلية.

3-4-المكانة الثقافية: لم تختلف مكانة العائلة ثقافيا عن الجوانب الأخرى، بل نجدها أكثر في الجانب الثقافي ففي هذا الإطار يصفها عبد الرحمن الجيلالي فيقول : "أسرة واسعة الشهرة، أسرة علم وأدب ورئاسة، ودين، توارث أبناؤها المجد منذ قرون..."[4]. كما ذكرها المقري في كتابه عندما ترجم لعبد الكريم الفكون فقال : "سلالة العلماء الأكابر ووارث المجد كابرا، عن كابر... عالم المغرب الأوسط غير مدافع، وله سلف علماء ذو شهرة"[5]. وفي موقع آخر يصفها المقري عندما مدح عبد الكريم الفكون فيقول :((...وبالجملة فهو العالم الذي ورث المجد ...وتحقق الكل ان بيته شهير الجلالة ، بيت بني

---

[1] -GRANGAUD ISABELLE, op,cit,p321.

[2]- سعد الله أبو القاسم : شيخ الإسلام.....، مرجع سابق ، ص ص54،55.

[3] - سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام.....، مرجع سابق ، ص ص54، 72.

[4] - الجيلالي عبد الرحمن، مرجع سابق ، ص149.

[5] - المقري احمد بن محمد : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، حققه احسان عباس ،ج2 ،دار صادر ، بيروت لبنان ، 1408هـ-1988، ص ص 480-482.

- الطمار محمد ، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص37 ،38.

الفكون هضاب العلم والوقار والسكون ، لازال الخلف يحيون مآثر السلف ...))[1]. لكمل قوله أبيات شعرية جاء فيها :

ودام عبد الكريم فردا *** في العلم والزهد والولاية

فهو الذي حاز خصل سبق *** وصار في ذا الزمان آية [2]

كما يقول :(علم قسنطينة وصالحا وكبيرها ومفتيها ... المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله)[3].

أما البوني فنظم أبيات شعرية يتغنى فيها بالعائلة وأبنائها فيقول :

بسيدي عبد الكريم العالم ***الصالح الفكون ذي المكارم

مؤلف التواليف الكثيرة *** وكان ذا مناقيب آثرة

بنجله محمد نور الظلام *** أبقى الاله مجدهم على الدوام

وعنده الكتب بالآلاف *** والمجد تالد بلا خلاف[4]

انطلاقا من هذه الاقوال يتضح لنا المكانة التي وصلت إليها العائلة في المجال الثقافي، وما يؤكد هذا الطرح هو الموروث الثقافي الذي تركته هذه العائلة والمتمثل في العدد الكبير من المؤلفات شملت مختلف الجوانب كان لعبد الكريم الفكون الحظ الأوفر. ومن أهم التآليف نجد مخطوط النوازل لصاحبه محمد بن عبد الكريم الفكون ، و منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية ، ومحدد السنان في لخور إخوان الدخان ونظم الدرر على

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 509،510.

[2]- نفسه ، ورقتين 509،510.

[3]- المقري ، المرجع السابق ، ص480.

[4]- البوني احمد بن قاسم: الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة ، تقديم وتحقيق سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة، الجزائر 1428-2007 ، ص ص96،97

شــرح المختصــر لصــاحبهم عبــد الكــريم الفكــون[1]. ولم يقتصــر تــأليف عبــد الكــريم علــى هــذا العـدد وإنمـا تعـداه بكثـير حيـث يـذكر سـعد الله أن عبـد الكـريم الفكـون تـرك مؤلفـات لا يفوقـه فيها كثرة إلا معاصره أحمد المقري[2]، كما كان للعائلة مكتبة بها 4000مجلد[3].

---

[1] – سعد الله أبو القاسم: شيخ الإسلام......، مرجع سابق، ص ص 146 - 148 .

[2] – ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية.... ، مصدر سابق ، ص11 .

[3] – فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة تاريخ معالم حضارة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلية، بدون سنة ، ص165.

الفصل الثاني

واقع الاسرة ببابلك قسنطينة

المبحث الاول : تكوين الاسرة

المبحث الثاني : العلاقات الزوجية

المبحث الثالث : الطلاق وآثاره

الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع ، و هي الخلية الأساسية للمجتمع سواء على مستوى المدينة أو الريف ، فمجتمع المدينة يمثله مجموعة من الأسر التي تربطها مصالح مشتركة فيما بينها . أما مجتمع الريف أو البادية فالأسرة على حد قول أحد الباحثين الذي يرى : " ... إذا كانت القبيلة هي الخلية الأساسية في تركيب النظام الاجتماعي لدى المجتمع الصحراوي ، فإن الأسرة هي معين هذه الخلية الكبرى تستسقي منه قوتها و صيرورتها ...".[1]

فالأسرة على مستوى الريف أو البادية تلعب دورا في تكوين الفرد أكثر مما هو عليه بالنسبة للأسرة على مستوى المدينة [2]. ففي هذا المجال ترى إحدى الباحثات أنه : " ... كلما كانت المجتمعات أقرب إلى البداوة ، كان تأثير الأسرة و قوة ضبطها لأفرادها بدرجة كبيرة ... " ،و هذا الدور الذي تلعبة الأسرة في تكوين الفرد نجده يقل على مستوى المجتمعات الصناعية ، حيث تقول الباحثة : " ... لكن ذلك يقل و قد ينعدم في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، كما أن الزواج قد يتم عشوائيا ، فهو في المجتمعات الشرقية يخضع لضوابط يندر أن يتمرد عليها الأبناء ، و قد أثبتت دراسات متعددة في علم الاجتماع وجود تحديد أكثر إلزاما بالزواج من بنات العمومة و الخؤولة ..." [3].فإذا كان المجتمع على مستوى المدينة نجده يتكون من عدة أسر تختلف انتماءاتها القبلية ، فإن المجتمع الريفي نجده يتكون من عدة قبائل ، و تكون الأسرة هي النواة الأولى للقبلية أو بمفهوم أوسع العائلة فالعشيرة ، فالفخذ ثم البطن و الاتحاد بين عدة بطون يعطينا العمارة و هذه الخيرة تكتمل بالاتحاد مع نظيراتها ما يعرف بالقبلية [4].فالأسرة هي الخلية التي تبنى بها القبيلة أو ما بعرف بمجتمع الريف أو البادية [5].

---

[1]- دواس أحسن : صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين – مقاربة سوسيوثقافية ، مذكرة ماجستير في الادب المقارن ،شعبة أدب الرحلة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007-2008، ص46.

[2]- نفسه ، ص 47.

[3]- نفسه ، ص47

[4]- جودت عبد الكريم يوسف : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3-4هـ /9-10م ،دون سنة، ص252.

[5]- نفسه ، ص252.

المبحث الاول :تكوين الاسرة

1- الزواج: بحكم شساعة إقليم قسنطينة و كثرة عدد سكانه مع اختلاف الانتماءات القبلية و العرقية من عرب ، شاوية و بربر و غيرهم من الأعراق ، كل هذا كان سببا كافيا لتعدد و تنوع الزواج بهذه الرقعة الجغرافية ، هذا النوع يرتبط بالاسم أما الهدف و المقصد فهو واحد ، فمن الأنواع التي شدت انتباهنا هوما جاء به فيرو ، و هذا ببعض مناطق الشرق (البايلك) الجزائري .حيث ذكر لنا نوعين من الزواج ، زواج الجدي و زواج المعطية .

فزواج الجدي يعرف بهذا الاسم نسبة إلى ذبح جدي كعلامة من علامات القبول و الرضا بين العائلتين حول الزواج .و في حالات الرفض فإن الزواج قد يتم بحيلة من الخاطب (العشيق) ألا و هي استغلال فرصة عدم تواجد أهل البنت و المسارعة إلى ذبح جدي على عتبة منزل الفتاة المقصودة ، و مجرد أن يلطخ دم الجدي العتبة تتصبح رابطة الزواج مشروعة ، وبهذا الفعل تصبح البنت مخطوبة في نظر المجتمع و بهذا لا يجوز التقرب منها لخطبتها [1]. أما زواج المعطية فنجده في حالات معينة كالخلافات بين العائلات أو القبائل ، هذه الخلافات تكون بسبب القتل و الدية المترتبة عن عملية القتل ففي هذه الحالة تصبح الفتاة (المرأة) محل الدية أو هي الدية و هذا في حالة عدم مقدرة أسرة القاتل على دفع مبلغ الدية [2].و هذا النوع من الزواج يمكن أن نطلق عليه أي لفظ إلا لفظ الزواج و هذا بحكم المقصد منه ، أما عند نسبة وجود هذا النوع من الزواج فنظن أن نسبة وجوده نسبيا داخل المجتمع القسنطيني و ربما يتعلق بمناطق محدودة من البايلك ، و فيرو بطرقه و طرحه لهذا الزواج ربما أراد أن يبني مدى الجهل الحاصل داخل المجتمع و هذا حسب رأيه .

بعرضنا لهاذين النوعين من الزواج ليس اقتناعا بهذا النوع من الزواج ولكن لنعرض وجهة نظر لشخصية اجنبية ربما تكون صحيحة في حيز تاريخي وجغرافي محدد . فالزاج كما هو معلوم ذلك الرابط الشرعي والمقدس بين الرجل والمرأة اهدافه سامية .

---

[1]- فيرو شارل : تاريخ جيجلي ، ترجمة عبد الحميد سرحان ، دار الخلدونية ، القبة الجزائر ،1431هـ-2010م ، ص37.

[2]- نفسه ، ص 40.

1-1- الخطبة : أمدتنا نوازل ابن الفكون بمعلومات قيمة عن الخطبة كأول مرحلة من مراحل الزواج ، لكن هذه المعلومات لم تتطرق الى هذه الخطبة و لم تذكر لنا تفاصيلها. بل جاء ذكرها في السياق العام دون الخوض في التفاصيل . و من النوازل التي تناولت قضية و موضوع الخطبة نازلة عرضت على المفتي محمد بن قاسم الشريف[1] حيث جاء على لسان السائل قوله : " ... رجل خطب بنتا من والدها فأجاب خطبته و نكحه إياها وبنا بها الزوج بدار والدها ... "[2]. و نازلة أخرى أجاب عنها عبد الكريم الفكون[3] جاء فيها : " ... عن مسألة و هي أن رجل خطب بنتا من أبيها و أعطاها له و تشاهدا ثم أن الرجل بعد أن عقد النكاح و لم يبن بها ... "[4]. و نفس الشيء حملته لنا النازلة المعروضة على يحي المحجوب[5] حيث ذكر السائل " ... و هي أن رجلا خطب من رجل ابنته فأجاب خطبته و أنكحه إياها ثم لما عزم الزوج المذكور على البناء ... "[6].

من خلال هذه العينات من النوازل نلاحظ أن الرجل بالدرجة الأولى هو من كان يخطب لنفسه أو لابنه دون وجود لدور المرأة في هذه العملية ، و هذا ربما يكون نوع من التقصير الذي وقعت فيه

---

[1]- قاسم الشريف: أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الشريف الحسني ، جد عبد الكريم الفكون صاحب المنشور من جهة الام ، تصدر الافتاء في زمن الجد عبد الكريم الفكون ، وهو ما جعله يرجع اليه في الكثير من النوازل والاحكام ، توفي بعد وفاة ابن محجوبة ابي زكرياء. انظر /عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص68.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 72،73.

[3]- عبد الكريم الفكون : هو أبو محمد عبد الكريم الفكون جد والد صاحب النوازل عبد الكريم الفكون ، كان إماما وخطيبا ومدرسا بالجامع الأعظم بقسنطينة، وكان ممن يرجع الي قوله في النوازل الاحكام ، تتلمذ على يده عدة مشايخ من اشهرهم عمر الوزان وسليمان القشي، زمن فتنة قسنطينة سنة 975هـ اختير هو و أبو محمد عبد اللطيف المسبح لتمثيل السكان والتكلم باسمهم في حضرة سلطان الجزائر المحروسة ، ،كان من العارفين بعلم البيان حافظا للمسائل والأحاديث، ، دفن بالمدرسة التي بناها جده محمد شقرون دفين رحبة البلد بقسنطينة وتوفي في ليلة الجمعة أول رجب من عام 988هـ.انظر عبد الكريم الفكون : منشور الهداية...، مصدر سابق ،ص ص 47-51.

[4]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق، ورقة ، 42،43

[5]- يحي المحجوب : أبو زكريا يحي بن محمد بن محجوبة ، يعرف بهذا اللقب المؤنث وهذا منذ القدم ، لتحذف التاء المربوطة نهاية عمره واصبح يدعى بالمحجوب ، تولى الافتاء في مدينة قسنطينة كما تولى القضاء ايضا ، عرف بنباهته وصدقه بالأمور الشرعية في الفتوى ،كان كثيرا ما تصله النوازل الفقهية .../أنظر : عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ....، مصدر سابق ، ص63،64.

[6]- نفسه ، ورقة ، 61.

نوازل ابن الفكون ، حيث نجد أن الكثير من المصادر و على رأسها النوازل قد تناولت دور المرأة في الخطبة و من أهم هذه النوازل نجد الونشريسي، هذا الأخير ذكر لنا العديد من النساء كانت مهمتهن الخطبة ، حيث تعرف المرأة التي تقوم بهذه المهمة بالخطابة حيث تكون الوسيط بين أهل الشاب و أهل البنت [1] .و المرأة نجدها أحيانا تكون من أهل الذمة و بصفة خاصة اليهود ، فعلى مستوى قسنطينة نجد أن الشاب أو الرجل إذا ما أراد أن يخطب فتاة ما عليه إلا أن يبعث يهودية إلى بيت أهل الفتاة لتستفسر المرأة اليهودية من البنت إن كانت تريد و تقبل بهذا الشاب ، فإن كان الجواب بالقبول يحدد موعدا و يتجه الشاب إلى أب البنت أو وليها ليتفق معه [2]. أما على مستوى الريف أو البادية حيث مجتمع القبيلة فإن الشاب إذا أعجب بفتاة فإنه يعمل على إبرام اتفاق مع أبيها[3] .

1-1-1- اختيار البنت : رغم سكوت نوازل ابن الفكون عن كيفية اختيار الزوجة او البنت المراد الزواج بها الا أنّ الملاحظ على المجتمع القسنطيني هو ذلك الاختلاف الحاصل و الظاهر بين مجتمع المدينة و مجتمع الريف (البادية) و هذا فيما يخص اختيار الزوجة المستقبلية ، فعلى مستوى الريف أو البادية مثلما راينا يكون الشخص (الرجل) أكثر حرية في الاختيار و هذا بحكم العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة الواحدة ، فالأعراب نجدهم بحكم القواسم المشتركة بينهم ، نجدهم يتزاورون فيما بينهم و يتعرفون على بناتهم و نسائهم فإذا ما أعجب الواحد بفتاة يحاول الاتفاق مع أبيها [4]. والامر نفسه من حيث السهولة في الاختيار على مستوى منطقة القبائل ، وهذا بحكم طبيعة المجتمع القبائلي و الذي نجد فيه الفتاة و المرأة أكثر تحررا فيما يخص الظهور أمام الرجال، هذا ما يسهل من عملية اختيار الرجل لفتاة أحلامه و زوجته [5]. أما على مستوى المدن و التي على رأسها

---

[1]- الونشريسي احمد بن يحيى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ، أخرجه محمد حجي وآخرون ،ج3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1981/1401،ص121.

[2]- شلوصر فندلين : قسنطينة أيام احمد باي 1832-1837م ، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو ،الشركة الوطنية للنشر التوزيع، بدون سنة ، ص ص 86، 87.

[3]- نفسه ، ص ، 92.

[4]- شلوصر ، مرجع سابق، ص 92.

[5]- نفسه ، ص 100.

مدينة قسنطينة ، فإن مهمة اختيار الفتاة تكون صعبة إذا ما قورنت بالريف ، فعلى سبيل المثال نجد بمدينة قسنطينة البنات و خاصة الأبكار منهن نجدهن في البيوت لا تدخل عليهن الأجنبيات و لا يتمكن من رؤيتهن هذا بالنسبة للنساء فما بالك بالرجال ، وهذا ما يؤكده قول السائل :"...والعادة بالبلد المذكور ان الابكار لا يطلع عليهم الاجنبيات من الاناث ..." [1] ، هذه العادة تنم عن مجتمع محافظ يصعب فيه اختيار البنت أو الزوجة.

و هناك شروط للقبول و الاختيار بالنسبة للرجل باعتباره صاحب الاختيار أو الفتاة باعتبارها صاحبة القبول أو الرفض .فعلى مستوى الشروط هناك الشروط الشرعية و التي جاءت بها الشريعة الإسلامية المتمثلة في القرآن و السنة فالكثير من الأحاديث حثت و بينت شروط اختيار الزوجة هذه الشروط تتعلق بالجانب الديني و الخلقي و الأخلاقي بالدرجة الأولى يقول صل الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربعة : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك "[2].

ولم تسكت النوازل عن الشروط حيث تذكر احداها بعض شروط الاختيار جاءت على لسان السائل :"...وقد كره **عمر رضي** الله عنه ان يزوج الرجل وليته ...فيزوجهن القبيح والذميم ... من هو موسوم بالشقاق .كثير الايمان بالطلاق .لان ذلك من علامات الفساق ..."[3]من هنا نجد ان الشرط الرئيسي هو الجانب الديني والاخلاقي للرجل .

إضافة إلى الشروط الرئيسية هناك شروط ثانوية تتعلق بالشخص سواء ذكر أو أنثى و من بين هذه الشروط التي حملتها مختلف المصادر هو مدى تمكن المرأة من إعداد الطبخ فهناك من يحرص على أن تكون الفتاة ماهرة في إعداد الكسكسي [4].كما يحبذ الشاب أن تكون البنت تحسن و على

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة ، 70.

[2]- النسائي احمد بن شعيب :كتاب السنن المعروف بالسنن الكبرى ، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات ، مج 7، ط1، دار التاصيل ، 1433هـ-2012، ص 395. - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :صحيح مسلم وهو : المسند الصحيح ،تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات ،مج 04، ط1، دار التاصيل، 2014م- 1435هـ، ص97.

[3]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 38.

[4]- بفايفر سيمون ، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر ،تقديم وتعريب أبو العيد دود ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974، ص..

معرفة بالنسيج من أغطية و برانيس و زرابي و غيرها من المنسوجات الضرورية في الحياة اليومية. و الفتاة التي لا تحسن هذه الأشياء لن تتخذ زوجة و هذه الشروط حسب بفايفر نجدها بصفة خاصة بالمجتمع العربي[1].

1-2-1-الإكراه على الزواج : تطرقت النوازل إلى قضية جد حساسة تتعلق بقضية اكراه البنت من قبل الأهل أو الوصي و الوكيل على الزواج دون رضاها ، و من النوازل التي تعرضت إلى هذه الظاهرة نجد نازلة عرضت على محمد ابن فكون[2] و التي من أهم ما جاء فيها : " ... و هي أن رجلا توفي و ترك ابنة له و لها عم مبغض فيها شهد على أبيها و أنه أنكحها من ولد قريب له كريه المنظر و لم يثبت ذلك إلا بشهادته خاصة ثم أنه قال إن لم يثبت ذلك بشهادته على أبيها بانكاحها فأنا وصي عليها من قبل أبيها فأعطاها للولد المذكور بما زعمه من الايصا من غير إشهاد به إلا مجرد تصديق الأم له بايصائه عليها و الحالة أن البنت المذكورة منكرة لجميع ذلك و نافرة من الولد كل الانفار و أجبرها على نكاح الولد و عقد عليها من غير و لا رضا و لا توكيل لها ..." [3]. إضافة إلى هذه النازلة هناك نازلة أخرى تعرضت إلى موضوع الإكراه و هي النازلة التي أجاب عنها عمر الوزان[4] و التي من أهم ما حملته : "... اليتيمة قبل البلوغ أو بعده و كذا إذا ادعت إلى غير كفؤ في النسب مع عدم الوكالة إذا ضيف عنها الفساد هل لوليها جبرها على النكاح و ظهرت علامة تدل على

1- نفسه ، ص137.

2 محمد ابن فكون : هو أبا عبد الله محمد الفكون والد عبد الكريم صاحب كتاب منشور الهداية وجد صاحب النوازل التي بين أيدينا ، تولى الخطابة والإمامة بالجامع الأعظم بقسنطينة، كان فقيها صوفيا كان ممن يرجع لهم في الإفتاء، توفي بعد رجوعه من الحج في أواخر محرم عام1045هـ .ودفن بالمويلح وهي قلعة بين مكة والمدينة ومصر[2]. أنظر : عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص 52.

3- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 38

4- عمر الوزان : عمر بن محمد الكماد الانصاري ، القسنطيني ، المشهور بالوزان : عالم فقيه ، صوفي ، يبهر العقول في العلوم العقلية والنقلية ، أخذ عنه أبو الطيب البسكري وعبد الكريم الفكون .له تآليف منها : البضاعة المزجاة ، الرد على الشبوبية ، و(حاشية) على شرح الصغرى للسنوسي ، وعدة فتاوى في الفقه والكلام ، اختلف في تاريخ وفاته، قيل سنة 960هـ ، وقيل 965هـ (1557م) . أنظر . عبد الكريم الفكون : منشور ...، مصدر سابق ، ص ص 35-37. عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، دار الوعي ، الجزائر ، 2017، ص 445.أحمد بابا التمبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق علي عمر ، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 2004، ص345.

فسادها هل للأولياء جبرها أم لا ..." [1] ،كما تطرقت نازلة عرضت على عبد الكريم الفكون و هذا من خلال مضمون إجابته ، و التي تطرق إلى قضية تزويج بنت من طرف أبيها دون حصول الإيجاب و القبول منها [2] . و ظاهرة الإكراه على الزواج لم تكن ترتبط وتقتصر على بايلك قسنطينة بل نجدها من الظواهر التي كانت منتشرة في المغرب الأوسط ككل و خاصة على مستوى الريف[3].

وما يطرح الاشكال والتساؤل هو كون المجتمع مجتمعا اسلاميا يكون فيه قضية إكراه البنت على الزواج أو عدم رضاها من أهم مبطلات الزواج ، فشرط الرضا و القبول من أهم شروط الزواج الذي لا بد من توفره و هذا ما أكده **جواب العالم عمر الوزان** و الذي يرى أنّ : " ... اليتيمة التي يخشى عليها الفساد فإنها لا تزوج إلا برضاها و لا يكفى الصمات(الصمت) بل لا بد من نطقها و هي أحد الابكار السبع ... فلا تزوج إلا من كفئ برضاها ..."[4].

كما طرحت النازلتان سواء في السؤال أو الإجابة مسألة الكفاءة في الزواج ، هذا الموضوع يرى فيه ابن منظور : " و منه الكفاءة في النكاح و هو أن يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها و نسبها و بيتها و غير ذلك ..." [5].و هذا الشرط أو الحق طرحت بعض النوازل و منها التي عرضت على عمر الوزان و التي طرحت قضية اليتيمة و قضية الادعاء في عدم كفؤ النسب و غيرها [6].و نفس الشيء تطرق إليه ابن فكون هذا الأخير يرى أن يكون الزوج يساوي الزوجة و غيرها [7].

و لكن بغض النظر عن شرعية الزواج من عدمه إلا أنه لا بد من التطرق و البحث حول الأسباب و العوامل التي فرضت أو كانت وراء إجبار البنات على الزواج ، فمن خلال قراءتنا لبعض النوازل و تحليلها نلاحظ أن أهم أسباب الإكراه على الزواج هو قضية العائلة أو القرابة فمثله في الحالة التي

---

[1]- نفسه ، الورقتين : 43،44.

[2]- نفسه ، الورقة 41.

[3]- شقطمي هناء : الخطاب الفقهي والديني في المغرب الاوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مذكرة ماجستير في التاريخ ، جامعة قسنطينة 2 ، 2012- 2013 ، ص73.

[4]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 44.

[5]- قشي فاطمة : الزواج والاسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصبة ، الجزائر ، 2007 ، ص158 .

[6]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 44.

[7]- نفسه ، الورقة 38.

عرضت على ابن الفكون ، البنت أجبرت من طرف العم على الزواج من قريب لها ، و هنا ربما يكون لقضية الشركة دورا في ذلك ، فمخافة من الأهل على خروج الشركة من العائلة ربما يكون وراء هذا الإكراه كما لا يستبعد قضية التشاحن الموجود بين العم و ابنة أخيه و ارتباطها بالإكراه على الزواج خاصة و أن السائل في هذه النازلة تطرق إلى هذا الموضوع بقوله : " ... و لها عم مبغض فيها شهد على أبيها و أنه أنكحها من ولد قريب له ..." [1] .

كما يتطرق ابن الفكون في نوازله إلى هذه القضية و ارتباطها بالريف أو كما يسميها هو بالمناطق الجبلية ، و قضية الوصية و التزويج قبل الممات و التي يبدو أنها من خصائص سكان تلك المناطق [2] .بالإضافة إلى ما سبق هناك سبب آخر يطرح نفسه بقوة و يعد من بين الأسباب التي كانت وراء إجبار البنات على الزواج و يتمثل هذا السبب في الخوف من أب البنت أو الأخ أو الوصي و الوكيل عنها من فسادها و خاصة مع ظهور علامات لهذا الفساد [3]، كما كان الخوف من الاغتصاب سبب آخر في إجبار البنت على النكاح و هذه الظاهرة نجدها خاصة في المناطق التي لا تطالها الأحكام الشرعية [4]، مثل بعض المناطق بالريف القسنطيني و التي كثيرا ما وصفت بأن أهلها لا يهتمون بأمور النكاح والطلاق وغيرها من امور الدين حيث يقول السائل :"...ومنها ما يصنعه القبايل(القبائل) ايضا من سيرتهم الركيكة التي يتنزه العاقل عن النطق بها ... ويتركون الامور المنعمة كالنكاح والطلاق ..."[5] .

أمّا المؤرخين الاجانب فربطوا قضية تزويج البنات خاصة عند الأعراب أو سكان الريف بالمال ، حيث يرون أنّ البنت كانت تزوج للذي يدفع أكثر [6]، و كأنه أراد القول أن المرأة أو البنت رأيها لا قيمة له أمام مال و غنى الخاطب ، و هذا الكلام نجد فيه نوعا من المبالغة و إن كان صحيحا في

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 37.

[2]- نفسه ، الورقة 38.

[3]- نفسه ، الورقتين : 43،44.

[4]- شقطمي ، المرجع السابق، ص 73.

[5]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 45.

[6]- هاينريش فون مالتسان : ثلاث سنوات في غرب شمال افريقيا ، ج3، ترجمة وتقديم أبوالعيد دودو ، ط1، دار الامة ، برج الكيفان ، الجزائر ، 2008، ص ص 16،17.

مضمونه خاصة إذا علما أن هذا الشرط نجده في الوقت الحالي منتشرا في كل الجزائر ، الذي يدفع أكثر يضفر بالبنت مع بعض التغيير لأن البنت الآن هي التي تفرض هذا الشرط و المتمثل في المال و الغنى .

1-1-3- فترة الخطوبة : فترة الخطوبة تبدأ من يوم خطبة البنت إلى يوم البناء (ليلة الدخلة)، خلال هذه المرحلة تتلقى البنت عدة هدايا حيث تذكر احدى النوازل هذا الامر والذي ذكره احد السائلين بقوله :"...ويلحق قرابتها من المعرة اذا لم تعمل الوليمة على البنا والهداية في المواسم قبل البنا ..."[1] ، ونفس الشيء حملته نازلة اخرى :"...وما يبذله من المعجل وحوايج الحنا والمواسم وغير ذلك ..."[2] هذه الهدايا تكون في مختلف المواسم و الأعياد الدينية و التي منها عيد الفطر و عيد الأضحى إضافة إلى المولد النبوي الشريف و غيره من المواسم و الأعياد الأخرى. و هذه المظاهر و العادات نجدها مشتركة في الكثير من المناطق الجزائرية مستمرة في التواجد حتى وقتنا الحالي، و تكاد تكون من واجبات الزوج اتجاه خطيبته لما لها من مدلولات اجتماعية.

خلال فترة الخطوبة والتي تختلف مدتها من عائلة الى اخرى ، أثناء هذه المدة و في بعض الأحيان تحدث مشاكل بين الزوجين أو بين أهليهما ، كثيرا ما تكون سببا لطلاق الزوجين أو الانفصال و هذه المشاكل لها عدة أسباب عرضت لنا نوازل ابن فكون ومن أهمها :

** العيوب التي تظهر بالزوجة أو الفتاة المخطوبة ، هذه العيوب يرى فيها الزوج أنه ربما خدع من قبل اهل البنت ، و من النوازل التي تعرضت لهذه الحالات نازلة تطرقت إلى قضية بنت بعد عقد زواجها ، فظهر لدى الزوج أن البنت بها بياض بعينيها ، و أنه أحس بأن هذا العيب إنما هو خديعة حيث يذكر السائل :"...ثم ان الرجل بعد ان عقد النكاح ولم يبن بها سمع ان بالبنت عيبا وهو البياض على العين فندم الزوج وادها انه مختولا ..."[3] ، و هذا العيب المتمثل في البياض على العين حسب فتوة الشيخ ابن الفكون لا يعد عيبا ترد و تطلق به البنت لكن ابن الفكون يضع شرطا لذلك

[1]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 48

[2]- نفسه، ورقة 62.

[3]- نفسه ، ورقة ، 43

و هو أنه في حالة ما إذا لم يشترط الزوج سلامة البنت من جميع العيوب ، أما إذا كان الزوج أو الشاب قد اشترط في البداية السلامة من كل عاهة و من كل عيب فهنا كلام آخر [1].

كما طرحت لنا نازلة أخرى عيب آخر كان سببا في ظهور الخلاف و هذه المرة تمثل العيب في ظهور حبة بالبنت و بعد معرفة الرجل بذلك رأى أن هذه الحبة هي عيب بالمرأة وجب ردها و هذا ما تشير إليه النازلة : " ... عن مسألة و هي أن رجل(رجلا) خطب من رجل ابنته فأجاب خطبته و أنكحه إياها ثم لما عزم الزوج المذكور على البنا خرجت في البنت حبة فقيل أنها العدر المسمى بالفرانسي فلما سمع الزوج بخروج الحبة في البنت قال هذا عيب يوجب الرد ..." [2]، و من خلال إجابة العالم نلاحظ أن هذا المرض هو نوع من أنواع الجذام و الذي يقسم إلى نوعين نوع يحدث تشوهات بالجسد و هو قابل للعودة ، هذا النوع ترد به البنت ، أما النوع الثاني فهو عبارة عن حبيبات تظهر بالجسد يرجى شفاؤها ، و تزول آثار هذا النوع لا ترد به المرأة [3].

و رغم كل ما قيل حول المرض و مدى خطورته على البنت سواء كان البياض أو الحبوب ، إلا أن الذي يهمنا في هذه الجزئية هي المشاكل و العوامل التي تظهر خلال فترة الخطوبة و مدى تأثيرها على العلاقة الزوجية أو بعبارة أخرى انعكاساتها على العلاقة بين المخطوبين .

1-2- الصداق : الصداق أو المهر وهو مقدار المال الذي يجب على الرجل دفعه للمرأة التي يريد الزواج بها أو الدخول بها ، و للصداق عدة معاني و أسماء نجملها في : الصداق ، المهر ، الأجر ، العلائق ، الحباء ، الصدقة ، النحلة ، و غيرها من الأسماء و التي تصب في نفس المعنى [4].

و الصداق نوعان (قسمان): المهر المسمى و هو المعلوم الذي يذكر عند العقد و قبل به الطرفان(الزوج و الزوجة). و النوع الثاني مهر المثل و هو الذي لا يسمى عند العقد ، و المماثلة

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 43

[2]- نفسه ، الورقة 61.

[3]- نفسه، الورقة 61.

[4] - قشي فاطمة : الزواج والاسرة ...، مرجع سابق ، ص 29.

نجدها في الجمال ، السن ، البكارة ، الثيوبة ، الخلو من الولد و العقل ، و التدين و المال و غيرها من الأمور يجب مراعاة الزمان و المكان كما يجب مراعاة حالة و حال الزوج و صفاته [1] .

أثناء الخطبة يتفق الطرفان أهل العريس و أهل البنت أو الزوج و صهره ، على الصداق أو الأجر أو المهر ، و الذي ينقسم إلى معجل و مؤجل (أو المؤخر) [2] . بالإضافة إلى بعض الملحقات و دفع النقد يكون على مراحل شريطة أن تكون قبل الحلول ، و الكالي أو المؤخر (المؤجل) نجده يتأجل لمدة غير معلومة تتراوح ما بين سنة و عشر سنوات [3]، وهذا التأخر أكدته بعض النوازل و التي تطرقت إلى قضية الكالي أو المؤجل [4] . و من خلال كلام الباحثة قشي فاطمة الزهراء فإن هذه العادة بقيت مستمرة حتى القرن العشرين في الجزائر [5] .

و الصداق يكون مسجلا في عقد الزواج بالتفصيل معجله و مؤخره و ملحقاته و غيرها [6] . و هذا التسجيل نجده خاصة على مستوى المدينة أو المدن لأن بالمدينة نجد الزواج موثقا ، و هذا عكس الريف أو البادية و التي تكون فيه الفاتحة فقط دون اللجوء إلى التوثيق و التسجيل [7] .

1-2-1- مكونات الصداق (المهر) : من خلال النوازل نلاحظ أن الصداق يختلف من منطقة إلى أخرى و من عائلة إلى أخرى و هذا حسب العادات و حسب مقدرة كل عائلة و أسرة على هذا الصداق . فحسب بعض النوازل نلاحظ أن الصداق أحيانا يتكون من معجل و مؤجل (مؤخر) و أحيانا أخرى تكون الآمة ضمن هذا الصداق و هذا ما دلت عليه إحدى النوازل: "... عن مسألة و هي أن رجلا عقد النكاح على بنت بكر ...ارتفاع المهر من معجل و مؤجل و أمة ... "[8] .

[1] - قشي فاطمة : الزواج والاسرة ...، مرجع سابق ، ص ص 29، 30.
[2]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، الورقتين 39، 62.
[3] - قشي: الزواج والاسرة ...، مرجع سابق ، ص ص 31،30.
[4]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقتين 39،62.
[5] - قشي ، ، الزواج والاسرة ...، مرجع سابق ، ص ص30،31 .
[6]- نفسه، ص ص 31،30، -
[7] - جودت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص316 .
[8] - ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة ،48.

كما أن هناك من يشترط في مهر البنت معجلا و مؤجلا و أمة و هذا إضافة إلى جعل الزوج يجعل الحناء للبنت و هذا بأشياء ثمينة يقدر ثمنها حولي معجل و مؤجل الصداق .و هذا ما توضحه النازلة المعروضة على يحيى المحجوب : " ... سيدي رضي الله عنكم و أرضاكم ... عن مسألة و هي أن رجلا عقد النكاح على بنت بكر ذات أب لوده و رفع في صداقها قدرا زائدا مبلغ على مثيلاتها و اشترط عليه والدها شروطا من ارتفاع المهر من معجل و مؤجل و آمة و جعل لها الحناء بحوايج (أشياء)مثمنة بما يقرب من معجل الصداق و مؤجله ..."[1] . من خلال النازلة نلاحظ أن المؤجل و المؤجل من الصداق غالبا ما يكون ضمن الصداق إلا أن وجود الأمة كجزء من الصداق و كشرط إنما كان يختص به بعض العائلات و نجده محصورا في فئات قليلة جدا من المجتمع القسنطيني خاصة إذا علمنا أن سعر الأمة يتراوح ما بين 50-100 ريال و هذا المبلغ يساوي صداق آخر ، كما أن متوسط الصداق نجده يتراوح حوالي 60 ريالا [2]. و هذا الفرق بين الصداق و مكوناته من بنت إلى أخرى يعود إلى عدة أسباب منها الحالة الاجتماعية و الثروة أو إلى سبب الوجاهة و غيرها من الأسباب[3] ، و هذا ما تؤكده النوازل هذه الأخيرة تطرقت إلى قضية الاختلاف بين الصداق من بنت الى اخرى ، حيث تطرقت الى قضية رفع صداق بنت و الذي ربطته بمكانة العائلة ضمن المجتمع القسنطيني هذا من جهة ومن جهة ثانية جمال البنت، حيث يقول صاحب النازلة :"...رجل عقد النكاح على بنت من ذوات الاقدار بصداق مسمى زائد على صداق امثالها من قرابتها على مثله فقيل لابيها لما رفعت في صداقها فقال انها ليست كقرابتها ليسارها وجمالها ..."[4]

الفوارق والتباين بين الصداق من بنت إلى أخرى لم يقتصر على بايلك قسنطينة ، بل نجده من مميزات مجتمعات أخرى فمثلا على مستوى مجتمع مدينة الجزائر تذكر لنا الباحثة غطاس عائشة حالتين اثنتين الأولى كان مقدار صداقها 1000 دينار إضافة إلى مكونات أخرى لها درجة من الأهمية سواء من حيث الكمية أو النوعية ، بينما الحالة الثانية فكان مقدار صداقها لا يتعدى 300 دينار و

[1] - ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة ،62.
[2] - قشي : الزواج والاسرة... ، مرجع سابق ، ص45.
[3] - نفسه، ص 46.
[4]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 46.

قفطان فقط فإذا رجعنا إلى الحالة الأولى فهي من عائلة عريقة و الزوج أيضا من عائلة عريقة [1].أما الحالة الثانية فكلا الزوجين من عائلة متوسطة و متواضعة[2] ،كما كان للفئة و المكانة في المجتمع دورا في تحديد مقدار الصداق ، حيث تعطينا احدى الباحثات معلومة مفادها أن أعلى صداق كان من نصيب بنت عالم من علماء و هي رقية بنت الشيخ الإمام و العلم أبي عبد الله المقري ، وكذلك بنات من عائلة الشريف الزهار ، وغيرها من الحالات ، وهذه الحالات السابقة الذكر قدر صداقهن بأكثر من 1000 دينار [3].و رغم أن هذه الحالات خاصة بمدينة الجزائر و خلال القرن 18 م إلا أننا استعنا بها لشرح أسباب ارتفاع صداق بعض البنات .

كما أن الباحثة قد أجرت مقارنة بسيطة بين الصداق في كل من مدينة الجزائر و مدينة قسنطينة من حيث الفرق بين أدنى و أقصى صداق لتخرج بنتيجة و هي أن التفاوت بين أعلى و أدنى صداق بقسنطينة مرتفع بكثير على ما هو عليه بمدينة الجزائر ، فالفرق في قسنطينة أحيانا يكون ما بين 2 ريال و 400 ريال ، وهذا كبير جدا .أما مدينة الجزائر فأكبر فرق كان ما بين 200 ريال و 1000 ريال ،وحتى و إن جاءت الفترة التي جرت فيها المقارنة تعود إلى نهاية القرن 18(12هـ) و بداية 19(13هـ)[4] ، إلا أننا لا نظن أن هذا سيكون له تأثير كبير و اختلاف في حال ما أسقطنا هذه المقارنة أو النتيجة على القرنين 16 م(10هـ) و 17 م(11هـ).

هذه المقارنة حتى و إن كانت لا تعكس الكل إلا أنها تعطينا و لو نسبيا مدى الاختلاف في الصداق على مستوى قسنطينة و من وراءها البايلك ، و مدى اتساع الهوة بين العائلات الغنية من جهة و الفقيرة من جهة ثانية و التي انعكست على صداق بناتهن .

*الأمة و الخدم في الصداق: هناك بعض العائلات و خاصة الميسورة والمعروفة منها ، و التي لها مكانة اجتماعية كانت تشترط إماء لبناتهن في الصداق ، وهذا بهدف خدمة بناتهم ، فالآمة تقوم

[1] – غطاس عائشة :الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية ، المؤسسة الوطنية ، الرويبة ، الجزائر ، 2007، ص454.

[2]– نفسه ، ص454.

[3] – نفسه، ص 456.

[4] – نفسه ، ص447.

بمختلف الاعمال داخل المنزل من طبخ وغيره ، وخارجه من جلب للماء وغيره من الحاجيات[1]،حيث تناولت احدى النوازل قضية اشتراط أمة في الصداق حيث يقول السائل:"... ... و هي أن رجلا عقد النكاح على بنت بكر ذات أب لوده و رفع في صداقها قدرا زائدا مبلغ على مثيلاتها و اشترط عليه والدها شروطا من ارتفاع المهر من معجل و مؤجل و امة و جعل لها الحناء بحوايج (أشياء)مثمنة بما يقرب من معجل الصداق و مؤجله ..."[2] .

كما امدتنا بعض النوازل بوجود أمة في بعض المنازل القسنطينية لكننا لانجزم بانها كانت ضمن الصداق لان النوازل سكتت عن هذا الموضوع ، ومن هذه النوازل يقول صاحبها :"... أشهدت رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان بإخراج آمة تعتق بعد وفاتها و لحقوها بالله تعالى ... " [3]. وأخرى تطرقت إلى أمة ملك لإحدى النسوة طلب منها قبل وفاتها أن تعتقها إلا أنها رفضت ذلك .و هذا قول السائل : " ... و كذلك طلبت في عتق آمة لها فابت و قالت لا أحسد وارثي ... " [4].

.واخرى يذكر السائل فيها : " ... أن بعل أختها كان أعطاها آمة قبل انصرافه للشرق ثم لما رجع ردتها لأختها و كانت على وجه الحفظ و الأمانة و بقيت عندها مدة أعوام و باعتها و اشترت بثمنها هذه الأمة التي خوطبت بعتقها و امتنعت ..." [5].

ورغم وجود الايماء في المجتمع القسنطيني الا أنّ الأستاذة غطاس تذكر أن النسوة بقسنطينة نجد من منهن من كن يفضلن الخدم من الذكور على حساب الإناث و هذه الحالة تختص بها قسنطينة مقارنة بمدينة الجزائر و التي لا نجد لها مكانا و حيزا عن نسائها [6]. و شرط الآمة في مهر أو صداق

---

[1]- الزاهر ابتسام : **الادب النوازلي مصدرا لتاريخ الاماء "نماذج من المغرب الاوسط خلال العصر الوسيط** " ، عصور الجديدة ، العدد 13 أفريل 2014/1435 ، مختبر البحث التاريخي ، جامعة وهران ، ص ص 08-23.

[2]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 62.

[3]- ابن الفكون محمد :مصدر سابق ، الورقة 365.

[4]- نفسه ، الورقتين : 483،484.

[5]- نفسه ، ورقة ص484.

[6] غطاس ، المرجع السابق ، ص 450.

البنت لم يقتصر على مدينة قسنطينة و البايلك بل نجده في مناطق مختلفة من الجزائر ككل ، فعلى سبيل المثال بمدينة الجزائر بعض العائلات نجدها تدخل شرط الأمة في صداق بناتهن مثل هائلة محمد الشريف الزهار والمقري وغيرها من العائلات المعروفة بنسبها وحسبها وحتى العائلات الغنية من رياس البحر[1] . ففي هذا المجال يذكر ابن حمادوش قضية و موضوع زواجه من ابنة عمه و التي من جملة ما حمله عقد قرانهما هو اشتراط الأمة و هذا بقوله : " الحمد لله تزوج... عبد الرزاق ابن الحاج محمد ابن ابن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه ....على صداق ... ما بين نقد محضر و حال منضر وكالي مؤخر بستمائة دينار ... و أمة واحدة من رقيق السودان الصالح للخدمة ... "[2].

20-2-2- أسباب ارتفاع الصداق :ساهمت عدة عوامل في ارتفاع الصداق ببايلك قسنطينة ،هذه العوامل تنوعت ما بين اجتماعية ، اقتصادية وغيرها من العوامل نذكر اهمها :

1. أسباب تتعلق بمكانة المرأة الاجتماعية ماديا و معنويا فالمرأة الغنية التي تكون من عائلة غنية ذات جاه و مال يكون صداقها مرتفعا عن غيرها من البنات [3].

2 . أسباب تتعلق بالعروس حتى و إن كان هذا لسبب يتعلق بسابقة ، إلا أن جمال المرأة أو البنت يعد أحد الأسباب التي تجعل الأب يعمل على رفع صداقها [4] و هذا ما يؤكده قول السائل على لسان أبو أحد البنات " ...فقيل لأبيها لماذا رفعت في صداقها فقال أنها ليست كقرباتها ليسارها و جمالها ..."[5].

3- كما نلاحظ أن أحيانا يكون الزوج هو السبب أو المتسبب في رفع الصداق و دافعه في ذلك هو تشويرها و تجهيزها من طرف أبيها بشوار يكون يتماشى مع قيمة المهر المدفوع لها (البنت) و هدا ما حادت به عليها احدى النوازل و هذا بقول السائل : "...رجل تزوج بنت بكر من أبيها و رفع

---

[1]- غطاس عائشة : الصداق في مجتمع مدينة الجزائر ، انسانيات ، العدد 04 جانفي – افريل 1998، ص ص28، 29.

[2] – ابن حمادوش عبد الرزاق : رحلة ابن حماد وش المسماة" لسان المقال في النبأ عن النسب والحال"، تق، تح، تع، أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة ، الجزائر، 2011، ص ص241-242.

[3] – ابن الفكون محمد :مصدر سابق ، ورقة 46.

[4] – ابن الفكون محمد :مصدر سابق ، ورقة 46

[5] – نفسه ، ورقة، 46،

صداقها لأجل ما يشورها به والدها المذكور ثم أنه بنى بها و جهزها والدها بشوار متوسط لا بالأعلا (الاعلى) و بالأدنا (الادنى)..." [1].وهذا رغم أن الشريعة الإسلامية سكتت عن تحديد قيمة و مكونات الصداق ، إلا أن سكان بلاد المغرب نجدهم أنهم كان منهم من يبالغ في رفع قيمة الصداق[2]

*الابراء[3] من الكالي : يتمثل الكالي في القيمة المالية من الصداق و التي هي حق للزوجة على الزوج يؤدى في المدة المحددة ، أو بعد الطلاق أو الوفاة ، هذا الدين الذي هو على ذمة الرجل يسدده و لو بعد الوفاة ، ليصبح حق من حقوق الورثة و في حال وفاة الرجل يسدد من تركته [4].و لم تسكت النوازل عن موضوع الكالي بل أعطت لنا معلومات مختلفة الحالات كان الكالي موضوعها الرئيسي فمن الحالات التي تطرق لموضوع الكالي من الصداق و الذي بقي بعد وفاة الزوج ليطلب والد البنت (الزوجة) من ورثة الزوج صداق (كالي) ابنته حيث تذكر النازلة التي عرضت على أحمد العبادي بقول السائل : " ... ثم أن الولد الموصى له عن زوجه و والده المذكور فقام أبو الزوجة المذكورة يطلب صداق ابنته من الوصية المذكورة ... " [5].

و هناك حالات نجد فيها أن الزوجة قبل وفاتها تعمل على إبراء زوجها من الصداق (الكالي) و هذا من خلال إسقاط حقها اتجاه الزوج و هذا ما توضحه النازلة و الذي جاء على لسان السائل بقوله : "... جوابكم في مسألة و هي أن امرأة أصابها مرض و أرادت أن تشهد عدلين بمالها و عليها فأدخلا عليها عدلين من المنتصبين للعدالة و جميع ورثتها حاضرين فأشهدت العدلين أنها تصدقت على بعلها بجملة مالها عليه من الصداق ... " [6].

---

[1] – ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 54.

[2] – جودت ، مرجع سابق ، ص317.

[3]–**الإبراء** : هو اعتراف الزوجة لزوجها بأن ليس لها حق الزوج أو إبرائه من باقي الصداق ، أو بعبارة أخرى هو تنازل الزوجة عن صداقها أو باقي صداقها . هذا الإبراء له دوافع لكن من الصعب التكهن بهذه الدوافع و التي جعلت من الزوجة تبرأ زوجها و تتنازل له أمام القاضي .أنظر / – قشي ، مرجع مسابق ، ص ص 64،65.

[4] – نفسه، ص 64،65

[5] – ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة ،451،450.

[6] – نفسه ، ورقة ، 450.

من كل ما سبق نلاحظ أن الكالي أو الجزء المتبقي من الصداق حتى و إن كان حق من حقوق الزوجة على زوجها ، لكن هذا الحق و نتيجة لطول مدته يجعله يسقط بالتقادم و هذا عن طريق عدة وسائل كان أهمها تخلي المرأة عن حقها و اسقاطه أو بمعنى آخر تبرئته منه .فالمرأة في بعض الحالات تصبح ليست صاحبة الحق أو الملك و إنما يتحول هذا الحق إلى الأبناء أو الورثة و هذا ما يجعل من الزوجة (المرأة) الخاسر الأكبر في الكثير من الحالات.

1-3- الشوار (**أو الجهاز**) :

أو ما يعرف بالتشوير و يعرف في مناطق أخرى باسم الجهاز أو التجهيز ، و المراد به تشوير البنت هو تجهيزها بمختلف اللوازم للعرس .و الشوار أو التشوير نجده يختلف من أسرة إلى أخرى و من منطقة إلى أخرى من حيث المكونات و هذا الاختلاف حسب درجة غنى العائلة أو فقرها .و التشوير نجده من مسؤولية الآباء ، فالأب هو الذي يشور و يجهز ابنته بما تحتاجه من مختلف التجهيزات [1]. و أحيانا تساهم الأمهات في تجهيز بناتهم و كإعانة للزوج على هذه الأنفاق و هذا ما توضحه النازلة [2].

1-3-1- مكونات الشوار : الملاحظ عن الشوار و مكوناته أنها تختلف من عروس إلى أخرى و هذا الاختلاف يعود إلى المال و الجاه و أمور أخرى لا يكون للزوجة (البنت) دخل فيه .فمن مجمل ما يتكون التشوير نجده يشمل على الحلي بمختلف أنواعها من ذهب و فضة و جواهر و أحجار كريمة و غيرها ، الفراش بمختلف أنواعه و الأستار و النحاس و غيرها من اللوازم الأخرى ، و الملابس بمختلف أثمانها و التي من مجملها اللحاف ، العباءات ، الرداء و غيرها من مستلزمات الزواج [3].

من خلال هذه المكونات نلاحظ الشوار يعد من أهم العمليات التي تسبق الزواج أو البناء بالبنت ، لكن مثلما قلنا سابقا المكونات تختلف من عروس إلى أخرى و هذا حسب المكانة الاجتماعية و

[1] - ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة ، 47،48.
- شقطمي هناء ، مرجع سابق ، ص 74.
[2] - ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة ، 48.
[3] - نفسه ،الورقات : ، 47،48،53،54.

المادية للبنت و العائلة . ومن أجل توضيح هذا الاختلاف نستعرض حالتين لبنتين مختلفتين تنتمي احداهما الى عائلة ذات جاه و مال و أخرى الى عائلة ميسورة الحال ، لنلاحظ الفرق الموجود بين مكونات العروسين .

الحالة الأولى من عائلة ذات جاه و مال و هذا على مستوى المدن أو الحواضر و التي تعرضت اليها إحدى النوازل المعروضة على يحيى المحجوب و التي جاء فيها : " ...إن ذوي الأقدار في الحواضر يعطون بناتهم لأمثالهم و يجهزوهن بالحلي المصوغ من الذهب و الفضة و الجواهر و الأحجار الرفيعة و الملابس الفاخرة و الفراش و الأستار و النحاس و غير ذلك بأضعاف أضعاف ما يبذله الزوج من المسمى و الهدية و الأخدام و الإنفاق على الوليمة ... " [1]. أما الحالة الثانية فهي تخص عروس من عائلة ميسورة الحال ، و هذه الحالة جاءت بها إحدى النوازل المعروضة على يحيى المحجوب (أبو زكرياء) ، و التي أهم ما جاء فيها : " ... رجل أسكن زوجه بدار أمين على يد الشرع القرين و تأكل بالقرض ، و طلب من والد البنت المذكورة أن يأتيه بكل ما كان شورها به فاستظهر له بصداقها اشترط فيه عليها أن البنت فقيرة لا مال لها وباسترعائه في جميع ما خرجت به ابنته المذكورة أنه عندها على وجه التجمل خاصة فقال له الزوج بين لي في أي شيء أخرجت الذي دفعته لك فآتاه بلحافين و عباءتين و رداءين ... "[2].

من خلال عرض هذين النموذجين حول مكونات الشوار عند عروسين مختلفين نلاحظ مدى الاختلاف الهائل بين مكونات العروس الغنية و العروس الفقيرة ، و كما قلنا يعود إلى المكانة و الوضع المادي و غيرها من الأسباب و العوامل المتحكمة في مكونات الشوار .

ورغم ان نوازل ابن الفكون سكتت عن ما اذا كان الشوار الذي ذكرته يتعلق بالمدينة ام الريف الا ان العديد من المصادر اشارت الى شوار البنت على مستوى الريف القسنطيني ، فبعض البنات على مستوى الريف أو البادية نجدهن لا تأخذن من الأب أو الأهل إلا القليل من الأمتعة و أحيانا

[1] – ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة ، 48.

[2]– ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة : 53،54.

لا يحملن شوارا أو جهازا بالمرة [1] ، و إذا وجد الشوار فإنه يتكون في بعض الأحيان من قميص أبيض و لباسا عاديا بكمين طويلين (قندورة) ،إضافة إلى حايك يتراوح ما بين 06 (ستة) و 07 (السبعة) أذرع ، تتخلله خيوط بيضاء أو حمراء يلقى فوق اليدين أو الكتفين و يلف حول الجسد و يمسك بقطعة فضية [2].

1-3-2- ارتفاع الشوار (الأسباب و الآثار) :يعد الشوار أو التشوير في بايلك قسنطينة من أهم العمليات التي تسبق الزواج ، لما يمثله من أهمية معنوية و مادية للزوج و العائلة على حد سواء .هذا الشوار الذي نلاحظ أنه أصبح هما يؤرق كل رجل أو أب له بنت هي على مشارف الزواج .هذا الشوار الذي امتاز على مستوى البايلك بارتفاعه و لكن الملاحظ من خلال النوازل أن ارتفاع قيمة الشوار و كثرته لم تكن ميزة تختص بها منطقة قسنطينة فقط بل نجد هذه الظاهرة منتشرة أيضا في تلمسان [3] و هذا ما يضعنا أمام وضعية حتمت علينا البحث عن أسبابها و التطرق إلى آثارها.

1-3-2-1-الاسباب: هناك عدة أسباب متظافرة فيما بينها كانت وراء كثرة الشوار و ارتفاع قيمته ، هذه الأسباب منها ما هو اجتماعي و منها ما هو اقتصادي ، نلخصها في النقاط التالية :

* **المكانة الاجتماعية** :تعد المكانة الاجتماعية سواء للزوج أو للزوجة دورا فعالا في تحديد قيمة الشوار (الجهاز) هذه المكانة سواء المادية منها و المتعلقة بدرجة غنى أو فقر العائلة ، أو المعنوية و التي تتعلق بالمنصب و الجاه الذي عليه الأسرة و العائلة .و هذا الشرط أو السبب جاء ذكره في بعض النوازل و التي سنحاول أن نستعرض إحداها و التي عرضت على (يحي المحجوب) "... أن ذوي الأقدار في الحواضر يعطون بناتهم لأمثالهم و يجهزونهن بالحلي المصوغ من الذهب و الفضة و الجواهر و الأحجار الرفيعة و الملابس الفاخرة و الفراش و الاستار و النحاس و غير ذلك بأضعاف أضعاف

[1] – بفايفر ، مرجع سابق ، ص ، 132.
[2] – شلوصر ، مرجع سابق ، ص 92.
[3] – ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 64.

ما يبذله الزوج من المسمى و الهدية و الأخدام و الأنفاق ... "[1] و الملاحظ من خلال النازلة أن رفع التشوير و كثرته يكون بصفة خاصة على مستوى الحواضر عكس الريف .

***العادات و التقاليد** :كذلك من بين الأسباب هي أن العائلة تتأثر بما يقوله الناس و هذا يبين لنا الحالة التي كان عليها المجتمع القسنطيني من انتشار و تفشي ظاهرة التباهي و التفاخر بين العائلات فيما يخص الشوار أو جهاز العروس بين الكثرة و القلة . هذا التفاخر جاءت به النازلة " ... و الحالة كما في كريم علمكم أن في زمننا هذا في بلدنا هذا صار الناس يتفاخرون بارتفاع النقد و كثرة الشروط و يقابلون بإضعاف ذلك في الشور ... " [2].و يرتبط الشوار من حيث الكثرة أو القلة بإطلاق و إلحاق المعرة بالبنت و الأب و كذلك مكانة الزوجة تهتز لدى الزوج و أهله . خاصة إذا علما أن الشوار أو الجهاز يقيد ويبرر أمام الناس و هذا على عادة أهل قسنطينة و الكثير من المناطق الجزائرية ، وهذه العادة نجدها قد استمرت في القرن العشرين .

و أصبح التشوير و ما يحمله يرتبط بالستر و الشرف و هذا ما نستشفه من النازلة على لسان أبو العروس و الذي يقول : " ... نبيع لنشر روحي من ابنتي أولا يلزمها ذلك ... " [3].و خاصة إذا عرفنا أن الجهاز أو الشوار يقيد و يبين للناس و هذا على عادة أهل المنطقة [4] . و هذا الإظهار أمام الناس ستزيد من الضغط النفسي على البنت و عائلتها خاصة إذا كان هذا الشوار قليل . و هذا ما تبرزه النازلة و التي أكدت : " ... فلما كان ليلة تقيد الشوار على عادة أهل البلاد و حضر الناس للتقيد و أبرز الشوار و قيد على العادة ... " [5].

1-3-2-2- الآثار :تعددت آثار ارتفاع الشوار و كثرته من آثار معنوية و مادية شملت الأب بالدرجة الأولى و الأسرة عامة و من مجمل هذه الآثار نجد :

---

[1]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة ، 48.

[2]- نفسه ، ورقة62.

[3]- نفسه، ورقتين 47،48. -

[4] – تنتشر عادة تقييد الشوار (الجهاز) أو ما يعرف بإظهار جهاز العروس في الكثير من المناطق الجزائرية ، وبقيت الى يومنا هذا عادة من العادات التي لابد منها .

[5] – نفسه، ، ورقة، 46

** . تعدد ما يحمله الشوار من ذهب و لبس و فراش و غيره من اللوازم الضرورية و الكمالية كل هذا لا بد له من مصدر أموال ، هذا المصدر سيكون للزوج و هذا من خلال المطالبة بصداق و مهر أكبر ، هذا الارتفاع في المهر و الصداق سيكون له أثر كبير على المجتمع ككل من خلال التخوف من الزواج ، هذا العزوف عن الزواج سيؤدى إلى ارتفاع العنوسة حتى و إن سكتت النوازل عن هذه الآثار الاجتماعية و لم تتكلم عنها مباشرة .

** ارتفاع قيمة الشوار سيكون له آثار مادية على عائلة العروس و بالأخص الأب ، هذا الأخير يكون أمام نارين معرة الناس أو التصرف .ليكون تصرف الأب في الأخير على حساب العائلة بحيث نجد أن الكثير من الآباء يلجأ إلى بيع بعض أو جزء من أملاكه لتشوير و تجهيز ابنته [1].هذا البيع للكثير من الأصول إحدى أهم أسباب فقر بعض العائلات القسنطينية . و هذا ما تؤكده العديد من النوازل حيث تذكر احداها :" ... أن الثروة كلها لوالد البنت إذ هو القيم عليها حتى أنه باع بعض رباعه في شوارها حين عزم الزوج على البناء ..." [2].و أخرى: " ... و الكثير من الشوار ، ... يهتم من كان له بنت أو بنات من وجود دهن ... خوفا من فقره ببيع أصوله " [3].

** أصبحت البنت أو الأنثى بإقليم قسنطينة في بعض العائلات خاصة الميسورة منها ، منبوذة أو إن صح التعبير كل من تولد له بنت أو بنات نجده يصبح مهموما و هذا بسبب ارتفاع تجهيزهن و شوارهن ، هذا الهم يلخصه لنا المفتي يحي المحجوب في جوابه عن إحدى النوازل بقوله " يهتم من كان له بنت أو بنات من وجودهن و يصدق عليه قوله تعالى و إذا بشر أحدهم بأنثي ضل وجهه مسودا و هو كظيم " [4].

[1] - ابن الفكون محمد ، ورقتين، 47،64.

[2] - نفسه ، ورقة 47

[3] - نفسه ، ورقة 64.

[4] - نفسه ، ورقة 64

1-3-3- العارية[1] في الشوار (الجهاز) :نتيجة للتباهي و التفاخر بالشوار (الجهاز) ، فإن الكثير من الآباء نجده يقصد من وراء هذا الشوار العارية و ليس التمليك [2]، و العارية عادة من العادات بقسنطينة هذا ما حملته العديد من النوازل المتعلقة بالزواج (النكاح) و من أمثلة ذلك النازلة التي عرضت على محمد أبو الحسن الزلديوى[3] والتي تقول :" ... يشهد من تسمى عقب تاريخه بأن العرف الجاري بمدينة قسنطينة المحروسة في تجهيز الآباء لبناتهم عند بناء أزواجهن بهن فيما يشوروهن به أن صدقة ذلك من الآباء انما تكون ... أشهد فلان القاضي الأن بقسنطينة وفقه الله تعالى و غفر له أنه ثبت عنده الرسم المقيد أعلاه المتضمن بجريان العرف و العادة بالمدينة المذكورة بعارية الجهاز المشور به الزوجات ما لم ينص على الصدقة بعد لشهادة عنده على خط شهوده و هم المشيخة الفقهاء العلماء...فلان و فلان ثبوتا تاما حسبما ثبت عنده أيضا استمرار العرف المذكور بما ذكر حتى الآن و خصوصا ليلة توجيه الجهاز إلى بيت البنا (البناء)، ...استمرار العرف المذكور كما نذكر بتاريخ أواخر شوال و بالقلم الحكمي و المدار الأخضر عام ثلاثة و ستين و تسعمائة " [4]. من خلال النازلة المعروضة أمامنا يتضح لنا أن العارية أو ادعاء العارية في شوار(جهاز) العروس من قبل الأب خاصة أو الأهل عامة ، يعد عرف جرى العمل به بقسنطينة و هو مستمرا على الأقل حتى نهاية القرن العاشر هجري (10هـ).و ادعاء العارية يكون إذا لم ينص على أن الشوار صدقة على البنت ، فمن هذا المنطلق نجد أن الأب إذا شور ابنته فلا بد عليه و هذا الادعاء يكون ليلة حمل الشوار أو

---

[1]- العارية و العارة: ما تداولوه بينهم ،وقد أعاره الشيء ،وأعاره منه و عاوره إياه .والمعاورة تشبه المداولة والتداول في الشيئي يكون بين اثنين.وفي حديث صفوان بن امية :عارية مضمونة ،مؤداة العارية يجب ردها اجماعا مهما كانت عينها باقية ، فان تلفت وجب ضمان قيمتها عند الشافعي ، ولا ضمان فيها عند الحنفية . أنظر :- ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق عامر احمد حيدر –عبد المنعم خليل ابراهيم ، مجلد 03، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ص575.

[2] - شقطمي هناء ، مرجع سابق ، ص 74.

[3]- الزلديوي :محمد بن محمد بن عيسي العقوي الزلديوي التونسي من اصحاب ابن عرفة ، شيخ وعالم تونس وقاضي الانكحة بها .متبحر في العلوم العقلية والنقلية كالحديث والبيان والمنطق وغيرها ، له عدة تصانيف منها تفسير القرآن وشرح على المختصر ، وله فتاوى مذكورة في المازونية والمعيار ،عمر اكثر من قرن ، مات بتونس سنة لثنتين وثمانين وثمانمائة للهجرة .انظر : التمبكتي : المصدر السابق ، مج 2،ص 223.

[4] ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقتين 73،74.

الجهاز إلى بيت الزوج [1].و الكثير من النوازل تعرضت إلى ادعاء العارية في الشوار ، وهذا يضعنا أمام نوع من التحايل على النفس كأن الآباء و الأمهات ليس همهم إلا التفاخر أمام الناس و ما هذا الشوار و مكوناته إلا نضريا هدفه إسكات أفواه الناس. هذا العمل يبين لنا حقيقة ما كان يعيشه المجتمع على مستوى بايلك قسنطينة من انتشار و تفشي قيم أخلاقية أخرى ، نقول هذا الكلام بغض النظر عن العارية و مدى أحقيتها لكن بالنظر إلى العديد من المشاكل بين الزوج و أهل الزوجة و التي كانت العارية أو ادعائها سببا مباشرا لحدوث تلك المشاكل ، يمكن القول أن هذه الظاهرة تتم عن خلل اجتماعي ، أحد أهم أسبابه الابتعاد عن الدين الإسلامي كمنهج لكل شيء ، و هذا أمام طغيان الجانب المادي و انشهار مظاهر التفاخر و التباهي بين الأسر القسنطينية .

و من جملة النوازل التي تعرضت لموضوع العارية في الشوار نجد منها : " ... و لم يزل الجهاز بيد الزوجة إلى أن توفيت ، قام الأب يطلب حوز ما شور به ابنته مدعيا فيه العارية ... " [2].و كذلك نازلة أخرى و التي أهم ما جاء فيها : " ... و أبرز الشوار و قيد على العادة ثم لما رفع وقفت والدة البنت على رؤوس الناس قائلة ما أعطيت لابنتي من القش هو لها بعد منام عيني فاشمأزت نفس أهل الزوج من مقالتها و ليمت الأم عن مقالتها ... و بقيت البنت تتصرف بذلك باللباس و الإعارة منها للنساء ، من يريد التجمل مدة تزيد عن العام و النصف ثم توفيت البنت و خلفت مع الزوج ابنة فقامت أم البنت بما تكلمت من مقالتها ليلة إيراد الشوار و ادعا(ادعى) كل من الأب و الجدة العارية فيما أعطوها و أتو لدار الزوج لرفع القش و هم قرابة من الزوج ... " [3]

من خلال عرض هذين المثالين نلاحظ مدى الغش و الخديعة التي تقع فيها الأسر على مستوى بايلك قسنطينة مستغلين هذا العرف و المتمثل في العارية ، لا نستبعد أن تكون قد استعملت الخديعة خاصة بعد وفاة البنت و هذا بهدف استرجاع شوار ابنتهم ، وهذا نجده اجحافا في حق الزوج الذي دفع المهر و أكثر من هذا أكل حق الزوج في الميراث .و هنا نرى أن الجهاز ظاهريا هو تمليك بينما

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة : 73،74 -

[2]- نفسه ، ورقة 63.

[3]- نفسه ، ورقة 46 .

باطنيا فهو العارية و هذا نوع من الغش و الخديعة و هذا لا يتماشى مع الشريعة الإسلامية [1].و يشير المفتي في إجابته إلى أن هذا الموضوع (العارية) من المواضيع التي تكلم عنها القليل و ممن تكلموا عنها علماء تلمسان (القضاة) [2].

كما تعرض علينا نوازل أخرى يدعي فيها الآباء العارية في الجهاز لأسباب أخرى ، مثلما حصل مع أحد الآباء الذي بعد أن شور ابنته و بعد زواجها أصبحت هذه البنت عاقة لوالدها ، ما جعله يستظهر بإيداع بعض في جهازها و أراد استرجاعه لتدخل البنت في نزاع مع أبيها ، و هنا في هذه الحالة و رغم عقوق البنت و حرمته إلا أن ادعاء الأب العارية في الشوار تبين و يؤكد لنا أن العارية كثيرا ما كانت تستعمل من قبل الآباء لاسترجاع بعض من شوار بناتهن و هذا أمام أسباب و دوافع مختلفة أحيانا تكون واهية و شخصية تتعلق بأهوائهم ، أو كنوع من عقاب للأبناء (البنت) بسبب العقوق [3].

1-4- ليلة البناء (**الدخلة**) : بعد انقضاء فترة الخطوبة و تحديد الزوج ليوم الزفاف أو كما يعرف بالبناء ، يحمل أهل العروس الشوار أو الجهاز إلى بيت الزوج و في هذه النقطة لم تشر لنا النوازل الجهة التي تحمل الشوار إلى بيت الزوج، هل هم أهل البنت أم العريس كما سكتت عن الليلة التي يكون فيها تقييد الشوار و التي على الأرجح تكون ليلة البناء، أو ليلة الدخلة [4] .و تعد عملية تقييد الشوار من العادات و التقاليد التي كانت ضاربة في منطقة قسنطينة ، هذا التقييد يكون في بيت الزوج و بحضور الناس من عائلتي العروسين و غيرهم من الحاضرين في العرس ، بحيث يتم إبراز كل من احتواه شوار العروس من مختلف اللوازم من حلي و لباس و فراش و غيره من المكونات

---

[1] - ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 63.

[2] - نفسه ، ورقة 63.

[3] - نفسه ، ورقة 38.

[4]- وهي الليلة التي يبني فيها الرجل بزوجه ، لها عدة مسميات منها : ليلة البناء ، ليلة الزفاف ، ليلة الدخلة ، وغيرها من الاسماء الاخرى .

الأخرى [1]. هذا التقيد و إبراز الشوار الهدف من ورائه هو التفاخر بشوار البنت أمام مختلف العائلات الأخرى .

وتكون ليلة البناء أو ليلة الدخلة بالعروس في بيته ، ان كان له بيت أو بيت العائلة ، و هناك حالات أخرى تكون فيها ليلة الدخلة في بيت أهل الزوجة و هذه الحالات ربما تكون حالات نادرة و لها أسبابها [2]. و من بعض العادات التي كانت موجودة بالمنطقة أن جدة البنت تأتي إلى بيت الزوج نهاية ليلة الدخلة أو ليلة البناء ، أو ما يعرف بصبيحة العروس ، و تكون الجدة محملة ببعض الهدايا و العطايا للبنت . كما أن أهل الزوج بدورهم يعطون الجدة بعض الأشياء و هذا كله حسب العادات و التقاليد الموجودة بالمنطقة [3].

و هذا نستشفه من قول السائل: " ... ثم من بعد البناء من ثلث الليلة أتت جدة البنت بأسباب أخر صبيحة البناء بالبنت و أعطتهم لها و أعطوها أسباب أخرى في الزيارة على العادة ... " [4].

كما أن من عادات ليلة البناء أن الزوج يهدي لزوجته هدية[5] ، أو هدايا حسب عادات المنطقة [6] ، و التي سكتت عنها النوازل و لم تعطنا إشارة حول نوعية هذه الهدايا و التي ربما تكون من ذهب أو غيره ، و هذا ما تؤكده النازلة : " ... و أعطاها الزوج ليلة البناء ما هو عادة لها عليه و بقيت البنت تتصرف في ذلك باللباس ... "[7]

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق، الورقة 46.

[2]- نفسه ، الورقة 64.

[3]- نفسه ، الورقة 64.

[4]- نفسه ، الورقة 64.

[5]- تعد عادة اهداء الزوج لزوجه ليلة الدخلة هدية ،أو هدايا من العادات المنتشرة في القطر الجزائر ، ولم يقتصر الموضوع على اقليم قسنطينة ، كما ان هذه العادة من العادات التي مازالت موجودة في وسط المجتمع الجزائر على الاقل في الكثير من المناطق ، أما فيما يخص نوع الهدية فهي تختلف من منطقة الى اخرى ، فممكن ان تكون هدية من ذهب مثل خاتم ، وممكن أن تكون أموالا .

[6]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 64.

[7]- نفسه ، الورقة 64.

1-2- تعدد الزوجات : تعدد الزوجات من المظاهر و الميزات التي نجدها بالمجتمع بنايلك قسنطينة ، و هذه الخاصية أو الظاهرة ، ليست بجديدة على المجتمع بحكم أنها من حقوق الزوج التي جاءت بها الشريعة الإسلامية و هذا بالكتاب حيث يقول عز وجل : "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ." [1] .سورة النساء: الاية 03.

و من النوازل التي جاءت و حملت لنا معلومات حول تعدد الزوجات نازلة عرضت على محمد الأنصاري (شهر الكماد) و التي أشارت إلى رجل توفي ورثته زوجتاه ، حيث يقول السائل : " ...و توفي في مرضه المتصل بوفاته وورثه زوجتاه و عصبه بيت المال ... "[2] .و يبدوا أن تعدد الزوجات لم يكون بردا و سلاما على الزوج و هذا ما توضحه إحدى النوازل و التي يبدوا أن رفض أهل الزوجة سكنها ببيت زوجها مرده إلى زوجة له سابقة حيث يذكر السائل في هذا الباب : " ... و أراد السكن بها بداره مع أبويه و زوجة له سابقة ... فامتنع من ذلك والدها ..."[3].

و ظاهرة تعدد الزوجات لا نجد لها سبيلا في بعض المناطق من البايلك أو تكاد تكون نادرة ، و من هذه المناطق منطقة القبائل ، بحيث يذكر بفايفر أن الرجال على مستوى هذه المناطق لا يستهويهم تعدد الزوجات بل نجد الرجل يفضل أن يتزوج من امرأة واحدة يكن لها كل الحب و المودة [4]. و هذا عكس الرجل العربي خاصة على مستوى الريف و البادية ، هذه الأخيرة تكون فيها ظاهرة تعدد الزيجات أكثر ، خاصة إذا ما قارناها بالمدن أو الحواضر .

أما على مستوى البادية فتعتبر الزراعة أهم مورد للعائلات الريفية و التي تملك الكثير من الأراضي تفلحها ، بالحبوب و الخضر و الفواكه و غيرها من الخيرات .إضافة إلى الزراعة تمتهن الأسرة على مستوى الريف و البادية الرعي ، فلا تكاد نجد عائلة في الريف القسنطيني لا تملك مواشيا ، لكن

---

[1]- سورة النساء : الآية 03.

[2]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق، الورقتين : 359،360

[3]- نفسه ، الورقة 72.

[4]- بفايفر ، مصدر سابق ، ص 142.

هناك اختلاف بين العائلات من حيث المداخيل و التي تؤثر على المستوى المعيشي لكل أسرة و عائلة .

المبحث الثاني : العلاقات الزوجية :

1- مداخيل الأسرة : تتنوع مصادر مداخيل الأسرة القسنطينة سواء على مستوى المدينة أو الريف ومن اهم مصادر الدخل نجد:.

** بعض الاسر الصغيرة الحديثة التكوين يكون فيها الزوج قليل الكسب ، و من ثم قليل الإنفاق على اسرته ، هنا تتدخل العائلة الكبيرة و يصبح الجد(ابو الزوج) هو المسؤول و القائم عن ابنه المتزوج واسرته ([1]).

** بعض العائلات نجد لها عقارات كالحوانيت ، الأفران و الكوشات و غيرها من العقارات التي تجلب لهم مداخيل .

** الجنات و المزارع و الأراضي التي تملكها بعض العائلات القسنطينية ، خارج المدن و الحواضر في الريف ، هذه الجنات والمزارع تعد مصدرا و موردا هاما لهذه العائلات و هذا عن طريق استغلالها أو كرائها [2].

** كما كان للنسوة نصيب من المداخيل من خلال مختلف الأعمال التي تقوم بها من نسيج و حياكة و من ثم تبعن هذه المنتوجات للمساهمة في مصاريف و نفقات العائلة [3].

** تربية المواشي فهذه الاخيرة تعتبر من اهم موارد الدخل لغالبية المجتمع القسنطيني خاصة على مستوى الريف او البادية ، فالسكان نجد معظمه على مستوى الارياف ممثلين بمختلف القبائل البدوية والتي اتخذت من تربية المواشي والرعي وسيلة اساسية لعيشها وهذا من خلال التصرف في مختلف المنتجات الحيوانية والمتاجرة فيها وفي لحومها واوبارها وجلودها والبانيا .هذا من جهة ومن جهة ثانية تعد المحاصيل الزراعية موردا أخر للمداخيل والتي تختلف من اسرة الى اخرى ومن قبيلة الى اخرى

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 55.

[2]- نفسه ، الورقة 403.

[3]- نفسه ، الورقتين : 38،70.

2- النفقة : تعد النفقة من أهم الأشياء التي تربط الزوج بالزوجة ، و في هذا المجال تطرقت نوازل ابن الفكون إلى الكثير من مظاهر هذه العلاقة في شقها المتعلق بالنفقة [1].و النفقة من خلال إجابات العلماء بقسنطينة تعتبر لازمة و واجب على الزوج اتجاه زوجته و هذا بإقرار الكتاب و السنة و إجماع العلماء .لأن النفقة مقابل الاستمتاع بالمرأة و هذا الكلام نستشفه من جواب أبي زكريا يحيى المحجوب بقوله : " ... ونفقة الزوجة لازمة للزوج بالكتاب و السنة و إجماع الأمة لأنها في مقابلة الاستمتاع ... "[2] . لكن ما شد انتباهنا هو كسوة المرأة و حكم ذلك ، فحسب إجابات العلماء و ما هو موجود بقسنطينة فإن المرأة المتزوجة حديثا ليس لها على الزوج كسوة ، حتى تمكث أكثر من سنة .بعد ذلك تصبح لها الحق في الكسوة ، لأنه في هذه الحالة تصبح الكسوة من النفقة و هذه الأخيرة كما هو معلوم واجبة على الرجل اتجاه زوجته .و هذا ما يؤكده قول إجابة العالم حول إحدى النوازل : " ... لزوجة إذا كانت حديثة عهد بالبنا بالزوج فليس لها على الزوج كسوة ، قال ابن سلمون مثل السنة و إذا زادت عن السنة فالكسوة من مسميات النفقة و نفقة الزوجة لازمة للزوج ... فالشرع أوجب الكسوة على الزوج فإن سكتت عن طلبها منه و تركتها عليه فالحق حقها و إن طلبتها منه فيحكم عليه بذلك ... "[3].

كما نستدل بفتوى للشيخ الوزان (عمر) حول وجوب النفقة على الزوج اتجاه زوجته و منها الكسوة .و هذا الحق للزوجة تأخذه من الزوج في الحياة ، و من تركته بعد الوفاة [4]،كما يعرض عليها العالم المجيب عن النازلة ، أي علماء فاس أمثال المنجور[5] و غيره حول النفقة ، و التي يؤكدون أنها حق للزوجة وجب أن تأخذها من الزوج في جميع الحالات سواء كان راضيا أو غير ذلك [1] .

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 54.

[2]- نفسه، الورقة 54.

[3]- نفسه ، الورقة 54

[4]- نفسه ، الورقة 54.

[5]- المنجور: احمد بن علي بن عبد الله عرف بالمنجور الفاسي من مواليد سنة ستة وعشرين وتسعمائة ،ى اخر فقهاء المغرب برع في الكثير من العلوم على راسها الفقه الحساب التاريخ الادب وغيرها من الفنون والعلوم ، خلف عدة تآليف منها : شرحا لقواعد الزقاق المنظومة في الفقه ، وحاشية لطيفة على شرح الامام السنوسي .نوفي نصف ذي القعدة سنة خمس وتسعين وتسعمائة.

و يطرح لنا ابن المحجوب موضوعا يتعلق بعلماء فاس و إنكارهم على حكام قسنطينة حول النفقة على الزوجة ، هؤلاء الحكام على مستوى قسنطينة نجدهم يقرون بوجوب النفقة على الزوجة في حالات دونها . و هذا يبين لنا مدى الاختلاف الحاصل بين علماء المغرب الإسلامي حول النفقة .

ففي هذا الموضوع يذكر ابن المحجوب حول رأي علماء فاس بقوله : " ... و رأيت فتوى علماء فاس المنجور ..... أنها تأخذ من الزوج في حالة الرضا و الغضب و أنكروا على حكام قسنطينة حكمهم بها حالة دون حالة ... " [2].

كسوة المرأة ببايلك قسنطينة أو بالخصوص مدينة قسنطينة حسبما جاءت به النوازل نجدها تكون مرتين في السنة ،و هذا حسب الفصول فهناك كما جاء ذكرها كسوة الشتاء و التي يبدوا أنها تتعلق بالملابس تكون خشنة من الصوف و غيره و التي تقي برد الشتاء و كسوة تكون في فصل الصيف و هي الملابس الخفيفة التي تتلاءم مع حرارة و رطوبة الصيف[3]. و هذا ما جاءت به النازلة التي عرضت على مفتي الديار المصرية علي الأجهوري[4] : " ... الجواب عن مسألة رجل لزوجه عليه

للمزيد انظر ا/.احمد بابا التمبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق على عمر ،ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ-2004م

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 54.

[2]- نفسه ،الورقة 54.

[3]- نفسه ، الورقة ، 56.

[4]- الأجهوري :هو علي بن زيد العابد بن محمد بن أبي محمد زيد الدين عبد الرحمان بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوري بضم الهمزة وسكون الجيم وضم الهاء نسبة على أجهور الورد قرية بريف مصر، المالكي شيخ المالكية في عصره بالقاهرة وإمام الأئمة كان محدثا وقد جمع الله له بين العلم والعمل وعم نفعه وقد برع في الفنون فقها وعربية واصلين وبلاغة ومنطقا، فدرس وأفتى وصنف وألف، وقد عمر كثيرا ورحل إليه الناس من كل مكان أخذ عن مشايخ كثريين، سرد منهم الشهاب العجمي في مشيخة نحو ثلاثين رجلا وأعلاهم قدرا الشمس محمد الرملي والحافظ نور الدين على بن أبي بكر القرافي الشافعي، وإمام المالكية في عصره محمد بن سلامة، وقد ألف الكثير من التآليف منها: شروحه الثلاثة على مختصر خليل في فقه المالكية و"حاشية على شرح التتالي للرسالة" و"شرح عقيدة الرسالة" و" شرح ألفية السيرة للزين العراقي" و"مجلد في الأحاديث التي اختصرها ابن أبي حمزة من البخاري وشرح "ألفية ابن مالك" وجزء من مسألة الدخان، أصيب في آخر عمره في بصره، كانت ولادته في 967هـ بمصر وتوفي بها ليلة

صداقها الكالي على مقتضى عادة بلدهم ما بين نفد و آمة فبعد البناء بزوجه أعطاها أسبابا و صار يكسوها بعد ذلك كسوة الشتاء و كسوة الصيف بما يليق بها ..." [1]. و الكسوة مرتين في السنة صيفا و شتاء إنما يراد بها الكسوة الواجبة على الزوج ، و هذا لا ينفي أن بعض الرجال يكسو زوجاتهم في مختلف أوقات السنة و هذا ربما يتعلق بعلاقة الزوج بزوجته من جهة و من جهة ثانية مكانة الرجل و المرأة داخل المجتمع ، فلا أظن أن النساء الغنيات و أصحاب المكانة يكتفين بكسوتين في العام و هذا شرط ربما يكون من نصيب العائلات الفقيرة بالبايلك .

كما أن في حالات تكون كسوة الزوجة (المرأة) من شوارها و الهدايا التي تلقتها ، و ليس لها على الرجل حق الكسوة حتى يتلاشى ما هو عندها من الشوار (اللباس) و يصبح باليا و قديما و هذا تفضلا من الزوجة اتجاه زوجها و ليست حق للزوج [2].

3- مظاهر المودة بين الزوجين: تبين لنا النوازل مدى التلاحم و التراحم بين الأزواج في بايلك قسنطينة هذا التلاحم و المودة بين الزوجين تتجلى في العديد من المظاهر و الأمن بينهما:

**طيبة النساء أو الزوجات و مدى حبهن لأزواج في و هذه من المظاهر الى وقف عندها الكتاب الأجانب و خاصة يتعلق بالمرأة على (الزوجة) على مستوى الريف القسطني[3].

**مدى الوفاء الذي كان بين الزوجين فها هي احدى النوازل تعكس و تصور لنا مدى وفاء الزوجات لأزواجهن. و هذا الوفاء يتجسد في تضامن الزوجة و افتدائها لزوجها بأموالها و الأكثر من هذا أنها تتصرف في أموال العائلة لتفدي زوجها المسجون و الذي عليه دين سجن بسببه و هذا ما حملته لنا

الأحد مستهل جمادى الأولى سنة1066هـ ودفن بتربة سلفه وقد عاش 99 سنة ، ومن مؤلفاته:" شرح على جوهرة التوحيد".

وقد خالفه عبد الكريم الفكون في قضية الدخان فهاجمه لتساهله في مسائل الدخان إذ أنهم يتناولون الدخان في المساجد. انظر :

قفاف عبد الرحمان ، مرجع سابق ، ص ص 87،88

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 56.

[2]- نفسه ، الورقة 55.

[3]- بفايفر ، مصدر سابق، ص 140.

نازلة عرضت على محمد الفكون (الجد) من أهم ما جاء فيها : "…. و هي أن رجلا والي ببلد فدخل عليه والي أخر قبل انقضاء مدته فمسكه و سجنه و حاسب حساب عنف … فضيق عليه في السجن وزاد في تعزيره و تهديده فدفع له من العدد المذكور ما دفع من يده و بقيت … فعمدت زوجه الى أرض لحرث و جعلتها في يده في العدد الباقي كي تنقذ بعملها مما هو فيه …. و إنما الأرض المبيعة ليست كلها ملكا للبايعة (البائعة) بل هي بينها و بين أخيها حسب الفرائض … " [1].

**الكثير من الحالات التي تبين لنا مدى التضامن بين الأزواج و هذا من خلال عدة أساليب و وسائل كالصدقة سواء من الرجل على المرأة أو العكس من الزوجة على زوجها .

** الابراء(الاعفاء) من الصداق (الكالي):كما هناك مظهر آخر من مظاهر التلاحم بين الأزواج هو قضية الإبراء من جميع حقوق الزوجة لصالح زوجها كالصداق و حقوق أخرى [2].وهذا قبل وفاتها تعمل على إبراء زوجها من الصداق (الكالي) و هذا من خلال إسقاط حقها اتجاه الزوج و هذا ما توضحه النازلة و الذي جاء على لسان السائل بقوله : "…جوابكم في مسألة و هي أن امرأة أصابها مرض و أرادت أن تشهد عدلين بمالها و عليها فأدخلا عليها عدلين من المنتصبين للعدالة و جميع ورثتها حاضرين فأشهدت العدلين أنها تصدقت على بعلها بجملة مالها عليه من الصداق…" [3].

4- الخلافات الزوجية : الكثير من النوازل أشارت و تطرقت إلى الخلافات التي تقع بين الزوج و الزوجة ، و هذه الخلافات أحيانا يكون الزوج هو المتسبب لها و أحيانا أخرى نجد الزوجة هي من تكون وراءها كما يمكن أن يكون الطرفان هما المسؤولان عن هذه الخلافات و سنحاول التطرق إلى أهم الأسباب التي كانت وراء خلافات الأزواج مع زوجاتهم و تهديدها لفك الرابطة الزوجية و مدى تأثير ذلك على هذه العلاقة .

4-1-الأسباب :

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة ، 76.

[2]- قشي ، الزواج ..، مرجع سابق ، ص ص 65،64.

[3] ابن الفكون محمد ، مصدر سابق نفسه ، ورقة ، 451.

4-1-1- فترة الخطوبة : تعرضت نوازل ابن الفكون إلى حالات من الخلافات بين الزوجين و هذا خلال مدة الخطوبة و قبل البناء (الدخلة) بالزوجة و من مجمل النوازل التي تعرضت إلى هذا الموضوع نعرض حالتين اثنتين احداهما عرضت على يحي المحجوب و التي حملت لنا سبب الخلاف و مطالبة الزوج بالرجوع عن الزواج ، و المتمثل في ظهور عيب بالبنت المخطوبة تمثل في ظهور حبة في البنت و حتى و إن كان الاختلاف بين أن ترد هذه البنت أولا إلا أننا هنا نتكلم عن أسباب الخلافات دون الخوض مسالة الرد[1].

و الحالة الثانية تمثلت في ظهور بياض في عين البنت و موقف الزوج من هذا البياض و الذي رأى فيه عيبا بالبنت [2].

هاتين الحالتين تبين لنا مدى هشاشة العلاقات الزوجية خاصة قبل البناء بالزوجة و خلال فترة الخطوبة .

4-1-2- بعد الزواج (البناء) : زودتنا نوازل ابن الفكون بمعلومات قيمة حول أهم الأسباب التي كانت وراء الخلافات الزوجية والتي من اهمها :

** **الصداق** :هناك بعض الحالات يكون الصداق هو السبب الرئيسي لنشوب خلاف بين الزوجة و زوجها ، فالصداق كما هو معلوم منه يكون مؤخرا (مؤجلا) أو ما يعرف بالكالي ، هذا الأخير حق للزوجة و هو دين للزوجة اتجاه زوجه .فكثيرا ما كان هذا الكالي وراء حدوث خلاف بين الزوجين و من النوازل التي تطرقت إلى هذا الموضوع نازلة عرضت على علي الأجهوري و التي بينت لنا كيف أن الرجل كان ينفق على المرأة لكن المرأة طلبت كاليها و الأمة فكان رد الزوج أن ما أنفقه يعادل قيمة الكالي و قيمة الآمة ، و هذا ما سيؤدي إلى زيادة الخلاف الحاصل بين الزوجين[3].

1- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة ، 61.

2- نفسه ، ورقة ، 43

3- نفسه ، ورقتين : 56، 57.

**في بعض الحالات تكون فيها الزوجة المتسبب الرئيسي في الخلاف مع الزوج و حتى و إن كان لأهل الزوجة يد في هذا الخلاف من خلال تحريض البنت على زوجها كالمطالبة بالنفقة و غيرها ، كما أن الزوجة أحيانا لا تكتفي بسوء العشرة مع الزوج بل نجدها تخرج بدون اذنه و الأكثر من هذا تتمنع عن زوجها و بدون محرم . مثلما حدث مع المرأة التي ذكرتها النازلة ، و التي عرضت على قاسم الفكون[1] والتي من أهم ما تضمنته : " عن مسألة و هي رجل له امرأة بنا بها و مكثت عنده مدة و عرفت حاله ثم أنها الآن كرهته و أساءت عشرته و خيبها أهلها عليه حتى ضيقت به في السكن و النفقة و بعد ذلك خرجت من البلد إلى البادية مع غير محرم و تمنعت عليه ... " [2].

** و حالة أخرى عرضت على علي الأجهوري و حتى و إن سكتت النازلة عن سبب الخلاف إلا أن المرأة رغم محاولات الزوج بإرجاعها لم ترضخ ، و حتى استعانته بأكابر القوم و بالعلماء و غيرهم من الوجهاء لكن هذا لم يشفع له ، و حتى و إن قبلت في النهاية نجدها تشترط عليه شروطا ربما تكون تعجيزية أحيانا كأن تشترط أن لا يتزوج ثانية ، و لكن رغم قبوله و إقراره بالشروط نجد أن المرأة تعاود الكرة و هذا ما سيؤجج الخلاف بين الزوجين ليزداد الخلاف بعد مطالبة الزوج للزوجة بإرجاع ما أعطاها بعد الرجوع من ذهب و غيره و امتناع الزوجة عن ذلك يدخل الطرفين في نزاع تجهل نتائجه [3].

[1]- قاسم الفكون : قاسم ابن يحي الفكون ، تولى القضاء بمدينة قسنطينة زمن الوزان ، كمل كان اماما بجامع البلاط بتونس تتلمذ على يد عدة مشايخ وعلماء منهم الشيخ مغوش والعالم عمر الوزان ، عرف قاسم الفكون بتضلعه في العلوم العقلية ، والتفسير وغيرها ، له عدة مؤلفات منها كراريس على كتاب "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" في النحو لجمال الدين ابن هشام الأنصاري توفي عام 965هـ(م). /انظر عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص ص43،44.

- قفاف عبد الرحمان : مرجعية ....، ص ص 82،83.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 60.

[3]- نفسه، ورقة 58.

**هناك حالات تفر فيها بعض الزوجات من أزواجهن إلى جهات مجهولة أو إلى رجال آخرين دون طلاقهن و هذا سبب كاف لظهور خلاف بين الزوجين و غالبا ما يكون الطلاق حلاّ له [1].

** **السكن**: يعد السكن احد أهمّ أسباب حدوث الخلافات الزوجية حيث تفيد إحدى النوازل في حدوث خلاف بين الزوجين ، بسبب أن الزوج أراد أن يسكن زوجته مع أبويه و زوجة سابقة له ، بعدما كان قد دخل بها (بنى بها) في دار أبيها. هذا الفعل من قبل الزوج قابله رفض من طرف أب الزوجة ليحدث الخلاف بين الزوجين . و حتى و إن كانت النازلة لم تشر إلى رفض الزوجة لفعل زوجها إلا أن تطرف الأب و رفضه سكن ابنته بدار عائلة زوجها ، سيكون له أثر سلبي على العلاقة بين الزوجة و زوجها .هذا الرفض يبدو أن من أسبابه هو وجود زوجة سابقة تسكن مع ابنته ، إضافة إلى أسباب أخرى لم تفصح عنها النازلة [2].

وفي تفس الموضوع حملت لنا النوازل قضية معاملة احدى الزوجات لزوجها معاملة سيئة و هذا رغم حسن معاشرته لها .هذه الزوجة نجدها ادعت المرض و التي يبدو أنها فعلت ذلك بهدف الذهاب إلى بيت أهلها ، و هنا تكتمل الصورة بحيث نلاحظ أن الزوجة و بالتواطؤ مع أهلها أرادت أن تتطلق من زوجها هذا الأخير كان رافضا ، لكن يبدوا أن أهل الزوجة و الزوجة استغلوا التهديد بالطلاق وفرضوا على الزوج السكن بدار غير دار أهله ، و بهذا يتضح أن لأهم سبب في هذا الخلاف هو بحث الزوجة عن سكن خاص بها بعيدا عن أهل الزوج و هذا لأسباب لم تتضح جليا [3]. و نحن هنا لا نجزم بسلوك الزوجة إلا من خلال قول السائل و ربما يكون الزوج و أهله هم السبب من خلال الإضرار بهذه الزوجة لهذا كان لها الحق في المطالبة بالسكن الخاص بها [4].

** **نسب الولد**: أحيانا يكون سبب الخلاف بين الزوجين سببا يتعلق بالنسب أو بالولد فهناك بعض الحالات جاء ذكرها في النوازل تتعلق إما بإنكار الزوجة نسب الولد إلى زوجها ، أو نسبه إليه بغير

---

[1] - ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ،ورقة 44.

[2] - نفسه، ، ورقة 72.

[3] - نفسه ، ورقتين :54،55.

[4] - نفسه ، الورقة 55.

وجه حق ، و من أمثلة تلك النوازل نازلة أجاب عنها الشريف الحسين الشيخ محمد بن قاسم [1] رحمه الله جاء فيها : " ... امرأة متوفى عنها و بقيت بعده مدة خمسة عشر شهرا فتزوجها رجل بعد مضى ما ذكر من المدة و بنا(بنى) بها بعد إقرارها عند العقد ببراءة رحمها من المتوفي كما يجب و مكثت عنده أربعة أشهر ، ظهر منها ارتيابا تقدم على التزويج من الرجل المذكور فادعت أن بها من حمل سابق على البناء نظرها النساء عند ارتيابها فوجدن بها حملا فوقف الرجل عن وطئها ... " [2].

و حالة أخرى عرضت على سالم السنهوري[3] لخصت لنا حالة زوجة ضلت عامين و هي تدعي الحمل حتى طلقها زوجها و الادعاء ربما هو لب الخلاف الذي حصل بين الزوجين [4].

لكن هذه الحالة لم تتوقف هنا بل نجد أن المرأة أعادت الزواج ثانية و هذه المرأة وضعت ولدا ، لكن نتيجة للخلاف مع الزوج أنكرت أو أدعت أن الولد ليس ولده بل للزوج الثاني و هذا الادعاء من قبل الزوجة و تطور الخلاف و الذي كان مآله الطلاق ، و بقي الزوج متمسكا بنسب الولد إليه مدعيا بكذب المطلقة ، يتطور النزاع بدخول طرف آخر و هو الزوج الأول الذي طالب بالولد مدعيا أنه من صلبه[5] .من خلال عرض هذه الحالة نلاحظ أن ادعاء الحمل أو انكاره كثيرا ما أدى إلى حدوث خلافات بين الزوجين ليتطور الخلاف الى خلاف بين عائلتي الزوجين حول نسب الولد .

---

[1]– الشريف الحسين :تم تعريفه سابقا.

[2]، – ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 60.

[3]– السنهوري : هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين ابن عز الدين المصري المالكي الإمام المالكي الكبير المحدث الحجة، ورئيسهم كان يرتحل إليه الطلبة من كل مكان، اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره، كان مولده بسنهور وقدم إلى مصر وعمره إحدى عشرة سنة (11) تتلمذ على الإمام محمد بن أحمد المعراج وعن الإمام الكبير الحجة الشمس محمد البنوفري المالكي له مؤلفات كثيرة منها: "حاشية على مختصر الشيخ خليل في الفقه "وهي غير متوفرة لقلة اشتهارها، و"رسالة في ليلة النصف من شعبان" توفي يوم الثلاثاء ثالث جمادي الثانية سنة خمس عشر بعد الألف 1015هـ ،ودفن يوم الثلاثاء ثالث جمادي الثانية سنة خمس عشر بعد الألف ودفن بمقبرة المجاورين، وقد بلغ من العمر السبعين خريفا . أنظر /.التمبكتي : مصدر سابق .ج 1 ، ص 206. .عبد الرحمان قفاف ، مرجع سابق ، ص 87.:

[4]– ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 57.

[5]– نفسه ، الورقة 57.

و قضية ادعاء الحمل من طرف بعض الزوجات لم يقتصر على منطقة قسنطينة بل نجدها ظاهرة منتشرة في مختلف المغرب العربي و الأندلس كما أن مثل هذه النوازل نجدها قد طرحت سابقا على عدة علماء ، فها هو القاضي عياض عرضت عليه عدة نوازل اختصت بموضوع ادعاء الحمل أو النسب من قبل بعض النسوة مثلما جاءت به النازلة : " ... فلما مضت عليها أربعة أشهر و دخلت في الخامس من يوم الطلاق قام أبو الزوجة و ادعى أن ابنته حاملا فقال له الزوج : أثبت ما تدعيه و هما بالخصام في ذلك فقام من رغب الأجر و الثواب من المسلمين و أصلح بينهما ... فارتفعا في ذلك إلى قاضي البلدة فأمره القاضي أن يثبت الحمل المذكور ، فزعم أبوها أنه أدخل عليها نسوة و قالت إحداهن أن بها حملا صغيرا و لكنه ميت ... " [1].و أخرى ادعت الحمل من طليقها و في كل مرة يظهر أن الحمل غير موجود ، و هذا شهادة النسوة على ذلك ، و مطالبة الزوج ما أخذت منه في غرض الحمل [2].

4-2- حل الخلافات الزوجية : الكثير من حالات الخلاف بين الزوجين يكون مآلها التراضي و الحل ، هذا الحل لن يأتي هكذا و إنما نتيجة لتدخل أطراف مختلفة قد تكون من الأهل و الأقارب سواء أقارب الزوج أو الزوجة ، و قد تكون من خارج أسرة و عائلة الزوجين ، من وجهاء و علماء و أكابر القوم و أشراف و قد يتدخل في بعض الأحيان الحكام و الأمراء و هذا حسب مكانة العائلة في المجتمع القسنطيني و هذا ما جاءت به إحدى النوازل حيث يقول السائل :" ... امرأة خرجت من بيت بعلها غضبى ناشزة و بقيت مدة في هذه الحالة و بعلها يرسل إليها في الرجوع و هي ممتنعة قولا و فعلا و تقدم إليها في ذلك بأكابر البلد و أشرافها و علماءها(علمائها) بل و أمرائها ..."[3] و الملاحظ من خلال قول السائل أن الزوجة في النهاية ترضى بالعودة للبيت الزوجية لكن تربط عودتها بشروط هذه الشروط وضعت كنوع من الضغط على الرجل و استغلال الظرف المتمثل في محاولات

[1]- القاضي عياض :مذاهب الحكام في نوازل الاحكام ، تق، تح ، تع ، محمد بن شريفة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ، ط1، 1997، ص 284.

[2]- نفسه ، ص 286.

[3]- محمد ابن الفكون : مصدر سابق ، الورقة 58.

الزوج ارجاعها و ارضائها هذا من جهة ، و من جهة ثانية ربما تكون الشروط هي أسباب الخلاف في حد ذاتها و هذا إذا ما تمعنا في الشروط هي الأخيرة تمثلت في صناعة الزوج لها سوار من ذهب هذا من الناحية المادية أما من الناحية المعنوية فالشرط كان إشهاد الزوج على نفسه أن لا يتخذ زوجة ثانية ، سواء كانت من بلدها أو من خارجه و هذا الشروط توضحها النازلة في : " ... قالت أنها لا ترجع إلا أن تشرط على نفسه أن يسوغ لها سوار من ذهب ... أيضا أن لا يتزوج عليها ..."[1]

و في الكثير من الحالات نجد الزوج يقبل بهذه الشروط و سببه في ذلك حسن معاشرته من قبل الزوجة حتى و إن كان غير مقتنع ببعض الشروط، و لكن رغم قبول الزوج إلا أن البعض من الزوجات تعاود الخروج من البيت الزوجية و هي غضبانة [2] .

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 58.

[2]- نفسه ، الورقة 58

المبحث الثالث : الطلاق وآثاره

بعض الخلافات الزوجية يعالج من خلال تدخل وسطاء و تعود المياه إلى مجاريها ، و هناك خلافات أخرى تتطور و تؤدي إلى نتائج تكون سلبية على الزوجين على حد سواء و قد تتعدى آثارها على عائلتي الزوجين ، و من ثم على المجتمع ككل . و يعد الطلاق أهم النتائج السلبية للخلافات الزوجية.

1- الطلاق والخلع:

أولا: **الطلاق**: يعد الطلاق من المواضيع التي احتلت حيزا لابأس به في نوازل ابن الفكون ومن امثلة هذه النوازل نازلة عرضت على عبد الكريم الفكون[1] جاء فيها : " ... رجل طلق زوجه بمجلس القاضي و كتب رسم الطلاق و ذكر شهداه(شاهداه) أن الطلاق وقع في السابع و العشرين من شهر محرم و عقد على هذه المرأة في أواسط ربيع الأول ... "[2].

وما يلاحظ على حالات الطلاق بالبايلك والتي تضمنتها النوازل هو انها لم تقتصر على العامة من الناس و لكنها تنوعت لتشمل العائلات الحاكمة أو المحسوبة على الحكم و كذا العائلات ذات

---

[1]- عبد الكريم الفكون : هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم التميمي القسنطيني المولود بسنة 988هـ/1580م والمتوفى سنة 1073هـ/1662م، من ابرز أفراد عائلة ابن الفكون علما وعملا وسمعة تثقفت عائلته ثقافة محلية عصامية تتلمذ على مجموعة الشيوخ، من أمثال محمد التواتي المغربي ومحمد بن راشد الزواوي وأخذ عنهم الفقه، والفرائض والكلام والنحو، تصدى للتدريس بالجامع الكبير بقسنطينة وبزاوية العائلة، فكان يستقبل الطلبة من قسنطينة وغيرها من نواحي أخرى مثل زواوة ومدينة الجزائر وما حولها، كما ساهم في حركة التأليف فنجده ترك مجموعة من التأليف في الأدب والنحو والإجتماع والدين ومن أبرزها منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، ومحدد السنان في نحور إخوان الدخان، وقد تقلد ابن الفكون وظائف إضافة إلى التدريس والتأليف والخطابة بالجامع الكبير وهي قياده ركب الحجيج، وقد جعلت منه شخصية دينية وسياسية مرموقة في الجزائر والعالم الإسلامي، خاصة في المدن التي كان يمر بها الركب مثل تونس ومصر وطرابلس والحجاز والقدس . انظر/ عبد الكريم الفكون : منشور ...، مصدر سابق ، ص ص7- 12. - قفاف : مرجع سابق ، ص82 .

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق، الورقتين : 42،41.

المكانة الاجتماعية المرموقة ، وهذا ما حملته لنا إحدى النوازل والتي تعرضت إلى طلاق بنت أحد القواد من زوجها المدعو الحاج بهاء الدين ، و هذا ما جاء على لسان عمر الوزان في إجابته حول النازلة :".... في قفيه الحاج بهاء الدين مع مطلقته بنت القايد فتوح ... "[1].

هذا الفعل حتى و إن كان من الأمور التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ، إلا أنه يعتبر من المظاهر السلبية التي لها نتائج و آثار سلبية على الأسرة بالدرجة الأولى من أب و أم و أولاد إن وجدوا ، و على المجتمع بالدرجة الثانية . فانتشار الطلاق ببايلك قسنطينة سواء على مستوى الريف أو المدينة (الحاضرة) يبين لنا حجم المشاكل التي كانت تعيشها الأسرة و المجتمع القسنطيني . و هذه الظاهرة لها أسباب و عوامل ساهمت في زيادتها و انتشارها .

ثانيا- الخلع[2] : يعتبر الخلع من الوسائل والحقوق التي بيد المرأة لطلب الانفصال عن الرجل ، و منه فإن هذا الامر ينفي أن يكون فك العصمة والرابطة الزوجية في يد الرجل فقط بل للمرأة نصيب من ذلك [3].و حدوث الخلع غالبا ما يكون لأسباب تتعلق بسوء العشرة بين الزوجين سواء كان المسبب في ذلك الرجل أو المرأة .و أحيانا يكون الرجل هو من يسيء عشرة زوجته فيضطرها إلى استعمال هذا الحق ، و أحيانا أخرى نجد أن الزوجة تسعى إلى الانفصال وهذا من خلال أفعالها اتجاه الزوج ، مثلما يبينه قول السائل : " ... عن مسألة و هي أن رجلا له زوجة أساءت عشرته و أرادت أن تفارقه و هو يريد إمساكها فلحت عليه مرارا و امتنع عن ذلك ..." [4]. و نتيجة لعدم قبول الزوج بالانفصال و مع إصرار زوجته ، تلجأ هذه الأخيرة إلى أسلوب آخر و هو الافتداء ، من خلال التنازل عن بعض الحقوق التي هي على الزوج اتجاهها .و في هذه الحالة نجدها تنازلت عن حقها المتمثل في كاليها أو المؤجل من الصداق .و إضافة إلى هذا التنازل عن حقوقها نجدها تفتدي نفسها

[1]- نفسه ، الورقة 56.

[2]- الخلع: يقال طلق الرجل زوجته ، فان كان ذلك من المرأة يقال عنها خالعته وقد اختلعت ، لأنها تفتدي نفسها منه بشيء تبذله له .وفي الحديث الشريف :" المختلعات هن المنافقات " يعني اللواتي يخالعن ازواجهن من غير مضرة من الازواج . انظر احمد بن فارس : مصدر سابق ، ج2 ، ص209.

[3]- شقطمي هناء ، مرجع سابق، ص 77.

[4]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 39.

منه بإعطاء الرجل قيمة من المال تمثلت هنا في مائة(100) دينار. فما كان على الرجل إلا القبول بهذا العرض لرسم الانفصال بين الزوجين و هذا ما أكدته النازلة :" .. ثم بعد ذلك طلبت منه أن تترك عليه كاليها و تفتدا(تفتدى) منه بمائة دينار مع الكالي فأجابها إلى ذلك بشهادة عدلين من عدول بلدها ..."[1] .

حالة أخرى لخلع أو تطليق الزوجة من زوجها لسبب يتعلق بالمال و النفقة فالزوج نتيجة لحالة الفقر التي هو عليها و عجزه عن الزوجة ، و هذا السبب كافيا لأن تطلق الزوجة من زوجها .و هذا ما يؤكده قول السائل : " ... و يقضى به على موسى المذكور أم لا لأن موسى الموصي لما يتزايد فقير من فقر المسلمين و طلقت عليه الزوجة لعجزه عن اجراء النفقة عليها جملة و لا وجد سبيلا لإحياء نفسه فضلا عن الزوجة ..." [2]. والاكثر من هذا نجد بعض النسوة اضافة إلى تنازلها عن حقوقها كانت تلتزم بالنفقة على الأولاد و هذا حتى سن البلوغ [3].

و الفعل الذي قامت به هده الزوجة الاولى أو الثانية يعد من حقوق المرأة التي حفظتها الشريعة الاسلامية لكن وفق شروط وضوابط ، حيث يقول عز من قائل :﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[4].وفي السنة النبوية نذكر قصة امرأة ثابت بن قيس هذه الاخيرة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي كفر زوجها فقال رسول الله صلى الله عله وسلم: :" أتردين عليه حديقته ؟ " قالت نعم .قال رسول الله صلى الله عله وسلم: " أقبل الحديقة وطلقها تطليقة "[5] .

[1]- نفسه ، الورقة 39.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة ، 461.

[3]- شقطمي هناء ، مرجع سابق ، ص77.

[4]- سورة البقرة : الآية 229.

[5]- النسائي: مرجع سابق ، ص 592.

والخلع لم يقتصر على بايلك قسنطينة بل نجده منتشرا في عدة مناطق من المغرب العربي و في مختلف الأزمنة فها هي إحدى النوازل تعرض على القاضي عياض تمحور فحواها حول امرأة طلقت نفسها من رجل بسبب غيابه عنها نحو 3 سنوات لتعاود الزواج مرة أخرى [1].هذه الحالات و أخرى تبين لنا مدى ممارسة المرأة لحق الخلع و الذي يكون لأسباب و دوافع مختلفة .أمّا بالنسبة لأثار ونتائج الخلق فهي لا تختلف عن أثار ونتائج الطلاق فهما وجهان لعملة واحدة .

1-1- أسباب الطلاق : تنوعت و تعددت الأسباب التي أدت إلى الطلاق وسط المجتمع القسنطيني من أسباب مالية اقتصادية و أسباب اجتماعية ، و غيرها من الأسباب سنحاول تلخيص هذه الأسباب و تصنيفها في النقاط التالية :

1-1-1- أسباب خارجية : من بين أسباب الطلاق التي جاء ذكرها في النوازل اسباب تكون خارج العائلية أو الاسرة سنحاول تلخيصها في النقاط التالية :

* إغواء المرأة و تحريضها و افسادها ضد زوجها و هذا نتيجة لغياب الوازع الديني ، و الهدف من هذا الطلاق يكون حسب هوى هذا الفاعل ، ففي الحالة التي بين أيدينا كان الهدف من وراء إغواء المرأة هو الطلاق من زوجها ليتزوجها هو ، و هذه الحالات تكاد تكون نادرة ، جاءت بها احدى النوازل يقول صاحبها: " ...عن الذي يخبب المرأة عن زوجها و يفسدها عليه حتى يطلقها هل يمكن من تزويجها أم لا ... " [2]. و يعد هذا الفعل من الأفعال المشينة التي لها عواقب و آثار سلبية على المجتمع ككل ، و يستدل المجيب بالحديث النبوي حول التفريق بين المرأة و زوجها[3].

* تذكر لنا النوازل رجل طلق زوجته نتيجة للضغط الذي تعرض له و هذا نتيجة أفعال أحد الدجالين و من يدّعون الكرامات و علم الغيب .هذا الرجل كان يقصد كل من له زوج جميلة (حسنة) فيسعى إلى تطليقها منه بادعائه أن هذه الزوجة إن بقيت تحت عصمة الرجل سيكون عرضة لمصائب

[1]- القاضي عياض ، مصدر سابق ، ص276.

[2]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 64.

[3]- نفسه ، الورقة ، 64.

و كثيرا ما يكون له مراده و هذا النوع من الطلاق و حتى و إن كان لا يتحقق شرعا لكن من الناحية العملية فإن الانفصال و الرابطة الزوجية تزول ، و هذا السبب من الحالات النادرة الحدوث و التي جاءت بها إحدى النوازل التي أجاب عنها عمر الوزان : "... الجواب في شأن رجل ظهر في بلاد الحنانشة ينتسب إلى جانب الله تعالى مدعيا كرامات تظهر على يده... و منها أنه يأتي إلى رجل تكون له زوجة حسنة فيقول له تطلقها لأتزوجها فإن لم تفعل يكون كذا و كذا بأمر يتوعده به ... و صار أهل البلاد يتخوفون منه فكل ما يطلبه و يتوعد من يتوجه إليه ان لم يفعل ... " [1].

*كما تعتبر قضية هروب بعض النسوة من البيت الزوجية من القضايا التي طرحتها نوازل ابن الفكون ، حيث تذكر أن البعض من النسوة في بايلك قسنطينة كن يهربن من بيوت ازواجهن قاصدين رجالا غير رجالهن و هذا بدون طلاق ، و هذا الخروج و الفرار يعد من بين أهم الأسباب التي كثيرا ما يؤدي إلى الطلاق [2].

1-1-2-اسباب داخلية :هناك عدة اسباب للطلاق تتعلق لها علاقة بالاسرة والعائلة نذكر منها:

المشاكل الزوجية : تعد المشاكل و الخلافات الزوجية من أبرز أسباب الطلاق و هذا ما أكدت الكثير من المصادر التاريخية وعلى راسها نوازل ابن الفكون خاصة التي تعرضت لموضوع العلاقات الزوجية .

** تعد المرأة الركيزة الأساسية للأسرة كما أنها تعتبر أحد أسباب هدم هذا الكيان و هذا من خلال سلوكياتها و أفعالها خاصة مع الزوج، و هذا من الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق و هذا ما أكده عبد الكريم الفكون[3] التي تطرق إلى حالة من حالات الطلاق ،و المتمثل في ابنة أحمد الغربي التي كانت زوجة لابن الفكون و طلقها للأسباب سابقة الذكر [4].

---

[1]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 555.

[2]- نفسه ، الورقة 44.

[3]- تمت الترجمة له .

[4]- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية... ،مصدر سابق ، ص 76.

وفي نفس الموضوع ما جاءت احدى النوازل والتي نصت على : " ... عن مسألة و هي أن رجلا له زوجة و له معها أولاد و لها أم ثم أن الرجل وقع بينه و بين زوجه شنئان أفضى الأمر بينهما إلى أن طلقها و سلمت بنيها لوادهما ... " [1].و حتى و إن لم تبرز لنا هذه النازلة سبب الخلاف إلا أن الأسباب قد تكون مالية أو اجتماعيه أو غيرها من الأسباب و التي قد تكون اسباب قوية أفضت إلى الطلاق رغم وجود الأبناء .

.** عدم التجانس و التآلف بين الزوجين و هذا له أسبابه و التي من بينها ظاهرة ارغام البنات على الزواج دون رضاهن و هذا ما يكون له آثار سلبية على العلاقة بين الزوجة التي فرض عليها الزواج و الزوج .هذا التنافر سيؤدي في الكثير من الأحيان إلى انفصال الزوجين و فك الرابطة الزوجية و من النوازل التي تطرقت إلى هذه الحالات نجد نازلة عرضت على محمد الفكون (دفين المويلح) و التي جاء فيها : " ... عن مسألة و هي أن رجلا توفي و ترك بنت و لها عم ... شهد على أبيها و أنه أنكحها من ولد قريب له كريه المنظر ... فأعطاها للولد المذكور ... و الحالة أن البنت المذكورة منكرة لجميع ذلك و نافرة من الولد كل الانفار و أجبرها على نكاح الولد و عقد عليها من غيره ... و لا رضا و لا توكيل لها ... و لما بنا بها الولد فرت من عنده و حوت إلى دار أمها و مكثت عندها ما يزيد على السنتين و الأم تراود فيها و جميع أقاربها على الرجوع و لم يزدها كلامهم إلا نفورا ... " [2].

و حتى و إن لم يوضح السائل هل طلقت البنت أم لا إلا أن إجابة ابن الفكون تقر بأن هذا الزواج باطل و هذا من خلال قوله : " ... فبان مما أصلناه بطلان نكاح هذه البنت على كل الوجوه و لا حاجة إلى الحكمين ، و الله تعالى أعلم "[3]،و منه فإن مآل هذا الزواج هو الطلاق لا محالة .

** **الغيرة و الشك** : تذكر لنا إحدى النوازل قضية طلاق كان السبب وراءها هو الغيرة و الشك الذي انتاب الزوج ، هذه الغيرة كانت نتيجة لإشاعات انتشرت بالمنطقة حول سيرة هذه الزوجة ، و كما هو معلوم طبيعة الرجل الجزائري عامة و بايلك الشرق خاصة من الغلاظة و الأنفة و هذا كان

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 72.

[2]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، الورقة 37.

[3]- نفسه ، الورقة 38.

كافيا لتطليق الزوجة ، و هذا ما جاءت به احدى النوازل و التي نصت على : " ... مسألة و هي أن رجلا طلق امرأته ثلاثا ثم حرمها ... و قد زعم الزوج أنه حين طلق ليس في عقله لما لحقته من الغيرة حين سمع عنها ما لا يحل ثم تبين كذب ذلك الخبر بعد أن صدر منه ذلك الطلاق و ذلك معتبر عندهم أعني ما تحمل الغيرة عليه ميزه كالمجنون الذي لا يلزمه الطلاق ... "[1].

** **العقم (عدم الإنجاب)** : يعتبر عدم حمل المرأة من الأسباب التي تكون وراء الطلاق[2] ،حتى و إن لم تفصح لنا النوازل بصفة مباشرة عن علاقة عدم الحمل بالطلاق إلا أنه ما يمكن استنتاجه من إحدى النوازل التي تعرضت إلى طلاق المرأة بعد زواج دام أكثر من عامين و خلال هذه المدة كانت المرأة تدعي الحمل حيث يقول صاحب النازلة : " ... هي أن امرأة كانت في عصمة رجل أقامت معه فوق عامين و هي تدعي الحمل ثم أنه طلقها فأقرت بانقضاء عدتها ... "[3]. و ما يؤكد هذا الطرح هو أن المرأة بعد أن تزوجت ثانية وجدت خلافا بينها و بين الر جل الثاني ادعت أن الحمل و نسب الولد للزوج الأول و هنا يتدخل الزوج الأول في نزاع مع الزوج الثاني حول الولد و نسبه ، و هذا يؤكد أن الزوج الأول كان يسعى إلى الولد ، و عدم حمل زوجته و ادعائها الحمل كان سببا كافيا ليطلقها[4].

1-2- نتائج و آثار الطلاق:

يعتبر الطلاق والخلق من الاشياء التي تخلف آثار سلبية على الأسرة و المجتمع على حد سواء .

1-2-1- على الأسرة : تعتبر الأسرة أول من تتلقى صدمة الطلاق ، هذه الأسرة المكونة من الأب و الأم و الأولاد ، فكل عنصر من الأسرة يتأثر سلبا جراء هذا الطلاق . فالأسرة ككل أقل ما ينتج عن الطلاق هو تفكك هذه الأسرة و أحيانا تشرد أفرادها .

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 65.

[2]- يعتبر عدم الإنجاب أو الحمل من الأسباب الرئيسية للطلاق و هذا الفعل بقي مستمرا في المجتمع الجزائري إلى الوقت الحالي .

[3]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 57.

[4]- نفسه ، الورقة 57.

****الابناء**: أكبر ضحية للطلاق هم الأبناء لما يحدثه من تأثير نفسي و عاطفي و في الكثير من الحالات يكون التأثير مادي خاصة إذا كانت العائلة فقيرة . فالأبناء بعد الطلاق يصبحون مشردين بين بيت الأب الذي يمثل الحماية لهم و بين الأم التي تمثل مصدر الحنان بين هذا و ذاك يضيع هؤلاء الأولاد .

و من النوازل التي صورت لنا حالة الأبناء بعد الطلاق نازلة عرضت على يحيى المحجوب [1] والتي من أهم ما جاء فيها : " الحمد لله سيدي رضي الله عنكم . جوابكم كان ... لكم عن مسألة و هي أن رجلا له زوجة و له معها أولاد و لها أم ثم أن الرجل وقع بينه و بين زوجه شنئان أفضى الأمر بينهما إلا أن طلقهما و سلمت في بنيها لوالدهما ثم أن الأولاد لم يصبروا على والدتهم و لم تصبر عليهم لما تعلم حال الأمر من الحنانة و الشفقة ، وصارت هي المنفقة عليهم و هي فقيرة... وقع منها للأولاد على أنهم في كفالة الأب و لا تطلب عليهم إلا لزيارتها خاصة فحين فروا (فر)الأولاد من عند الأب و قاموا (اقاموا)عند الوالدة و استوطنوا عندها دون الأب ... " [2]. هذه النازلة نقلت لنا صورة لمعاناة الأولاد جراء الطلاق الذي حدث بين والديهما . وكيف عمدوا على الهروب من بيت الأب نحو الأم و هذا لأنهما حرما من حنان الأم ، الذي لا يمكن تعويضه .و حتى و هم عند الوالدة نجد أن الأبناء مازالوا يعيشون المعاناة و هذه المرة نتيجة لفقر الوالدة و عدم قدرتها على الإنفاق عليهما . و هنا يتدخل طرف آخر للمساهمة في الإنفاق على الولدين و المتمثل في أخي الزوجة أو الخال و هذا أمام إهمال الأب لنفقة أبنائه .و هذا الكلام يؤكده قول السائل : " ...و كانت فقيرة و خالهم ينفق عليهم من ماله مدة من حين الطلاق حتى الآن ..." [3].

1-2-2- الزوجة (**المرأة**) : لا يقل تأثير الطلاق على الزوجة عن تأثيره على الأولاد و هذا ما يؤكده الكلام السابق لهذا ، فالمرأة تصبح مطلقة و ما يمثله هذا بالنسبة لمجتمع محافظ و الأكثر من

[1]- تم الترجمة له قبل .

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 72.

[3]- نفسه ، الورقة 73.

هذا تشرد أبنائها خاصة إذا تنازلت عن حضانة الأبناء للوالد فتصبح محرومة من الأبناء اللهم في بعض الأوقات المتفق عليها ، و كثيرا ما تحرم المرأة من الأولاد للأبد زيادة على حرمانها من الزوج .

1-2-3- العائلات : الكثير من حالات الزواج بالبايلك تكون بين الأقارب ، هذه الميزة بقدر ما هي نعمة في البداية تتحول إلى نقمة بمجرد طلاق إحدى البنات ، لتتحول علاقة الود بين الأقارب إلى علاقات عداوة يميزها الحقد و النزاعات .

1-2-4- المجتمع : الطلاق يمثل إحدى وسائل تهديم و تفكيك لما له من تأثير على العلاقات الاجتماعية بين مختلف الجماعات و القبائل و الأسر ، فرابطة الزواج كثيرا ما جمعت و وحدت بين الأجناس و القبائل ، ليأتي الطلاق و يهدم كل هذه الروابط و يدخل المجتمع في نزاعات و خلافات تكون آثارها السلبية كبيرة على المجتمع .

الفصل الثالث

واقع المرأة ببابيلك قسنطينة

المبحث الاول : المرأة ودورها الاجتماعي

المبحث الثاني : المرأة والحياة الاقتصادية

المبحث الثالث : معاناة ومشاكل المرأة

تعتبر المرأة أساس الأسرة و المجتمع عل حد سواء، فلدراسة أي مجتمع كان لابدّ أن ندرس هذا العنصر، فعلى رأي أحد الرحالة الإنجليز الذي زار بايلك قسنطينة وبالضبط منطقة الأوراس ، هذا الرحالة يرى أن دراسة تقاليد أي مجتمع من المجتمعات لن يتأتى إلا بدراسة المرأة ضمن هذا المجتمع لأنه يرى أن المرأة ، هي حامية تقاليد هذا المجتمع[1].من هذه الفكرة كان لابد من دراسة المرأة و واقعها ببايلك قسنطينة ، وهذا من خلال التطرق للدور الاجتماعي للمرأة أولا ، وحضورها في الحياة الاقتصادية ثانيا، لنختم المبحث بمعاناة المرأة ببايلك قسنطينة.

المبحث الاول : المرأة و المجتمع

تحتل المرأة مكانة هامة في المجتمع المغرب الأوسط عامة و بايلك الشرق (قسنطينة) خاصة .و هذه الفعالية سواء على مستوى المدينة (الحاضرة) أو على مستوى الريف هذا الاخير يعيش به غالبية من سكان البايلك .

1–المرأة داخل الاسرة : تعد المرأة عنصرا فعالا داخل الاسرة القسنطينية سواء على مستوى الريف او المدينة ، وهذا رغم الاختلاف بين المجتمع الريفي ومجتمع المدينة ، فعلى مستوى الريف و ما يمثله نجد أنّ المرأة ضمن هذا النسيج الاجتماعي تتمتع بكامل حريتها و هذا عكس المدينة، بل الأكثر من هذا نجد أن المرأة على مستوى مجتمع الريف أو على مستوى القبيلة تعد عنصرا فعالا ، و هذا في مختلف القضايا التي تتعلق بالقبلية .حيث نجدها تشاور و تبدي رأيها في عدة قضايا تخصها وتخص المجتمع ، و من هذه القضايا ما يتعلق بتنقل القبيلة من حيث وقت الرحيل ، كما لها نصيب من الرأي فيما يخص اختبار المكان الجديد [2].

1–1– المرأة داخل المنزل: المرأة سواء بنت او زوجة او ام وغيرها من الصفات نجدها على مستوى البايلك الريف و المدن سواء ، نجدها كانت كتلة من النشاط و الحيوية ، فهي تقوم بمختلف

[1]–الركيبي عبد الله : الجزائر في عيون الرحالة الانجليز ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009،

[2]– جودت : مرجع سابق ، ص43.

الاعمال داخل البيت من طبخ ، اضافة الى الاهتمام بإبقاء المسكن نظيف و لائق للسكن حيث تقوم بمختلف الأعمال كالكنس و التنظيف و الغسيل و غيرها من الأمور المنزلية و غيره من الأمور المتعلقة بحياتها و حياة الأسرة على حد سواء . و كل هذا الجهد وهذه الاعمال بدون مقابل ، و هذا ما تضمنته واكدته احدى النوازل على لسان صاحبها : " .... و تصرفهن في دورهن بأنواع التصرفات اللائقة بالنفس و الأهل من الطبخ و غيره من أنواع المعيشة و ما يليق بالمسكن من غير كلفة عليهن في ذلك و لا مضرة بحيث أن خدمتهن لما ذكر و تصرفهن فيما ذكر يعادل النفقة عليهن و يزيد عليها ..." [1].

لكن ما يجب ذكره و الإشارة إليه هو ذلك الاختلاف من النساء و هذا الاختلاف لا يقتصر على مدينة قسنطينة فقط بل يشمل حتى بلاد إفريقية أو تونس ، هذا الاختلاف بين النساء من حيث العمل و النشاط داخل المنزل . بحيث نجد عدة أنواع من النساء فالنوع الاول من النسوة من نجدها تخدم نفسها و غيرها من الزوج و الأسرة و لا حرج في ذلك . أما النوع الثاني فتمثله المرأة التي لا تعمل و لا تخدم نفسها فما بالك بخدمة غيرها و نجدها نادرا ما تأكل من صنع يدها ، و حتى غسيل الملابس تنتظر من يغسل ثيابها و هناك نساء و خاصة البنات نجدهن لا يحسن صناعة الطعام و نجدها تبدأ في تعلم ذلك في بيتها الزوجية . كما أن بعض النسوة نجدهن حتى و إن أحسن تحضير الطعام فإنهن لا يعرفن إلا ما يقدم في مختلف المواسم كالأعياد و الولائم و هنا نخص بالذكر المأكولات الخاصة بالعائلات الغنية أو ما يذكرها صاحب النازلة بالإسراف. و من أهم الأطباق التي تصنعها النساء و الخاصة بالولائم و الأعياد ومختلف المواسم نجد الدجاج بمختلف أنواعه واصناف طبخه إضافة إلى أنواع الحلويات ، حيث تذكر إحدى النوازل : " ...و المعلوم من قطر افريقية قسنطينة و غيرها اختلاف النساء في ذلك فمنهن من تخدم نفسها و غيرها و منهن من لا تخدم نفسها و لا غيرها و لم تأكل قط من عمل يدها و لم تقم قط غسل ثو بها بيدها و منهن من لا

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق : ورقتين 71،70.

تحسن صنع الطعام إلا بعد دخولها عند زوجها ، و منهن من لا تحسن من الطعام سوى ما يصنع في الأعياد و المواسم و الولائم من طعام الترفه كالوان الدجاج و الحلويات و غير ذلك ..." [1].

من خلال ذكر بعض المواصفات حول النسوة ببايلك قسنطينة خلال الفترة الحديثة ، نجد أنفسنا و كأننا نتكلم عن المرأة والنساء في الوقت الحالي ، نظرا للتشابه في الكثير من الصفات والافعال .

1-2-مكانة البنت داخل الأسرة : لقيت البنت عناية واهتمام كبير داخل الأسرة القسنطينية و هذا نظرا لما تمثله البنت بالنسبة للعائلة فهي شرف و كبرياء الأسرة و العائلة . فكثيرا ما نجد أن الآباء كانوا دائما يوصونهم على اخوتهم و خاصة البنات هذا فيما يخص معيشتهم داخل الأسرة الواحدة . أما فيما يخص البنت و تزوجها فالأب كان يحرص أشد الحرص على توصية أبنائه بأن يهتموا بتزويجهم أخواتهم و اختيار أزواج لهن يكونون على قدر من الخلق العلم و الدين . و هذا الحرص و الخوف الذي يحمله الآباء و الأبناء اتجاه البنت يبين مدى قيمة هذه البنت لدى العائلة من جهة و من جهة ثانية خوفا ربما على شرف العائلة إن هي اتبعت سلوكا مشينا [2]. و هذا ما نستنتجه من النازلة التي طرحت على يحي المحجوب والتي يقول فيها السائل : " الحمد لله الذي أوصى به كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى ابراهيم بن محمد لطف الله به أن الثلث الذي ابقيته في الدار ... و الأولاد أوصيت عليهم أخويهما إلى أن يبلغوا خاصة و تزويج حفصة و مريم لا يزوجهما إلا من يوثق بدينه و أمانته و من يكون من أهل الدين و العلم ..." [3].

كما تشير إحدى النوازل جاءت على شكل رسم وسؤال إلى موضوع البنت أو المرأة التي تكون مريضة ، أو كما وصفها السائل بحالة من السفه أي سفيهة ، فإن الأسرة تتكفل بهذه البنت و

[1]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ،ورقتين 70،71.

[2]- نفسه ، ورقة ، 392.

[3]- نفسه ، ورقة 392.

تحفظ لها حقها ، و في هذه الحالة نجد أن الأب هو الذي يشرف ويحوز لها كل أملاكها لأنها غير مؤهلة فلا حيازة لها و هذا مظهر من مظاهر الاهتمام بالبنت (المراة) داخل الأسرة[1].

كما أن هناك من الآباء من كان يقدر هذه البنت (الأنثى) و كان يعمل كل ما في وسعه على توفير العيش الكريم لها سواء أثناء حياته أو بعد مماته ، و هذا من خلال تخصيص جزء من أملاكه لهذه البنت زيادة عل حقها من الإرث ، و هذا ما جاءت به إحدى النوازل التي طرحت على سالم السنهوري [2]و التي جاء فيها : " ... عن مسئلة (مسالة) و هي أن رجلا أوصى لما يزيد عند بنات له ثلاث و بعد انقراض ما يزايد عندهن ...ثم مات من البنات اثنين في حياة الموصي قبل أن يتزايد لهن و بقيت ابنته الأخرى صغيرة دون بلوغ ..." [3]. و حتى و إن كانت الوصية لغير البنت بل ما يتزايد عندها إلا أن النفع يعود إلى الأم و التي هي البنت (البنات) و ما جعل الوصية لأولاد البنات من الأب إلا إكراما لهن (بناته).

2-المرأة و التكافل الاجتماعي : نظرا لما تمثله المرأة و بالنسبة للأسرة و المجتمع على حد سواء ، فإن حضور المرأة على مستوى التكافل الاجتماعي سواء كان داخل الأسرة أو خارجها ما هو إلا سلوكا طبعيا من هذا العنصر اتجاه محيطه ، أو اتجاه مجتمعه ، و مخطوط نوازل ابن الفكون يحمل لنا الكثير من المعلومات حول مساهمة المرأة القسنطينية في عملية التكافل الاجتماعي من خلال ما تقدمه من أعمال في سبيل هذا الهدف النبيل .

2-1-على مستوى الأسرة : انطلاقا من مكانتها داخل الأسرة لعبت المرأة دورا فعالا في التكافل مع أفراد أسرتها و هذا من خلال تخصيص جزء من جهدها ومالها لخدمة أفراد اسرتها ، من زوج ،و أبناء و اخوة ، و غيرهم .

---

[1]- ابن الفكون ، مصدر سابق ، ورقتين : 305،306.

[2] – تمت الترجمة له سابقا .

[3]- ابن الفكون ، مصدر سابق ، الورقة 297.

2-1-1-الحضانة والرعاية : تعد المرأة هي ركيزة الأسرة سواء كزوجة أو كبنت ، فهنا الأمر لا يختلف مادامت المرأة تقوم بمختلف الأعمال بغض النظر إلى مكانها داخل وضمن الأسرة ، فإن كان حضانة أو رعاية الأم للأبناء من المسلمات و من الضروريات و من واجباتها تجاه الأسرة ، فإن الشيء الذي قلما نجده هو حضانة البنت لإخوتها و حتى و إن كان طبيعة المرأة أو الأنثى تجعلها تقوم بهذا العمل . هذا الدور حملته لنا نوازل ابن الفكون بين طياتها حيث ذكرت أن بعض البنات كن يقمن برعاية شؤون إخوتهن الصغار ، و هذه الرعاية أخذت صبغة الواجب بعد أن أوصى الأب ابنته على أولاده ، و التي رأى فيها الشخص المناسب لهذه المهمة و الأمانة التامة ، و هذا بحكم تدينها و أمانتها ، و هذا الفعل يبين لنا مدى قيمة و دور المرأة القسنطينية أما كانت أو أختا أو بنتا داخل الأسرة ، كما تبين مدى الثقة التي كانت تحظى بها البنت داخل بعض الأسر القسنطينية و إلاّ كيف نفسر هذه الوصية الشاقة على البنت ، كل هذا جاءت به احدى النوازل على لسان سائلها: " ... ، أشهد الفقيه...أبو العباس أحمد ... ، أنه رشد ابنته المصونة الدار المكنونة آمة الرحمان ... و أشهد مع ذلك أنه أوصاها على أولاده الصغار العاجزين صانهم الله علي و محمد الأشقا فيم بينهما و محمد و آمة الكريم ... تنظر لهم بحكمة بعد وفاته و لحوقه بالله عز وجل في كافة أمورهم و عامة شؤونهم دون مشارك لها في ذلك و لا ناظر ينظر عليها ثقة منه بدينها و أمانتها و حفظها و حنانتها و شفقتها و قيامها بما أسند إليها ... عرفه بتاريخ صبيحة يوم الأربعاء الخامس لشهر شوال عام سبعة و تسعين و ثمان مائة "[1].

كما نجد أن المرأة كثيرا ما تصبح هي المسؤولة عن إخوتها الصغارّ ، و هذا نتيجة الوصية التي يتركها الأب لهذه البنت لرعاية إخوتها الصغار بعد وفاته ، و بهذا تصبح هذه المرأة أو الأخت

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 409.

تتصرف ف حق أخيها من بيع و شراء و غيرها . كون هذا الولد في حجرها . و هذا ما جاءت به العديد من النوازل كالنازلة التي طرحت على محمد التواتي[1]

2-1-2-التكفل بالأيتام : لعبت المرأة أو الزوجة دورا هاما داخل الأسرة الصغيرة فبالإضافة إلى مختلف الأعمال نجد أن هذه المرأة بعد وفاة الزوج تحمل على عاتقها تربية الأولاد و التكفل بهم ، كما كانت هي التي تشرف على التصرف في مختلف الأملاك التي تكون من نصيبهم من تركة أبيهم و هذا حتى بلوغ سن الرشد و هذا أمام مختلف المشاكل التي يمكن أن تعرضها خاصة من قبل الأقارب. بحكم هذه مسؤولة الكفالة لأبنائها اليتامى تكسب هذه المرأة حق التصرف في املاك الابناء كالبيع لبعض الأملاك و هذا عند الحاجة لذلك ، و هذا ما توضحه النازلة التي أجاب عنها عبد الكريم الفكون[2] ،و هذا من خلال مضمون جوابه : " ...الحمد لله الذي جرى به العمل أن بيع الأم عن ولدها بحكم كفالتها إياه جائز و محمول على السداد إذا كانت قيمة ذلك المبيع من ثمانية عشر دينار إلى عشرين لا قيام في ذلك لليتيم بعد رشده ، و ذلك إذا ادعته حاجة إلى بيعها ذلك عنه ، و إن باعت ذلك من غير حاجة أو كانت قيمته أكثر من ذلك فله القيام بذلك و الله أعلم و السلام عليكم و رحمة الله " [3].

كما نلاحظ من خلال جواب ابن الفكون أن المرأة حتى و هي مسؤولة عن كفالة أبنائها إلا أن التصرف في أعمالهم كانت تحدده ضوابط و شروط لا يمكن الخروج عنها كالحاجة و الثمن و القيمة

[1] – محمد التواتي : هو أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي، لقب أصله من المغرب انتقل من المغرب من قبيلة الراشديون بالمغرب الأقصى، كان أستاذا في النحو بليغا انتقل إلى جبل زواوة قرأ على شيخها الفقيه أبي محمد عبد الله محمد بن مصباح، وقرأ النحو على أبي محمد عبد العزيز الخراز، كانت شهرته بقسنطينة إذ اجتمع حوله الطلبة، له سند في قراءات عقائد الشيخ السنوسي ارتحل إلى الأستاذ أبي محمد عبد الله أبي القاسم، قام عنده سنة وأزيد قليلا وقد كان من جملة الحفاظ اعتنى بالشعر، كان ممن ينكبون على المطالعة، انتقل من قسنطينة إلى تونس بعدما أصابته محنة وقد حسده أهل تونس ولم يعطوه حقه إلا أنه اشتهر بين عامتها، وذاع صيته في إقليم افريقية إلى أن توفي بها في طاعون سنة1031هـ/1621م .أنظر / عبد الكريم الفكون : منشور ...، مصدر سابق ، ص ص ص 57-59.:

[2] – جد عبد الكريم الفكون صاحب كتاب منشور الهداية .

[3] – نفسه ، الورقة 110.

المحددة للمبيع ، واذا اخلت الام بتلك الشروط يصبح للأبناء الحق بعد سن الرشد في الاعتراض على البيع[1].

2-1-2-الوقف (**الحبس**): الوقف باعتباره أهم وسيلة للتكافل بين أفراد الأسرة و المجتمع ، فإن المرأة باعتبارها فردا من هذا المجتمع ، كانت تقوم بهذا الفعل انطلاقا من التقرب إلى السنة هذا من جهة و من جهة ثانية التكافل و التضامن مع أفراد أسرتها و مجتمعها و تحبيس المرأة نجده أنه يتنوع حسب تنوع الوقف و أهدافه و مقاصده ، فنجدها قد ساهمت في الحبس الذري أو ما يعرف بالأهلي ، كما ساهمت في الحبس الخيري بمختلف أنواعه .كما نجد أن الحبس تنوع عند المرأة من حيث نوع الأشياء المحبسة ، من تحبيس للمساكن ، و تحبيس للأراضي و غيرها من العقارات الأخرى

2-1-2-1-الوقف على الأبناء : بهدف التكافل و حماية الأبناء من تحول الدنيا ، حرصت المرأة القسنطينية على تخصيص جزء من أملاكها لتحبسها على أبنائها . انطلاقا من فكرة الأبناء و ما يمثلونه للمرأة و معرفة هذه الأخيرة ما سيعانيه الأبناء ، فالكثير من النوازل تناولت و حملت بين طياتها تحبيس النساء على الأبناء ، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى خوف المرأة على الأبناء من جهة ، و من جهة ثانية مدى التلاحم و الترابط داخل الأسرة الواحدة .

****تحبيس دار**: المسكن و ما يمثله من قيمة لأفراد الأسرة ، و معرفة هذه القيمة نجد أن المرأة أو هذه الأم حرصت على تحبيس دارها على أبنائها ، و هذا ما تشير إليه النازلة التي طرحت على العالم سيدي أحمد العبادي[2] (رحمه الله) و التي نصت على : " ...الحمد لله ، سيدي رضي الله عنكم و أدام النفع بكم ، الغرض من سيادتكم ، جوابكم عن مسألة و هي أن امرأة حبست على أولادها

---

[1]ابن الفكون محمد: مصدر سابق، الورقة 110

[2]- العبادي:أحمد بن محمدبن يعقوب العجيسي ، المشهور بالعبادي ،أبو العباس :من فقهاء المالكية ، من تلمسان ، ذكر التمبكتي وفاته في سنة ثمان وستون وثمانمئة .أنظر : التنبكتي : مصدر سابق ،مج2، ص126. عادل النويهض : مرجع سابق ، ص285. الحفناوي محمد : تعريف الخلف برجال السلف ، دراسة وتقديم خير الدين شترة ، ج2، ط1، دار كردادة ، بوسعادة ، الجزائر ، 2012، ص79.

دارا و حازوها ثم توفيت و لكم طول البقا ، و بقي أولادها يتصرفون على نحو التحبيس...." . كما تتضح لنا من خلال أن المرأة المحبسة بهذا الفعل أرادت أن تؤمن لأبنائها بعدها مسكنا يأويهم ، حتى و إن أصبحت هذه الدار مع كبر الأبناء أصبحت لا تتسع للكل جعلهم يستحدثون فيها بنايات ، و الذي مع مرور الوقت تصبح سببا للمشاكل بين الإخوة [1].

2-1-2-2-الوقف على الأخوة : لم يقتصر تحبيس المرأة على مستوى الأسرة الصغيرة بل نجد أن هذه المرأة أو البنت تعمل على التحبيس على إخوتها ، و هذا يبين لنا مدى دور المرأة أو البنت في تحقيق التكافل داخل الاسرة.ففي هذا الموضوع تذكر احدى النوازل على لسان صاحبها قوله : " الحمد لله بعد أن توفي الفقيه الزكي الأجل – الفقيه المكرم الأجل . ... تعالى علينا و عليه فورثة أولاده امه الرحمان الشريفة أمها ...أشهدت الآن امة الرحمان المذكورة أنها حبست جميع سهامها(أسهمها) المذكورة.. على أخيها لأبيها ... ، ثم عقبه من بعده ثم عقبه الذكور ما تناسلوا و امتدت فروعهم لا يدخل ولد مع أبيه في ذلك فإن مات أب عن ذلك ينزل ولده الذكر منزله ، و جعلت لبنات العقب النفقة و الكسوة مادامت غير متزوجة لا أب لها فّإن تزوجت سقط حقها ، فإن تأيمت رجع لها ما كان قبل التزويج فإن انقرضن عن آخرهن رجع ذلك للحاج المشرقين و المغربين النازلين بمسجد الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الهادي ..." [2].

لتكمل المحبسة قولها : ""..... و أد ت المحبسة المذكورة لأخيها أبي الحسن على المذكور أن يكون جميع الرباع المحبسة المذكورة له و للعقب و المرجع ، شهد على إشهادها بذلك و هي بحال الصحة و الطوع و الجوار ... و تأخر الكتب و وضع الإشهاد إلى أواسط ربيع الأول المبارك الأشرف الأنور عام خمسة و ثلاثين و تسعمائة ... أشهد الشيخ الفقيه النايب الآن في الأحكام الشرعية بمدينة قسنطينة و كافة أعمالها ..." [3]. من خلال هذه النازلة نلاحظ حجم الأملاك إلى حبسها هذه

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 460.

[2]- نفسه ، الورقة 411.

[3]- نفسه ، ورقتين: 411،412.

البنت على أخيها و هذا إن دل فإنما يدل على دور المرأة في تحقيق التكافل داخل الأسرة الواحدة ، حتى و إن دخلت بعض العوامل الأخرة و كان دافعا إلى هذا التحبيس ، إلا أنه يبقى مظهرا من مظاهر التلاحم و الترابط الأسري في بايلك قسنطينة .

2-1-2-3-الوقف على الزوج: إن علاقة المرأة بالرجل أكبر من أن تكون حبسا أو هبة ، فكما كان للأبناء و الإخوة نصيب من تحبيس المرأة هذه المرأة تخصص نصيبا من حقها لتحبيسه على شريك حياتها ، و حتى و إن كان نصيبها قد اشترته و ابتاعته من الزوج هذا لم يكن ليمنعها بأن تحبس هذا الملك أو جزءا منه و المتمثل هنا في دار على زوجها ، كما يلاحظ على أن هذه المرأة حبست على زوجها و أعقابه و لم تستثن أولادها منه بل أدخلت حتى أعقابه من امرأة أخرى و هذا يدل على مدى محبة المرأة لرجلها هذا من جهة و من جهة ثانية ربما رضاها بنصيبها سواء كانت هي فقط أو له زوجة ثانية و هذا ما تدخل فيه مجموعة من العوامل ربما تتعلق بالمرأة بحد ذاتها أو بمنطقة الشرق الجزائري ،و هذا ما حملته بين طياتها النازلة التي عرضت على العالم العلامة أبي عبد الله محمد الرصاع[1] : " ... بعد افتتاحه ذكر لشهيديه كاتبه فلان أنه باع من زوجه فلانة جميع الدار الغربية الباب بحقوقها و منافعها سفليها و علويها ...بيعا صحيحا ...بثمن جملته ستمائة دينار و اعترف بقبض جميعها منها و أبراها من جميع الثمن براءة تامة و ذكر أنه سلم لها المبيع المذكور تسليما تاما و أنه تسلمته منه و حازته و صار جميع المبيع المذكور فيه بحق هذا الاشترا(الشراء) المذكور من أملاكها و حقوقها ..." [2] ، أما و نص الرسم التحبيس فجاء على النحو التالي : ((الحمد لله . أشهدت فلانة المذكور بمحولة أنها حبست على زوجها فلان المذكور بمحولة سبعة أثمن شائعة من جميع الربع

---

[1]-الرصاع: هو أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التونسي، ولد بتلمسان ونشأ في تونس (831هـ) ، أخذ عن جماعة من أصحاب ابن عرفة وغيرهم كالبرزلي وأبي القاسم العبدوسي وابن عقاب، والمحقق عمر القلشاني والمفتي عبد الله البحيري له مجموعة من التآليف منها: "تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم"، وله شرح "حدود ابن عرفة في الفقه" و" تأليف في الكلام على الآيات الواقعة في شواهد المغنى لابن هشام" وله "شرح البخاري"، ولي قضاء المحلة ثم الأنكحة ثم الجماعة ثم صرف نفسه واقتصر على إمامة جامع الزيتونة وخطابته متصدرا للإفتاء والإقراء في الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق وغيرها وكانت وفاته سنة 894. أنظر / التمبكتي : مصدر سابق ، ص247. عادل نويهض : مرجع سابق ، ص ص 201-202

[2]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، الورقة 361.

المذكور بمحولة بحقوقه و منافعه سفله(أسفله) و علوه(أعلاه) ... و حبست عليه أيضا سبعة أثمان شايعة من جميع الدار الغربية الباب و جميع العلو...ذكر تحبيسا تاما ينتفع به مدة حياته ثم بعد وفاته على عقبه منها و من غيرها ... حبست ما ذكر على صفهما ذكر تحبيسا و وقفا مؤبدا لا يباع و لا يوهب و لا يورث حتى يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين " [1].

2-1-3-الهبات والوصايا والصدقات:

2-1-3-1-المرأة و الهبة : تنوعت هبات المرأة داخل الأسرة حيث شملت كل أفراد الأسرة ، فها هي احدى النوازل تبين لنا قضية امرأة أرادت أن تهب لأخيها نصيبا لها من دار ، و السبب من وراء هذا العمل المتمثل في الهبة للأخ هو إرضاء أمها ، و هذا ما يفسر لنا انتشار الهبات على مستوى الأسرة الواحدة، و هذا ما نستشفه من نص النازلة : " ....و الزوجة المذكورة تميل لاختها غاية الميل و تريد ثبوت الهبة لأخيها من أجل خاطر أمها ..." [2] .

**الهبة لأبناء الأخ : يبدو أن كرم المرأة لم يتوقف عن الابن و الأخ و الزوج بل تعدى إلى أفراد الأسرى الكبيرة ، فها هي نازلة تعرض لنا امرأة وهبت لابني أخيها ، جاء نص الرسم ب: " ... أشهدت أنها وهبت للولدين المباركين أبي الفضل قاسم و إلى العباس أحمد المدعو حميدة و لدي أخيها لأبيها علي المذكور جميع ما صار لها بالإرث من أختها لأبيها أمة الكريم المذكورة... و ذلك بتاريخ أوايل (أوائل) شوال المعظم عام تسعة و عشرين و تسعمائة ... "[3] ، والمرأة من وراء هذا العمل والمتمثل في التصدق لابن أخيها المقصد منه هو محبة الأخ و بهذا تحقيق التلاحم و الترابط داخل الأسرة الكبيرة الواحدة .

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 361.

[2]- نفسه ، الورقة 187.

[3]- نفسه ، ورقة 406.

2-3-1-2-المرأة و الوصية : تعددت أفعال المرأة فيما يخص جانب التكافل و التضامن مع أفراد أسرتها أو مجتمعها . فيما يخص الوصايا أو الوصية ، العديد من النوازل تطرقت إلى هذا الفعل و الذي ينم عن مدى انشغال المرأة بفعل الخير و المساهمة في التضامن و التكافل سواء داخل الأسرة الصغيرة .

رغم أن المرأة في الكثير من الأحيان نجدها هي التي توصي بنصيب من ملكها الى فرد من أفراد الأسرة سواء الاسرة الصغيرة أو الكبيرة . لكن الشيء الذي لابد من التنبيه له هو أن المرأة في هذا العمل و المتعلق بالوصية تتحكم فيها الكثير من العوامل و خاصة ضغط الأقارب أو الإخوة بمعنى أدق، و هذا خوفا من خروج الملكية من العائلة . هذا الضغط الذي تمارسه الأسرة على البنت أو المرأة تقابله في بعض الأحيان المرأة بالرفض و وعدم الخضوع لذلك . و هذا الفعل ينم عن مدى وعي المرأة أولا في التمسك بحقها و ثانيا أنها أرادت أن يأخذ كل ذي حق حقه من الإرث[1]، و هذا ما جاء ذكره في النازلة المعروضة على أبي عبد الله بن الشيخ محمد الكماد : " ... و طلب القايم (القائم) بها من بعض عدول البلدان يشهد له فامتنع و ناهيك بهذا دليلا على بطلان هذه الدعوة سيما أن والدة القايم (القائم) بالوصية و بناتها و أخوها عند راسها حتى خرجت روحها وطلبها اخوها أن توصي له بمالها معه في العقار المخلف عن أبيه فامتنعت و كذلك طلبت في عتق آمة لها فأبت و قالت لا أحسد ورثتي " [2]، و هذا الأخ نجد أنه لم يحترم اخته حتى و هي على مشارف الموت و ما يهمه هو تحول الملكية إليه عن طريق الوصية .

الوصية للأخ: احتل الاخ مكانة عند المراة حيث خصصت له نصيب من وصاياها ، حيث يذكر السائل في هذا الباب :" سيدي رضي الله عنكم و أرضاكم جوابكم في مسئلة (مسألة) امرأة أوصت في مرضها الذي توفيت منه بثلث ما تخلفه ميراثا عنها لقريبها فلان حسبما تضمن ذلك رسم مشهود بعدلين و نفذت الوصية المذكورة وباع الموص(الموصى) له ما صار له من الوصية من الربع..."

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ، الورقة 184.

[2]- نفسه ، ورقة 484.

[1] . هذه النازلة توضح و تبين لنا أن المرأة أو البنت كثيرا ما كانت تفكر في أقاربها ، و هذا ما تدل عليه النازلة فمرضها لم يمنعها من أن توصي لأخيها ثلث أملاكها و هذا الفعل سيكون له أثر كبير على التماسك الأسري (بين أفراد الأسرة) على مستوى بايلك قسنطينة ، و هو ما سيكون له أثر على المجتمع ككل فيما بعد.

وفي نفس الموضوع جاءت النازلة المعروضة على يحي المحجوب و التي عملت فيها احدى النسوة المدعوة رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان على ابراء أخيها محمد من بعض الأملاك و بهذا تكون قد تنازلت له أو بعبارة أصح أوصت لأخيها لأن حسب إجابة العالم يحي المحجوب فإن الإبراء له مقصد الوصية و من هنا فإن لأخيها بعض أملاكها من الرباع و هذا بمقتضى هذه الوصية . و كل هذا يتضح لنا من خلال عرض النازلة : " ...أشهدت رحمونة بين الفقيه عبد المالك بن رمضان ... و أبرأت شقيقها محمد من جميع الدعاوي و الطلب فسكت ثم قال لها أخوها من أي شيء فقالت من الربع و شهد عليها بذلك و مما نسب إليها فيه و المعرفة بها تامة إلا أن بها مرض و ذلك بتاريخ عشية يوم الثلاثاء من يوم عشر ربيع الثاني من عام أحد عشر و ألف " [2].

لتخرج نصيب الوصية التي حلت محل الإبراء على قول العالم يحي المحجوب : " ...و لا أعظم ما يستدل به عل عقل الموصية حين وصتها بما شهدت بالإبراء لأخيها و لم تغير ما أبرأت فيه فقيل لها من أي شيء أبرأته فقالت بديهة من الربع فمن الجواب يعرف الصحة و الاختلال و على ما أصلناه و قررناه أن هذا الإبراء يجري مجرى الوصية في جميع الرباع المشتركة لأخيها الموصى له فيه ، يخرج ذلك من ثلثها و يندرج تحت هذا الإبراء ضمنا ما لها فيه منازعة مع أخيها كاستبداده بتبرع يدعية لنفسه في الرباع المشتركة بينهما و أدعت هي بطلانه ..." [3]. و كما يتضح من خلال هذه النازلة أن المرأة

[1]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة 322.

[2]- نفسه ، الورقة 365.

[3]- نفسه ، الورقة 367.

في هذه الحالة ربما أرادت الوصية لأخيها مخافة من المنازعات بينه و بين زوجها خاصة إذا علمنا أن المجتمع القسنطيني كان لا يحبذ أن تخرج العقارات إلى نحو من شركاء جدد.

****ابناء الاخت**: كما نجد أن المرأة لم تستثن ابن الأخت من الوصية ، و حتى و إن كان صاحب النازلة يذكر أن ابن الأخت ادعى و استظهر رسما يبين فيه وصية خالته له ، و نحن هنا لانجزم إن كان هذا الكلام صحيحا أم لا .ومن النوازل التي ذكرت لنا هذا الموضوع النازلة التي احاب عنها المفتي أبوعبد الله بن الشيخ محمد الكماد[1]، حيث يقول السائل : " ...جوابكم كان الله لكم في مسئلة(مسألة) و هي امرأة توفيت إلى عفو الله تعالى فورثها بعلها و ابنتان من غيره و عصبها شقيقتها ثم قام ولد العاصبة المشار إليها برسم تضمن أن خالته أوصت له بالثلث شهد صهره والد زوجته له من غير بنت الموصية المذكورة ..." [2].

لم ترتبط الوصية بالسن بالنسبة للمرأة فها هي بنت مراهقة صغيرة في السن قد أوصت بجزء من ملكها يقدر بالثلث خصت به ولدي أختها ، رغم أن السبب غير معروف فإن هذه الوصية و هذا الفعل من البنت ينم عن مدى تعلق البنت بأختها و أولادها ، و هذا يعد مظهرا من مظاهر دور المرأة في تحقيق التكافل والتضامن داخل الأسرة ، و حتى و إن أحدثت هذه الوصية مشكلا آخر يتعلق بأقرباء البنت اتجاه الأب ة الذي مثله عم البنت الذي لم يعجبه هذا الفعل من البنت و هذا ما سيحدث نزاعا بين الطرفين الأقارب من الأب الأعمام و من جهة الأم خاصة إذا عرفنا أن البنت توفيت [3]. كل هذه المعطيات والمعلومات حملتها لنا النازلة المعروضة على العالم سيدي محمد بن عبد

[1]- محمد الكماد هو أبو عبد الله محمد الكماد من عائلة عريقة في قسنطينة، تولى وظائف دينية وقضائية ، تولى القضاء بقسنطينة في بداية أمره ثم ارتقى في آخره إلى مرتبة باش عدل ،أي أنه أصبح نائبا عن قضاة الأتراك، كان من معاصري قاسم الفكون عرف بفصاحة لسانه وخطابته، كان وسيما وحسن الزي، كان ممن يعتنون بالشعر ويكتبون النثر ومن شيوخه عمر الوزان. أنظر عبد الكريم الفكون ، منشور ...، مصدر سابق ، ص 44.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 483.

[3]- نفسه ، ورقتين 498،497

الهادي[1] (رحمه الله) : " الحمد لله سيدي رضي الله عنكم و أرضاكم ، و منح المسلمين بطول حياتكم جوابكم في مسئلة (مسألة) و هي أن بنتا صغيرة مراهقة للبلوغ أوصت بوصية لولدي أختيها بثلث ما تخلفه موروثا عنها من قليل الأشياء و كثيرها و ماتت الموصية و استظهر والدا الولدين بالوصية ثم أن عم الموصية المذكورة جزع و أنف من ذلك إذ هو العاصب و أدعى بوصية سابقة عن هذه الوصية لولده ..." [2]. كما يبدو من خلال النازلة أن البنت لم يكن لها عاصب إلا العم المذكور و هذا كونها يتيمة ، وفعلها هذا ربما يعود الى كونها كانت قريبة من عائلة أمها اكثر من قربها لعائلة أبيها ، وخاصية ميل الابناء الى عائلة الام اكثر من ميلهم لعائلة الاب نجد لها مكانا وحيزا هاما في المجتمع الجزائري في وقتنا هذا .

2-1-4-الصدقات : من اهم النوازل التي حملت لنا تصدق المرأة عن الزوج نازلة عرضت على يحي بن محمد المحجوب اهم ما جاء فيها : " ... الحمد لله سيدي رضي الله عنكم ، و أدام النفع بكم . جوابكم في مسئلة(مسألة) و هي أن امرأة أصابها مرض و أرادت أن تشهد عدلين بمالها و عليها فأدخلا عليها عدلين من المنتصبين للعدالة و جميع ورثتها حاضرين فأشهدت العدلين أنها تصدقت على بعلها بجملة مالها عليه من الصداق ، و أنها كانت أعطته ثلاثة أوراق من الفضة سلمت له فيهم التسليم التام..."[3]. هذه النازلة تمثل مظهرا من مظاهر التكافل و التضامن بين أفراد الأسرة الواحدة ، و هذا التضامن و التكافل كان فعل المرأة و التي تمثل هنا (في النازلة) الزوجة ، فالمرأة الزوجة نجدها قد تصدقت لزوجها و تنازلت له عن حقوقها و المتمثلة في جزء من صداقها و بعض حقوق لها عنده ، و هذه الصدقة من الزوجة اتجاه الزوج تمثل أسمى معاني المودة و التضامن بين الزوجين خاصة و أن الزوجة كانت على مشارف الموت.

[1]- محمد بن عبد الهادي: لم نجد له تعريف لكن يبدو انه ابن العالم الصالح عبد الهادي .(تنظر):

[2]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقتين : 497،498.

[3]- نفسه ، الورقتين : 452،451.

كما تذكر نازلة اخرى قضية تصدق امرأة على اخيها تصدقت عليه بجميع ما ورثته عن والدها المذكور و بما تملك بداخل قسنطينة و خارجها و داخل ميلة و تمثلت هذه الاملاك في دور و أفران و كوشات و حوانيت و جنات و أراضي[1]. و حجم هذه الاملاك المتصدق بها نقف عن مدى كرم هذه المرأة و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى مساهمة المرأة التلاحم بين أفراد الأسرة الواحدة خاصة وان هذه البنت طبقت وصية أبيها ، وهذا تكون قد أبرّت بوالدها من خلال التكفل بأخيها

2- ضمن المجتمع :

2-1- الوقف : المرأة باعتبارها فردا من المجتمع تتأثر و تؤثر فيه ، فهي تحاول جاهدة أن يكون لها دورا فعالا ضمن هذا المجتمع . و هذا ما تجسد في عملها على تحبيس أملاكها أو البعض منها في سبيل خدمة المجتمع و تحقيق التكافل فيه . و قبله فهي بهذا العمل تتقرب إلى الله عز وجل .و حتى إن كان تحبيس المرأة في البداية تحبسا ذريا المقصد منه خدمة الأهل ، و الذرية إلا أنها جعلت مآل هذا الحبس يؤول إلى مقصد و هدف خيري و المتمثل في التحبيس على الحجاج الذين كانوا ينزلون بمسجد و زاوية الولي الصالح عبد الهادي[2]. و هذا باختلاف أماكن توافدهم سواء الشرق أو الغرب و هي بهذا العمل تجسد معاني التكافل الإسلامي و توضح مدى تمسك المرأة بالدين و برجال الدين الصلحاء. حيث يذكر صاحب النازلة :" ... فإن انقرضن عن آخرهن رجع ذلك للحجاج المشرقين و المغربيين النازلين بمسجد الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الهادي ، و جعلت النظر في ذلك عند المرجع للناظر في أحباس الزاوية حبسا تاما ، و وقفا مؤبدا حراما لا يباع و لا يورث إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين "[3]

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقتين: 404،405

[2] – هذه الزاوية والمسجد من مساجد قسنطينة ، وهو مسجد احد الصلحاء بقسنطينة وهو الشيخ الصالح عبد الهادي .أبا مصباح. انظر عبد الكريم الفكون : منشورالهداية ...، مصدر سابق ، ص ص 76-77.

[3]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقتين : 411،412.

2-2- المرأة والوصايا والهبات: كان للمرأة نصيب من وصية المرأة ، فهي بهذا الفعل أرادت أن تكرم ا ، من خلال وصية لامرأة مثلها بثلث أملاكها . و حتى و إن تراجعت المرأة عن هذه الوصية فيما بعد حسب النازلة و أوصت لرجل بالثلث إلا أن هذا لا ينفي أن تخص المرأة بهذه الوصية و التي يكون مصدرها امرأة مثلها . و هذا شكل من أشكال التكافل بين النساء أو بين النساء و الرجال و خاصة مع عدم ذكر النازلة للصلة التي تربط المرأة الموصية بالموصى لها و تركتها في حكم المجهول [1]،و هذه النازلة عرضت على الشيخ العالم العلامة سيدي أحمد العبادي[2] (رحمه الله) ، يقول صاحبها : " عن مسألة و هي أن امرأة أوصت لامرأة بثلث جميع ما تخلفه موروثا عنها و التزمت في الوصية المذكور ة عدم الرجوع ، ثم أنها أو صت بعد ذلك بمدة لرجل بثلث و أشهدت فيه أنها رجعت عن كل وصية أوصت بها و توفيت الموصية المذكورة ، فاستظهرت الموصى لها أولا برسم الوصية متضمن عدم الرجوع فيها ...، فهل حفظكم الله يقضى بالوصية الأولى للمرأة كما تضمنت من عدم الرجوع أو يقضى به للثاني من الرجوع أو يقسم بينهما جوابكم شافيا تؤجرون و ترحمون و السلام عليكم و رحمة الله " [3].

اما فيما يخص الهبات وحضور المرأة فتذكر إحدى النوازل تعرضت إحدى النسوة و هي على فراش المرض قامت بوهب جزء من أملاكها ، و رغم سكوت النازلة عن الطرف الذي وهبت له هل هو ذكر أم أنثى و ما صلة القرابة بين المرأة و بين الذي وهبت له ، إلا أنه ما يهمنا في هذه النازلة هو فعل المرأة ببايلك قسنطينة على أحداث فعل يصيب في سلة التكافل من أفراد المجتمع الواحد[4]. و نازلة أخرى تصب في نفس الموضوع طرحت على الشيخ يحي المحجوب يقول صاحبها : " ... و كان

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 359.

[2]- تمت الترجمة له قبل :

[3]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 359.

[4]- نفسه، 389.

الفقير محمد مزين و فاطمة بنت مخلوف وهبا نصيبهما المنجر لهما بالإرث من الدار المذكورة لإبراهيم ..." [1].

2-1- 3- المرأة و العتق: حتى في مجال عتق العبيد نجد أن النوازل حملت لنا بعض النماذج من النساء على مستوى بايلك قسنطينة ممن كان لهم شرف هذا الفعل و من أهم النوازل النازلة و التي هي عبارة عن نسخة رسم و نسخة سؤال أجاب عنها الفقيه المفتي السيد يحي المحجوب (رحمه الله) : " الحمد لله هذه نسخة رسم نصه الحمد لله أشهدت رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان بإخراج آمة تعتق بعد وفاتها و لحوقها بالله تعالى و أبرأت شقيقها محمد من جميع الدعاوي ....و ذلك بتاريخ عشية يوم الثلاثاء من يوم أربعة و عشرين ربيع الثاني من عام أحد عشر و ألف " [2]. و يبدو أن المرأة المعتقة من عائلة دينية ، كانت في مرض أرادت أن تتقرب إلى الله و تعتق المرأة بعد وفاتها . و هذا الفعل يصب في مصلحة التكافل التضامن بين أفراد المجمع و الذي تعد المرأة عنصرا فعالا فيه.

2-1- 4- الإحسان و الصدقات : تشير إحدى النوازل إلى إحدى النساء من المجتمع القسنطيني ، قد خصصت نصيبا من أملاكها بعد وفاتها كصدقة تصرف لأحدى المساجد بمدينة قسنطينة ، ألا و هو مسجد الخضاريين [3] و مقدار ما تصدقت به نصيب من أملاكها ، و هذا الفضل يجسد سعي العنصر النسوي إلى فعل الخير ، فهي بهذه الصدقة ، تبحث عن الرضي و الأجر من الله عز وجل ، لكن من جهة ثانية فهي تساهم في التكافل الاجتماعي لأنها بخدمة المسجد فهي تخدم المجتمع، و هذا نظرا لما يمثله المسجد بالنسبة للمجتمع ، فهو أهم مرفق للمجتمع له عدة أعمال و أهمية في مختلف المجالات .فالمسجد في تلك الفترة كان بمثابة مأوى للجياع و عابري السبيل ، و غيرها من الفئات المحرومة. و هنا إضافة إلى كونه مكان للعبادة و ممارسة مختلف الشعائر الدينية الإسلامية ، و

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 105.

[2]- نفسه ، الورقة 365.

[3]- هذه المسجد على الارجح يكون اتخذ اسمه من سوق الخضار المجاور له في مدينة قسنطينة .

نص النازلة : " ...جميع ما تخلفه ميراثا عنها من قليل الأشياء و كثيرها الربع ة غيره على أن يخرج من الثلث المذكور ...من تركتها يصرف في مصالح مسجد الخضارين من قسنطينة ..." [1]. كما أن هذه الصدقة تمثل مدى كرم المرأة القسنطينية و هذا إذا نظرنا إلى حجم الأملاك التي كانت تمثلها و تبرعت بثلثها فمجمل هذه الأملاك هناك عدة عقارات في كل من قسنطينة و ميلة متمثلة في دور و أفران و كوشات ، و محلات (حوانيت). و العديد من الأراضي و البساتين ، و غيرها من الأملاك [2].

3- المرأة و التداوي:

لعبت المرأة دورا فعالا في المجتمع و خاصة على مستوى الطب النسائي أو ما يعرف بالقابلة .

3-1-القابلة (التعريف) : تعرف القابلة على أنها المرأة التي تتلقى الجنين عند خروجه من رحم أمه ، و جمعها قوابل و قابلات و هناك اختلاف بين مصطلح القابلة و مصطلح الداية و هذا بإثبات أهل اللغة فالمراد من اسم الداية هو المرضعة أو الحاضنة و هذا باللفظ الفارسي [3].وللقابلة عدة مواصفات وجب توفرها في المرأة التي تدعى القابلة نجملها في النقاط التالية :

المهنية : و هذه الصفة أو الميزة يشترط فيها :

- الرفق و اللطف .
- الخبرة و الدراية بأحوال النساء.
- كذلك الثقافة .

أخلاقية : و في هذا المجال نذكر قول الونشريسي الذي يرى : " التثبت الكثير و الدين المتين " [4].

---

[1]- ابن الفكون محمد ،مصدر سابق ، ورقة :403،404،405.

[2]- نفسه ، الاوراق : 405،407،403.

[3]- سامي النبراوي نجلاء : القابلة في المغرب و الأندلس 6-9هـ/12-15م (الدور الطبي ، القضائي ،و الاجتماعي) ، الالوكة ، د ت ، ص 3.

[4]- نفسه، ص3.

جسديا : ومن جملة ذلك أن تكون رفيقة الفعل على معرفة بما تحتاجه المرأة الحامل فكلامها فيه ما يؤنس الحامل [1]،كما أن الكثير من رجال الدين و الفقهاء يحبذون و يفضلون أن تكون المرأة القابلة مسلمة . و معروفة بالأمانة و لا تفضي أسرار النساء [2].

3-2- دور القابلة : للمرأة القابلة عدة مهام و أدوار لكن ما هو أهم يتمثل في الدورين الطبي و القضائي.

3-2-1--الطبي : يتجلى دور القابلة فيما تقوم به اتجاه المرأة الحامل منذ بداية الحمل حتى الوضع . كما نجدها تقدم الرعاية الصحية للمرأة و الولد المولود ،فهي بذلك تقوم مقام الطبيب للأم و الولد و هنا نستحضر قول ابن خلدون قيما يخص مهام القابلة ، فيما يخص الاعتناء بالولد حيث يذكر:" ...ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه إلى حين الفصال نجدهن أبصر بها من الطبيب الماهر..." [3].

3-2-2-الدور القضائي : كان للمرأة القابلة دورا مهما فيما يخص الجانب القضائي ، و هذا نظرا لكثرة القضايا المتعلقة بالحمل على القضاء ، فكان لا بد للقابلة للفصل في هذه القضايا ، فعملها يقابله في عصرنا عمل الطبيب الشرعي . مع اقتصار عمل القابلة على المرأة فقط من خلال فحصها و هذا عكس الطبيب الشرعي الذي له مهام أوسع ، فالقابلة لعبت دور المحقق و الفصل في عدة قضايا تهم و تمس المرأة ، كالتحقق و الإقرار و الإثبات في عدة مسائل: كالجنس ، العذرية ، الإجهاض و الحمل و غيرها من الأمور المتعلقة بأحوال النساء . كما نجدها على معرفة بحالة الجنين

---

[1]- النبراوي نجلاء ، المرجع السابق ، ص 3.

[2]- نفسه ، ص 4.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون ، ضبط خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2001، ص ص 517-519. - النبراوي نجلاء ، المرجع السابق ، ص5.

إن كان ولدا ميتا أو حيا [1]. فالقابلة نجدها قد جمعت بين مهنة طبيبة النساء و التوليد و طبيبة الأطفال إضافة إلى الطبيبة الشرعية ، حيث تقوم في هذا المجال على إثبات عدة أشياء من أهمها :

*الجنس : و هنا نستحضر حالة تعود إلى القرن 11م (05 هـ) بالأندلس، و تتمثل هذه الحادثة في شخص حامت حوله الشكوك كانت له لحية ليتبين بعد عرضه على القابلات بأنه أنثى[2].

*البلوغ وإثبات العذرية : تقوم القابلة بفحص البنات للتأكد أن البنت قد بلغت أولا [3].كما كان الاعتماد على النسوة او القابلة بصفة خاصة فيما يخص القضايا التي تتعلق بإثبات بعذرية البنت أم لا [4].

*إثبات الحمل :في المسائل التي تتعلق بالحمل يكون دور القابلة أو المرأة التي لها علم بهذه الامور ضروري في إثبات الحمل من عدمه ، لأن هذا الحمل سترتبط به عدة مسائل أخرى ،لذا من الضروري التأكد من هذا الحمل [5] .ففي هذا المجال تذكر لنا نوازل ابن الفكون ان هناك من كانت تشرف على هذه الامور من النسوة حيث يذكر احد السائلين بقوله : " ...فادعت ان بها حمل سابق على البنا وانها نظرها النساء عند ارتيابها فوجدن بها حملا ..."[6].

*الإجهاض و كشف العيوب : كثيرا ما تجهض المرأة و هذا لعدة أسباب منها ما يتعلق بالبيع . فالجارية قيمتها إذا كانت حاملا ، ففي هذا المجال نجد أن رجلا أراد بيع جاريته لكنه اكتشف أنها حاملا فقام بإجهاضها ، فما كان من الجارية إلا رفع دعوة قضائية ضد سيدها ، أمام القاضي ، و للتأكد من هذا الفعل هنا يكون دور القابلة التي مهمتها التحقق من فعل الإجهاض إن كان صحيحا

---

[1]- – النبراوي نجلاء ، المرجع السابق ، ص06.

[2]- نفسه ، ص 12.

[3]- نفسه ، ص 12.

[4]- الونشريسي ابو العباس احمد بن يحي ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، خرجه مجموعة من الفقهاء واشراف محمد حجي ، ج3 ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية ، 1401هـ-1981م ، ص 256 .
- النبراوي نجلاء ، نفسه ، ص13.

[5]- نفسه، ص 13 .

[6]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 60.

أم كاذبا [1]. أما فيما يخص العيوب فكثيرا ما نجد أن الفتاة أو المرأة بعد الزواج يدعي الرجل أن بالزوجة عيب و مع نكران الأب ذلك . فما عليهم إلا التأكد من هذا الأمر و هذا لن يتحقق إلا باستدعاء القابلة لتكشف عن البنت و تتأكد من العيب هذا الأخير يكون في مناطق تدخل في عورة المرأة .

3-3-أجرة القابلة : هذا الأمر فيه اختلاف بين مختلف المذاهب الإسلامية و حتى ضمن المذهب المالكي الذي هو مذهب أهل بلاد المغرب و الأندلس . نجد هذا الاختلاف ، حيث نجد ثلاثة أقوال حول هذا الموضوع فالراي الاول يرى أن الأجر يكون على عاتق الزوج .أمّا الراي الثاني فيرى أن الأجر يكون على عاتق الزوجة الواضع (الحامل).والثالث يرى ان الأجر يكون على عاتق إما الزوج أو الزوجة الحامل [2].

[1]- النبراوي نجلاء ، مرجع سابق ، ص17.

[2]- نفسه، ص 04.

المبحث الثاني: المرأة والحياة الاقتصادية

لعبت المرأة دورا هاما في الحياة الاقتصادية لا يقل أهمية عن دورها في المجال الاجتماعي ، فالمرأة بحكم مكانتها في المجتمع ، و طبيعة المجتمع القسنطيني الذي نجده غالبا مجتمعا ريفيا تكون فيه المرأة أكثر عملا و حيوية . هذا لا يعني أن المرأة الحضرية أو على مستوى المدينة و الحاضرة كانت بعيدة عن الحياة الاقتصادية بل بالعكس، فالمرأة سواء على مستوى الريف أو المدينة نجدها مارست حقها في النشاط الاقتصادي ، من بيع و شراء و تملك و عمل و غيره من الأنشطة الاقتصادية ، سنحاول إعطاء نظرة أو صورة على مدى مساهمة أو مكانة المرأة في الحياة الاقتصادية على مستوى البايلك لنجيب عن تساؤل : ما مدى حضور المرأة في الجانب الاقتصادي؟ .

1- المرأة والملكية : من خلال التطرق إلى أهم الوسائل و الآليات التي انتقلت بها هذه الملكية نلاحظ أن ممتلكات المرأة على مستوى الإقليم متنوعة ، شملت مختلف العقارات المنقولة منها و الغير المنقولة ، إضافة إلى مختلف الممتلكات الأخرى من أموال و حلي و غيرها . فالعقارات تمثلت أساسا في الأراضي، البساتين و المساكن أو الدور(المساكن) ، إضافة إلى الحوانيت الافران و غيرها من العقارات .اضافة الى المواشي والحيوانات و الملابس و الأثاث و غيرها من الممتلكات الأخرى [1]،والتي يمكن أن يكون من ضمنها الإيماء و غيرها من الأمور الأخرى[2] .

فالتملك حق من الحقوق المشروعة ، لكل فرد مهما كان مستواه و مهما كان جنسه . انطلاقا من هذه الفكرة فإن المرأة لها الحرية في الممارسة و التمتع بحقها في التملك أو الملكية . و هذه الملكية تشمل مختلف الأملاك من عقارات و غيرها من الأملاك . و الملكية نجدها تصل إلى المرأة متخذة عدة سبل و وفق آليات معينة من أهمها : الإرث (الميراث) ، و الوصايا ، و الوقف ، و الشراء و

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقتين : 408،409.

[2]- نفسه ،ورقة 484.

هذا الأخير يعتبر من أهم حقوقها التي منحها إياه الشرع الإسلامي الذي منح للمرأة كل الحق و الحرية في التصرف في مالها بيعا أو شراء [1].

1-1- أساليب وطرق انتقال الملكية الى المرأة : هناك عدة آليات وطرق تسلكها الاملاك في انتقالها الى المرأة من أهمها:

1-1-1-الهبات الوقف و الوصايا : تعتبر الوصايا من بين الأساليب و القنوات التي تنتقل منها و عبرها الملكية نحو المرأة و هذا مع اختلاف و تنوع مصادر هذه الملكية من الموصين ، ومصطلح الوصية و الهبة نجده بكثرة في نوازل ابن الفكون .ومن أمثلة انتقال الاملاك من خلال الوصية لامرأة معروفة بآمة الرحمان و التي تنتمي إلى عائلة دينية بقسنطينة ذات أملاك كثيرة داخل قسنطينة و خارجها ،ه ذه المرأة انتقل اليها جزء من أملاكها عن طريق وصية من جدها لأمها ، الفقيه أبو إسحاق ابراهيم الشريف وهذا ما يبينه قول السائل : " ...بعد أن استقر ملك الحرة الجليلة آمة الرحمان ...من إرثها لأمها آمة العزيز بن الشيخ الفقيه ...المحترم أبي إسحاق ابراهيم الشريف المزوار و بالوصية من جدها للأم الشريف المذكور ..." [2].

1-1-2-الإرث و الميراث : يعتبر الحق في الإرث من أهم الحقوق التي جاءت بها الشريعة الإسلامية هذا الحق مثلما هو للرجل نجده حق للمرأة مع اختلاف مقدار الإرث بينهما ، فالإرث يعتبر من أهم مصادر انتقال الملك أو الملكية من المورث نحو ورثة على اختلافهم. فالمرأة باعتبارها جزء و عنصرا من الذين لهم الحق في الإرث كما ذكرنا سابقا بحكم الدين (الإسلام) نجدها تصبح من المالكين بسبب هذه الوسيلة. و المرأة مع اختلاف مكانتها ضمن الأسرة بنتا كانت أو زوجة أو من ذوي الحقوق كل هذا يجعلها تورّث بحكم الشرع و القانون ، و هذا الاختلاف في كونها أما بنتا

[1]- يوسفي صرهودة ، النساء والملكية في مدينة قسنطينة اواخر الحكم العثماني 1787-1830 ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة قسنطينة 1 ، العدد40 ديسمبر 2013، ص ص 398،399.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 410.

أما أو زوجة هذا لا يقدم و لا يؤخر في الأمر شيء اللهم في نسبه حقها من الإرث ، ونحن هنا الشيء الذي يهمنا هو الوسيلة أو مصدر الملكية للمرأة و المتمثلة هنا في الميراث (الارث) .

و نوازل ابن الفكون حملت لنا كثيرا من الحالات التي انتقلت فيها الملكية إلى المرأة عن طرق الارث ، وهذا باختلاف مكانتها داخل الأسرة و باختلاف علاقتها مع الموروث .

1-1-2-1-ارث الزوج : كثيرا ما يصل الملك الى المرأة عن طريق الارث من زوجها ، فها هي إحدى النساء تدعى عائشة بنت مخلوف نجدها قد ورثت نصيب من دار من زوجها المتوفي محمد مزين . وأخرى تدعى أم العز ورثت زوجها المتوفي حميدة وهذا ما يتضح من خلال قول السائل :"...بعد ان استقر الدار الفلانية على ملك الاشقا (الاشقاء) ...وتوفي حميدة فورثه زوجه ام العز واولاده ... وتوفي ابو الطيب فورثه زوجه فاطمة بنت مخلوف وولده منها ..."[1].

1-1-2-2-ارث الابن : يمكن أن يكون الابن مصدرا تنتقل منه الملكية نحوى المرأة ، و هذا ما نستنتجه من إحدى النوازل الني أجاب عنها بن عظوم و المحجوب التي ذكرت لنا امرأة تدعى عائشة بنت ابن أبي عبده ، هذه الأخيرة انتقلت إليها ملكية جزء من الدار عن طريق ابنها المتوفي (العابد) و الأخرى تدعى فاطمة ورثت نصيب من ملك ابنها علي المتوفي هو الآخر [2].و في نفس النازلة نجد أن هذه المرة انتقلت الملكية من الابن إلى الأم و هذا عن طريق الإرث و نصيبها من ذلك و المحدد بالشريعة ، و هذا ما جاء على لسان السائل : " ...ثم توفي محمد شقيق على المذكور فورثه والدته المباركة المذكورة و إخوته لأبيه..." [3].

1-1-2-3-الأب : يعتبر الاب أحد أهم مصادر ملكية المرأة أو إن صح التعبير البنت ، حيث ذكرت إحدى النوازل كيف أن المرأة المعروفة بآمة الرحمان ملكت عن طريق نصيبها من تركة أبيها

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 104.

[2]- نفسه ، ورقة 104.

[3]- نفسه ، ورقة 406.

المتوفي ، و من مجمل ما ترك الوالد عدة املاك في كل من قسنطينة و ميلة تمثلت هذه الاملاك في : مساكن و حوانيت و أفران و جنات وغيرها [1].

و في نفس الصياغ جاءت النازلة التي عرضت على الشيخ الفقيه محمد التواتي (رحمه الله) و التي تطرقت إلى انتقال الملكية إلى حفصة بنت التاجر عبد النبي بن رحمون من الدار و هذا ما نستنتجه من النازلة : " الحمد لله بعد أن ملكت حفصة بنت التاجر عبد النبي بن رحمون الربع على الشياع من جميع الدار الشرقية ...و استقر على ملكها أيضا بالإرث من والدها المذكور ثلاثة أرباع الثمن على الشياع في الدار المذكورة ..."[2].

1-1-2-4-الأخت : قد ينتقل الملك الى المرأة عن طريق ارث حقها من اختها ،و هذا ما جاءت به إحدى النوازل و التي تضمنت : " ...الحمد لله بعد أن وهبت آمة الرحمان المذكورة أعلاه و هما أبو الفضل قاسم و حميدة جميع ما صار لها بالإرث من أختها لأبيها آمة الكريم المذكورة ..." [3]. و من مجمل ما صار إلى ملك هذه المرأة من أختها رباع في كل من قسنطينة و ميلة [4].

1-1-2-5-الأخ : و يعتبر الأخ أيضا من أهم المصادر التي تتملك بها المرأة ، و هذا لأنها شرعا تعتبر من ذوي الحقوق لها نصيب من تركة اخيها [5].

1-1-2-6-الام : تعتبر الام مصدر آخر يمكن أن تنتقل منه الملكية إلى المرأة و هذا عن طريق نصيبها من تركة والدتها المتوفاة مثلما حصل مع المدعوة آمة الرحمان التي كان لها نصيب مما خلف الوالدة و التي يبدو أنها كانت من الملاك [1].

---

[1]- ابن الفكون ، مصدر سابق ، الاوراق : 402،403،404.

[2]- نفسه، الورقة 156.

[3]- نفسه ، الورقة 406.

[4]- نفسه ، الورقة 406.

[5]- نفسه: الورقة 406.

1-1-3-الملكية عن طريق الشراء : للمرأة كل الحق في التصرف في مالها ، وهذا في مختلف مسائل الشراء و غيرها من الأمور . فالشراء ها هنا يعد أهم وسيلة تستطيع المرأة التملك بها دون انتظار ميولات و أهواء الآخرين و هذا عكس ما نجده في حالة الإرث أو الوقف و الهبة و غيرها من الوسائل الأخرى التي يمكن أن تتملك بواسطتها المرأة . ونوازل ابن الفكون حملت لنا عدة عينات من نساء امتلكن عن طريق وسيلة الشراء ، وهذا التملك يشمل مختلف الأملاك بأنواعها: الأراضي ، الجنات ،الدور و غيرها من الأملاك .

***الدور** : المسكن أو الدار و ما يمثله من قيمة معنوية و مادية للفرد على مستوى بايلك قسنطينة ، و هذا العقار يعد من أهم العقارات التي استطاعت المرأة بقسنطينة أن تتملكه عن طريق الشراء . بحيث تذكر إحدى النوازل طرحت على محمد التواتي أن امرأة تعرف باسم حفصة بنت التاجر عبد النبي بن رحمون [2] ، هذه المرأة ضمت إلى ملكيتها ربع من دار بنواحي قسنطينة و هذا عن طريق الشراء (الشياع) الصحيح مقابل ثمن معلوم قبضه البائع، حيث يذكر السائل : " ... بعد أن ملكت حفصة بنت التاجر عبد النبي بن رحمون الربع على الشياع من جميع الدار الشرقية الباب الكانية برايغة كذا من بلد قسنطينة بالشراء الصحيح و الثمن المقبوض ..." [3]. و يبدو أن هذه المرأة كانت ميسورة الحال نوعا ما بحكم أن من عائلة تمارس التجارة فأبوها كان تاجرا .

و نفس الشيء جاءت به النازلة التي عرضت على أبي عبد الله محمد الرصاع ، و التي اشارت الى تملك امرأة لدار اشترتها (ابتاعها) من زوجها بجميع حقوقها و هذا مقابل ثمن معلوم و مقبوض قدر ب : 600 دينار . لتصبح هذه الدار من أملاك هذه الزوجة لها الحرية في التصرف فيها حيث نصت النازلة على : "... فلان أنه باع من زوجة فلانة جميع الدار الغربية الباب بحقوقها و منافعها سفليها و علويها ...بيعا صحيحا منبرها بثمن حملته ستمائة دينار و اعترف بقبض جميعها منها و

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 413.

[2]- نفسه ، الورقة 156.

[3]- نفسه ، الورقة 156.

أبراها من جميع الثمن براءة تامة و ذكر سلم لها المبيع المذكور تسليما تاما و أنه تسلمته منه و حازته و صار جميع المبيع المذكور فيه بحق هذا الشراء المذكور من أملاكها و حقوقها ..." [1].

***استعمال حق الشفعة**[2] : جاءت النوازل حاملة بعض العينات لنساء استعملن حق الشفعة مثلهن مثل الرجال ، و هذا للحصول بالشراء على حصص آخرين يشتركون معهن في بعض الأملاك من عقارات و غيرها كالأراضي و الجنات – الدور و نحوها[3] ، فها هي إحدى النسوة شريكة في جنة (بستان) مع شيخ يدعى ابن زيان هذا الآخر باع بعض من حصته ، و بعد البيع أرادت هذه المرأة أخذ نصيب مستعملة حقها في الشفعة و لكن هذا الرجل أراد أن يمنع عنها حق الشفعة سببه في ذلك أن زوج هذه المرأة كان قد قاسمة الثمار ، و هذا السبب يجرنا للبحث عن مدى اسقاط هذا السبب لحق المرأة في الشفعة و الجواب حول ذلك كان عند الفقيه عمار بن داود[4] ، هذا الأخير أفتى بأن المشاركة في الغلة لإسقاط حق ، و منه فإن من حق هذه المرأة استعمال حق الشفعة [5]. و بغض النظر عن هل استجاب هذا الرجل لهذا الحق من المرأة أم لا ، فإن الشيء الإيجابي في هذا ككل هو وعي المرأة و عدم سكوتها عن المطالبة باستعمال حقها في الشفعة و هذا كافيا لها . هذه الشراكة حملتها لنا النازلة والتي جاءت على لسان أحد السائلين: " ... الحمد لله الغرض من جوابكم بعد تأملكم فإن ابن زيان باع ممن ذكر ما ذكر ...و بقيت له في الجنة بقية و قامت شريكته المذكورة بعد البيع آخذة بالشفعة المقيد نسختها بالصفحة ، فامتنع خلف الله المذكور من تسليمها معتلا بأن

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 361.

[2]- الشفعة : الشفعة في الدار والارض :القضاء بها لصاحبها .وسئل ابو العباس عن اشتقاق الشفعة في اللغة فقال :الشفعة الزيادة وهو ان يشفعك فما تطلب حتى تضمه الى ماعندك فتزيده وتشفعه بها اي تزيده بها .وقال القتيبي في تفسير الشفعة :كان الرجل في الجاهلية اذا اراد بيع منزل أتاه رجل فشفع اليه فيها باع فشفعه وجعله أولى بالمبيع .فسميت شفعة وسمي طالبها شفيعا. انظر : – ابن منظور : مصدر سابق ، مج 8، ص ص 183،184.

[3]- صرهودة ، مرجع سابق ، ص400.

[4]- **عمار بن داود:** من علماء مدينة الجزائر وفقهائها ، تولى بها الإفتاء ،المتوفي سنة 1022هـ.انظر : – قفاف مرجع سابق ، ص90.

[5]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقتين : 188،189.

بعل المرأة المذكورة قاسمه غلة الثمار ...." [1]، ليأتي جواب العالم كالتالي : " ... تأملت الرسوم بمحوله و ما تضمنه السؤال بجوابه بحول الله أن احتجاج المشتري بقسم الغلة لا يسقط ذلك لشفعة الشفيع إذ مقاسمة الغلة اضطرارية جبرية ..."[2].

***الشراكة**:كثيرا ما تحدثت بعض النوازل في قضية ملكية امرأة لعقار سواء أرضا أو جنة أو دار و هذا عن طريق الشراكة مع طرف أو أطراف أخرى ، و من النوازل التي تعرضت و حملت لنا معلومات حول هذا الموضوع النازلة التي عرضت على العالم علي الأجهوري و التي نصت على : " ... الجواب عن واقعة وقعت و هي أن رجلا له شركة في دار ، فعمدت امرأة لها جلها إلى بيع الدار بعد أن اتفقت مع باقي الشركاء على بيعها و أرسلت إلى الشريك بعد بيعها لجميع الدار أن أطلب حظك فالدار فإني ما بعت إلا نصيبي فقط..."[3].

كما تبين لنا النازلة مدى الثقة في النفس التي كانت تملكها المرأة من خلال ممارسة حقها في نصيبيها بالبيع و التصرف بكل حرية وهذا من خلال التعامل مع الشركاء و الذين هم رجال و المرأة من خلال هذا التصرف بينت أنها لا تقل عن الرجل في مسائل الشركات و البيع و غيرها .

1-2-أساليب استبعاد النساء من التملك : لقد اختلفت أساليب التي انتهجها السكان على مستوى بايلك قسنطينة و غيره من المناطق ، فما يخص استبعاد و حرمان المرأة (الأنثى) من حقها و فرصتها في التملك و من أهم الأساليب و الوسائل نجد :

1-2-1-الوقف : هذا النظام الذي وجد من أجل هدف خيري مقصده الإحسان و البر و كسب مرضاة الله أصبح يمثل أحد أهم وسائل استبعاد المرأة من التملك و خاصة على مستوى الأسر و العائلة القسنطينية و هذا عكس الذكر أو الرجل الذي استحوذ على

[1]- نفسه ، ورقة 188.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 189.

[3]- نفسه ، الورقة 103.

أهم الحصص الوقفية و مختلف العقود الوقفية تؤكد ذلك ، هذا التصرف يكون من أهم نتائجه هو ضياع حق الأنثى أو المرأة من هذا الإرث و هذا في الكثير من الحالات التي يكون فيها الوقف يمثل كل أملاك الوارث [1].و لنا في النوازل العديد من الأمثلة التي نجد فيها حرمان المرأة من الوقف خاصة في بداية الوقف وحتى ولو استفادت فيكون ذلك وفق شروط كأن تكون عزباء ومتى تزوجت تفقد حقها [2]. هذا الحرمان سينجر عنه ضياع فرص لتملك أو أن تصبح المرأة من الملاك

1-2-2-أساليب أخرى : إضافة إلى الوقف هناك عدة وسائل و قنوات أخرى تنتقل منها الملكية من المرأة نحو أشخاص آخرين ، و من أهم هذه الوسائل نجد الهبات و مختلف الصدقات.

1-2-2-1-الهبات والوصايا : تعتبر الهبات من الوسائل التي تخرج عن طريقها و تنتقل الملكية من يد المرأة (الأنثى) نحو طرف آخر يكون في الغالب من الأقارب (الأسرة) ،كما قد يكون خارج الأسرة و من خلال النوازل نلاحظ أن كثيرا ما نجد المرأة تعمل على وهب نصيب من أملاكها إما إلى الزوج أو الأخ. و لم يقتصر على هذين الشخصين بل نجدها تهب لأبناء الأخ و أبناء الأخت [3] .كما تعتبر الوصايا وسيلة اخرى تخرج عبرها الملكية من يد المرأة للغير وفي هذا الموضوع جاءت العديد من النوازل[4].

1-2-2-2- البيع : المرأة بممارستها لحقها في البيع تسمح بانتقال الملكية منها الى غيرها ، ونوازل ابن الفكون حملت لنا عدة امثلة على ذلك ، حيث تذكر احداها مجموعة من النسوة قمن ببيع بعض املاكهن وهن على التوالي فتوحه و أم هاني و حفصة و غيرهن ، ففتوحة وأم هاني اللتان باعتا نصيبا من أملاكهما قدر بثلاثة أرباع الثمن و ثلثي ثمن الثمن

[1]- صرهودة ، مرجع سابق ،ص ص410،411.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق: ورقة 454.

[3]- نفسه، ورقات :187،406.

[4]- نفسه ، ورقات: 184،322،483،497،499

و هذا من نصيبهم من الإرث ، باعتاه للتاجر أحمد بن علي عبد الله محمد العلمي الوكيل من قبل الفارس حميدة . كما نجد أن فاطمة قد باعت نصيبها من الدار لأخيها بثمن قدر ب 94 دينار إلا ربع دينار . أما حفصة فتجدها قد باعت نصيبها لأمين القاسم ابن أحد التجار المدعو عبد الله ، باعته نصيبها بمبلغ قدر ب : 356 دينار نواصر و ربع الدينار[1].

كما جاء في نازلة أخرى و التي أشارت إلى قضية بيع نصيب من جنة قدر بثلث ملك للمرأة وولديها وهما بنت و ولد ، ورغم أن المرأة كانت لها حق في البيع و التصرف في ملكها إلا أننا نلاحظ أنها كانت في الكثير من المرات عرضة للتحايل خاصة إذا كانت تجهل ثمن الشيء أو العقار المراد بيعه مثلما حصل مع هذه المرأة التي باعت نصيبا من الجنة لتقوم بعد مدة من البيع و تدعي عدم معرفتها بالقيمة الحقيقية للملك المبتاع [2]، و هذا ما تؤكده النازلة التي يقول فيها صاحبها: "الحمد لله جوابكم في مسئلة (مسالة) و هي امرأة باعت ثلثا من الجنة لها هي و ولديها فلان و فلانة مشاعا مجموعا ... ثم بعد مدة قام البائعون مدعين الجهالة في المبيع و أنه معلوم القدر مجهول التفصيل ..." [3].

2- المرأة و العمل : إضافة على عمل البيت من طبخ و غسل و تربية للأولاد نجد أن المرأة على مستوى البايلك ريفية كانت أو حضرية كان عملا موازيا يدخل في النشاط الاقتصادي هذا ما جعل المرأة تساهم و لو نسبيا في الحركة الاقتصادية بإقليم قسنطينة.

2-1-الصناعة : مارست المرأة على مستوى إقليم قسنطينة العديد من الحرف و الصنايع من أهمها:

2-1-1-الصناعة النسيجية : لعبت المرأة القسنطينية وهذا بمختلف الأعمار و المستويات ، فالبنت مثلها مثل المتزوجة كلاهما يعمل في مجال النسيج ، كما أن المستويات الاجتماعية تذوب أمام العمل ، فالمرأة سواء كانت من العائلات الميسورة الغنية أو الفقيرة الكل يهتم بهذه الصناعة

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقتين : 156،157.

[2]- نفسه ، ورقة 152.

[3]- نفسه ، ورقة ، 152.،

النسيجية،و كأن هذه الصناعة أو الحرفة عبارة معيار و مؤشر لمدى أهمية المرأة القسنطينية [1]. فالمرأة القسنطينية لعبت دورا حيويا في هذه الصناعة من بدايتها إلى نهايتها ففي البداية نجد أن النساء على مستوى الإقليم و خاصة على مستوى المدينة قسنطينة ،كن يعملن على جلب المادة الأولية لهذه الصناعة و المتمثلة في الصوف بمختلف أنواعه ،ثم غسل و غزل هذه الصوف و خدمتها لتصبح جاهزة للنسيج لتبدأ مرحلة النسيج و التي تنتج عنها عدة منتجات هذه الاخيرة تنوعت لتشمل المنتوجات سنوية كالعباءات و المآزر و غيرها ، و منتوجات للاستعمال المنزلي من افرشة وغيرها ،اضافة إلى مختلف المنتجات أو الأكسية و التي تدخل فيها الأغطية و الملابس و غيرها من الكسوة [2]. و الهدف من هذا الإنتاج النسيجي للمرأة بالبايلك هو لهدفين أساسيين و هما الاستعمال و المنفعة الشخصية كالألبسة و بعض الضروريات التي تحتاجها المرأة أو أسرتها . و هناك جزء من الإنتاج و ربما يكون الفائض أو الزائد عن حاجة المرأة و أسرتها ، يكون موجها للبيع و هذا لكسب المال و الانتفاع به في أمور أخرى تتطلب المال (النقد). و هذا ما نستنتجه من النازلة التي عرضت على العالم العلامة الشيخ عيسى الغبريني[3] (رحمه الله) و التي جاء فيها: " ... الحمد لله ... و أشهد به من حال النساء بقسنطينة الثياب و الابكار الدنيات و ذوات الأقدار اتخاد نعت الصوف و غزلها و خدمتها و إقامة ما يحتجن إلى إقامة منها من الإنخاخ و الطنافس و الأكسية و المآزر و العباءات و اقتناء ذلك للمنفعة و بيعه ابتغاء الفضل في أثمانه ... " [4].

---

[1]- بودويرة حياة : الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوة خلال القرن التاسع عشر ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، تخصص الريف والبادية ، جامعة قسنطينة 2 ، 2011-2012، ص 32.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق، الورقة 70.

[3]- عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد، أبو مهدي الغبريني : قاض ، محدّث ، من أكابر فقهاء المالكية . نشأ بتونس ، وأخذ عن عدة علماء أمثال ابن عرفة ، ولي قضاء تونس وامامة جامع الزيتونة .كانت وفاته في سنة 813 أو 815هـ. انظر /التمبكتي ، مصدر سابق ، ص 333،334. عادا النويهض ، مرجع سابق ، ص 333،334: 3

[4]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 70

و العمل في النسيج لم يقتصر على مستوى المدن والحواضر ، بل نجد أن المرأة مارسته في المدينة و الريف على حد سواء، و بمختلف مناطق البايلك فمثلا في مدينة فرجيوة (المنطقة) نجد أن المرأة مثل قريناتها في قسنطينة امتهنت حرفة و صناعة النسيج ، بحيث تعددت منتجاتها النسيجية من الألبسة الصوفية بمختلف أنواعها ومن أشهر المنتجات البرنوس بالإضافة إلى مختلف الألبسة الجلدية و الأغطية من زرابي و حياك و غيرها[1].

و الشيء الملاحظ في كلام السائل صاحب النازلة الذي شد الانتباه هو تلك الزيادة في السعر والتي تخص عمل ومنتجات النسوة هذه الزيادة ربطها السائل بارتفاع أسعار المواد الغذائية ، مثل القمح حيث أصبح القفيز[2] التونسي من القمح يبلغ ثمنه 12 دينار ذهبيا بعدما كان يقدر ب 0.5 دينار ذهبيا ، والزيت والسمن الذي وصل سعر الرطل منهما الى 32 قفصي[3] ،و الذي كان سعره يقدر ب:05 قفصي[4].

---

[1]- بودويرة ، المرجع السابق ، ص 32.

[2]- القفيز: كان يستعمل لكيل السوائل كالزيت وكذلك الحبوب كالقمح والشعير حيث كان يساوي 192مدا نبويا، وهو يختلف من مادة إلى أخرى وللقفيز عدة أجزاء منها : نصف القفيز ، وربع القفيز وغيرها من الأجزاء. أنظر/ - جودت عبد الكريم: مرجع سابق ، ص186،185.

[3]- القفصي: من أهم العملات التي كانت منتشرة في الأسواق التونسية .أنظر/- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص203.

[4]- ابن الفكون محمد ،المصدر السابق ، ورقة 71.

المبحث الثالث: المرأة و المعاناة

تعرضت المرأة على مستوى بايلك قسنطينة الى الكثير من المصاعب والمعاناة ، هذه المصاعب والمعاناة كانت نتيجة لعدة عوامل واسباب متحدة فيما بينها، منها ما هو متعلق بالبايلك كالصراعات السياسية وغيرها ومنها ما هو مرتبط بالوضع خارج بايلك قسنطينة ونخص بالذكر الحملات الاجنبة الاوربية .اضافة الى السياسة العثمانية في المنطقة وانعكاساتها على المرأة .ولم يقتصر تعرض المرأة الى مختلف الظلم والقهر هذا بل نجده وصل حتى الى الاسرة ، هذه الاخيرة والتي من المفروض تكون كيان حام للمرأة اصبحت سببا في تعاستها ومعاناتها .

1- الصراعات والحروب : نظرا لما تمثله المرأة من قيمة و مكانة داخل الأسرة و المجتمع على حد سواء . فهي الأساس تكوين الأسرة و المجتمعات ، لذا كان من البديهي أن تتأثر المرأة بمختلف التحولات السياسية ، و بمختلف الصراعات كالحروب و الفتن في ظل هذا فالمرأة هي أول من يتأثر بكل هذا .

1-1-الحملات الخارجية : تعددت الحملات الخارجية على بايلك قسنطينة خاصة المناطق الساحلية كبجاية وجيجل وعنابة وغيرها من المناطق الاخرى ، هذه الحملات تعد من اهم العوامل والاسباب التي كانت وراء معاناه المرأة على مستوى هذا البايلك. ومن الحملات الاجنبية على البايلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر حملة دوق الطوسكان كونتابل بيكوليميني(Connetable Piccolemini) 1607 م على مدينة عنابة فبالإضافة الى وجود افراد من السكان ضمن الأسرى وعلاقتهم بالمرأة فالأسير اما ان يكون من هو زوج لهذه المرأة وهناك من هو أخاها أو أباها أو أولادها، و الأكثر من ذلك كما هو معلوم أن من ضمن الأسرى هناك عدد من النسوة[1] . فالمرأة تمثل العنصر الأضعف ضمن حلقة اجتماعية التي عصفت بها الصراعات [1].

[1]- ابن العنتري ، فريدة منيسة ...، مصدر سابق ، ص34.

1-2-الحروب الداخلية : كما هو معلوم أن منطقة بايلك قسنطينة على مدار فترة الحكم العثماني (1519 – 1830) و الفترة المراد دراستها تدخل ضمن هذا الإطار الزماني (ق 17- 16) .كانت مسرحا للكثير من الثورات و التمردات و الفتن ، و هذا سواء على مستوى المدن و الحواضر كعاصمة البايلك قسنطينة أو على مستوى الريف القسنطيني هذا الأخير الذي يمثل المجتمع فيه غالبية السكان فمن أهم الثورات التي شهدها الإقليم نجد ثورة ابن الصخري التي انطلقت جوان 1637 م(صفر 1047هـ)[2] والتي تزامنت مع اقدام السلطات العثمانية على هدم الباستيون الفرنسي بالقالة [3]، دامت هذه الثورة عدة سنوات ، هذه الثورة و ما خلفته من آثار سلبية على النسيج الاجتماعي كان التأثر الكبير فيه على المرأة الريفية و التي إن لم تكن من ضمن القتلى و الجرحى ، فإنها حتما تكون من أهم ضحايا هذه الثورة . و حجم القتلى من الرجال و الشبان يعطينا صورة عن حجم و عدد الأرامل و الثكالى من النساء ، و يعكس لنا مدى و حجم المعاناة التي تعرضت لها المرأة خاصة على مستوى الريف و البادية ، و هنا لا تقتصر المعاناة على المرأة من جهة معينة بل المرأة ككل سواء من القبائل الثائرة أو غيرها [4]. أما على مستوى المدينة فلقد شهدت قسنطينة عدة فتن و

[1]– بوعزيز جهيدة : الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1185/1830-1253هـ)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث تخصص الريف والبادية ، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012، ص 127.

[2] - Férand(ch) " Epoque de l'etablissement des turcs à constantine", in R.A, vol10, 1866, p180.

- قشوان عبد الرزاق : السلطة المحلية في بايلك قسنطينة، ماجستير في التاريخ الحديث –تخصص الدولة والمجتمع – جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص 89.

[3]-Berbrugger(A), " notes relatives à la Revolte de bensakhri",in R.A, vol10, 1866 p.340-

- قشوان ، المرجع السابق ، ص ص 89،90

[4]– ابن العنتري ، فريدة منيسة ...، المصدر السابق ، ص 36،37.

تمردات و على رأسها ثورة أولاد عبد المؤمن 1642م و التي أثرت سلبا على المجتمع القسنطيني ككل و على المرأة بصفة خاصة و هذا من الطرفين [1].

كماكانت المرأة في بعض الأحيان تستعمل كأداة لتحقيق السلم و وقف الثورات و الصراعات المنتشرة بالبايلك و من ثم عقد التحالفات بين مختلف القبائل من جهة و بين القبائل و الزعامات و السلطة العثمانية من جهة ثانية و تحقيق هذه المصلحة لن يتأتى الا من خلال ربط مصاهرات بين مختلف القبائل [2]. هذه المصاهرات أو ما تعرف بالزواج السياسي ، يرى فيه أحد الباحثين و الدراسيين أنه يصف : " الحق السياسي الذي مارسه الرجال على النساء " .و من أمثلة الزواج المصلحي السياسي نجد أن إحدى البايات قسنطينة و اتقاء لشر أم هاني زوجة ابن الصخري عمل على مصاهرتها بالزواج من ابنتها [3]. واحيانا نجد أن المرأة تكون هي السبب المباشر في نشوب الصراعات و خاصة بين السلطة العثمانية و القبائل ، أو بين القبائل فيما بينها . و هذا بسبب رفضها الزواج، و هنا نذكر قصة صالح باي و ابراهيم بوعزيز (شيخ الحنانشة) حيث رفضت البنت الزواج من صالح باي[4].

اما عند حدوث عمليات قتل و من ثمة البحث عن الثأر من القاتل في بايلك قسنطينة ، تكون فيها المرأة الخاسرة الأكبر ، فبالإضافة إلى أنها هي التي فقدت زوجا أو أبا أو أخا أو ولدا ، تصبح هي محل المقايضة بين أهل القتيل و أهل القاتل . فالمرأة في هذه الحالة تقدم مكان الدية لأهل القتيل تكفيرا عن القتل ، و لنا أن نتخيل مدى و حجم المعاناة التي ستعانيها هذه المرأة من أهل

---

[1]- نفسه ، ص 38.

[2]- بوعزيز جهيدة ، المرجع السابق ، ص127

[3]- بوعزيز جهيدة ، المرجع السابق ، ص 129.

[4]- نفسه ، ص 128.

القتيل ، و مدى حقدهم و غلهم لفقدان قتيلهم ، فتتحول هذه المرأة إلى متنفس لأهل القتيل ، يستغلونها أشد استغلال [1].

1-3-السياسة العثمانية و تأثيرها على المرأة : كثيرا ما كانت المرأة عرضة للسياسة العثمانية التركية خاصة مستوى الريف القسنطيني و الذي يمثل حيزا جغرافيا مهما من البايلك . فعندما يحل فصل الضرائب و جبايتها و الذي تقوم به المحلة هذه الأخيرة ما تمثله من سلطة لم يراع حرمة المرأة و النساء على مستوى الريف فكثيرا ما كانت المرأة عرضة لاعتداءات رجال المحلة ، و حتى و إن لم يتم التعدي عليها لشخصها فكانت المرأة توضع في موقف مهين من خلال تعرض زوجها و أبنائها للإهانة و التعدي عليهم أمام ناظرها ،و الكثير من الكتب تناولت التعدي على الأطفال و قطع و بتر جزء من أعضائهم لأسباب تافهة أمام أعين أمهاتهم[2] .كما أن المرأة و ما تقوم به من دور فهي التي تنسج و هي التي تحيك و غيرها من الأعمال كل هذا الجهد و التعب يكون من نصيب رجال المحلة [3].

1-4-معانات بسبب الاسرة

1-4-1-تعدد الزوجات: كثير ما نجد أن المرأة على مستوى بايلك قسنطينة كانت تعاني جزء تعدد الزوجات أو اتخاذ الزوج زوجة ثانية ، و حتى و إن لم يكن للمرأة عذرا أو سببا شرعيا لمعارضة الزوج في ممارسة حقه الذي وهبه الله. و حتى و إن أرادت المعارضة فهي لن تستطيع و لن تكون لها القدرة على رد الرجل عن هذا الفعل .هذا الفعل من الرجل يكون له اثر سلبي على المرأة او الزوجة خاصة اذا مارس الرجل تمييزا بين زوجاته. وظاهرة تعدد الزوجات من الظواهر التي اتخذت لها حيزا في نوازل ابن الفكون [4]

---

[1]- فيرو ، مرجع سابق ، ص 40.

[2]- - بوعزيز جهيدة ، المرجع السابق ، ص ص127- 132.

[3]- نفسه، ص 127.

[4]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، 72.

كما كان لغياب الرجل و خروجه من بيته و دون علم المرأة (الزوجة) أو معرفتها بوجهته ومع طول الغياب تبقى المرأة تتحمل مشاق الأسرة من نفقة و غيرها . و هنا نستحضر قصة جاء ذكرها في كتاب منشور الهداية لصاحبه عبد الكريم الفكون و الذي تحدث عن محمد الزواوي[1] الذي غاب عن زوجته الأولى فترة من الزمن و أثناء غيابه اتخذ زوجة ثانية و بكل بساطة بعد طول غياب يعود ليرد الأولى[2] .و هذا التصرف و الفعل يوحي لنا أن المرأة و كأنها سلعة متى أراد تركها و متى أراد الرجل ردها و كأن هذا المخلوق بدون إحساس خاصة إذا عرفنا مدى حاجة المرأة للرجل من حقوق لها عليه كزوجة .

و في موضوع غياب الرجل او الزوج جاءت بعض النوازل هذه الاخيرة حملت لنا ما كانت تعانيه المرأة و حتى و إن تشر مباشرة لهذه المعاناة ، الا ان المتمعن و المحلل لهذه النوازل يكتشف حجم الألم الذي يلحق بالمرأة جراء غياب الزوج الذي يعد المعيل الأول لها و للأسرتها . و حتى و إن كان سبب الغياب أحيانا خارج عن طاقة الرجل ، لكن الذي يهمنا هنا هو مدى الحمل الذي وقع على عاتق المرأة ، فالمرأة أثناء فترة غياب الزوج و التي قاربت العامين هي من تولت الانفاق على البيت من دفع كراء المنزل ، و ما يتبعه من النفقة على الأسرة [3]، هذا الموقف الذي وضعت فيه المرأة سيكون له أثرا سلبيا على المرأة من الناحية المادية ، و الناحية المعنوية (النفسية) ، فلنا أن نتخيل كيف لامرأة العيش من دون زوجها لمدة عامين و خاصة مع الظروف و الأوضاع التي تعرفها المنطقة .ومن النوازل التي تناولت هذا الموضوع النازلة التي عرضت على عمر الوزان[4] جاء فيها : "" الحمد لله ،سيدي

[1]– أبوعبد الله محمد الملقب بالفقيه ، عرف بالزواوي نسبة الى جبل زواوة ، تصدى للتدريس بمدينة قسنطينة ، درس في ابن الحاجب بجامعة قصبة مدينة قسنطينة . انظر . عبد الكريم الفكون ، منشور ...، مصدر سابق ، ص ص 102-104.:

[2]– نفسه، ص 102.

[3]– ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، ورقتين : 449،450.

[4]– تمت الترجمة له سابقا .

رضي الله عنكم جوابكم في رجل يملك ثلثا في خراب ...... فقالت زوج المبتاع أنا نعطيك عنه حتى يقدم من سفره فأخذ منها كراء الثلثين نحو العامين ثم أنه لم يقدم... " [1].

1-4-2- الطلاق : كثيرا ما تكون المرأة ضحية تصرفات و سلوكيات و أفعال الرجل و الذي يمثل الزوج ،ومن اهم التصرفات التي تؤدي الى معاناة المرأة ظاهرة الطلاق وما ينتج عنها وتعد ظاهرة الطلاق من الظواهر التي وجدت لها حيزا في نوازل ابن الفكون [2] ، فالطلاق اصبح هينا عند الرجل هذا الأخير كثيرا ما نجده يلفظ بالطلاق و تحريم زوجته و هذا لأتفه الأسباب و الأمور بل و في مواضع بعيدة كل البعد عن هذا اللفظ و الذي يهدد الرابطة الزوجية و الزوجة هي الضحية الأولى لفك رابطة الزواج . و هذه التصرفات و الألفاظ التي تؤدي في الكثير من المرات إلى الطلاق نجدها تكررت في غير نازلة فها هي إحداها تعرض على عبد الكريم الفكون[3] جاء فيها : " عن مسئلة (مسالة) و هي أن رجل قال لرجل ما بالك لا تؤدي الزكاة و عندك خمسون من البقر فأجابه قائلا بحرام زوجه ليس عندي إلا عشرون منها ثم بعد ذلك بحث في بقرة فوجد احد و عشرون بقرة ماذا يلزمه في يمينه " [4]. و نفس الشيء نجده يتكرر في نازلة أخرى عرضت على نفس العالم حيث يقول السائل: " سيدي رضي الله عنكم و أرضاكم... في مسئلة(مسألة) و هي رجل وقع بينه و بين أخيه شأن عظيم و حرج كبير . و الحالة أنهم ساكنين (ساكنون) بدار واحدة مختلف أحدهما بحرام نسائه لا سكنت فيها يستقبل معك ما دمت حيا في الدنيا و خرج من الدار ..." [5].

1-4-3-التعدي على ارث المرأة : بعض النوازل نقلت لنا صورة واضحة عكست لنا مدى الظلم الذي كانت تتعرض له المرأة ببعض مناطق البايلك . فإحدى النوازل طرحت لنا تعرض أرملة و أبنائها إلى اغتصاب حقها و إرثها من طرف إخوة الزوج و حتى جزء من مهرها مازال على ذمة

---

[1]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقتين 449،450.

[2]- نفسه ، ورقات :57، 72،73،65.

[3]- تمت الترجمة له من قبل.

[4]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 39.

[5]- نفسه، الورقة 40.

زوجها المتوفي فلا هي تحصلت على مهرها و لا هي أخذت نصيبها و نصيب أبنائها . واذا كان التعدي على الحقوق من قبل الأهل يكون له الوطأ الأكبر من التعدي على حقوق هذه المرأة من خارج الأسرة .حيث تذكر النازلة التي طرحت على العالم المدرس مفتي الحضرة التونسية الشيخ محمد الرصاع[1] و كان نص سؤالها : " ... كان رجل أراد السفر إلى حج بيت الله الحرام مع زوجته و له منها ولد سنه من الصغر ما بين العامين إلى الثلاث .....وضع الولد عند جده يحوطه و يقوم بأموره ...مات قليلا في أثناء الطريق بمقربة من مصر قبل وصوله إلى وطنه ، و كان بعض اخوته لأبيه معه في سفره ذلك فضم جميع مخلفاته بوطنه من طعام و ادام و خيل و بغال و بقر و أثاث داره و غلاة رباع و غيره ذلك عدى نزر قليل من مخلفات الهالك و بعض ملبوس الهالك الذي بوطنه عزل مناب الولد من ذلك تحت يد جده المذكور لما نكر عليه و مازال يتصرف في مخلفاته تبذيرا و جورا تصرف المالك في ملكه و لم يوصل زوجة الهالك و لا ولده من حظهما من ذلك بشيء ثم مد يده إلى تفويت الأصول بالبيع ..و يقول أن على الهالك ديونا أقضيها ....فأراد جد الولد المذكور ووالد الزوجة أن تعبر عليه في ذلك إن وجد سبيلا في حق الولد و ابنته لتجديد الحجز عليها في وقت سالم له ذلك شرعا لأنه منعهما ميراثها و مهرها نقده وكاليه إذ لم تقبض من جميع .... "[2].

1-4-4-العرف و التقاليد: يبدو أن المجتمع القسنطيني مجتمع تتحكم فيه الأعراف و التقاليد ، و خاصة فيما يتعلق بالحبس في الأولاد و أعقابهم و عدم إدخال أولاد البنت في ذلك ، و هذه عرف و عادة الجارية بقسنطينة و هذا ما جاءت به وأكدته النازلة التي عرضت على عمر الوزان[3] و التي نصت على : " الحمد لله شهد من يتسمى عقب تاريخه بأن العادة الجارية المستمرة بقسنطينة المحروسة أن أربابها إذا حبسوا حبسا على أولادهم و أعقابهم لا يريدون إدخال أولاد البنات في حبسهم سواء كرر لفظ العقب أو لم يكرر..." [4]. و نفس الشيء يتضح لنا من خلال إجابة عمر

---

[1]- تمت الترجمة له سابقا .:

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقتين : 297،298.

[3]- تمت الترجمة له من قبل .

[4]- نفسه ، الورقة ، 426.

الوزان فيقول : " ...الحمد لله . الخلاف في أصل المسئلة (المسألة)شهر و مشهوره معلوم و مع ثبوت العرف المذكور من عدول موثوق بهم في ذلك ليرتفع الخلاف فلا يدخل ولدا البنت في العقب ..." [1] و يبدو أن العرف من خلال عمر الوزان كان و لا يزال مستمرا بقسنطينة إلى غاية أواخر محرم 932 هـ(م) . و هذا ما تؤكده النازلة : " ... و تشهد به أن العرف المقيد أعلاه لم يزل متقررا بقسنطينة على نحو ما قيد أعلاه إلى حيث تاريخه قيد بذلك شهادته هنا لطالبها منه بتاريخ أواخر محرم عام اثنين و ثلاثين و تسعمائة ..." [2].

من خلال ما سبق ذكره يمكن أن نرى أن العرف فيما يخص الحبس و مدى تطبيقه يعود أساسا إلى طبيعة المجتمع بالبايلك ، فهذا المجتمع نجد أنّ له ارتباط بالأرض و العرض ، و الآباء بعدم تحبيسهم على البنت يعود ربما لمخافتهم على خروج أملاكهم من الأسرة إلى الاصهار و هذا ما يدخل الكثير من الخصومات بين الأسر المتصاهرة .و الخوف من استغلال هذا الحق من طرف الأصهار للمطالبة به ، و من ثم فإن الأملاك ستضيع جراء تقسيمها ، بين أصحاب الحقوق فيها .و هذا ما يجرنا للحديث عن حق المرأة في الإرث و المنتزع منها في الكثير من المناطق الأخرى ببايلك قسنطينة و باقي المناطق الأخرى و هذا مخافة من ضياع الأصول و التي تطالب بحقها يمنح لها مقابل ذلك العقار مبلغا من المال لتتنازل عن حقها .كما يمكن أن نستخلص أن المرأة لم تظلم من قبل الرجل (الذكر) فقط بل ظلمت من طرف مثيلتها الأنثى و هذا لن نجد له تفسير إلا ما يسود المجتمع من أعراف و عادات تتحكم فيه ، و المرأة ما هي إلا عنصر من هذا المجتمع يتأثر و يؤثر، و في الكثير من الأحيان نجدها تظلم نفسها بنفسها إرضاء للمجتمع و تماشيها مع الأعراف ، التي لا تقتصر على إقليم قسنطينة بل نجد ضاربة في أعماق المجتمع الجزائر ككل ، وفي كل مناطقه ، وفي نفس المنوال وهو العرف جاءت نازلة أخرى عرضت على الشيخ محمد المسراتي حول دخول ولد البنت في لفظ العقب أولا حيث يقول السائل : " ...الحمد لله الغرض من السادات الفقهاء علماء

---

[1]- نفسه ، الورقة 427.

[2]- نفسه ، الورقة 426.

الإسلام التوقيع في القضية المسؤول عنها أعلاه من سلف من العلماء و بيان الحكم و المعول عليه عندكم في ذلك من دخول ولد البنت في لفظ العقب في الحبس أو الولد لأن الولد كالعقب اتفاقا و قد علمتم حفظكم الله مشهور مذهب مالك في ذلك و هو نص قوله في المدونة مع موافقة عرف بلد السايل للمشهور فكيف بموافقة للمشهور كما أشار إليه بعض المجيبين أعلاه و هل ما ساعد به ناظر الأحباس أولاد البنات من دخولهم في بعض الغلة مع من رجع إليه الحبس لانقراض العقب ...." [1]. وممن أجابوا ايضا على هذه النازلة سعيد قدورة[2] ، و المفتي حميدة بن باديس[3] وغيرهم من العلماء .

وفي نفس السياق نجد نازلة أخرى عرضت على الجد محمد عبد الكريم الفكون و التي أجاب عنها المفتي التونسي عبد الله محمد المسراتي و التي حملت لنا تحبيس امرأة لجزء من أملاكها على الأولاد الذكور أما الاناث فيتمثل في النفقة والكسوة[4]،و هذا النصيب نجده مشروط لعزوبية البنت لأن بعد زواجها ستفقد هذا الحق ، و الامتياز لكن المحبسة راعت حالة المرأة ، فوضعت شرط و هي أن المرأة في حال ما ترملت يعود حق الكسوة و النفقة من جديد . و نفس المنطلق نجده عن محبس آخر في نازلة و هذه المرة للمرأة (الأنثى) منحت حق السكن ، و هذا بشرط أن تكون إمّا عزباء لم تتزوج أو أيّم أرملة كانت أو مطلقة ، و هذا ما نصت عليه النازلة التي عرضت على العالم القاضي بن عبد الرفيع[5] (رحمه الله) و التي جاء فيها : " ...أشهد محمد أنه حبس جميع دار سكناه عل

[1]– ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 427، 428.

[2]– سعيد بن ابراهيم قدورة ،أبو عثمان : كان مفتي مدينة الجزائر ومن بين علمائها وفقهائها ، اصله من تونس ، أما مولده ونشاته فكانت بالجزائر . أخذ عن سعيد المقري وغيره من العلماء ، وأخذ عنه محمد بن اسماعيل مفتي الجزائر ، ويحي الشاوي وغيرهما .له عدة تاليف منها: (شرح الصغرى)للسنوسي ، وغيرها .انظر عادل النويهض ، مرجع سابق ، ص 346.

[3]– ابو العباس حميدة بن باديس ،كان اديبا اريبا ، من اصحاب عبد الكريم الفكون .تولى الافتاء واستقل به في زمنه بمدينة قسنطينة. انظر عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص ص 210،211.

[4]– نفسه ، ورقتين : 411،412.

[5]–ابن عبد الرفيع كان قاض الجماعة بمدينة قسنطينة زمن أبي زكرياء يحي الفكون جد عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية .انظر / عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص ص41،42.

ولده عبد الله و على كل ولد يحدث للمحبس المذكور ذكرا كان أو أنثى و من مات من أولاد المحبس المذكور رجع نصيبه إلى أولاده الذكور و الإناث على النسبة المذكورة إن كان له ولد و إن لم يكن له ولد رجع نصيبه إلى الباقي من إخوته أولاد المحبس المذكور... و اشترط في تحبيسه المذكور أنه لا يكون لكل أنثى ممن سيوجد له أو من عقبه و عقب عقبه مع وجود الذكور إلا السكن خاصة قبل التزويج أو بعده إذا تأيمت فإذا انقرض الذكور كلهم يتصرف من بقي من البنات و لو واحدة بالسكن و الاستقلال ..." [1]. من خلال هذه النازلة نستنتج أنه بعد انقراض الذكور يمكن أن تستغل الدار للسكن و الاستغلال من طرف البنت (الأنثى). و نفس الشيء نجده قد فعله في تحبيسه للحوانيت التي يملكها و بنفس الشروط السابقة[2] ، و يبدو من خلال منح الأنثى نصيب من الحبس من حيث السكن أو الاستغلال بالكراء و غيره من الحقوق حتى و لو كانت مجحفة في حقها ، يبدو أن الآباء كانوا حريصين على البنات من أبنائهم و لو نسبيا و هذا من خلال أنهم عملوا على عدم ترك البنات في حاجة إلى السؤال.

أما النازلة المعروضة على العالم أبي عبد الله محمد المشدالي[3] ، فجاء فيها : " ...في مسئلة(مسألة) رجل اعمر ولديه محمد ارباعا وكل ذكر يحدث له و الذكور من عقبه و عقب عقبه ما تناسلوا إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، و هو خير الوارثين و له عقب ذكور و بنت ابن و عقب الذكور

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقتين: 452،453،

[2]-نفسه ، ورقتين : 452،453.

[3]-هو محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي عرف بالبجائي، كان عالما فقيها وإماما مفتيا بها ، اشتهر المشدالي بفتح الميم المعرفة وشد الدال، نسبة لقبيلة من زواوة ، كان رأس علماء بجاية ومفخرة فقهائها والمرجع في الفتوى كان محققا، ولي الخطابة بالجامع الأعظم ببجاية كما تصدر للتدريس وكان يضرب به المثل حتى يقال "أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي" ،أخذ العلم عن أبيه وابي الفضل ومحمد وابن مرزوق الكفيف وله باع في التحقيق وبراعة في الفتوى والتحرير، نقلت فتواه في المعيار و المازونية، ومن مؤلفاته تكملة حاشية أبي المهدي عيسى الوانوغي على المدونة في أربعة أجزاء ومنها مختصر البيان والتحصيل لابن رشد رتبه على مسائل ابن الحاجب، تتلمذ عنه مجموعة من الأئمة على مسائل ابن الربيع الحسناوي ومحمد بن مرزوق الكفيف وولديه وقول الحفناوي فيما يخص وفاته فكانت سنة ست وستين وثمان مئة (866هـ)توفي ببجاية .انظر / التمبكتي ، مصدر سابق ، ص 220،221. عبد الرحمان قفاف ، مرجع سابق ، ص 89.

يتصرفون في الرباع المذكورة بحكم ما ذكر بالسكن و الكراء دون البنت و من جملة الربع المعمر المذكور دار أن اثنتان صحيحة البنا متصلتان ..."[1]. و من خلال النازلة نرى أن الوالد قد حبس أملاكا له على الذكور و على أعقابه ما تناسلوا و حرم البنت من مختلف التصرفات و حتى و إن كانت ابنة الابن.

و في نفس اتجاه النازلة السابقة جاءت النازلة التي تطرقت إلى رجل قام بتحبيس دار له على أولاده الذكور دون الإناث حيث يقول السائل: " ... رجل حبس دار على أولاده و أعقابه و شرط في حبسه ألا يدخل الأبناء مع الآباء و لا يكون لكل أنثى منها إلا السكن خاصة قبل التزويج أو بعده إذا تأيمت و انحصر عقبه..." [2] ، ليأتي جواب المفتي القاضي ببطلان الحبس بسبب عدم المساواة بين الذكر و الأنثى ، و الذي رأى أنه من عمل الجاهلية الأولى يتنافى مع مذهب مالك و الصحابة حيث يقول :"...واما شرط ان لا يكون لكل انثى سكنى الا سكنة خاصة قبل التزويج او بعده اذا تايمن فمبطل للوقف قال الشيخ الامام الحطاب اذا شرط اخراجهن اذا تزوجن فصرح ابن القاسم لن ذلك من اخراج البنات من الحبس وانه يبطل ...لقول مالك رحمه الله تعالى ...انه من عمل الجاهلية .."[3].هذه الاجابة من العالم اكبر دليل على ما كانت تعانيه المرأة من هضم لحقوقها .

و هناك أشخاص نجدهم يحبسون أملاكهم على أولادهم الذكور و على نسلهم من بعدهم حتى ينقرضوا جميع الذكور ، ثم يتحول الحبس على البنات مثلما جاءت به النازلة التي أجاب عددا من العلماء و الفقهاء أمثال: محمد التواتي ، يحي المحجوب ، و غيرهم . و هذه النازلة عبارة عن نسخة رسم و سؤال ، من أهم ما جاء فيها : " ... بعد أن استقر على ملك فلان ابن فلان جميع كذا من الجنة المعروفة بكذا و جميع الدار المعروفة بكذا و جميع كذا من الدار المعروفة بكذا و جميع الأرض المعروفة بكذا أشهد أنه حبس جميع الأماكن المذكورة و سائر حقوقها على ولده فلان و على كل ولد

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقتين : 303،304.

[2]- نفسه، ورقة 319.

[3]- نفسه ، ورقة 321.

يحدث له في بقية عمره من زوجة فلانة و على أولاد أولاده المذكورين الذكور منهم دون الإناث و على أعقابهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم من الذكور و من مات من أولاده المذكورين عن غير ولد ذكر فإن نصيبه يصير لإخوته الباقين من الذكور ...و إن انقرض أولاده الذكور عن غير عقب ذكر أو انقرض أولاد أولاده أو أعقابهم الذكور من غير ذكر فإن الحبس المذكور يصير لبناته فلانة و فلانة ..." [1]. و حتى و إن استدرك المحبس في مآل الحبس بعد انقراض سل الذكر سيعود ذلك على البنت فان هذا غير كاف فلنا أن نتخيل أن هذا الولد لم ينقطع نسله إلا بمرور قرون فهذا معناه أن الأنثى السابقة حقها يضيع مع كل ذكر يولد و هذا ما يولد الكثير من الحقد داخل الأسرة و العائلة الواحدة .

ولكي نكون منصفين لابد من الاشارة الى اشخاص حبسوا املاكهم أو جزء منها على الاولاد ذكورا كانوا ام بنات وهذا دون التفرقة بينهم ، و هذا ما تؤكده إحدى أهم النوازل و التي طرحت على محمد بن عبد الكريم الفكون [2]هذه النازلة تخص عائلة الفكون و بالضبط تحبيس قاسم الفكون (أبي الفضل) من أهم ما جاء فيها : " بعد أن استقر على ملك الشيخ الفقيه العالم العلامة الصدر الشهير القاضي الأعدل أبي الفضل قاسم بن الشيخ الفقيه العالم العلامة المولف أبي زكرياء يحي جميع كذا و كذا داخل بلد كذا و خارجها أشهد الآن الشيخ المذكور أنه حبس جميع ما استقر على ملكه من الأماكن المذكورة و المشار إليها كاملها على ولده فلان القريب عهد البلوغ و شقيقته فلانة و فلانة الصغيرتين في حجره و تحت ولاية نظره و على ابنته فلانة و على فلان و فلان و لدي أخيه لأبيه الفقيه العالم العلامة الخطيب البليغ أبي محمد عبد الكريم الصغيرين في حجر والديهما المذكور و تحت ولاية نظره ، و على كل ولد يحدث له و لأخيه المذكور بقية عمرهما ذكرا كان أم أنثى و على أعقابهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام للذكر مثل حظ الانثيين و اشترط

[1]- نفسه ، ورقتين : 305،306.

[2]- تمت الترجمة له سابقا

في حبسه أن لا تدخل الأنثى ممن عدا بنات صلب المحبس و أخيه إلا إذا كانت عزبه(عزباء) فإن استغنت بزوج كان حقها من ذلك لمن في طبقتها من إخوتها فإن تأيمت عاد لها حقها ..."[1].

** **الميراث:** فيما يخص جانب الميراث و حق المرأة في ذلك و حتى و إن كان هذا الحق مكتوبا من فوق سبع سموات ، الا أن الكثير من المناطق على مستوى البايلك تمنع الانثى (المرأة) من هذا الحق ،وخاصة على مستوى الريف وفي حالة مطالبتها بنصيبها تمنح هبة بسيطة مقابل التنازل عن حقها للذكر ، واذا تعنتت واصرت على رايها يتم التصرف بحقها دون استشارتها أو الرجوع اليها .وهذه الظاهرة لم تكن وليدة هذه المرحلة بل نجدها ضاربة في التاريخ على الاقل تعود الى الفترة الوسيطة[2] . لتستمر الظاهرة و هذا ما تؤكده الكثير من المصادر التاريخية ، فها هو شريف الزهار يذكر لنا بعض المناطق من بايلك قسنطينة كمنطقة القبائل الكبرى هذه الاخيرة حسب كلام شريف الزهار تمنع وتحرم من حقها في الإرث و هذا ما يضعنا أمام طرح عدة تساؤلات عن سبب هذا المنع، فالسبب الرئيسي لذلك هو عدم معرفة هؤلاء الأقوام بالإسلام و الشريعة الإسلامية فكما يصفهم الزهار أنهم لا يعرفون من الإسلام إلا شهادتين[3].

و رغم منعها من حقها في الإرث و اغتصابه هذا لا يساوي شيئا إذا عرفنا أن هذه المرأة في العديد من المناطق بايلك قسنطينة تصبح هي الإرث الذي يتقاسمه الورثة ، و هذه المعاناة حملتها لنا مختلف الكتابات العربية و الأجنبية فالزهار يعطينا صورة عن المرأة و كيف كانت تورث و كأنها سلعة أو ملكية في يد الرجل ، فالمرأة التي يتوفى زوجها عنها تكون من نصيب أخيه أو ابن عمه فهو الأجدر بها . و لكن لو يتوقف الأمر عند الزواج من هذه المرأة لوجدنا أو أعطينا عذرا لذلك كأن تقول أن هذا الفعل من الأخ أو ابن العم الهدف منه هو هدف شريف و هو صون هذه المرأة و من

---

[1]- نفسه، الورقة 325.

[2]- شقطمي هناء ، مرجع سابق ، ص 80.

[3]- الزهار احمد الشريف : مذكرات نقيب الاشراف ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، ذخائر المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 22.

ورائها صيانة شرف أخيه المتوفي . و لكن للأسف الوارث للمرأة إن وجدها لا تنفعه و ليس بحاجة إليها ، فإن هذا السيد يعمل على تزويجها من آخر مقابل أخذ صداقها [1].

أما فيرو و الذي يتفق مع الزهار في قضية توريث المرأة فيقص لنا و يسرد لنا ذلك فيقول : " ...و هي أنه بمجرد أن يكون الزوج قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، فالأول من بين الورثة الذي يرمي حايكا أو برنوسا أو أي قماش أبيض على رأس الأرملة ، يعتبر مالكا لها بهذا الفعل " [2]. و حتى و إن كان فيرو من حيث لب الفكرة أقرب إلى الصح إلا أن طريقة تناوله للموضوع فيه نوع من التهكم و الاحتقار لهذا المجتمع ،و لكن و حتى و إن تطاول فيرو فإن هذا ما كانت تعانيه المرأة في بعض المناطق من الشرق الجزائري و التي أصبحت و تحولت إلى سلعة رخيصة في يد الرجل.

1-4-5-الزواج : حتى و إن كان الزواج رباط لا يتم إلا برضى الطرفين إلا أن هذه القاعدة كثيرا ما نجدها لا تحترم رغم ما تمثله من قواعد شرعية تتعلق بالدين الإسلامي . فالمتفحص لنوازل ابن الفكون يلحظ و يكتشف مدى التعدي على حقوق المرأة و على رأس هذه الحقوق الزواج . فالمرأة بحكم الشريعة الإسلامية لها كل الحق في اختيار زوجها أو على الأقل القبول به و رضاها يعد شرطا أساسيا في الزواج ، لكن هذا الحق في القبول و الرضى و الاختيار نجد أن بعض البنات بإقليم قسنطينة يحرمن منه و هذا لعدة أسباب منها تعنت الآباء أو الأعمام و خاصة في حالة ما إذا كانت البنت يتيمة الأب و مع وجود هذا الأخير لا يحترم حق البنت في القبول أو الرفض ، بل يغصبها على الزواج ممن يختاره لها ، و في هذه الحالة تذكر النازلة أن الزوج الذي اختاره عم البنت كريه المنظر و رغم تمسك البنت بالرفض إلا أن هذا لم يشفع مع تعنت العمو هذا ما تؤكده النازلة التي طرحت على أبي عبد الله محمد الفكون (دفين مويلح) على لسان صاحبها : " ...عن مسألة و هي أن رجلا توفي و ترك الله له و لها عم مبغض فيها شهد على أبيها و أنه أنكحها من ولد قريب له كريه المنظر ....أن البنت المذكورة منكرة لجميع ذلك و نافرة من الولد كل الإ نفار و أجبرها على نكاح

[1]- الزهار ، المرجع السابق ، ص 22.

[2]- فيرو ، مرجع سابق ، ص 39.

الولد و عمد عليها من غير مؤامرة لها و لا رضا(رضى) و لا توكيل لها ، إلا بما زعمه مما ذكر و لما بنا(بنى) بها..."[1].

لكن رغم اختلاف أسباب تزويج البنت أو أسباب رفضها فإن الخاسر الأكبر من كل هذا هو البنت و المرأة عامة، وحتى الرابطة الزوجية تصبح مهددة بالطلاق في هذه الحالة ،و هذا ما تشير الية وتؤكده النازلة حيث أن البنت بعد زواجها فرت من بيت زوجها قاصدة اهلها و رفضت العود للزوج وهذا رغم كل المحاولات لردها سواء من طرف الأم أو الأقارب حيث يقول السائل : " ... و أجبرها على نكاح الولد ... و لما بنا(بنى) بها الولد فرت من عنده و حوت إلى دار أمها. و مكثت عندها ما يزيد عن السنتين و الأم تراود فيها و جميع أقاربها على الرجوع و لم يزدها كلامهم إلا نفورا ، فهل حفظكم الله يصح هذا النكاح ..."[2]. و هذه الظاهرة ما كانت لتكون لو سار الزواج وفق شروطه و التي من أهمها الرضى و القبول فالزواج في هذه الحالة باطل وهذا ما تؤكده إجابة ابن الفكون بقوله : " ......فبان مما أصلناه بطلان نكاح هذه البنت على كل الوجوه و لا حاجة إلى الحكمين و الله تعالى أعلم ..."[3].

كما أن البنت أو المرأة في الكثير من الحالات تكون ضحية وصية الأب هذا الأخير و رغم أنه أوصى رجلا تقيا ذا دين على ابنته ، لكن هذا لم يكن كافيا خاصة مع وجود ابن عم البنت الذي ادعى أن عمه في حياته أعطاه البنت و أثبت ذلك و استطاع أخذ البنت ، بدون وجه حق لتصبح البنت محل نزاع بين رجلين أحدهما قريبها (بن عمها) ، هذه الحالة حملتها لنا احدى النوازل عرضت على سالم السنهوري و التي جاء فيها : " ...رجل توفي إلى عفو الله تعالى و أوصى رجلا على أولاده و جعل له حير البنت على التزوج قبل البلوغ و بعده إيصاء تاما ، ثم أن الموصا (الموصى) المذكور أعطا (أعطى) البنت المذكورة من ولده . بحكم ما ذكر ثم أن ابن عم البنت المذكورة قام على الوصي

[1]- ابن الفكون ، مصدر سابق ، ورقتين : 37،38.

[2]- نفسه ، ورقتين : 37،38.

[3]-نفسه ، الورقتين : 37،38.

و ادعا(ادعى) أن الموصي كان في قايم حياته أعطاه إياه...و بنا (بنى)المدعي المذكور بالبنت المذكورة و مكث على ذلك مدة الزمان ...فقام الآن ولد المعقود و أراد انتزاع الزوجة من تحت من ذكر ابن..." [1]. ورغم ان تصرف ابن العم هذا لا يجوز من الناحية الشرعية ويحق للولد الموصى له ارجاع البنت (زوجته) و أخذها من ابن عمها وهذا ما يؤكده جواب العالم على سؤال النازلة [2]، إلا أن هذا لا يقدم و لا يؤخر في لب الموضوع شيئا لان الذي يهمنا هاهنا هو مدى ما عانته هذه البنت .

1-4-5-عمل المرأة : تعد المرأة أساس الأسرة سواء على مستوى الريف أو المدينة لكن حجم الأعمال التي تقوم بها هذه المرأة داخل البيت و خارجه ، يجعلنا نقر أنها هي خادمة البيت، فعلى مستوى الريف نجد أن النسوة أو المرأة هي المسؤولة عن مختلف الأعمال من جلب للماء ، الذي يستعمل في مختلف الأمور من غذاء و غسل و غيرها من الأعمال . كما نجدها هي التي تهتم بالحطب و جلبه من مختلف المناطق و في المناطق التي تعرف ندرة للحطب مثل نواحي قسنطينة نجدها كانت تستعمل الأعشاب و فضلات البقر المجفف للطهي و الطبخ و مختلف الاستعمالات الأخرى [3]. كما نجد أن المرأة على مستوى الريف تقوم بالرعي و غيرها من الأمور المتعلقة بالماشية من حلب و غيرها [4]. أما فيما يخص النسيج فهي أيضا من مسؤولية المرأة فهي التي تخيط الخيام (أو المساكن) ، و الحياك ، و البرانس و غيرها من الأغطية و الأفرشة التي يستعملها الفرد على مستوى الريف ، إضافة إلى مختلف الأعمال المنزلية من غسل و طحن و طبخ و غيرها . و لم يقتصر عمل المرأة على هذا بل نجدها في موسم الحصاد تخرج إلى الحقول متبعا طريق الحصادين لتجمع مختلف السنابل المتساقطة و التي يخلفها الحصادون وراءهم [5]. ضافة إلى هذا كله فطبيعة الريف و ما يتميز به

---

[1]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 474.

[2]- نفسه ، الورقة 475.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: مصدر سابق ، ص36

[4]- شقطمي هناء ، مرجع سابق ، ص 78.

[5]- حمدان خوجة ، مصدر سابق ، ص36.

من كرم الضيافة و إطعام عابري السبيل فإننا نجد أن المرأة الريفية تنهكها كثرة الولائم من أعراس و حفلات و غيرها من الولائم [1].

أما المرأة على مستوى المدينة فنجدها أقل عملا فهي تراعي في الأعمال المنزلية ، فهي لا تصل إلى مدى ما تعانيه المرأة الريفية [2]. فمختلف الأعمال التي تقوم بها المرأة و مدى الجهد الذي تبذله له خاصة على مستوى الريف القسنطيني يجعل من جسم المرأة ضعيفا لا يستطيع مقاومة الأمراض و على رأسها الحمى بأنواعها . و حتى العلاج لا يرقى إلى المستوى باستثناء بعض النباتات التي تستعمل في التداوي[3].

[1]- شقطمي هناء ، مرجع سابق ، ص79.

[2]-نفسه ، ص ص 79.

[3]- حمدان خوجة ، مصدر سابق ، ص 36.

الفصل الرابع

الفئات الفاعلة في المجتمع القسنطيني

المبحث الاول : أصحاب المهن الحرة والفئات المحرومة

المبحث الثاني : رجال الدين والعلماء

المبحث الثالث: موظفو الهيئة القضائية والهيئة العسكرية

احتوت نوازل ابن الفكون على عدد لابأس به من العناصر الفاعلة على مستوى المجتمع القسنطيني ، هذه العناصر تمثل مختلف فئات المجتمع بأدوارها التي تمس مختلف مناحي الحياة السياسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، بداية من فئة اصحاب المهن الحرة او بعبارة اخرى هي تلك العناصر التي لها مهن أو حرف وصنائع[1] توارثتها اب عن جد أو مهن جديدة .والتي كان من بينها النجارة ، والجزارة ، الدلالة ، الكنافة ، السقاية وغيرها من المهن الاخرى .إضافة الى المهن الحرة هناك فئة او فئات اجتماعية تمثل المعاناة والفقر والتهميش أو كما اطلقنا عليها الفئات الهشة . ثم تأتي فئة اجتماعية لها دور فعال داخل مجتمع اسلامي محافظ كالمجتمع القسنطيني ، هذا الدور لم يقتصر على الدور الاجتماعي بل تعداه الى الدور السياسي هذه الفئة هم رجال الدين والعلماء .لنختم الفصل بفئة تمثل السلطة بشقيها السياسي والعسكري ، وعلى راسها السلطة القضائية لما لهذه الهيئة من دور فعال داخل المجتمع فهي رمز العدالة .والسلطة العسكرية .

المبحث الاول : أصحاب المهن الحرة والفئات الهشة

1- أصحاب المهن الحرة:

1-1-النجارون : تعتبر مهنة و حرفة النجارة من الحرف والصنائع التي كانت منتشرة على مستوى إقليم قسنطينة و خاصة المدينة قسنطينة ، وتقوم هذه الحرفة على تحويل الأخشاب إلى منتوجات متنوعة من كراسي و أواني و غيرها من المنتجات الخشبية .ولقد جاء ذكر أو إن صح التعبير الإشارة إلى صنعة النجارة من خلال تناول أحد الأشخاص المدعو أبي محمد بن عبد الله الشريف النجار ، وكما هو معروف فان الالقاب والاسماء كانت تطلق على الاشخاص كلا حسب مهنته وحرفته. فلقب النجار نسبة إلى حرفة الشخص أو حرفة أجداده [2].

---

[1]-كانت بقسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي 35 حرفة او مهنة .انظر : Féraud (ch.), Les Corporations des Métiers à Constantine avant la Conquête Française, Rev. Afr., vol 16, 1872, pp451-454.

- لحمر كمال : صورة المجتمع الجزائري في المجلة الافريقية 1856-1992، شهادة دكتوراه علوم ، تخصص علم اجتماع التنمية ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010-2011، ص 407.

[2]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق : الورقة، 405.

1-2-الجزارون :من الصناعات أو الحرف التي جاء ذكرها أو الإشارة إليها في نوازل ابن فكون مهنة الجزارة، هي مهنة أو الصنعة تتعلق بكل ما له علاقة بالذبح و السلخ و غيرها من مهام الجزارة [1]. وجاء ذكر مهنة الجزارة في نوازل ابن الفكون بشكل يكاد يكون منعدما ، حيث تناولتها احدى النوازل بالإشارة إلى أحد الأشخاص و الذي جاء ذكره باسم الجزار و هذا الاسم يدل على مهنة هذا الشخص ، حيث يذكر السائل : "... عاينوا بيده ثور أبيض اللون مايح بصفورة قارح في سنه عتيل ذكره لهم و أنه ابتاعه من نصر بن دولة الجزار بقصد الحراثة ... " [2].

1-3-الدلال: يعتبر الدلال أو الدلالة من المهن التي كانت تلعب دورا هاما في النشاط الاقتصادي و التجاري بالبايلك وخاصة على مستوى المدن ، فالدلال يكمن عمله في النداء على مختلف عمليات البيع سواء البيع المباشر ، أو البيع عن طريق المزايدة .و من النوازل التي تناولت الدلال ومهنته نازلة جاءت على شكل رسم و سؤال ، أجاب عنها كل من العالم يحي بن سليمان و محمد ابن الفكون (الجد) ، والتي جاء فيها : " بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما ، هذه نسخة رسم نصه بعد سطر افتتاحه الحمد لله ، بعد أن تقرر أن من أملاك جانب المخزن المعمور من الربع الخاص بمدينة قسنطينة جميع الأماكن الذين منهم كذا و كذا و ورد أمرهم المطاع العلي من حظرة الجزاير(الجزائر) المحروسة من قبل مولانا الباشا الكبير ، المعظم الشهير ، مولانا فلان ، أعلا نصره ، ... التفويض و الإذن في بيع الربع الخاص بالمدينة المذكورة ... و نودي عليه حيث ينادي على الرباع بالمدينة المذكورة برهنة من الزمان و كان أقصى ما بلغ فيه العطا كذا و كذا ... " [3].

1-4-البراح: تتمثل مهنة البراح في الإعلان عن مختلف الأخبار و المعلومات في الأسواق و الشوارع ، فلا يمكن الاستغناء عن شخص البراح في نقل المعلومة و نشرها ، و رغم أن النوازل لم

[1]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق: الورقة 114.

[2]- نفسه، الورقة 114.

[3]- نفسه ، الورقة 81.

تتطرق لهذه المهنة إلا نادرا من خلال نازلة واحدة أشارت إلي بيت أو دار عرفت بدار البراح ، هذه النازلة عرضت على المفتي محمد الأنصاري المشهور بالكمادي حيث يقول السائل : " ... و بعضه من الربع غيره لم يذكر فيها و ذلك ربع دار البراح و البيتين المعمورتين ... " [1]. إلا انه ونتيجة لما يمثله البراح من دور وأهمية للمجتمع ككل .فإننا متيقنين أنه لا تكاد تخلو منطقة أو مدينة من المدن من شخص البراح .

1-5-السقاة(السقاية) : بحكم المنطقة و ما تتميز به من نقص المياه خاصة على مستوى مدينة قسنطينة ، استغلت فئة معينة هذا الوضع من أجل الاسترزاق من خلال جلبها المياه من العيون و الأودية و بيعها في المدينة . وهذاما توكده احدى النوازل ، حيث يقول السائل : " ...عن الماء الذي يأتون به السقاية من الوادي ، ويوجد في بعضه طعم أبوال الدواب ما الحكم فيه ، هل يحكم بطهارته مطلقا ... " [2]. و من تولى هذه الصنعة من أبناء قسنطينة ذكر لنا ابن الفكون أبو مدين الرشى كان والده يجلب المياه من الوادي ليبيعه لأهل البلدة(قسنطينة) [3]. و هذه الصنعة نجد أنه كان يتولاها العبيد بالدرجة الاولى و هذا ما يذكره الأب دان بقوله : " أن العبيد الذين بلغوا من العمر نصيبا فانهم كانوا يوجهون إلى السقاية ، حيث كانوا ينقلون الماء على ظهور الحمير في أكياس من الجلد و يبيعونه للحمامات و ورشات البناء و الأماكن التي لا يوجد فيها الآبار ، كما كانوا يحملون قلة كبيرة على أكتافهم و يصيحون حب الما أي من يريد الماء " [4]. من خلال كلام دان نجد أن بيع المياه لم تقتصر على مياه الشرب ، بل المياه باختلاف استعمالاتها . كما لم يقتصر وجود السقاة على

[1]- بن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 360.

[2]- نفسه ، الورقة 17.

[3]- الفكون عبد الكريم: مصدر سابق ، ص177.

[4]- شريد حورية : تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين الى نهاية العصر العثماني "دراسة تاريخية واثرية ، اطروحة دكتوراه في الاثار الاسلامية ، جامعة الجزائر-2- 2010-2011 . ج1، ص 219. ربما دان 407.

مستوى البايلك و مدينة قسنطينة بل نجد في مختلف مدن ايالة الجزائر خاصة التي تعاني من نقص المياه ، فعلى سبيل المثال نجد أنه بمدينة الجزائر كانت هذه الحرفة من اختصاص البساكرة [1].

1-6- مهنة الكنافة 2 : تتمثل هذه المهنة أو الحرفة في كل ما له علاقة بالمسكن من بناء المراحيض و العناية بها ، و إصلاح قنوات و مجاريها أو ما يعرف بقنوات الصرف الصحي و غيرها من الأعمال التي لها علاقة بالمجاري المائية ،يتولاها في الغالب العنصر اليهودي[3] . وفي هذا المجال تذكر النازلة على لسان صاحبها بقوله: " الحمد لله حظر لشهيديه المعلم حسن الكناف و أعترف أنه فتح تابوتين بدار التاجر عزوز بحمل كذا من بلد قسنطينة أحدهما بوسط الدار المذكورة و الآخر بالمحاسي الغربي ...و أنه وجد التابوتين مسدودين بالحجر الكبير وسط الساقية ، و أن مرحاض الدار المذكورة .....بقسنطينة و ذلك بتاريخ أواسط ربيع الثاني عام ثمانية و خمسين و تسعمائة "[4].

1-7-صناعة الخبز (الخبازون) : تعتبر حرفة و صناعة الخبز من أهم الصناعات و هذا نظرا لأهمية مادة الخبز بالنسبة لسكان إقليم قسنطينة خاصة والجزائر عامة ، وهذا ما وقفت عنده مختلف المصادر فالدكتور شو shaw يؤكد أنّ 3من 4 من الافراد يستهلكون الخبز والعجائن[5] ، وبصفة خاصة سكان المدن والحواضر. ولا يمكن ان نتطرق الى الخبز دون ان نعرج على المادة الاولية التي

---

[1]- نفسه : ص 219.- انظر: الملحق رقم10، ص 339.

[2]- الكنافة :كنف الدار يكنفها كنفا : اتخذ لها كنيفا والكنيف الخلاء وكله راجع الى الستر ، وجمع الكنيف كامير وهو : السترة ، والستائر ، والترس ، والمرحاض ، وحضيرة من شجر لابل . واهل العراق يسمون ما اشرعوا من أعالي دورهم كنيف .ويقال حظرت للابل حظيرة وكنفت لها وكنفتها .انظر : - ابن منظور : مصدر سابق مج 09 ، ص ص 308-310. .- احمد فارس : مصدر سابق ، ج 05 ، ص ص 142،143. –الفيروز ابادي محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، ط1 ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، 1430/2009هـ ، ص 867.

[3]- Féraud (ch.), op.cit. ; p. 454

[4]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقتين : 243،244.

[5]- بوشنافي محمد : صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830) ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد رقم 10، ديسمبر 2015 ، ص ص 41-57.

يصنع منها ، و المتمثلة في القمح بنوعية الصلب و اللين ، إضافة إلى الشعير ، فالحبوب عامة نجدها بشكل وفير على مستوى مناطق البايلك .

وصناعة مادة الخبز تمر على عدة مراحل : أولها مرحلة تهيئة الحبوب أو ما يعرف بالرحي أو الطحن ، و هذه العملية تتم عبر يجرنا للحديث عن المطاحن سواء الموجودة على مستوى المنازل و التي تعرف باليدوية[1] ، أو الموجودة على مستوى المطاحن العامة ، و هذه المطاحن نجدها على صنفين : الصنف الاول يدار بواسطة المياه[2] ، و هذا النوع (المائية) جاء ذكره في نوازل ابن الفكون .حيث تذكر إحداها : " ... و منها أجنة قديمة الغراسة تزيد عن خمسمائة عام و هي تشرب من ماء هابط لها من أعلى أرحية للطعام تشرب الجنة المذكور من ذلك الماء ..."[3] .أما الصنف الثاني فيدار بواسطة الحيوانات والدواب (حيوانية)[4].و في هذا المجال يذكر لنا شولصر أن بقسنطينة كانت هناك أربع طاحونات تدار بواسطة الدواب (الخيل ، البغال) و خارج المدينة هناك 2 (رحوان مائيتان) تدار بالمياه[5]. أما من حيث ملكية الرحى فهناك أرحية عامة تابعة للدولة (للسلطة) و في المقابل نجد أرحية خاصة تعود ملكيتها للأفراد أو الجماعات ، و هذا ما يؤكده قول إحدى السائلين : " ... ثم قام الان رجل إبتاع الأرحية المذكورة من بين المال وادعا و أن المخزن لما باع له الأرحية عين له في البيع الماء و أراد الان افتكاك الماء أو كرايه فهل يمكن من ذلك ..." [6].

1-7-1- طهي الخبز: عملية طهي الخبز تتم إما داخل المنازل التي بها أفران و هذا يعد قليل إذا ما قورن بعدد الأشخاص الذين كانوا يقصدون الأفران العامة لطهي الخبز[7] ، والافران العمومية

---

[1]- انظر الملحق رقم 11 ، ص 340.

[2]- شريد حورية : المرجع السابق ، ص161. - مخطوط رقم 1641 ، المكتبة الوطنية ، الورقة: 04.

[3]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقة 321.

[4]- ابو مصطفى كمال : جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1997. ، ص69. انظر :الملحق رقم 12.ص341.

[5]- شلوصر فندلين : مصدر سابق ، ص74.

[6]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقة 321.

[7]- شريد حورية: المرجع السابق ، ص161.

نجدها على مستوى كل مدينة أو قرية [1]. ولقد جاءت عدة نوازل تطرقت الى وجود كوشات وافران بمدينة قسنطينة وغيرها من المناطق والمدن كميلة وغيرها، حيث يقول السائل : ""...أنها تصدقت على أخيها لأبيها ....ما ورثته عن والدها المذكور و بما تلكه في الربع المورث عنه الكائن بداخل قسنطينة و خارجها و داخل ميلة و خارجها المتمثل على دور و أعلية و أفران و كوشات ... و شهد بذلك بتاريخ أواسط شهر رمضان المعظم قدره و بالقلم الحكمي و المداد الأخضر عام خمسة و أربعين و تسعمائة و فلان ...." [2].

وعملية طهي الخبز في الافران ليست وليدة الفترة أو العهد العثماني ، و إنما نجد لها جذورا في التاريخ الإسلامي ، فها هو أحد المؤرخين من القرن الرابع (4 هـ) (10م) ، يذكر لنا : " ... وكان من عدول بجاية ... و كان يحمل خبزه إلى الفرن بيده ..." [3]. أما ابن أبي دينار فيذكر: " ... و كذلك الخبز المعلوم في أعيادهم لم ير مثلها في شهر المعمور و يتفاخرون في طعمه و يتفاوتون حتى أن الرغيف الواحد لو وضع بين جماعة من الناس من عشرين فصاعدا لكفاهم و يطول مكوث هذا الخبز إلى نحو شهر أو أكثر و هو غاية الحسن ..." (المؤنس 304) [4] .

و قبله يذكر الإدريسي : " ...و مع ذلك فإن الخبز بتونس كان غاية في الجودة ، وهو أبيض مخبوز كما يجب ، إلا أنه لا يصنع من الدقيق فقط ، بل يخلط بالسميد و يعالج بكامل العناية ، خصوصا تهيئة العجين الذي يخبط بمدقة مثل الذي يخبط بها الأرز للتقشير في مصر "[5].

1- بوشنافي محمد، المرجع السابق ، ص ص 41-57 .

2- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقتين: 404،405

3- الغبريني ابو العباس : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه وعلق عليه عادل نويهض ، ط2، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1989.ص 227. - شريد حورية : المرجع السابق : ص 164. ا

4- ابن ابي دينار محمد بن ابي القاسم : المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، ط1، تونس .ص ص 288،289.

- شريد حورية : المرجع السابق ، ص 168،167.

5-.نفسه ، ص 168،167.

و للتمييز بين خبز كل عائلة من العائلات في مدينة قسنطينة وضعت طوابع ، فكل عائلة لها طابعها الخاص بها .ففي هذا المجال تذكر إحدى الباحثات أن أقدم طابع للخبز يعود إلى القرن 16 م (بقسنطينة الحفصية) .[1]

1-7-2-مشاكل الخبازين (الكواشة) : لا شك أن لحرفة الخبازين أو صناعة الخبز العديد من المشاكل ، هذه المشاكل قد تتعلق بعملهم و الفائدة من ذلك ، هذه الأرباح و الفوائد حتما تتأثر ربما بنقص المادة الأولية(الحبوب) خاصة زمن القحط و الجفاف ،والجراد وغيرها من الكوارث ، وهذا ما يؤدي الي ارتفاع سعر القمح مما يضطر الخبازين الى انقاص وزن الخبز ، فوزن الخبز له علاقة بأسعار القمح، فاذا غلا ثمن القمح نقص الوزن والعكس صحيح ، وهذا ما 1667م حيث جاء الانتاج وفير ونقص سعر القمح مما نتج عنه زيادة وزن الخبز الذي كان 10 اوقيات قبل الطهي و09 بعده ، ليصل الى 13 اوقية قبل الطهي و12 بعده[2]. وعملية الانقاص أو الزيادة في وزن الخبز لم تكن عملية من اهواء الخبازون وانما يكون لموافقة السلطة على ذلك ، وهذا حماية لمصالح الخبازين ليعود الوضع الى حاله في الاوقات العادية [3].

كما أن هناك مشاكل تتعلق بعلاقة فئة الخبازين مع مختلف الفئات الأخرى و على رأسها أمناء هذه الحرفة . هذه العلاقة التي تتخللها في بعض الأحيان توترات بين الطرفين و التي تتحول إلى نزاع بينهم ، يعود هذا النزاع إلى بعض الأسباب و التي حسب نوازل ابن فكون من بينها قضية تموين الخبازين بعدة منتجات ، هذا التموين يبدو من خلال النوازل أن أمناء الخبازين هم الطرف المسؤول على تموين الجند بالخبز[4] فهم الواسطة بين الخبازين و الجند .و نتيجة الاختلاف الحاصل بين الخبازين من جهة و الأمناء من جهة أخرى حول الديون المترتبة للخبازين على الجند .و هذا ما توضحه النازلة المطروحة على يحيى المحجوب و التي جاء فيها : " ... جوابكم في مسألة و هي جماعة الكواشة

---

[1]- نفسه ، ص ص 166-167 . انظر الملحق رقم:1،2 ، ص ص 342-343.

[2]- بوشنافي محمد، مرجع سابق ، ص ص 41-57.

[3]- نفسه ، ص ص 41-57.

[4]- يعد الحصول على الخبز (خبزات) من الامتيازات الممنوحة للجند ، ويرتبط عدد الخبزات التي يستفيد منها الجندي برتبته ، وهذا ينطلق على الباشا نفسه .انظر : بوشنافي محمد، المرجع سابق ، ص ص 41-57.

بينهم و بين أمنائهم محاسبات على ما أخذوه بجانب المخزن الموفور من البشماط و غير ذلك أفضت المحاسبات بينهم إلى التشاجر ..." [1]. ليتطور الصراع بعد ذلك و يأخذ أبعادا أخرى ، خاصة بعد حدوث عدة أعمال تخريب منها إحراق ممتلكات بعض الكواشة ، و إتهام الأمينان بذلك ليسجنهما بعد ذلك ، وهذا ما نستشفه من كلام السائل : " ... واحترق نادر لبعضهم بليل فاتهم رب النادر الأمينان اللذان وقع معهما التشاجر فرفع أمره رب النادر لصاحب البلاد و قبض على المتهمين و سجنهما بسبب ذلك ..."[2]. توضح لنا هذه النازلة مدى ما كان يعانيه الكواشين من مصاعب ، وهنا لا نجزم أن الخطأ كان من الأمينان و لكن لا ينفي أن يكون الكواشين ربما تعرضوا إلى نوع من التحايل من طرف الأمناء، هؤلاء ربما استغلوا علاقتهم من المخزن (السلطة) للتعدي و استغلال الكواشة(الخبازون) من خلال عدم تسديد بعض المستحقات للكواشة .

1-8-صناعة الحلي :تعتبر صناعة الحلي من من الصنائع والحرف المعروفة والمتوارثة بالبايلك (المدينة)وهذا منذ العصور القديمة من العصور القديمة ، وهذه الحرفة نجدها بصفة خاصة على مستوى المدن والحواضر الكبرى وعلى راسها مدينة قسنطينة. أما الفترة الحديثة (العثمانية) فاشتهرت هذه الصناعة على مستوى البايلك ، حيث نجد طائفة الصياغة التي مهمتها صناعة الحلي بمختلف أنواعها و أحجامها و أشكالها ، و في هذا المجال ذاع سيط الطائفة اليهودية التي كانت تشرف على هذه الصناعة بصفة خاصة [3]. فالحلي بمختلف أنواعها كالخلخال ، السحاب ، المقياس و غيرها لا يمكن الاستغناء عنها في شوار البنت القسنطينية [4] ، و يرتبط تواجد الحلي و كميته في

---

[1]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقة 496.

[2]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 496.

[3]- معاشي جميلة : الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007-2008، ص ص 164-167.

[4]- حميود رتيبة : الالغاز الشعبية في مدينة قسنطينة "دراسة احصائية تحليلية " ، مذكرة ماجستير في الادب ، تخصص أدب شعبي ،كلية الاداب واللغات ، 2004-2005 ، ص 44.

الشوار بمستوى المعيشي للبنت و أسرتها . فالبنت التي تنتمي للعائلات المعروفة ذات المكانة المالية ، و العائلة نجدها تجهز بمختلف أنواع الحلي عكس البنت الفقيرة [1] .

النحاسون : عرفت صناعة أو حرفة النحاس شهرة كبيرة ببايلك قسنطينة خاصة على مستوى المدينة قسنطينة ، فالنحاس نجده يحتل مكانة هامة في حياة السكان على مستوى الإقليم ، حيث نجده على مستوى الاستعمال اليومي و على مستوى مكونات الزينة بحيث لا يكاد يخلو جهاز أو شوار عروس من عرائس قسنطينة من النحاس ، فالنحاس أصبح جزءا من مكونات الشوار [2] ، و هذا ما جاءت به العديد من النوازل ،كان من أهمها النازلة التي أجاب عنها يحي المحجوب أبو زكريا و التي من أهم ما جاء فيها يخص النحاس : " ... جزء من شوار البنت القسنطينية..." ...[3].

و من أهم الأواني المصنوعة من النحاس نجد السني ، المحبس ، المرش ، و غيرها من الأواني سواء المستعملة بشكل يومي أو تلك المستعملة في الأيام الخاصة كالأعياد و المناسبات كالشمعدان الذي يستعمل في المولد[4].

1-9-الطرازون : حرفة و صنعة التطريز من أشهر الحرف على مستوى بايلك قسنطينة ،فالقندورة القسنطينية تعد من أشهر الألبسة بالبايلك و القطر الجزائري على حد سواء [5].

2- الفئات المحرومة :

2-1-العبيد: تعتبر فئة العبيد من الفئات المعدومة في مختلف المجتمعات ، و ليس على مستوى المجتمع القسنطيني فقط ، فهذه الفئة نجدها قد سخرت لخدمة الفئات الأخرى من المجتمع و خاصة الفئات الحاكمة و التي لها مكانة في المجتمع القسنطيني . ففئة العبيد احتلت حيزا لابأس به من أسئلة و نوازل سكان بايلك قسنطينة فعدة أسئلة تعرضت لهذه الفئة سواء على مستوى الرجال أو النساء (

---

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقتين : 46-48.

[2]- حميود رتيبة : المرجع السابق ،ص ص 43،44.

[3]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقتين : 46-48.

[4]- حميود رتيبة : المرجع السابق ، ص 44.

[5]- نفسه ، ص 44

بالإيماء). فها هي إحدى النوازل عرضت على يحي المحجوب و التي احتوى مضمونها على قضية بيع عبد ، و الاختلاف الحاصل بين البائع و المشتري و قضية الصلح بينهما ، و صور الصلح و التي تظهر من خلال الجدول [1] .و الذي وضعه عمر الوزان . حيث جاء على لسان يحي المحجوب : " ... الحمد لله . فعل الوصي في بيعه و ابتياعه في مال من يلي عليه لغير محمول على السداد ... يوم أخذه إن كان أكثر من الثمن فإن باعه بربح فالربح لليتيم ....و الله تعالى أعلم أثبت هنا جدول للشيخ الوزان رحمه الله مشتمل على صور الصلح على القيام بالعيب ... حيث يكون البايع هو الذي يصالح المشتري ليتمسك بالعبد و يسقط حقه في العيب ... " [2] .و أخرى لنفس العالم (يحي المحجوب) فنجدها تناولت قضية عبد من العباد كان ملكا لأحد الأشخاص المتوفين ، عتقه قبل وفاته . حيث يقول السائل : " .... جوابكم في مسألة ورثة ادعو على رجل أجنبي أن لمورثهم قبله مال له بال و أنكرهم فيه و لم يجدوا عليه بينة عدا عبد معتق لمورثهم يشهد لهم بأن لعاتقه المذكور على هذا الرجل الأجنبي مال ... "[3].و رغم أن النازلتين لم تعطنا معلومات عن هؤلاء هل هم من العبيد السود، أم أنهم ينتمون لسكان البايلك و نظر لأحوالهم و وضعيتهم المعيشية أصبحوا عبيدا في يد الكثير من العائلات و الأشخاص .

2-2- الاماء: إضافة إلى العبد نجد فئة الإيماء أو النساء التي اتخذت كعبيد للخدمة ، و هذه الفئة من النساء أصبحت جزءا من المجتمع القسنطيني مهمتها خدمة العائلات ، فالإيماء كن على مستوى العائلات المعروفة و التي لها مكانة مالية أو علمية ، و التي تكون باستطاعتها شراء هؤلاء النسوة بغرض خدمتها كنوع من التمايز الاجتماعي ، وحتى العائلات الفقهية على مستوى البايلك نجدها قد اتخذت إيماء لخدمتها ، وهذا ما توضحه لنا إحدى نوازل ابن فكون و التي احتوت على نسخة رسم احتوى على إشهاد أحد النساء و التي تدعى رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان ، أشهدت بعتق أمة و هذا بعد وفاتها حيث يقول السائل : " ... أشهدت رحمونة بنت الفقيه عبد

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، ورقة : 220،221.

[2]- نفسه ، الورقة 215.

[3]- نفسه، الاوراق : 467،468،468.

الملك بن رمضان بإخراج آمة تعتق بعد وفاتها و لحقوها بالله تعالى ... " [1].ومن خلال هذه النازلة نلاحظ أنّ الآمة مانت تلقى معاملة حسنة من قبل الاسرة وخاصة من قبل المرأة أو الزوجة وهذا ما يفسر طلب عتقها بعد وفاة المالكة لها .

اذا كانت الامة في بعض الاحيان تلقى معاملة لائقة فانه في احيان اخرى يكون العكس وهذا ما جاءت به النازلة التي عرضت على العالم أبو عبد الله بن الشيخ محمد الكماد والتي تطرقت إلى آمة ملك لإحدى النسوة طلب منها قبل وفاتها أن تعتقها إلا أنها رفضت ذلك ،و هذا قول السائل: " ... و كذلك طلبت في عتق آمة لها فابت و قالت لا أحسد وارثي ... " [2].

و كثيرا ما يتم بيع الإيماء و شراء ثمنها أمة أخرى، و رغم أن النازلة أو السائل لم يذكر لنا أسباب البيع إلا أنه ربما يتعلق بحالة الأمة التي بيعت، فربما تكون كبرت و لم تعد قادرة على العمل و مشقته ، أو لأسباب أخرى غير معروفة .ففي مجال بيع الإيماء يذكر السائل : " ... أن بعل أختها كان أعطاها آمة قبل انصرافه للشرق ثم لما رجع ردتها لأختها و كانت على وجه الحفظ و الأمانة و بقيت عندها مدة أعوام و باعتها و اشترت بثمنها هذه الأمة التي خوطبت بعتقها و امتنعت ..." [3].

فالأمة من خلال هذه النازلة أصبحت جزءا من الأملاك تورث و هذا ما يبين لنا مدى الظلم الذي كانت تعيشه حيث جردت من إنسانيتها ، وهذا ما يفسره قول المالكة للآمة بعد أن طلب منها عتقها و حتى و هي على فراش الموت رفضت ذلك اقتناعا منها أن هذه الآمة ملكا و إرث .كما أنها رأت أن بهذا العتق ستحرم أو كما قالت تحسد وارثها و هذا ما يبين مدى نظرة بعض الأشخاص لهذه الفئة من المجتمع . فالإيماء أصبحن إرثا يتنازع حوله بين الورثة ، كما أن إمتلاك وتملك الإيماء و حتى و إن كان ظلما في حقهن إلا إنهن أصبحن ميزة تمتاز و تتباهى بهن مختلف الأسر و العائلات على مستوى البايلك ، فالآمة أصبحت جزء لا يتجزأ من شوار و جهاز بنات

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 365.

[2]- نفسه ، الورقتين : 483،484.

[3]- نفسه ، ورقة 484.

العائلات الغنية و أصحاب الجاه و المال على مستوى المجتمع القسنطيني ، فوجود الآمة ضمن شوار العروس يعد فخرا و تفاخرا لعائلتها على العائلات الأخرى.

و هذا الميزة نجدها لا تقتصر على المجتمع القسنطيني فقط ، بل منتشرة بين أوساط المجتمع الجزائري عامة فعلى سبيل المثال توجد هذه الصفة في مجتمع مدينة الجزائر ، حيث تذكر الباحثة غطاس في هذا المجال أن الأسر و العائلات التي تحتل مكانة اجتماعية مرموقة كانت تحرص و تشرط أن يكون ضمن صداق بناتها آمة مهمتها خدمة بناتهم حيث تقول : "...هذا كما حرصت الأسرة الشريفة و ذات الجاه و المكانة على أن تتميز على غيرها من الشرائح الاجتماعية و على أن تظهر بمظهر الأبهة و الرخاء و الرفاهية... و اشترطت أيضا توفير الأمات : من رقيق السوداء الصالحة للخدمة ، لتشرف على راحة بناتهن و لتسهر على تحقيق رغباتهن و مطالبهن و لتقوم مقامهن في الأشغال المنزلية ..." [1].

2-3- السجناء : تعطي لنا نوازل ابن الفكون صورة عن حالة السجن و السجناء بالإقليم و حتى و إن كانت عدد النوازل التي تطرقت لهذا الموضوع قليلة أو نادرة ، إلا أن النازلة الوحيدة التي جاء بها موضوع السجناء ، تبين لنا مدى ما كان يتعرض له السجناء على مستوى البايلك ، حتى و إن اختلفت أسباب سجنهم ، وهذه الحالة رسمت لنا صورة سلبية سوداء عن حالة السجن .حيث تذكر النازلة التي عرضت على محمد ابن الفكون [2]حيث جاء فيها : " ... مسألة و هي أن رجلا والي ببلد فدخل عليه والي آخر قبل انقضاء مدته فمسكه و سجنه و حاسبه حساب عنف . ... فضيق عليه في السجن و زاد في تعزيره و تهديده فدفع له من العدد المذكور ما دفع من يده و بقيت بقية ... " [3].

[1]- عائشة غطاس : الصداق ... ، مرجع سابق ، ص ص 23-40.

[2]- تمت الترجمة له سابقا.

[3]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق : ورقة 76.

المبحث الثاني : العلماء و الفقهاء ودورهم.

يعتبر رجال الدين سواء كانوا فقهاء، علماء، مفتين و غيرهم من الفئات المحسوبة على رجال الدين ، من الفئات و العناصر المهمة في أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية ، فرجال الدين ضمن المجتمع القسنطيني يعدو من العناصر الفاعلة في هذا المجتمع لما لهم من تأثير و تأثر ، من هذا المنطلق ارتأينا أن نخصص في بحثنا هذا ولو جزء صغيرا للتكلم عن رجال الدين و حتى النسيج الاجتماعي في بايلك قسنطينة من حيث المكانة ، و الدور الذي يلعبه هؤلاء على مختلف الأصعدة الاجتماعية ، السياسية و الثقافية و غيرها .

و نظرا لطبيعة المخطوط الذي بين أيدينا و الذي كما هو معلوم عبارة عن نوازل فقهية ، هذه النوازل إضافة إلى كون العلماء و الفقهاء و رجال الدين جزء من مكوناتها ، فهم الطرف المرجو إجابته على مختلف النوازل و الأسئلة، و لم يقتصر تواجد رجال الدين كجزء من النازلة في الإجابة عنها ، بل الكثير من هذه النوازل في مضامينها سواء كانت أسئلة و إجابات العلماء و الشيوخ و المفتين، حيث حملت لنا النوازل معلومات قيمة و هامة عن هؤلاء العناصر الذين يكونون طبقة رجال الدين باختلاف مكانتهم و ورتبهم و درجاتهم العلمية.

1-العلماء ورجال الدين :

1-1-الأشراف و المرابطون[1]:

1-1-الأشراف: تعد فئة الأشراف من الفئات الاجتماعية التي لها مكانة خاصة بين السكان سواء على مستوى المدينة أو الريف (البادية) ، هذا المكانة و الاحترام يرتبط بنسب هؤلاء و الذي

[1] – المرابطون: فئة اجتماعية لها تفكيرها وفلسفتها القائمة على التشدد في أمور الدين واحتقار الحياة الدنيا والعزوف عنها ، فلجأوا إلى أماكن خاصة يمارسون فيها عبادتهم تسمى الربط مفردها رباط .أنظر/ جودت عبد الكريم ، ،ص 264 .

حسبهم ينتسبون الى الرسول صلى الله عليه و سلم . و بالعودة إلى نوازل ابن الفكون نجد أن فئة الأشراف أخذت لها حيزا من النوازل و من ضمن النوازل التي حملت لنا معلومات عن هذه الفئة و إن كانت قليلة إلا أنها كانت كافية لمعرفة خصوصية هذه الفئة خاصة ضمن مجتمع إسلامي كالمجتمع القسنطيني ، نازلة أجاب عنها الشيخ محمد التواتي ، حيث يذكر السائل : " ... و على ملك فاطمة بنت سعيد الشريف ... و كيف يقدح في شهادة أحدهما ... بقوله غير مقصود للتوثق مع أنه مشتهر بالعدالة كما ذكرو كبر سنه و قد جاوز سنه الثمانين سنة و له قدم في العدالة ما يزيد على الستين سنة (60 سنة) و عظم قدره بالنسب العلي النبوي ... " [1].

و تعد النازلة و السؤال الذي طرح على عبد الكريم الفكون[2] أهم نازلة تعرضت إلى موضوع الشرف و الأشراف ، وهذا بصفة مباشرة حيث بني سؤال النازلة على هذه الفئة فيقول صاحبها : " سيدي رضي الله عنكم ، و أنار بكم البلاد ، و نفع بكم العباد جوابكم في الشريفة أمه هل هو شريف ، و هل يدعى بين الناس بالشريف و ما له من التعظيم و التوقير بحرمة الشرف و ما حكم من سبه أو تجاسر عليه أو نقص جانبه وذلك فمن باشرته الأم بالولادة بينوا لنا بيانا شافيا ليكون ذلك عدة لمن تمسك به من أهل هذا البيت الشريف والمقام العالي ... " [3].و من هذه التساؤلات لصاحب الرسالة يتضح لنا مدى ما كان تلقاه هذه الفئة من المجتمع من احترام و قدسية لا نجدها عند معظم الفئات الأخرى ، هذه الميزة و نظرة المجتمع لفئة الشرفاء يجعل الكثير من الناس يدعون الانتماء والانتساب للرسول صلى الله عليه و سلم و من ثمة حمل صفة الشرف.

فصفة الشرف و ما تمثله في المجتمع القسنطيني خاصة و الإسلامي عامة ، جعلها محل نقاش و خلاف بين العلماء. هذا الخلاف تناوله ابن الفكون في إجابته عن أسئلة صاحب النازلة ، خاصة فيما يخص مسألة الشرف من ناحية الأم ، حيث يذكر لنا ابن الفكون ذلك الاختلاف الحاصل و الشهير بين علماء تونس وبجاية و هذا ما يقوله في اجابته عن النازلة السابقة : "... أما الجواب عن

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقتين :156،158.

[2]- عبد الكريم جد صاحب النوازل .

[3]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق: الورقة 557.

الفصل الأول فلا إشكال أن المسألة ذات اختلاف شهير بين رآيس التونسيون و البجائيين و هما القاضي أبو إسحاق بن عبد الرفيع و أبو علي ناصر الدين المشدالي و محل النزاع بينهما هو السبب النسبي و ان من أمه شريفة هل يصح صدق نسبته إلى النبي صلى الله عليه و سلم بأن يقال فيه محمدي أم لا ... "[1].

لخص ابن فكون في نهاية إجابته إلى أن كلا من التونسيين و البجائيين له الحق ، فعلماء بجاية يرون أنه لا يجب إنكار الشرف من الأم لأن شرط الشرف الرحمي هنا ثابت ، أما فيما يخص موقف و رأي التوانسة فهو إنكار الشرف من جهة الأم و حجتهم في ذلك انعدام الشرف النسبي و هو لهم من خلال الانتساب إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه و سلم ، ويبدوا أن نفس الإشكال السابق و هو قضية الشرف بالنسبة إلى جهة الأم[2] .و من خلال إجابة الشيخ فإن الاختلاف بين آراء علماء تونس و بجاية و تلمسان و غيرهم من العلماء يعود إلى القرن السابع هجري ، و هذا من خلال قول الشيخ : " ... إن هذه المسألة شاع الخلاف فيها في أول القرن السابع بين التونسيين و البجائيين و التلمسانيين و غيرهم من دان و شاسع ..." [3].

هذا الاختلاف بين علماء عدة مناطق داخل الجزائر و خارجها ، يبين لنا مدى خصوصية فئة الشرفاء في المجتمع الإسلامي ككل . و من الآراء حول الشرف و أحقية من جهة الأم ، فالمغاربة و التلمسانيين يرون أن الشرف من جهة الأم هو شرف مقبول يحق لصاحبه حمل صفة الأشراف ، حيث يقول : "....... و الذي اختاره المغاربة في الفتوى ، وهو عندهم أصح و أقوى ... قال الإمام ابن مرزوق رحمه الله تعالى يثبت للمذكور لشرف النسب من جهة الأم و يحترم بحرمة الشرفاء و يندرج في سلكهم و يثبت ذلك له و لذريته هذا الذي أفتى به علماؤنا التلمسانيون من أصحابنا المعاصرين و أشياخهم ... " [4].وفي نفس السياق كانت اجابة ابن مرزوق حول سؤال طرح عليه جاء

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، االورقتين 557،558.

[2]- نفسه: الورقتين : 557،558.

[3]- نفسه : الورقة 561.

[4]- نفسه : الورقتين : 561،562

فيه :"....جوابكم أبقاكم الله ...رجل اثبت ان امه التي ولدته شريفة النسب ، فهل يثبت لهذا الرجل شرف النسب من جهة الام ، ويحترم بحرمة الشرفاء ، ويتدرج في مسلكهم أو لا ؟..."[1] .فكانت اجابته مدعمة الاجابة السابقة بقوله : "...يثبت للذكور شرف النسب من جهة الام ، ويحترم بحرمة الشرفاء ، ويدرج في مسلكهم ، ويثبت له ذلك له ولذريته ، هذا الذي اختاره ، وبه افتى علماؤنا التلمسانيون من أصحابنا المعاصرين ....".[2] و في نفس الاتجاه يذهب مفتي و عالم بجاية و الشيخ أبو علي ناصر المشدالي ، و غيرهم من العلماء و هذا الاتفاق بين العلماء خاصة علماء بجاية تلمسان و زواوة و غيرهم ، على ثبوت الشرف من جهة الأم

ونحن بعرض قول هؤلاء لا نهدف إلى إثبات قضية الشرف بقد ما نستعرض أقوال العلماء لتوضيح خصوصية و مكانة فئة الشرفاء (الأشراف) على مستوى المجتمع الإسلامي عامة و المجتمع القسنطيني خاصة .فهذه الصفة لهؤلاء ستجعل لهم آثارا إيجابية في وسط المجتمع لما يلقوه من احترام و قدسية ، لكن من جهة ثانية سيكون لها آثار سلبية على المجتمع .

1-2-المرابطون : فئة المرابطون من الفئات التي تحض بمكانة و سمعة و لها شأن كبير في أوساط السكان بالإقليم ، و هذه السمعة و المكانة حملتها لنا إحدى النوازل المعروضة على الأجهوري مفتي الديار المصرية و التي من أهم ما جاء فيها قول السائل : " ... و العاصب على مسيرة ثمانية أيام أو عشرة عن البلد إلا أن الخوف في الطريق صيره بعيدا لعدم التمكن من أخذها إلا بمن يشار إليه من المرابطين أو كثرة الرفعة ... "[3]. فالسائل هنا يتكلم عن حالة اللاأمن و الخوف المنتشر ، لكن من جهة ثانية يربط عدم الخوف بفئة المرابطين ، فهو بهذا يرسم لنا صورة توضح لنا مكانة هذه الفئة (المرابطين) في وسط المجتمع و الحصانة التي تتمتع بها هذه الفئة جعلها تكون في منأى من الخوف ، لأنه لا يمكن لأي كان أن يعترض هؤلاء المرابطين .هذه المكانة و الخضوع لفئة المرابطين لم ترتبط

1- ذنون طه عبد الواحد: نوازل ابن مرزوق الحفيد من كتاب المعيار :دراسة في بعض القضايا الاجتماعية الخاصة بالمغرب الاوسط ، عصور الجديدة ، العدد 16-17 افريل 2014-2015، مختبر البحث التاريخي ، جامعة وهران، ص ص 107،108.

2- ذنون طه عبد الواحد: المرجع السابق، ص ص 107،108.

3- ابن الفكون محمد: المصدر السابق : الورقة 116.

بعصر أو بالقرنين 16 – 17 م (10-11هـ) و إنما نجدها تستمر ، فها هو صاحب المرآة ، يتطرق لهذه الفئة من خلال طرحه للخضوع السكان للمرابطين رغم أنهم كانوا لا يخضعون للسلطة أو السلطان ، وهو ما جعله عاجزا عن تفسير طاعة السكان للمرابطين . فالمرابطون أحيانا لهم مكانتهم المقدسة و حتى وهم أمواتا تبقى قبورهم و قببهم مكان يحتمي به كل ضعيف ، وحتى طالب الثأر و ما يمثله هذا المطلب في وسط المجتمع ، يبقى عاجزا عن تنفيذ ثأره إذا ما احتمى القاتل المطلوب بزاوية أو قبة المرابط [1]. هذه الظواهر إن دلت فإنما تدل على مدى مكانة هذه الفئة من جهة و مدى التخلف الاجتماعي الذي علق كل آماله على رجال هذه الفئة ، لم تنفعه و هي أحياء فكيف و هم في عداد الأموات.

نظرا لما وصل إليه رجال الدين المرابطون في نظر السكان من قدسية، جعل من بنات المرابطين أعلى شرفا و مكانة مقارنة بنظيراتهن من بنات المجتمع ، و هذه النظرة جعلت زواج بناتهم يتم ضمن حيز مغلق و محدود ألا و هو مجتمع المرابطين .أما بالنسبة للرجل فله الحق في اختيار من تناسبه سواء من العامة أو من بين بنات المرابطين ، و في حالة ما إذا كانت الزوجة المختارة من عامة الشعب فإنها تزوج دون صداق و مهر و هذا له علاقة بنظرة السكان لهؤلاء المرابطين ، حيث يرون أن كرامات هؤلاء كافية و تغني عن تقديم المهر [2].

1-3-العلماء والفقهاء والمفتين: تشير الكثير من النوازل إلى فئة العلماء والفقهاء هذه الفئة كانت لها مكانة مرموقة بين أفراد المجتمع، وهذا ما تؤكده احدى النوازل : " ... لا يحل للحكام أن يترك من يطلق لسانه على العلماء... لأنهم ورثة الأنبياء، وقد قال صلى الله عليه وسلم تسليما، من حقر عالما فهو ملعون في الدنيا والآخرة..." [3].كانت مهمة العلماء والفقهاء هما الإفتاء والإجابة عن

[1]– حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص18،19.

– آيت سوكي محند أكلي ، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وادوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10-[2]13هـ/16-19م ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2 ، ص 116.

[3]– ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة : 125.

انشغالات الناس. والمعلوم أن العلماء والفقهاء بالإضافة إلى مكانتهم العلمية كانوا أصحاب أملاك وكانوا من أغنياء المجتمع[1]. وتجدر الإشارة أن هناك من الفقهاء أو من كان يحسب على الفقهاء وهو بعيد كل البعد حيث تشير إحدى النوازل إلى أن بعض الفقهاء كان يأخذ الرشاوى عن الفتاوى[2] وآخر خرج من قسنطينة إلى جبال الأوراس وزعم أنه يهزم الجيوش ويطفئ النيران وتبعه كافة أهل الجبل وأعلنوا له الطاعة فتقول : ".. وتملك عليه المحاربون من أهل أوراس وانه يهزم الجيوش ويطفئ النيران .. وكافة أهل الجبل تبعته على فساده ..."[3].أما فيما يخص علاقة العلماء أو رجال الدين عامة بالسلطة العثمانية فإنه من خلال النوازل يتضح لنا أن معظمهم كان يؤيد الحكم العثماني معتبرين إياه نظاما شرعيا لا يجوز الخروج عليه[4].

في هذا المجال برز الكثير من رجال الدين و الفقهاء ببايلك قسنطينة ، فمن أشهر العائلات التي جاء ذكرها في نوازل ابن الفكون ، عائلة الفكون و التي برز منها الكثير من الفقهاء والمفتين نذكر منهم عبد الكريم الفكون الجد وعبد الكريم الحفيد ، صاحب النوازل محمد بن عبد الكريم [5].إضافة إلى عائلة الفكون هناك عدة عائلات من عائلة ابن محجوبة ومن اشهرهم بن محجوبة [6]، ابن باديس

---

[1] – ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة : 163.

[2] – نفسه، الورقة : 205– 206.

[3] – نفسه ، الورقة : 222.

[4] – نفسه ، الورقات : 22،223، 224.

[5]– تمت الترجمة له في الفصل الاول .

[6]– تمت الترجمة له سابقا.

ومن بينهم حميدة ابن باديس [1] ، عائلة الوزان وعلى راسهم عمر الوزان [2]، وغيرهم من العائلات على مستوى البايلك .

فشخصية المفتي لا يمكن الاستغناء عنها في مجتمع اسلامي كالمجتمع القسنطيني، لما له من اهمية ودور في المجتمع ، فالمفتي هو المقصد لكل من نزلت عليه نازلة او اعترضته مصيبة في حياته اليومية ،وهذا ما حمله مخطوط النوازل أو الفتاوى ، فالمخطوط يتكون من م اسئلة للمفتين وأجوبتهم . فالمفتي نجده يفتي ويجيب في مختلف المسائل المطروحة عليه سواء المسائل والقضايا العقائدية و المصيرية كقضية الشرف والانتساب للرسول صلى الله عليه وسلم ، أو القضايا البسيطة . وحتى بالنسبة للقضايا التي تبدوا بسيطة مثل قضية بيع بعض الأراضي ببايلك قسنطينة و التي هي من أملاك الدولة و المخزن ، فان المفتي لما له من أهمية يستشار من قبل السلطة القضائية وعلى رأسها القاضي للنظر في شرعية و صحة عقد البيع هذا ما توضحه النازلة ، حيث جاء على لسان السائل : " ...بعد أن تقرر أن من أملاك جانب المخزن المعمور من الربع الخاص بمدينة قسنطينة ...ورد أمرهم المطاع العلي من حظرة الجزاير (الجزائر) المحروسة من قبل مولانا الباشا الكبير ... التفويض و الإذن في بيع ربع الربع الخاص بالمدينة المذكورة ... بعد أن شاور في ذلك من يوثق بدينه و علمه من السادة الفقهاء المفتين بالمدينة المذكورة فافتوا رضوان الله عليهم بصحة البيع و إمضائه على الوجه المذكور ... "[3]

*__الإفتاء بين الريف و البادية:__ من القضايا التي كانت مطروحة وموجودة في المجتمع القسنطيني قضية التمايز بين البادية (الريف) و المدينة (الحاضرة) ، هذا التمايز شمل مختلف مناحي الحياة ومنها

---

[1]- تمت الترجمة له سابقا.

[2]- تمت الترجمة له سابقا.

[3]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقة 82.

الجانب الديني حيث نلاحظ وجد الاختلاف في الإفتاء بين البادية و الريف ، و هذا القضية صاحب منشور الهداية ، و ربط قضية الافتاء لسكان البادية أو الريف ربطها بابن الفكيرين (موسى) و الذي ذكره أنه كان مفتي أهل البادية كون أهل البادية كانوا يثقون في هذا الشيخ ، و ربط ابن الفكون ابن الفكيرين بسكان و أهل البادية ، يضعنا أمام جزئية موجودة على الأقل نضريا و هي أن السكان المدينة (الحضر) لهم من يفتي لهم و سكان البادية (الريف) لهم شيخهم ومفتيهم ، فحسب ابن الفكون فأهل البادية كانوا أقل دراية و علم من سكان المدن (الحضر) و إلا بماذا نفسر افتاء الفكيرين لهم مع أنه يصفه بقليل العلم[1].كما يطرح قضية علاقة الشيخ الفكيرين بناس الريف (البدو) ، فحسب ابن الفكون فان الشيخ كان يأخذ الطعام و أشياء أخرى من هؤلاء السكان [2]، و هذا يدخل ربما في كرم أهل الريف و محبتهم للشيوخ و رجال الدين .فمن كلام ابن الفكون نستنتج أن سكان البادية أقل علما من سكان الحضر خاصة في المسائل الدينية والشرعية [3].و هنا يمكن أن يكون محقا نسبيا لأن المدينة و ما تمثله من مركز لمختلف التيارات الفكرية الدينية و العلمية فهي منطقة لكبار العلماء و المشايخ خاصة إذا كانت مثل مدينة قسنطينة .

2- مكانة ودور رجال الدين بالبايلك :لرجال الدين مكانة بين المجتمع القسمطيني ، هذه المكانة شملت مختلف مناحي الحياة السياسية ، الاجتماعية وهذا نظير الدور الذي تلعبه هذه الفئة من المجتمع

[1]- ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص 93.
[2]- نفسه ، ص 93.
[3]- نفسه ، ص 93.

2-1-السياسية: الدارس لتاريخ الدول الإسلامية يكشف ذلك الدور الذي لعبه رجال الدين على مستوى الحياة السياسية في هذه الدول و هذا منذ عصور غابرة ، فدور رجال الدين السياسي يظهر في عدة النقاط التالية :

2-1-1-الإشراف و تولي الوظائف : بحكم المكانة و المؤهلات العلمية خاصة في المجال الديني تولى الفقهاء عدة مناصب و وظائف من قضاء ، افتاء، الشهادة و التوثيق و الخطابة و غيرها من الوظائف[1].ففي هذا المجال لنا العديد من الأمثلة الخاصة برجال دين و فقهاء على مستوى البايلك ممن تولوا مختلف الوظائف السابقة الذكر ،ولان عدد هؤلاء كبير لا يتسع الحال لذكر كل هؤلاء ، اختصرنا الذكر على بعض الفقهاء و العلماء الذين تولى إحدى الوظائف خاصة خلال الفترة العثمانية وبالأخص خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها و هي القرنين 16 . **17** م (**10 . 11** هـ). ففي القضاء نذكر القاسم الفكون (أبو الفضل) باعتباره اول من تولى القضاء في قسنطينة زمن العثمانيين (1541م/948هـ)[2]. أمّا في مجال الافتاء فنجد عددا كبيرا ممن تولى هذه المهنة نذكر منهم يحي المحجوب ، عبد الكريم الفكون ، أحمد الغربي ، حميدة ابن باديس . والملاحظ على هؤلاء ان الكثير منهم من جمع بين عدة مهام كان يكون مفتيا وخطيبا وقاضيا في نفس الوقت .

2-1-2- الحفاظ النظام و الاستقرار السياسي: ان مكانة رجال الدين الفقهاء في الدولة الإسلامية منذ الأزل كانت مكانة مرموقة فالفقيه تناهز مكانته مكانة الحاكم أو السلطان و هذا ما

[1]- ولد خسال سليمان : جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الاسلامي (633هـ-922هـ) ،اطروحة دكتوراه في العلوم الاسلامية تخصص: اصول الفقه ، جامعة الجزائر ، ص 199،198.

[2] – VAYSSETES, op.cit. , p52,53. - MERCIER ERNEST, op. cit , p195,196

يمثله الفقيه و العالم عند الشعب .هذه المكانة و الحظوة جعلت رجال الدين أهم أداة لنشر الاستقرار السياسي ، و استمرار الدولة ، هذه الأهمية جعلت السلاطين و الحكام يطلقون ألقابا تدل و تتماشى مع مكانة هؤلاء من أهمها شيخ الإسلام [1]، و لأننا نتكلم ها هنا عن حكم أو امتداد العثمانيين في البلاد الجزائرية و بالضبط ببايلك قسنطينة فإن هذا اللقب نجده يطلق على أهم فقهاء و رجال الدين على مستوى البايلك ألا و هو عبد الكريم الفكون ، و الذي يعد أول من حمل لقب شيخ الإسلام[2].

*إطفاء الفتن و الثورات : يعتبر رجال الدين و الفقهاء أهم وسيلة و أداة يلجأ إليها الحكام في أزمة الانتفاضات و الثورات و خاصة في حالة عجز الدولة على اخذ مالها ، و هذا منذ القدم ، فللعودة إلى القرون السابقة يذكر لنا الونشريسي في معياره عن بعد التمردات و الثورات التي شهدها المغرب الأوسط فيقول : " سئل الإمام أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله عن قضية قتال الديلم و سعيد رياح و سويد و بن عامر أمراء عرب المغرب الأوسط سنة ستة و تسعين و سبعمائة ، و كان السائل له الفقيه أبو العباس أحمد المعروف بالمريض ، فكتب إليه جماعة من مغربنا من العرب ...ليس لهم إلا الغارات و قطع الطرقات على المساكين و سفك دمائهم و انتهاب أموالهم بغير حق ...مع أن أحكام السلطان ...لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم ، بل إنما يداريهم بالأغطية

[1]- ولد خصال : مرجع سابق ، ص 208.

[2]- سعد الله ابو القاسم : شيخ الاسلام....مرجع سابق ، ص 69.

والأنعام ... فأمرناهم بقتالهم و صرحنا بأنه جهاد ..."ليجيب الونشريسي بقوله بوجوب قتال هؤلاء واستدلاله بقتال أبو بكر رضي الله عنه لتاركي الزكاة فما بال بمن وصف بأوصاف هؤلاء الأعراب [1] .

هذا من القرون التي سبقت التواجد العثماني بالمغرب الأوسط ، أما خلال فترة التواجد العثماني بالمغرب الأوسط و خاصة على مستوى بايلك قسنطينة و خلال الفترة التي تغطي دراستنا (16 . 17 هـ) فإن لرجال الدين دورا فعالا في مواجهة هذه الفتن و الانتفاضات و الثورات التي يشهدها البايلك . و كانت بداية هذا و دور ابن الفكون و عبد اللطيف المسبح اللذان قصدا دار السلطان لمقابلة الباشا و شرح له الأوضاع و الاضطرابات و الفتن التي حدثت بقسنطينة سنة 975 هـ [2]، و هذا الموقف بداية الدور الذي بدأ يلعبه رجال الدين على مستوى البايلك من خلال المساهمة في تثبيت التواجد العثماني بالمنطقة و إخماد الثورة .

كما لا ننسى استراتيجية العثمانيين اتجاه فئة رجال الدين و العلماء ، والتي تمثلت في منح الامتيازات و التساهل معها ، وهنا ستظهر عائلة الفكون كأبرز العائلات الدينية بالبايلك من حيث منح الامتيازات ، و التي شملت مختلف المجالات الحياة من الناحية. هذه السياسة كان الهدف من ورائها هو إيجاد هؤلاء رجال الدين و على رأسهم عائلة ابن الفكون في وقت الشدائد [3]، و هذا ما سيكون للعثمانيين من خلال الدعم الذي اكتسبوه من قبل عائلة ابن الفكون و على رأسها عبد الكريم الفكون ضد ثورة ابن الصخري 1637 ، فبعد مقتل الباي مراد جراء هذه الثورة طلب رجال

[1]- الونشريسي ، مصدر سابق ، ج6 ، ص ص 153-155.
- ولد خسال : المرجع السابق ، ص ص 209،210.
[2]- ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص 49.
[3]- سعد الله أبو القاسم : شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص 78-79.

الدين و العلماء يتقدمهم ابن الفكون بتوجيه رسالة إلى الباشا يطلبون فيها تعيين بايا عليهم ، و كان رد الباي أن منح لهم حق الاختيار و التزكية فيمن يرونه مناسبا و أهلا للمنصب ليقع الاختيار على فرحات ابن الباي المقتول مراد [1].

و لم يقتصر التحالف و الدور السياسي الذي قام به رجال الدين على عائلة الفكون بل شمل عدد كبير من رجال الدين و من ورائهم العائلات الدينية ،و هذا ما يتجلى لنا في موقف رجال الدين و الفقهاء من ثورة الأوراسي، هذا الفقيه الذي خرج من قسنطينة نحو بلاد الأوراس متمردا على السلطة العثمانية .هذا الموقف يظهر من خلال مختلف الفتاوى التي اطلقوها والتي تصب في عدم الخروج عن الحاكم وتحريم ذلك و وجوب قتل هذا الخارج عن الطاعة ، و مصادرة أملاكه و أمواله و هذا ما جاء به احدى النوازل والتي جاءت على شكل رسم أجاب عنه عدة علماء و فقهاء من قسنطينة و غيرهم : " الحمد لله شهوده الواضعون أسمائهم عقب التاريخ يشهدون بمعرفة الفقيه فلان معرفة تامة صحيحة و يشهدون مع ذلك بأنه خرج من قسنطينة سرا بليل بأمواله و عياله و خالف و خلع الطاعة و فارق الجماعة و تملك عليه المحاربون من أهل الأوراس ...وكافة أهل الجبل تبعته على فساده خصوصا عياد بن عياد ... و أن عقوبته واجبة بالشرع و القانون المرعي في النفس إن أمكن منه و في ضم ما يوجد له من المال و بيع أصوله و ضم ذلك لبيت المال ... شهادتهم مسؤولة منهم بتاريخ أوائل جمادى الآخر عام ستة و تسعين و تسعمائة ."[2] .و نفس الشيء و نفس الموقف ذهب إليه يحي المحجوب و الفقيه محمد بن قاسم الشريف و الإمام الخطيب أبو عبد الله بن محمد الكماد و

[1]- سعد الله أبو القاسم : شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص 78-80.

[2]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 222.

حتى علماء تونس كان موقفهم على نفس المنوال و على رأسهم محمد الرصاع [1].هذا الموقف من العلماء و رجال الدين من خروج الأوراسي و ثورته ضد العثمانيين سيعطي دعما معنويا كبيرا للسلطة العثمانية في محاربتها لهذا الفقيه .

كذلك من رجال الدين و العلماء الذين كان لهم دورا على الساحة السياسية ببايلك قسنطينة نجد العالم محمد ساسي البوني ، هذا الأخير كانت له علاقات حسنة مع السلطة العثمانية سواء على مستوى المركز(مدينة الجزائر) أو على مستوى عاصمة البايلك مدينة قسنطينة ، هذه العلاقة جعلت من البوني شخصية محورية في الكثير من القضايا على مستوى البايلك القسنطيني[2].حيث خلال فترة قيام ثورة ابن الصخري ربط السلطات العثمانية ممثلة في الباشا يوسف اتصالات مع محمد ساسي البوني لطلب دعمه في اخماد هذه الثورة هذا الاتصال تمثل تلك الرسائل المتبادلة بين الطرفين و التي تعود إلى (1050 . 1051 هـ) [3]. ، و هذه القضية تبين لنا مدى الأهمية التي يتمتع بها رجال الدين لدى المجتمع ، فالعثمانيين بهذا الفعل أرادوا اثارة حماسة رجال الدين و العلماء و من ثمة جلب الرعية أو العامة من الناس [4].

ونفس الموقف اتخذه رجال الدين من قضية الباستون ، حيث تدخل الشيخ قاسم بن محمد الذي وعد بالحصول على التزام باشا الجزائر بإعادة الباستون ،و حسب ابن العنتري فإن الباشا هو

[1]- نفسه ، الاوراق: 222-224.

[2]- ابن العنتري : فريدة منيسة ...، مصدر سابق ، ص 37.

- سعد الله أبو القاسم :أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة ،العدد51، جمادى الثانية –رجب 1399هـ/مايو –جوان 1979م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص ص17-19.

[3]- نفسه ، ص ص17-19

[4]- نفسه ، ص ص17-19.

الذي أوعز إلى العالم للتدخل [1] ،و نفس الشيء يتكرر مع أحد المرابطين الذين استعانوا به العثمانيون للتوسط بينهم و بين بعض المنشقين سنة 1639[2] . أما قضية اليهودي فتبين لنا مدى حرص السلطة العثمانية بالجزائر و البايلك على حد سواء على استمالة هذه الفئة من المجتمع ، و هذا من خلال عقد مجلسا بالمسجد الأعظم الذي حضره أهل الشورى من العلماء و رجال الدين و هذا للبث في قضية هذا اليهودي ، و هذا الفعل يبين مكانة هذه الفئة من جهة و إعطاء رمزية دينية للمسألة [3].

2-1-2-مواجهة الخطر الخارجي : لعب رجال لدين والعلماء دورا في صد الهجومات و الحملات الخارجية التي تعرضت اليها مناطق عديدة من البايلك ،هذا الدور تمثل في تعبية الجماهير و بث الحماسة فيهم ، بل وحتى المساهمة في الجهاد ضد الغزاة، فالفقهاء و العلماء كانوا السباقين لحمل راية الجهاد متقدمين في الصفوف الأولى للمجاهدين[4] .ولنا في احتلال مدينة بجاية خير دليل على ذلك ،حيث قام أبو فارس و أبو عبد الله (ولدا السلطان الحفصي عبد العزيز) لمواجهة و تحرير المدينة و بالإضافة إلى المجاهدين من الجنود و المتطوعين نجد مشاركة أربعة من العلماء الأفاضل و هم أبو أحمد اسماعيل ، و أبو عيسى بن إبراهيم الهنتاتي ، و أبو يوسف بن الحسين بن على ، و الداعية

[1]- عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي ، دار هومة ،الجزائر ، ص ص 188،189.

[2]- نفسه ، ص190.

[3]- ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ...، ص ص 64،65.

[4]-كرطالي أمين : الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الاويط خلال القرنين 9-10هـ/15-16م ،شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2013-2014 ، ص ص 177،178.

أبو علي بن محمد[1] . و الملاحظ على هؤلاء العلماء أنهم كانوا من المقربين للسلطان فأبو عيسى بن إبراهيم الهنتاني كان يشرف على شؤون السلطان ، و أبو أحمد اسماعيل كان الحاجب للأمير إبراهيم و هذا يبين لنا الدور الذي كان يلعبه رجال الدين على مستوى الامارة و الدولة أيام السلم و الحرب[2]. و لم تقتصر مشاركة علماء البايلك على مستوى الداخل بل تعداه إلى الخارج فها هو الفقيه يحي بن محمد الفكون سيشارك في الجهاد رفقة خيرالدين ضد الإسبان بتونس ليستشهد في ساحة الوغي 1535م[3].

2-1-3-علاقتهم بالسلطة :إذا كان جزء من العلماء و رجال الدين ببايلك قسنطينة احتل مكانة مقربة من السلطة العثمانية الحاكمة، فإن الجزء الآخر كانت له علاقة سيئة مع هذه السلطة .و بالعودة إلى الفترة العثمانية بالجزائر وخاصة على مستوى بايلك قسنطينة نجد أنّ الكثير من رجال الدين و العلماء قد دخلوا في صراع مع العثمانيين و هذا لعدة عوامل، منها ما يتعلق بعلاقة رجال الدين بينهم و التي تودي إلى الوشاية بعضهم لبعض عند الحاكم[4].و منها ما يتعلق بشكوى الناس و الرعية من بعض رجال الدين مما يجعل السلطات تتدخل بغرض معاقبة رجل الدين المذنب في نظرها[5]، و منها ما يتعلق بسياسة العثمانيين و التي أحيانا تتعارض على ما يعتقد و يؤمن به رجال الدين و العلماء . و من أ مثلة العلماء الذين كانت لهم علاقات متوترة مع السلطات العثمانية نجد ، الشيخ التواتي الذي اضطر إلى الخروج من قسنطينة نحو تونس و حتى بالبلاد التونسية يسلم من تعنت

---

[1]- بنوجيت يوسف : قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر ميلادي ، ترجمة سامية سعيد عمار ، تقديم محفوظ قداش ، دحلب ، الرغاية ، الجزائر ، 2009، ص 45.
-كرطالي أمين : المرجع السابق ، ص ص 177،178.
[2]- بنوجيت يوسف : المرجع السابق ، ص45 .
[3]- فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس ، قسنطينة، 2005، ص37.
[4]- ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ....، مصدر سابق ، ص82.
[5]- نفسه ، ص75.

السلطات من خلال الوشاية به و التقليل من شأنه ،و نفس الشيء حدث مع عبد العزيز النفاتي ، هذا الأخير سجن زمن الباي القائد محمد بن فرحات في السجن بقسنطينة [1]. ولم يختلف موقف السلطة العثمانية ممثلة في الباي من ابن العطار و الذي حسب ابن الفكون توفي خوفا من أمير بلدة قسنطينة و ربما يكون لأولاد ابن جلول يد في ذلك وهذا من خلال ارشاء الباي ضد هذا العالم والفقيه [2]. أما ابن نعمون فعزل من منصب الإفتاء .أما ابن الغربي (أحمد) هذا الرجل الذي يمثل العلم و العلماء كثيرا ما لجأت السلطات العثمانية ممثلا بصفة خاصة بشخص الباي على مستوى البايلك الى سجنته و تغريمه ،رغم أنه كان في خدمتها ، و هذا ربما يكون نتيجة شكاوى للناس منه ، و هنا من السهل التضحية به بهدف تهدئة العامة [3].

ونفس الكاس ذاق منها محمد بن قاسم الشريف حيث كان عرضة لعقاب و تسلط العثمانيين حيث هدده العسكر بالقتل ، كما كان عرضة للحصار و التشديد ، و نفس الشيء تعرض له ابن باديس (حميدة) الذي كان له مشاكل مع السلطة العثمانية ، هذا الخلاف كاد أن يؤدي إلى موته [4]، و لم ينجو يحي بن محجوبة من تسلط العثمانيين، فكان في كثير من المرات جزاؤه السجن ، و هذا ما جعله في الكثير من المرات يفر من الأوامر السلطانية ، كما كان في العديد من المرات يدفع الغرامات [5]. كما يعد الأوراسي من أشهر الشخصيات الدينية التي دخلت في صراع مع السلطة العثمانية ، و هذا بعد خروجه من طاعتها و التمرد عليها [6].

اضافة الى كل الذين سبقوا لا ننسى علماء و فقهاء عائلة عبد المؤمن ، حيث قام أولاد عبد المؤمن بثورة ضد الإنكشارية بسبب اعتدائهم على أفراد هذه العائلة ، و هو ما أدى إلى قيام ثورة عرفت

[1] – ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ....، مصدر سابق ، ص ص 59-61.

[2] – نفسه ، ص91.

[3] – نفسه ، ص 75،76.

[4] - نفسه ، ص 68-69.

[5] – نفسه ، ص 63

[6] – ابن الفكون محمد : مصدر سابق، الاوراق :22-224.

بثورة أولاد عبد المؤمن بقسنطينة(12اكتوبر1642م) [1]. لتخيرهم السلطة بين الهجرة او العيش مذلولين ، كونهم كانوا من المخالفين لها [2].

2-2-الاجتماعية : احتل رجال الدين (علماء ، فقهاء ، مفتين) مكانة مرموقة في المجتمع القسنطيني ، فرجال الدين على اختلاف توجهاتهم يعتبرون جزءا من المجتمع ، ففي مجتمع إسلامي مثل المجتمع القسنطيني يعد رجل الدين همزة وصل بين مختلف عناصره. و نوازل ابن الفكون حملت وبينت لنا مكانة ودور هذه الفئة المهمة والفعالة في المجتمع.

2-2-1-دور العلماء والفقهاء:

2-2-1-1-الافتاء : يظهر هذا الدور من خلال النوازل والتساؤلات التي اجاب عنها رجال الدين وعلى راسهم المفتين ، فالإفتاء يعد قضية ضرورية للمجتمع و الفرد القسنطيني. فالفتاوى المعروضة على مختلف رجال الدين من شيوخ ، فقهاء و علماء أغلبها تخص المجتمع و مشاكله [3].كما نجد أن الفقهاء أو رجال الدين كان لهم دورا هاما خلال فترات المحن و الشدائد و التي ضربت المغرب الأوسط ككل و هذا في مختلف الفترات التاريخية . و هذا الدور يتمثل و يتجسد في مختلف الاجتهادات و الفتاوى التي خرج بها هؤلاء ، و التي تهدف إلى مواجهة مختلف النوازل و الشدائد التي مست المجتمع كالمجاعات و الأوبئة .و من المسائل التي رخصوا لها قضية بيع الأوقاف (

---

[1]- ابن العنتري : فريدة منيسة ....، مصدر سابق ، ص 38.

[2]-كرطالي امين : مرجع سابق ، ص 61.

[3]-ولد خسال : مرجع سابق ، ص 212،213.

أوقاف الفقهاء) و هذا لإطعام الفقراء و المحتاجين ، كما وقفوا سدا منيعا من خلال اصدارهم لفتاوى تحارب الاحتكار و الذي اشتد خاصة زمن المصائب و المجاعات [1].

و نفس الشيء قاموا به لمحاربة ظاهرة الغلاء من خلال اصدار فتاوى تجيز التسعير و هذا لظبط السعر ليتماشى و قدرة المجتمع [2].

2-2-2-2- القضاء :حتى و إن كانت السلطة القضائية موجودة على مستوى الكثير من المناطق في البايلك و خاصة على مستوى المدن ، إلا أن الكثير من الأفراد و الجماعات يتخاصمون عند القاضي و أحيانا عدم القبول أو الرضا بالحكم الصادر أو التشكيك في مدى عدل القاضي ، يجعل من بعض المتخاصمين يلجأ إلى المشايخ و العلماء و الفقهاء على مستوى البايلك أو خارجه طلبا للفتوى .هذه الحالة وقفنا عليها في نوازل ابن الفكون هذا المطلب هو محاولة من صاحب النازلة لإيجاد مخرجا يوافق مصالحه و طموحه .و هذا ما يفسر العدد الكبير من النوازل تتشكل من رسم أو حكم قضائي و معه السؤال و هذه النوازل التي تطرقت إلى خصومات و قضايا عرضت على القضاء في البداية ثم عرضت على أحد المشايخ و العلماء ، نازلة عرضت على أبي زكريا يحيى المحجوب و التي من أهم ما جاء فيها . " ... عن مسألة رجل قام عليه قائم في دار سكناه و خاصمه فيها و طال بينهما النزاع فاستظهر القائم على المقوم عليه بإيداع غير معين التاريخ وثيقة بشهود ... فقالا له لم

[1]-كرطالي امين : مرجع سابق ، ص 20.

[2]- نفسه ، ص20

نشهد إلا على القاضي خاصه و رجعا عما تضمنه الحكم المشار إليه ... فهل حفظكم الله ببطل الحكم ... " [1].

أما على مستوى المناطق التي لا يوجد فيها القضاء كهيئة رسمية ، نجد رجال الدين من فقهاء وغيرهم يلعبون دور القضاء و هذا من خلال القيام بمختلف العمليات و التي هي من اختصاص القاضي كفك الخصومات بين الأفراد و الجماعات .و يستحيل العقود و العهود بمختلف أنواعها كعقود الشركات ، البيع و الشراء و عقود الأحباس و الأوقاف و غيرها من العقود و المواثيق [2].

2-2-2-3-حماية الدين من البدع :كما كان لرجال الدين و على رأسهم العلماء مسؤولية و دور يتمثل في حماية المجتمع و دينه ، و هذا الدور يعد من أعظم و أسمى الأدوار التي خلق من أجلها علماء الدين [3]. فالعالم أو رجل الدين هو الذي ينهى عن المنكر و يأمر بالمعروف ، و هذا ما سيكون له آثار إجابيه على المجتمع و صلاحه ، و منه تنقص الانحرافات و الرذائل ، و أي تقصير في هذا الدور ستكون عواقبه و نتائجه سلبية حيث يتمزق المجتمع [4]، وهذا الدور والهدف لم يقتصر على علماء بايلك قسنطينة خلال الفترة المراد دراستها (16 . 17 م / 10 . 11 هـ) ، بل عبر مختلف العصور فعلى سبيل المثال نجد خلال عصر الدولة الموحدية وقفوا في وجه هذه البدع و من الذين برزوا في هذا المجال يذكر لنا لسان الدين الخطيب اسم الفقيه عبد الرحمان بن أحمد الفزازي و الذي بين موقفه ودوره في محاربة البدع بقوله . " ... شديد الانكار و الانحاء على أهل البدع ، مبالغا في

---

[1]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق، ورقة 466.

[2]- آيت سوكي ، مرجع سابق، ص ص 116-125.

[3]- احمد الصالح محمد - خالد محمود عبد الله : دور العلماء في الحياة الاجتماعية في عهد الموحدين ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مجلد 03، العدد 10 ، جامعة تكريت كلية التربية ، ص 239.

[4]- نفسه ، ص 239 .

التحذير منهم " . و للقضاء على هذه البدع الهدامة دأب العلماء على المجتمع على التمسك بالدين الإسلامي من خلال التمسك بالقرآن و السنة النبوية .و لم يقتصر دور العلماء و رجال الدين على محاربة البدع بل تمثل دورهم أيضا في محاربة كل مظاهر الفساد و الآفات الاجتماعية [1]..

و من أشهر العلماء و رجال الدين في بايلك قسنطينة و التي وقفت في وجه كل البدع و الخرافات التي انتشرت بين المجتمع خاصة على مستوى الطبقة بعض من يدعون العلم ، نجد شخصية عبد الكريم الفكون هذا الأخير ألف كتابا الهدف منه محاربة البدع واهلها فعبد الكريم الفكون يعد من القلائل و من النماذج التي وقفت في مواجهة البدع و الخرافات و هذا حفاظا على الدين و المجتمع. كما ساهم عبد الكريم الفكون في محاربة مختلف الظواهر و الآفات التي انتشرت بين أفراد المجتمع القسنطيني و التي منها قضية أو آفة التدخين .هذا الموقف و الدور من ابن الفكون جعله يؤلف كتاب أو تأليفا يشرح و يحارب من خلاله هذه الآفة ، و هذا ما حملته لمنا نوازل ابن الفكون [2].

2-2-2-المكانة الاجتماعية :نظرا للدور و الأهمية التي يلعبها رجال الدين في مختلف مجالات الحياة السياسية ، الاقتصادية و الاجتماعية أصبح لهؤلاء مكانة مرموقة بين أفراد المجتمع القسنطيني هذه المكانة حملتها لنا الكثير من النوازل ، فها هي إحدى النوازل تشرح و تبين لنا مكانة العلماء و رجال الدين حيث جاء على لسان الشيخ أبي زكريا يحي المحجوب الذي أجاب عن هذه النازلة بقوله : " ... و لا يحل لحاكم أن يترك من يطلق لسانه في العلماء بما ينقصهم به لأنهم ورثة الأنبياء و قد قال الرسول صلى الله عليه و سلم تسليما من حقر عالما فهو ملعون في الدنيا و الآخرة .و عن ابن

---

[1]- احمد الصالح : المرجع سابق ، ص ص 239-242.

[2]-ابن الفكون محمد : مصدر سابق،الورقتين 575،576

عباس رضي الله عنه من أذى فقيها فقد أذى رسول الله و من ءاذا (آذى) رسول الله فقد ءاذا (آذى) الله ..." [1].هذا الربط بين العلماء و أذيتهم بالرسول صلى الله عليه و سلم إن دلّ فإنما يدل على مكانة هؤلاء في المجتمع الإسلامي عامة و المجتمع القسنطيني خاصة .

هذه المكانة بين السكان سمحت لرجال الدين و الفقهاء امتيازات و احترام من طرف السكان ، فعلى سبيل المثال إذا حدث بيع بالمزايدة (المزاد العلني) فإن الناس يخشون من الزيادة على رجال الدين و هذا احتراما لهم من جهة و ربما الخوف من مكانتهم عند الحاكم ، و هذا ما حمله لنا قول أحد السائلين " الحمد لله يقول من يشهد بعد أن الجنة المعرفة بحد الدار من جنات وادي قسنطينة و بالعدوة القصوى منها كانت لما بيعت عن مالكها الكاتب المكرم أبي محمد عزوز بن عمار ... فنودي عليها إذ ذلك و تعلقت بها أعراض جملة من الناس و وقعت فيما بينهم مزايدة فلما وضع الفقيه عبد الله المذكور عليها يده واردا ابتياعها من نفسه خشت الناس المشار إليهم منه من أن يزيدوا في الجنة المذكورة فسلموها له و لم يقدر أحد منهم على الزيادة فيها معه ... " [2].

اما ابن زكريا فيصف لنا نظرة سكان منطقة القبائل اتجاه رجال الدين سواء كانوا مرابطين أو شيوخ زوايا و غيرهم ، ينقل لنا نظرة السكان بقوله : "... إن القبائل و إن كثرت أفرادهم ، و اختلفت عوائدهم ، و تباينت في الأعراض مشاربهم ، قد أجمعوا من حيث العقائد و الدين و اتفقوا بالطبع على الخضوع و الانقياد للمرابطين عموما و لأهل الزوايا ، و المقدمين من مشايخ الطريقة

---

[1]- ابن الفكون محمد :المصدر السابق ،ورقتين :121-125.

[2]- نفسه ،الورقة 163.

خصوصا " [1]، هذه المكانة و نظرة السكان يرى فيها الباحث آيت سوكي أنها عاملا إيجابيا ،و هذا لعدة عوامل يذكر أهمها بقوله : "... بل كان عاملا إيجابيا ، لأن السكان الجبليين الرافضين الخضوع لأي سلطة سياسية ، قد وجدوا في هؤلاء و في الطرق الصوفية ، أحسن سبيل في تحقيق النظام بين السكان في المنطقة ، و خضعوا للقوانين الشرعية ، على الرغم من التأثر بالقوانين العرفية ..." [2].كما يذكر لنا الباحث أن الزوايا كانت بمثابة العقل المدبر للسكان و المنطقة ، و هي تمثل العدل في نظر السكان ، هذا الشيء و هذه الأهمية أكسبتها القدسية [3]. و في نفس الاتجاه يرى أحد الرحالة الانجليز (هيلتون سيمبسون) و الذي زار منطقة الأوراس و إن كانت الفترة التي زار بها المنطقة بعيدة عن الفترة المراد دراستها إلا إنها توحي و تؤكد نظرة لم تتغير ، يذكر هذا الرحالة أن تأثير رجال الدين و على رأسهم شيوخ الزوايا كان له تأثير السحر و هذا الوصف ينزع عن صورة رجال الدين في أعين السكان خاصة على مستوى الريف القسنطيني [4].

3-الوضعية الاجتماعية و المالية لرجال الدين: الكثير من المصادر التاريخية تؤكد وتتفق على أن فئة رجال الدين من الفئات الاجتماعية التي تمتاز بمستوى معيشي لابأس به ويمكن ان نطلق علية بالمستوى الراقي ، و هذا المستوى والمكانة نتيجة للمكانة الاقتصادية و المالية التي وصلت إليها هذه الطبقة ، و هذا سواء بسبب أملاكها التي توارثتها جيل عن جيل ، أو كنتيجة للامتيازات التي تلقاها من السلطة الحاكمة نتيجة الخدمات و الدعم الذي تقدمه ، كما تعتبر الوظائف السامية التي تقلدها

[1]- ايت سوكي، مرجع سابق ، 113،114.
[2]- نفسه ، ص 113
[3]- نفسه ، ص114.
[4]- ركي :مرجع سابق ، ص45.

رجال الدين في هياكل الدولة أو السلطة العثمانية بالبايلك من أسباب احتلالها لهذه المكانة .وما يؤكد هذا القول هو تلك الاملاك التي كانت من نصيب رجال الدين ، والتي تعددت وتنوعت ما بين عقارات منقولة و غير منقولة ، شملت أراض و بساتين ، و مساكن ، و غيرها من العقارات التي تدر على هذه العائلات أموال طائلة هذه الميزة حملتها لنا العديد من نوازل ابن الفكون و التي تعرضت إلى العديد من الأشخاص والذين ينتمون إلى هذه الفئة، سواء من خلال عرض مختلف الأحباس و الأوقاف التي كانت توقفها العائلات الدينية بإقليم قسنطينة ، هذه الأوقاف و الأحباس المتمعن فيها يكتشف حجم الأملاك التي كانت في يد هذه العائلات ، و من جملة هذه النوازل نازلة عرضت على محمد بن عبد الكريم الفكون [1] و التي اشتملت على 13 رسما تنوعت بين رسم الهبة إلى حبس ، و غيرها من الرسوم و سؤال حول هذه الرسوم. تناولت هذه النازلة تركة خلفها أحد رجال الدين على مستوى قسنطينة و المعروف بأبي العباس أحمد بن عبد الجليل ،تمثلت مخلفاته في جملة من الأملاك تعددت و تنوعت من أراضي و بساتين و حوانيت و كوشات و أفران و هذا بكل من قسنطينة و ميلة ، و حسب النازلة كل هذه الأملاك مسجلة في زمامين واحد خاص بالأملاك على مستوى قسنطينة و الآخر خاص بالأملاك على مستوى ميلة [2].

أومن خلال التمعن في عمليات البيع والشراء ، حيث حملت لنا النوازل العديد من المعلومات حول عمليات بيع و شراء لأملاك و عقارات تمثلت في أراضي و بساتين و غيرها من العقارات ، هذه العمليات كان أطرافها شخصيات تنتمي إلى عائلات علمية و دينية على مستوى البايلك و

[1] - ابن الفكون محمد : مصدر سابق، ورقات 402-419.

[2] -نفسه ، ورقات :402-419.

خاصة العاصمة مدينة قسنطينة ، ومن أمثلة من جاء ذكره في نوازل ابن الفكون أبي عبد الله محمد بن باديس و الذي اشترى جنة من أبناء وورثة الفقيه أبو العباس أحمد بن جلول ، حيث يذكر السائل حول عملية الشراء :"... و في المبيع الذي اشتراه الطالب القارئ المكرم الأمجد الأسعد الاحسب أبي عبد الله محمد بن باديس عن الجنة المذكورة في عام اثنين و ثلاثين الماضي ..." [1] .

كما ساهمت تولي المناصب و الوظائف كالقضاة و التدريس و غيرها ، ساهم في رفع مكانة ومستوى المعيشي رجال الدين [2] .كما كان الامتيازات و الوظائف التي تقلدها رجال الدين على مستوى بايلك قسنطينة دورا كبيرا فيما وصلت إليه هذه الفئة من مكانة مالية اقتصادية و لنا في عائلة ابن الفكون خير مثال على ذلك باعتبارها من أهم العائلات وأشهر حصولا على الامتيازات من السلطة العثمانية ، و حتى و إن كانت عائلة ابن الفكون تعد من أغنى العائلات على مستوى البايلك قبل مجيء العثمانيين إلا أن فترة الحكم العثماني و نتيجة للامتيازات مثلما سبق وتطرقنا إليها زاد هذه العائلة غنا و ملكا .فالإشراف على أوقاف الجامع الأعظم و حصولها على فائض هذه الأوقاف من جهة [3] ، و استفادتها من فوائد سوق الخضر و الفواكه من جهة ثانية [4] ،و الحصول على ما قيمته العشر من الزرابي و الخشب الداخل إلى قسنطينة من جهة الأوراس [5] ، إضافة إلى مختلف الهدايا و التي كانت تشمل على عقارات و غيرها .كل هذا زاد من حجم ثروة آل فكون .

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق، ورقة 410.

[2]-كرطالي : مرجع سابق، ص 61.

[3]-سعد الله : شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص75.

[4] -VAYSSETES, op.cit , p85.

[5]- سعد الله : شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص75

هذه المكانة المالية للكثير من رجال الدين على مستوى البايلك جعل من فئة رجال الدين تعيش في مستوى معيشي مريح مقارنة بمختلف الفئات الاخرى، و من مظاهر هذا المستوى المعيشي المريح هو اتخاذ بعض العائلات من هذه الفئة الإيماء و العبيد لخدمتها ، و هذا ما تضمنته إحدى النوازل و التي جاء فيها : " الحمد لله هذه نسخة رسم نصه الحمد لله اشهدت رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان بإخراج أمة تعتق بعد وفاتها و لحقوقها بالله تعالى..." [1].

4-المستوى العلمي و علاقاتهم الخارجية :

4-1-المستوى العلمي: رغم وجود عدد هائل من العلماء الفقهاء على مستوى بايلك قسنطينة ، إلا أن القرن 11 هـ – 17 ، شهد ظهور علماء بالبايلك هؤلاء العلماء حسب الأستاذ سعد الله نجدهم لا يرقون إلى مصاف العلماء الأوائل ، و هذه الفكرة التي يطرحها سعد الله نجدها تتماشى و ما طرحه صاحب منشور الهداية ، ففي هذا الباب و وصفا و تأكيد عن الاختلاف الحاصل بينهما يقول ابو القاسم سعد الله : "...ربما يكون ذلك صحيحا ، لو وجدنا ما يخطئ الفكون فيما ذهب إليه ، ذلك أننا بدراستنا للحياة الثقافية لقسنطينة و نواحيها لا نكاد نجدفعلا سوى علماء بسطاء ، إذا استثنيناه هو... "[2]، و هذا هو المقصود باستثناء عبد الكريم الفكون .ومن هؤلاء العلماء نجد بركات بن باديس .عاشور القسنطيني المشهور بالفكريين ، محمد ساسي البوني ، محمد التواتي وغيرهم من العلماء و رجال الدين[3].ومن هذا المنطلق نجد ان ميزة وقيمة علماء بايلك قسنطينة من حيث العلم قد تراجعت وهذا ما يؤكده الاستاذ سعد الله والذي يرى ان العلماء اكتفوا بالشيء القليل والذي يكون كافيا ليتولى منصبا شرعيا كالقضاء ، الامامة ،والخطابة وغيرها[4].

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 365.

[2]- سعد الله ابو القاسم : شيخ الاسلام ....، مرجع سابق ، ص 33

[3]- نفسه ، ص 33،34.

[4]- نفسه ، ص 29

4-2-علاقاتهم الخارجية : لم يكن علماء البايلك في انعزال عن العالم الخارجي بل نجد أن كان هناك اتصال بينهم و مختلف علماء البلدان العربية الإسلامية. هذه العلاقة تظهرها وتؤكدها تلك المراسلات و الرسائل التي كانت حبل وصال بين علماء قسنطينة و علماء العالم الإسلامي .فمن مجمل الرسائل التي جاء ذكرها في نوازل ابن الفكون هي الرسالة التي حملتها لنا احدى النوازل و التي أجاب عنها عبد الكريم الفكون (صاحب المنشور) ، هذه الرسالة التي كانت مرسلة من العالم المقري التلمساني للعالم عبد الكريم الفكون حملها له عبد الله محمد بن باديس ، حملت هذه الرسالة جوابا لعبد الكريم الفكون أجاب عليه ابو العباس احمد المقري التلمساني . و هذا ما جاء ذكره على لسان عبد الكريم الفكون يقوله : " قال الوالد رحمة الله و رضي الله و رضي عنه ، هذا آخر جوابي عن المسألة و لم أشعر به بما أنا عليه من فادح المرض ، حتى لو سألت عنه أو عن المسألة لما حصل لي علم بذلك حتى ورد عن أبو عبد الله محمد بن باديس من حجة فذكر لي أنه حمل معه جوابا لنا أجاب عنه أبو العباس أحمد المقري تصحيحا لا توضيحيا ..." [1].

و لم تقتصر المراسلات على المقري و ابن الفكون فقط بل نجد أن الكثير من المراسلات و الرسائل كانت بين ابن الفكون و عدة فقهاء و علماء ، من المغرب و خاصة في المسائل الدينية مثلما هو الحال المراسلات التي كانت في قضية أحمد الفاسي هذا الأخير الذي وضعه العلماء ، و من بينهم عبد الكريم الفكون في خانة الخوارج الحقودين على السيد علي رضي الله عنه[2].كما كانت لابن الفكون صاحب المخطوط و قبله أبوه عبد الكريم علاقات مع الفقيه العياشي صاحب الرحلة ، هذه العلاقة ذكرها العياشي في رحلته. [3].

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق، الورقة ،508.

2- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص ص 99،100.

[3]- العياشي ، مصدر سابق، مج2 ، ص 514.

المبحث الثالث: موظفو الهيئة القضائية والهيئة العسكرية:

تعد الهيئة القضائية من الهيئات الضرورية لمختلف المجتمعات والسكان ، فلا يمكن ان يسود العدل والامن بين السكان دون وجود هذه الهيئة ، فالقضاء بمختلف مكوناته وعناصره يعمل على تنظيم العلاقات الاجتماعية وخلق مجتمع تحترم فيه الحقوق وتنفذ الواجبات .من هذا المنطلق كان لابد من التطرق الى هذه الهيئة على مستوى بايلك قسنطينة ، وهذا من خلا ل التطرق الى مختلف العناصر المكونة لهذه الهيئة ومختلف موظفيها من موثقين وعدول وغيرهم وصولا الى اعلى الهرم حيث القاضي .مع محاولة توضيح دور هذه العناصر واهميتها بالنسبة للسكان على مستوى اقليم قسنطينة .

1-الهيئة القضائية:

1-1- القضاة :حملت لنا نوازل ابن الفكون عددا ممن تولى القضاء على مستوى قسنطينة ، ومن أشهرهم نذكر أبو الفضل قاسم الفكون[1] و هذا خلال سنة 948 هـ(1541م) و هذا في فترة حكم حسن آغا[2]. الشيء المعروف عن القضاء أنّ متوليه هم رجال الدين و علماء فقاسم الفكون كان رجل دين وعالما قبل ان يكون قاضيا وكما هو معروف ان منصب القضاء قبله عرض على أبو حفص عمر الوزان لكنه اعتذر عن ذلك[3] ، وعمر الوزان من يعد من أشهر علماء بايلك قسنطينة حيث يصفه عبد الكريم الفكون بقوله :"...شيخ الزمان ، ...العارف بالله الرباني أبي الحفص عمر الوزان ..."[4] . وممن ن تولى القضاة نذكر الشيخ أبو عبد الله محمد الكماد هذا الاخير كان قاضي

---

[1]-ابن الفكون محمد :مصدر سابق ، ورقة - ابن الفكون عبد الكريم : مصدر سابق ، ص 43.

[2]- أبو القاسم سعد الله: شيخ ...، مرجع سابق ، ص 15.

[3]- حسب الاستاذ سعد الله فانّ وثيقة اعتذار عمر الوزان عن تولي القضاء واقتراحه لقاسم الفكون ، تعد اقدم وثيقة تتعلق بوظيفة القاضي ، والتي تعود الى 9448هـ(1541م). انظر سعد الله : شيخ ...، مرجع سابق ، ص 15.

[4]- ابن الفكون عبد الكريم : مصدر سابق ، ص35.

الجماعة بقسنطينة[1] ، واحمد الغربي وابنه[2] ، اضافة الى بركات بن سعيد المغراوي[3] واحمد بن باديس[4] وغيرهم .هذا على مستوى المدن والحواضر وما يتبعها من مناطق ، أمّا على مستوى المناطق التي لا يوجد فيها القضاء كهيئة رسمية نجد رجال الدين من فقهاء وغيرهم يلعبون دور القضاء و هذا من خلال القيام بمختلف العمليات و التي هي من اختصاص القاضي كفك الخصومات بين الأفراد و الجماعات ،و تستحيل العقود و العهود بمختلف أنواعها كعقود الشركات ، البيع و الشراء و عقود الأحباس و الأوقاف و غيرها من العقود و المواثيق [5].

ولكن ما شدّ انتباهنا هو وجود عدة رسوم واحكام صادرة عن القضاء ولكن اصحابها لم يكتفوا بحكم القاضي وطرحوها على العلماء والمفتون أو بصيغة اخرى على النوازلي للنضر فيها وهذا يضعنا امام عدة تساؤلات وتأويلات فربما هناك انعدام الثقة بين الرعية والسلطة القضائية .أو ربما طبيعة المجتمع وحبه لرجال الدين والعلماء جعله لا يكتفي بالحكم القضائي لان في نظرهم هذا حكم اداري حتى وان كام من يتولاه هو رجل دين وعا لم من العلماء مثلما سبق الاشارة اليه .أو ربما يتعلق هذا الفعل بطبيعة من تولى القضاء على مستوى قسنطينة والذين وصفهم صاحب منشور الهداية بانهم ليسوا اهلا لمنصب القاضي امثال يحي بن محجوبة [6].

---

[1]– ابن الفكون عبد الكريم : مصدر سابق ، ص 44.

[2]–نفسه، ص 40.

[3]– بركات بن سعيد : المعروف بالمغراوي نسبة لمغراوة مفتي وفقيه ،كان قاضي الجماعة بقسنطينة عاصر يحي الفكون جد عبد الكريم الفكون ، كان من أهل الشورى بقسنطينة ، توفي في شوال من عام اثنين واربعين وتسعمائة . انظر : ابن الفكون عبد الكريم : مصدر سابق ،ص ص 56،57

[4]– نفسه ، ص ص 56،57.

[5]–

[6] – ابن الفكون عبد الكريم : مصدر سابق ، ص63

1-2-النائب في الأحكام الشرعية: من الوظائف التي كانت مهمة في المجتمع نظرا لمهامها ، و علاقتها بالمجتمع نجد مهمة أو وظيفة النائب في الأحكام الشرعية بالبايلك خاصة على مستوى مدينة قسنطينة ، هذه الوظيفة من الوظائف التي جاء ذكرها في عدة نوازل و هذا التناول لهذه الوظيفة يرتبط كون أن مختلف النوازل هي عبارة عن رسوم و مواثيق تخص الأوقاف و الحبوس و الزواج ، و عقود الوصايا و غيرها ، فمن البديهي أن نجد من يتولى نيابة الأحكام الشرعية فهو الشخص أو الموظف الذي تكمن مهامه في تثبيت مختلف الأحكام الصادرة عن القاضي و تنفيذها، حيث يقول السائل :"...بعد الافتتاح اشهد الشيخ الفقيه النايب(النائب) الان في الاحكام الشرعية بمدينة قسنطينة وكافة اعمالها ...انه ثبت عنده ملك امة الرحمان ...حال نيابته بها وتنفيذه الاحكام الشرعية بها بتاريخ اواسط ربيع الاول المبارك الاشرف عام خمسة وثلاثين وتسعماية(تسعمائة)..." [1]

1-3-الموثقون : تعتبر مهنة التوثيق من المهن الضاربة في التاريخ الإسلامي ، فمهنة التوثيق يقول عنها أحد علماء قسنطينة بقوله: " ...خطة التوثيق شريفة ، و مرتبة رفيعة ... " [2]. فالتوثيق و أصله جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى : " ...و ليكتب بينكم كاتب بالعدل.. " [3]. فالموثقون احتلوا حيزا هاما في هذه النوازل و حيث جاء ذكرهم في العديد من النوازل خاصة إذا علمنا أن الكثير من هذه النوازل عبارة عن رسم أو عقد، إضافة إلى السؤال المطروح. ومن اهم من اشتهر بالتوثيق والوثائق على مستوى قسنطينة نجد :أبو عبد الله ابن العطار[4] ، وعبد اللطيف المسبح[5]، واحمد الميلي [6]

1-3-1-مهام الموثق : للموثق عدة مهام و واجبات على مستوى دار القضاء أو المحكمة، فهو الذي يتولى كتابة و توثيق مختلف المعاملات و القضايا التي تهم المجتمع القسنطيني في مختلف مجالات

1- ابن الفكون محمد: المصدر السابق : الورقة 412.

2- نفسه ، الورقة 115.

3- نفسه ، الورقة 115. - سورة البقرة ،الاية 282.

4- ابن الفكون عبد الكريم : مصدر سابق ، ص90.

5- نفسه، 46.

6- نفسه،95.

الحياة: السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، وهذا ما تؤكده لنا إحدى النوازل والتي تناولت قضية بيع حيث يذكر السائل :"... الحمد لله سيدي رضي الله عنكم جوابكم بعد تأملكم نسخة الرسم أعلاه ... دعواه التخليط في الوثيقة في قول كاتب الوثيقة في أولها من ورثة من ذكر و لم يتقدم له ذكر مع ان كاتب الوثيقة اعاده في اخرها وبينهم بانهم ورثة التريكي و قد استفسر كاتب الوثيقة ..."[1].

و أخرى جاء فيها قضية توثيق لوصية أوصت بها إحدى النساء المدعوة رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان حيث جاء فيها : "الحمد لله هذه نسخة رسم نصه الحمد لله أشهدت رحمونة بنت الفقيه عبد الملك بن رمضان بإخراج آمة تعتق بعد وفاتها و لحقوقها بالله تعالى و أبرأت شقيقها محمد من جميع الدعاوي و الطلب ... و ذلك بتاريخ عشية يوم الثلاثة من يوم أربعة عشر من ربيع الثاني من عام أحد عشر و ألف ... كما في علمكم على خلاف الأصل فيقضى بالوثيقة و تخرج الوصية مخرج الثلث و لا يصح الرجوع من الشاهد الصهر عما شهديه من مضمون الوثيقة... "[2].

فالموثق عليه كتابة و توثيق كل حيثيات العقد و الوثيقة المراد كتابتها ، فعلى سبيل المثال على الكاتب أن يكتب و يوثق حالة الشخص الموصى أو الذي يترك الوصية و هذا ما جاء به جواب أحد الشيوخ على نازلة من النوازل حيث يقول : " ... و لهذا جعل الموثقون في الإشهاد على المريض تضمين صحة عقله و أنه يعلم ما يقوله و يشهد به رفعا للاحتمال ... "[3].و كتابة كل شيء و توضيحه في الوثيقة يغلق الباب أمام الاحتمالات، لأن عدم ذكر الموثق لكل جزئية تتعلق بالوثيقة يجعل كل قارئ يفسرها على هواه ، كما أن الموثق أو الكاتب لا بد من توضيح كل الأشياء في الوثيقة بذكر أصنافها و أنواعها ، إن كان لا بد من ذكر ذلك ، و ما يؤكد هذا الطرح هو ما حملته لنا إحدى النوازل حيث يطرح السائل هذه القضية من خلال قوله : " ... عن الموثق يذكر الدين في كتابه و لم يذكر الوجه هل من قراض أو معاملة أو وديعة و قد نص العلماء إذا قال الشاهد من وجه

[1]- ابن الفكون محمد، المصدر السابق ، الورقتين 157،158.

[2]- نفسه ، الورقتين :365،366.

[3]- نفسه ، الورقة 366.

جائز لا يقضى به إذ قد يعتقد ما ليس بجائز جائز ... " [1] .ففي هذه النازلة نرى أن لا بد على الموثق و كاتب الوثيقة أن يبين نوعية هذا الدين هل هو ناتج عن قرض أقرضه صاحبه أو عبارة عن إحدى المعاملات بين الطرفين أو ربما هو نوع من الودائع . ثم جاءت إجابة الشيخ و التي أكدت على أنه لا بد من التحديد حيث قال : " ... تأملت النسخة المذكورة أعلاه فلم يظهرها فيه بيان وجه و قد نص الفقهاء على أن الموثق إذا قال من وجه جائز لا يقضى به على ما نقل البرزلي عن منذر بن سعيد فهذا أحرى في عدم القضا إذا لم يبين الوجه البتة و الله أعلم و به التوفيق " [2].

و حتى ألفاظ الموثق يجب أن تكون دقيقة واضحة المعنى و هذا لكي لا تؤول من طرف الجهات التي تمسها أو تتعلق بها الوثيقة المكتوبة ، فهناك بعض النوازل تطرقت لهذا و منها نازلة (رسم و سؤال) عرضت على العالم محمد التواتي من أهم ما جاء فيها : " ... بعد تأملكم نسخة الرسم أعلاه بأن خليفة المحجوز فيه الذي باعت عنه أخته في الرسم أعلاه قدم مدعيا بطلان البيع من وجوه مستظهرا لألفاظ مأخوذة من الوثيقة زاعما أنها مخلة بها ... " [3].و حتى و إن جاءت إجابة الشيخ التواتي لا توافق هذا الادعاء إلا أنه ما يهمنا في هذه القضية هو الأسباب التي تعلق بها صاحب الدعوى و التي تتعلق بكتابة و ألفاظ الوثيقة .

1-3-2-شروط الموثق: من خلال استعراضنا لمهام و صلاحيات الموثق و أهمية هذه المهنة للمجتمع كان لابد لنا ان نتطرق الى أهم الشروط التي وجب توفرها في شخصية الموثق حتى يكون أهلا لهذه المهنة ، فمن خلال إجابة لأحد العلماء نستنتج أن الموثق لا بد أن يتوفر فيه عدة شروط و هذا بقوله : " ... خطة التوثيق شريفة و مرتبة رفيعة ، و هي مفتقرة إلى علوم إذ لا ينتصب لها من غلب الجهل عليه و اجتمعت أوصافه لديه ، واصل التوثيق في كتاب الله و معروف من كلام العلماء و قد قال مالك رضي الله عنه لا يكتب بين الناس إلا عالم بالتوثيق عدل في نفسه لقوله تعالى و

---

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 482.

[2]- نفسه : الورقة 482.

[3]- نفسه، الورقتين : 158،156

ليكتب بالعدل و معنى كاتب بالعدل لا يكتب دون الحق و لا فوقه ... "[1].و هذا ما يفسر قضية منع القضاة على مستوى البايلك و خاصة قسنطينة (المدينة) لبعض الموثقين بحجة عدم معرفتهم و عدم إتقانهم لمهنة التوثيق و جعل هذه المهنة محصورة بين بين أشخاص لهم المعرفة و الدراية التامة بالتوثيق و كل ما يتعلق به [2].

1-4-العدول : احتوت الكثير من نوازل ابن الفكون على مصطلح العدول أو حرفة أو مهنة العدول هذه الاخيرة تعد من المهن المعروفة على مستوى الهيئة القضائية و خاصة على مستوى العاصمة مدينة قسنطينة ، و تتمثل مهمة هؤلاء العدول هو الإشهاد على مختلف العهود و المواثيق التي تحدث على الهيئة القضائية بالبايلك خاصة على مدينة قسنطينة [3]، و لا تكاد تجد عقد من مختلف العقود المرتبطة على مستوى قسنطينة يخلو من أسماء و إمضاء العدول [4].

ويختلف عدد العدول من عقد الى أخر ، ومن وثيقة إلى أخرى ، فبينما نجد بعض العقود و الوثائق يشهد عليها عدلان ، مثلما جاء في النازلة التي عرضت على محمد بن عبد الكريم الفكون (الجد) و التي أجاب عنها الفقيه أبي عبد الله محمد المسراتي ، والتي كانت تتكون من عدة رسوم .حيث ذكر السائل : " ... الحمد لله بعد أن تصدقت آمة الرحمان بنت الشيخ الشريف المكرم أبي العباس أحمد المذكور أعلاه على أخيها لأبيها الفقيه المكرم العدل أبي الحسن ....بجميع ما انجر لها بالإرث من والدها أحمد المذكور و بما تملكه من الربع الموروث عنه بداخل قسنطينة و خارجها و بداخل ميلة و خارجها ... صدقة تامة لوجه الله العظيم حسبما ذلك في غير هذا شهادة عدلين من

---

[1]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقة 115.

[2]- نفسه ، الورقة 115.

[3]- نفسه ، الورقة 408.

[4]- قشي فاطمة الزهراء: شهود العدالة في قسنطينة القرن التاسع عشر الانتماء العائلي والمسار المهني ،انسانيات المجلة الجزائرية في الانثربولوجية والعلوم الاجتماعية ، العدد53-36، 2007.

عدول بلد قسنطينة المذكورة ...و ذلك كله بتاريخ تقدم في شعبان عام تسعة و عشرون و تسعمائة و تأخر الإشهاد به في منسلخ ربيع الثاني عام خمسة و ثلاثين و تسعمائة." [1].

و نفس النازلة تتعرض على عقد أو رسم بيع بين المدعو أبو البركات محمد ، الذي ابتاع (اشترى) من آمة الرحمان الشريفة و أخويها علي و آمة الكريم . شهد على هنا العقد (الرسم) ثلاثة عدول من عدول قسنطينة ،حيث يقول السائل : " ...و أشهد المبتاع المذكور أنه نايب(نائب) في ابتياع ذلك من آمة الرحمان الشريفة المذكورة ، و عن أخويها علي و آمة الكريم المذكورين على حسب اشتراكهم في ذلك و الثمن الذي يدله في ذلك من مدفوع آمة الرحمان حتى تحاسب به أخويها ...بتاريخ أواخر رجب الفرد عام ستة و تسعمائة بشهادة ثلاثة عدول من عدول البلد المذكور و تحت رسم كل واحد من ثلاثتهم بالقلم الحكمي و المداد الأخضر ..." [2].

و أحيانا نجد عقودا و رسوما بها شهادة أربعة عدول مثلما ذكرته إحدى النوازل والتي تناولت قضية العرف الجاري بقسنطينة و القاضي بعدم دخول البنت في الحبس ، حيث جاء فيها : " ...و أجاب الشيخ المذكور أولا رحمة الله عليه أيضا باسفل رسم عرف المدينة المذكورة منعقدة بشهادة أربعة عدول منها و نصه بعد الحمد لله يشهد من يسمى عقب تاريخيه فإن العادة الجارية المستمرة بقسنطينة المحروسة ... إذ حبسوا حبسا على أولادهم و أعقابهم لا يريدون إدخال أولاد البنات ...قيد بذلك شهادته بتاريخ أواسط العقدة عام ستة و تسعمائة..." [3].

1-4-1- اختيار العدول: هناك عدة شروط شروط يجب توفرها في العدول ، فالسمعة الطبية و الأخلاق الحميدة ، ومن ورائهم الانتماء العائلي لفئة العدول ، فمنهم من ينتمي إلى العائلات العلمية ، الفقيه ، و للأعيان على مستوى قسنطينة .و هنا نستحضر عدة عائلات اشتهرت بكونها

[1]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الاوراق : 402-408.

[2] -نفسه، الورقة 404.

[3]- نفسه ، الورقة 371.

عائلات لعدول على مستوى قسنطينة سواء خلال القرنين 16-17م(10-11هـ)، أو ما بعدها (18-19م) منها : عائلة الفكون ، العلمي ، عائلة بن عزوز ، بن المسبح ، عائلة و غيرهامن العائلات [1] .

1-4-2-المهام : من الوهلة الأولى و من خلال مختلف العقود و الوثائق يتضح أن مهام العدول أو شاهدي العدل إثبات مختلف القضايا المطروحة أو مختلف المعاملات المسجلة في سجلات المحكمة ، و في نفس الوقت نجده يتولى التعريف بالأشخاص الذين يقصدون دار القاضي لتسجيل و تثبيت عقود الزواج يكون القاضي غير عارف لهم [2].

1-4-3-المستوى المعيشي للعدول: حتى و إن لم تمدنا النوازل بمعلومات فيما تخص المستوى المعيشي لهذه الفئة من المجتمع (العدول) ، إلا أن الدراسة القيمة التي قامت بها الباحثة الأستاذة فاطمة الزهراء قشي حول هذا العدول تعطينا صورة تكاد تكون كاملة لحياة هؤلاء . حيث نجدهم يشكلون جزءا من طبقة الموظفين متوسطي الدخل ، و يشكل الانتماء العائلي للعدول الذين ينتمون للعائلات المعروفة على مستوى البايلك أو المدينة قسنطينة ، فمنهم العائلات الفقهية العلمية الدينية ، و العائلات المرابطة و الصوفية ، يشكل هذا الانتماء حافزا و دعامة لمكانة الاجتماعية لهؤلاء [3]،إضافة على علاقاتهم الاجتماعية مع العائلات المعروفة و المرموقة في المجتمع القسنطيني من خلال ربط مصاهرات معها ، و لنا عدة أمثلة من المصاهرة التي جمعت بين آل الفكون و ابن محجوبة ، و آل الفكون و ابن نعمون ، و غيرها من المصاهرات [4].

1-4-4-علاقة العدول: أعطت لنا نوازل ابن الفكون صورة تكاد تكون سلبية عن جزء من علاقة العدول سواء فيما بينهم ، أو بينهم و بين فئات الاجتماعية الأخرى و خاصة علاقتهم بالفقهاء و العلماء. فالعلاقة حسب النوازل ابن الفكون اتسمت بالتوتر نتيجة التنافس بينهم ، هذا

[1]- قشي فاطمة :شهود العدالة ...، المرجع السابق ، ص ص57-76.

[2]- نفسه ، ص ص 57-76.

[3]- نفسه ،ص ص57-76 .

[4]- نفسه ، ص ص57-76.

التنافس تحول إلى تشاحن و حقد بعضهم على بعض ، سواء فيما بينهم أو بينهم و بين الفقهاء .و هذا العلاقة صورتها لنا إحدى النوازل و المعروضة على عمر الوزان ، حيث يقول صاحبها : " ...بعد أن وقعت بين فقهاء أهل مدينة قسنطينة المحروسة و عدولها عداوة دنيوية بسبب عرضها و حطامها و التنافس فيها ، أورثت بينهم شنئانا (شنآنا)و مقاطعة و تحاسدا و بغضاء أفضت بينهم إلى أن انقسم جميعهم ، و صار فريقين ، بحيث لا يجوز شهادة بعضهم على بعض بتجريح بالعداوة و لا بخصوص الصداقة و لا ما ينسبونه للمشهود عليه بما يعرضوه به لولاه الأمر و السلاطين ما يستحق بذلك عزله على الوظايف (الوظائف) الشرعية و ما ينالون بذلك منه من نصه للآفات و ما يوجب إذايته في عرضه و هلاك نفسه و لا يعلمون لذلك أصلا و إنما أوجبته العداوة ..." [1]. هذه العلاقة التي تمتاز بالعداوات سيكون لها آثار سلبية على الطرفين ،و الأكثر من هذا انعكاساتها السلبية على المجتمع باعتبار العدول جزء مهما على مستوى الهيئة القضائية .حيث نتيجة هذه العلاقة المتوترة تضيع الكثير من الحقوق .

و لاحتواء هذا الأمر و الحد من الفجوة و الهوة بين الطرفين و تخفيف التوتر بين الطرفين لجأ بعض القضاة الى إلزام العدول بعدم إشهاد بعضهم على بعض و لا تجوز هذه الشهادة ،و من جملة القضاة نجد محمد بن محمد الخطيب الغربي (قاضي الجماعة بقسنطينة) و الذي سجل على العدول أو أوجد وثيقة ممضاة تلزم العدول بتطبيقها ، و هذا ما ذكرته النازلة : " ...أشهد الآن الشيخ الفقيه الإمام الخطيب القاضي ...محمد بن محمد الخطيب الغربي قاضي الجماعة بالمدينة المشار إليها ...أنه سجل على عدول قسنطينة بالمدينة المذكورة ألا يشهد بعضهم على بعض في شتى ما ذكر و لا تجوز شهادتهم فيه على بعضهم بعضا ...و كتب هنا في ...شهر ربيع الثاني و بالقلم الحكمي و المداد الأخضر سنة ستة و أربعين و تسعمائة ..." [2].

---

[1]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق : الورقة 475.

[2]- نفسه ، الورقتين : 475،476.

و نفس الشيء ذهبت إليه النازلة المعروضة على أبي عبد الله بن نعمون[1] فيما يخص علاقة العدول بالفقهاء، حيث يقول السائل : " ... طلب الجواب عن المسئلة (المسألة) و هي أن الفقهاء و العدول هل تجوز شهاداتهم على بعضهم بعض خصوصا على ما هم عليه من التباغض و التحاسد و ظهور مساويهم في بلدنا كما هو مشهور معلوم و أمر مفهوم عند الخاص و العام ..." [2]. و يبدو من خلال اجابة العلماء على هذه النازلة أمثال : ابن نعمون ، و يحي المحجوب ، محمد بن قاسم و ابو عبد الله بن محمد الكماد ، و حميد بن باديس [3]، هناك اتفاق فيما يخص الالتزام الحاصل سابقا بعدم شهادة بعظهم على بعض .و هذا العدد من العلماء و الالتزام الحاصل إن دل فإنما يدل على حجم تأثير هذا الصراع على مهنة القضاء و على المجتمع ككل.

هذه النازلة لخصت لنا الأسباب و الذي يمثل في التنافس بين العدول ، و الذي منه هو الارتقاء في مختلف المناصب ، و غيرها من الأسباب الاخرى.[4] والتي ربما تتعلق بذلك الاختلاف الكبير الحاصل بين عدد العقود و الرسوم المشهود عليها من شاهد عدل إلى آخر [5]. هذا الاختلاف و

1- ابن نعمون :أبو عبد الله محمد المكنى ابن نعمون ، من أقارب آل الفكون ، فهو ابن اخت عبد الكريم الفكون (الجد) ، أم جده من أبيه فهم الامام أبو البركات ابن نعمون .تربى في عائلة عبد الكريم ابن الفكون . وتعد عائلة ابن نعمون من اشهر البيوت في قسنطينة .تولى محمد ابن نعمون خطة الفرائض ومفاصلات التركات والاشراف على صاحب المواريث بعد وفاة صهره علد اللطيف المسبح .بد ذلك ترقى لمنصب الافتاء بقسنطينة .انظر . ابن الفكون عبد الكريم منشور الهداية...، مصدر سابق ، ص ص 80-83 .

2- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الاوراق : 485، 486،487.

3- حميد ابن باديس :أبو العباس المدعو حميدة اديبا أريبا من اصحاب عبد الكريم الفكون ، كانا خطيبا ، تولى الافتاء زمن ابن نعمون ، ليستقل بالإفتاء في زمه .حدث خلاف بينه وبين عبد الكريم الفكون ويبدو ان لمنصب الافتاء سبب في ذلك وهذا حسبما ذكره ابن الفكون في منشور الهداية .كما لا يفوتنا ذكره ان حميدة ابن باديس كانت تربطه علاقة مصاهرة مع عائلة الفكون .انظر / عبد الكريم الفكون : منشور ...، مصدر سابق ، ص ص210-212.

4- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 475.

5- قشي فاطمة : شهود العدالة....، المرجع السابق ، ص 57-76.

الذي يرتبط حسب الباحثة قشي بعدة عوامل منها الخبرة ، والصدق ، شهرة شاهد العدل[1]. ربما يكون احدى أسباب الصراع و التنافس بينهم .

1-5-الخبراء : (**المقوم**): من الفئات التي جاء ذكرها في نوازل ابن الفكون فئة أطلقنا عليها الخبراء ، و التي كانت مهمتها تتمثل في معاينة و تقييم مختلف العقارات و الأملاك ،و لم تعطنا النوازل توضيحا ثانيا حول أصحاب هذه المهنة هل هم موظفون عند الدولة أو لهم أعمالهم الخاصة ، لكن يبدوا أن هذه المهنة تكون تحت إشراف السلطة العثمانية بالبايلك لما لها من أهمية فعليها تبنى مختلف عمليات البيع و الشراء و التعويضات ، فالمهمة التي على عاتق هؤلاء الخبراء و المتمثلة في تقييم الأشياء تقييما دقيقا و كل نقص أو تقييم خاطئ ينجر عنه ضياع حقوق الكثير من الأشخاص .من خلال هذه الأهمية الدقيقة في عمل الخبراء لا نظن أن السلطة تكون بعيدة عن هذه العملية بل من المنطقي أن تكون تحت إشراف سلطة البايلك ، و خاصة السلطة القضائية فالقاضي ،هو الذي يكلف الخبير بتقييم ملكية أو عقار ما[2].

و الخبير أو المكلف بالمعاينة لا بد من توفر شروط فيه من أهمها أن يكون على قدر كبير من المعرفة و التضلع في تحديد القيمة الحقيقية للعقار أو الشيء المراد تقييمه[3]، وعمل الخبير فيتم عبر عدة مراحل: بدايتها بمعاينة العقار معاينة شاملة. ثم تأتي مرحلة تقديم تقرير حول حالة العقار و على ضوء هذا التقرير يضع سعرا و قيمة للعقار [4] ، هذه القيمة تتماشى مع الزمان و العصر [5] ، و حتى

---

[1]- قشي فاطمة : شهود العدالة....، المرجع السابق ، ص ص 57-76.

[2]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق، ورقتين 405- 406.

[3]- نفسه ، الورقتين : 81،113..

[4]- نفسه ،الورقتين : 373،374.

[5]- نفسه ، الورقة 113.

المكان[1]. فالخبير يعمل على تقيم مختلف العقارات و الأملاك المراد بيعها أو تعويضها التي تخص الدولة(المخزن) و المراد بيعها ، وهذا ما توضحه النازلة : " ...بعد أن تقرر أن من أملاك جانب المخزن المعمور من الربع الخاص بمدينة قسنطينة جميع الأماكن الذين منهم كذا و كذا ... التعويض و الإذن في بيع الربع الخاص بالمدينة المذكورة داخل البلد المذكور و خارجها ... و توجه لدى الموضوع المذكور من له معرفة بالرباع و قيمتها بالمدينة المذكورة و هما الأمينان المكرمان فلان وفلان عن إذن من يجب أعزه الله تعالى فقوماها لما بلغت بالندا و العطا فيها ... فالتزم الشراء فيها فلان المذكور ..."[2] .كما يقيم العقارات و الأشياء بين مختلف الأفراد و الأشخاص وهذا ما يؤكده قول السائل :" ... جوابكم المبارك عن مسألة و هي أن ورثة مشتركين في أملاك بينهم بالميراث عمد أحدهم إلى حصة منها و أوصى بتحبيسها ... فتضرر الشريك معه في الأملاك ...و رفع أمره إلى الحاكم الشرعي و سأله النظر فيما يوصله إلى رفع الضرر عنه بعد أن ثبت لديه شركته بالأملاك المذكورة و أرسل إلى الأملاك المذكورة من له معرفة و خبرة بها ، و هل تقبل القسمة أم لا و ما قيمتها إن لم تقبله فوصلوا إلى الأملاك المذكورة عن إذنه اعزه الله و تأملوها فظهر لهم و أنها لا تنقسم على الإشراك القسمة التي يجبر الشراء عليها من اباها إلا بمضرة و فساد و قوموا بعد ذلك جميعها قيمة عدل و سداد بحسب الوقت و الزمان ... " [3].

و في نفس السياق جاءت نازلة أخرى تعرضت لقضية تقييم لعقار يتمثل في دار : " ... بعد الحمد لله يقول من يشهد بعد وصلت باستدعاء ممن يجب أعزه الله بقصد معانيه حال الدار المذكور أعلا و تقويمها لمن يريد بيعها و تعويضها فكان ما ظهر من قيمتها التي لا عين فيها على من قومت له أو عليه بعد التأمل و الاختيار بحالها و ما هي عليه من الأوصاف المحبسة لها كما ذكر مائتان و خمسون ريالا حين التاريخ و أن مناب الحظ المحسب منها يخصه من سعر تلك القيمة مائتان ريال واحدة و أربعون ريال من النعت و خمسة أثمان الريال و أنها قيمة عدل و سداد بحسب الحالة

---

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 83.

[2]- نفسه، الورقتين:81-82.

[3]- نفسه ، الورقة 113.

الموصوفة......بتاريخ أوائل ربيع الأول الشريف المبارك الأنور و بالقلم الحكمى و المداد الأكحل سنة اثنين و عشرين و ألف ..." [1].

و أخرى : "... الحمد لله... المرحوم أبي العباس أحمد بن عبد الجليل مزوار الشرف المعظمين بقسنطينة ، معرفة تامة و أن قيمة ما هو بداخل ميلة جميع الحوانيت ... فمن حظره الأمينان المذكوران و يسمع منهما ما ذكر و هما بالحالة الجائزة ، و عرفهما و علم أنهما المقومان للرباع بالبلد المذكور و المقومان لذلك من قبل القضاة سددهم الله تعالى قيد بذلك شهادته مسؤولة منه بتاريخ الأول جمادى الأولى عام اثنين و تسعمائة " [2].

إضافة إلى المقوم أو الخبير المختص بتقييم العقارات هناك خبراء أو على الأقل أشخاص مكلفون بمعاينة الحيوانات و إعطاء قيمتها الحقيقية في السوق ، و هذا ما توضحه إحدى النوازل : " الحمد لله ، هذه نسخة رسم ... و أنهم عاينوا بيده ثور أبيض اللون مايح(مائح) بصفوره قارح في سنه عتيل ذكر لهم ... فظهر لهم و أنه ليس عامل للحراثة و أن ذلك به عيب ينقص من ثمنه كثيرا بسبب ذلك فمن عاين الثور المذكور و ظهر له من حاله ما ذكر قيد بمضمنه شهادته لطالبها منه بتاريخ أوائل جمادى الأول عام ثمانية و ألف ..." [3].

1-6-الوكيل :تعتبر مهنة الوكيل من بين المهن و الوظائف التي تناولتها نوازل ابن الفكون .ومن بينها نازلة تعرضت إلى قضية توكيل شخص لشخص آخر ينوب عنه في مختلف المسائل المتعلقة بالحقوق والاموال وغيرها من الامور، هذا الشخص رجل أو كما جاء في النازلة شيخ ، هذا الاخير عيّن وكلاء له ينوبون عنه في المسائل التجارية ، حيث أوصى الوكلاء بدفع أموال لشخص عيّنه لهم . حيث جاء على لسان السائل : " جوابكم في مسألة و هي رجل شيخ ركب فلما أراد السفر للبلاد

[1]– ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة ، 374.

[2]– نفسه ، الورقتين ،405،406.

[3]– نفسه : الرقتين : 114،115.

المشرفة أوصى وكلائه أن يدفعوا لرجل من أصحابه دراهم ... و دفع وكلائه للرجل المشار إليه ما أوصى به الشيخ ... " [1].

1-7-صاحب المواريث : **الفئات** (**نائب بيت المال**) من الوظائف و المهام التي نجدها تلعب دورا هاما بالنسبة للسلطة عامة و هيئة أو مؤسسة بيت المال بصفة خاصة وظيفة صاحب المواريث ، هذا الموظف ينوب عن مؤسسة بيت المال أو يمثلها ، ويكون وسيطا بين السلطة من جهة و بين الرعية أو العامة من جهة ثانية .تكمل أهمية نيابة بيت المال في مختلف العمليات المالية ، فهو يحصّل كل حقوق بيت المال في هذه العمليات خاصة بالنسبة للمواريث ، فصاحب المواريث هو الشخص الذي يتابع كل عمليات تحول الملكية من الشخص المتوفي إلى ورثته ، حيث يعمل على السهر على ضمان واسترجاع حقوق بيت المال .و هذه المهام و الصلاحيات حملتها لنا نوازل ابن الفكون .فالكثير من النوازل جاءت موضوعاتها تتعلق بالإرث و المواريث بمختلف أنواعها، و هذا ما يكون وراء ذكر و تناول هذه شخصية أو وظيفة صاحب المواريث. فمن النوازل التي تناولت هذه الوظيفة و مهامها ، نازلة تناولت موضوع رسم وصية لرجل هذه الوصية بحكم الورثة و نوعيتهم كان لبيت المال نصيب من هذا الإرث و هو ما جعل نائب صاحب المال يقوم بمهامه و المتمثلة في السهر على حقوق بيت المال و نصيبه من هذه التركة (الإرث) ، ومن أهم ما جاءت به : " ... بعد تأمل رسم الوصية فإن الموصى جعل في وصيته ما يبدأ به و الباقي لأصحاب الثلث و توفي ... و ورثه زوجتاه و عصبه بيت المال و وقعت مفاصلة بين من ناب عن أصحاب الثلث و بين صاحب المواريث نائبا عن بيت المال ... ثم قام الآن صاحب المواريث النائب عن صاحب بيت المال و استظهر بالوصية ... و من حظ بيت المال في الربع الذي أخفوه و طلب منهم غلة ربع الدار من حين وفاة الموصى(الموصي) ... " [2].

[1]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، ورقات : 224،225،226

[2]- نفسه: الورقتين : 353،360.-

2-فئات السلطة السياسية و العسكرية:

بحكم طبيعة المخطوط الذي بين ايدينا و الذي طغى عليه الجانب الديني الاجتماعي جاءت معلوماته شحيحة حول عناصر المؤسسات العسكرية والسياسية ، هذه المعلومات تكاد تكون نادرا الا بعض الاشارات هنا وهناك حول الباشا ، والجند والقواد.

2-1-الحاكم : الفترة التي نحن بصدد دراستها والممتدة ما بين القرنين 16م (10هـ) والقرن 17(11هـ) عرفت الجزائر خلالها تغير نظام الحكم من باي لرباي الى أغا ومنه الى باشا واخيرا الى تسمية الداي ، فالحاكم على اختلاف اسمه من بايلرباي الى الداي يعد ويمثل اعلى سلطة بإيالة الجزائر .ولقد اشارت احدى النوازل الى حاكم الإيالة والذي سماه السائل بالباشا الكبير حيث يقول :" ... ...، بعد أن تقرر أن من أملاك جانب المخزن المعمور من الربع الخاص لمدينة قسنطينة ... ورد أمرهم المطاع العلي من حظرة الجزاير(الجزائر) المحروسة من قبل مولانا الباشا الكبير ..."[1].

2-2-الباي:رغم ان الباي او منصب الباي يعد اول شخصية في البايلك ، فهو المسؤول عنه وهو الممثل للسلطة على مستوى دار السلطان هذا من جهة ومن جهة ثانية المخطوط الدي بين ايدينا يؤرخ لبايلك قسنطينة رغم كل هذا الا اننا لا نجد ذرا لشخصية الباي على مستوى نوازل ابن الفكون وهذا ما يطرح علامة استفهام .فبايلك قسنطينة على مدار فترة الحكم العثماني حكمه عددا كبيرا من البايات كان أولهم رمضان تشولاق (1567-1574)[2] وآخرهم الحاج احمد باي (1826-1837م)[3] أما خلال الفترة المدروسة أي خلال القرنين 16م(10هـ) والقرن 17م(11هـ) فحكمه 13بايا ويعد علي خوجة باي (1692-1700م)/(1104هـ-1112هـ) اخر من حكم خلال هذه الفترة [4].

---

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، ورقة 81.

[2]- ابن العنتري : المصدر السابق ،ط خ ،2009.ص 30.

[3]- نفسه ، ص 90.

[4]- نفسه ، ص50.

2-3- فئة الجند : تعد فئة الجند الوسيلة والاداة التي يحكم بها الاتراك البايلك فهي العمود الفقري للسلطة على مستوى ايالة الجزائر عامة وبايلك قسنطينة خاصة ، لكن في الكثير من الحالات تصبح المؤسسة العسكرية سبب في الاضطرابات التي شهدها البايلك خلال الفترة العثمانية ، هذه الاضطرابات اختلفت أسباب و عوامل نشوئها ، فأحيانا تكون الرواتب و العلاوات و مختلف المنح سببا كافيا لتبدأ ثورة أو اضطراب خاصة على مستوى العاصمة قسنطينة [1].كما كان للجند و الانكشارية دورا في قيام عدة ثورات داخل مدينة قسنطينة من أهمها ثورة أولاد عبد المؤمن ، و التي من أهم أسبابها هو ذلك الاعتداء من قبل الجند على أولاد عبد المؤمن و رد فعل هؤلاء على الاعتداء ، لتشتعل المدينة قسنطينة بثورة عرفت بثورة أولاد عبد المؤمن [2].

كل هذه الاعمال من طرف الجند وسعت الهوة بين الجند والسكان وما قضية اليهودي المختاري الذي كان جنديا عند الوالي ، و تعاطف أصدقاؤه الجند معه حيث وصل بهم الأمر إلى التهديد بالتخلي عن العمل في الحراسة في حالة عوقب و مات صاحبهم اليهودي [3]. الا دليلا على العداوة الموجودة بين الجند و بين أهل البلد (سكان مدينة قسنطينة) [4].

2-3-فئة القواد: القائد هذا الشخص يعينه الباي له عدة صلاحيات و مهام أهمها الإشراف على الأوطان ، هذه الأخيرة مكونة من عدة قبائل و أعاشر ، إضافة إلى ذلك فالقواد يتولون فرض الضرائب و مراقبة الأسواق ، وحل مختلف القضايا و الخلافات التي تحدث بين مختلف القبائل .ومحل سكن القائد يكون على مستوى عاصمة البايلك أو بمدن البايلك الأخرى حيث توجد الحاميات

---

[1]- ابن العنتري : المصدر السابق ، ص ص 37،38.

[2]- نفسه، ص38.

[3]- ابن الفكون عبد الكريم : المصدر السابق ، ص ص 64،65.

[4]- نفسه ، ص ص 64،65.

العسكرية العثمانية [1]. كما يعتبر القائد هو المسؤول عن أملاك الدولة داخل البايلك ، فهو المسؤول عن بيع بعض أملاك الدولة ، مثلما جاءت به إحدى النوازل التي تطرقت لعملية بيع بعض أملاك الدولة و المتمثلة في أراضي بإقليم قسنطينة و هذا لحاجة بيت المال ، و هذا لأمر من الباشا ، ليتم البيع تحت اشراف القائد باعتباره ممثلا لسلطة الباشا و مفوضا من طرفه ، حيث يذكر السائل : " ...، بعد أن تقرر أن من أملاك جانب المخزن المعمور من الربع الخاص لمدينة قسنطينة ... ورد أمرهم المطاع العلي من حظرة الجزاير(الجزائر) المحروسة من قبل مولانا الباشا الكبير ... صحبة مملوكهم القايد فلان ... و بعد ثبوت ذلك كله لدى الشيخ القاضي حفظه الله عرض القايد فلان المفوض إليه المذكور جميع الربع المذكور للبيع بحكم الأذن الشريف المذكور ..." [2].و في حالات كثيرة يصبح القايد بمثابة نائب عن بيت المال و هذا بحكم التفويض و الصلاحيات الممنوحة له [3].

[1]- القشاعي موساوي فلة : النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، القافلة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2016 ، مرجع سابق ، ص 83،84.

[2]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، الورقتين : 81،82.

[3]- نفسه ، الورقة 82.

الفصل الخامس

الوضع الصحي في بايلك قسنطينة

المبحث الاول : العوامل المؤثرة في الصحة والسكان

المبحث الثاني : الامراض والاوبئة بالبايلك

المبحث الثالث : الرعاية الطبية بالبايلك

الكثير من المصادر تناولت الوضع الصحي بالبايلك قسنطينة خلال الفترة الحديثة ، و من هذه المصادر نجد المصادر الدينية أو ما تعرف بالنوازل الفقهية ، هذه الاخيرة أعطتنا فكرة عن الوضع الصحي للسكان بالبايلك ، من خلال عرضها بمختلف الأمراض و الأوبئة و ما تخلفه من مرضى و قتلى ، كما تعرضت و لو بنسبة قليلة إلى طرق العلاج من هذه الأمراض. سنحاول في هذا الفصل عرض واقع الصحة والسكان ببايلك قسنطينة من خلال التطرق للعوامل المؤثرة في على الصحة والسكان ، كما نتطرق الى مختلف الامراض والاوبئة التي عرفتها المنطقة ، لنختم بعرض الرعاية الطبية والوسائل والاساليب المعتمدة للتداوي .وهذا من خلال الاعتماد على نوازل ابن الفكون كمصدر رئيسي للمعلومات وتدعيم ذلك خلال استعراض وتحليل المعلومات التي جاءت بها المصادر الأخرى.

المبحث الاول : العوامل المؤثرة في الصحة والسكان :

هناك عدة عوامل يكون لها تأثيرا على الانسان وصحته ، هذه العوامل تختلف وتتنوع ما بين عوامل تكون وراءها الطبيعة كالمناخ ومختلف عناصره ، وعوامل تكون من فعل الانسان او ما يعرف بالبشرية كالحروب وغيرها .

1-العوامل الطبيعية :كثيرا ما تكون الطبيعة ممثلة في مختلف عناصرها وعواملها اهم عامل يؤثر في صحة الانسان تتمثل هذه العوامل في المناخ بعناصره المخالفة والكوارث الطبيعية المتعددة وغيرها من العوامل الطبيعية الاخرى .

1-1-المناخ و تأثيره : يعتبر المناخ أحد أهم العوامل المتحكمة و المؤثرة في نفس الوقت على صحة الإنسان ، و هذا التأثير المباشر في الصحة يكون بمختلف العناصر المناخ ، من حرارة ، تساقط ، رياح ، و غيرها.

1-1-1-الحرارة : هناك ثلاثة أقاليم حرارية : الساحل ، الداخل ، الصحراوي فالحرارة تعتبر من أهم العوامل المساهمة في ظهور عدة أمراض من أهمها ، الحمى هذه الأخيرة بفعل الحرارة المرتفعة و

وجود رطوبة [1]. فالحرارة (أشعة الشمس) مع وجود المستنقعات يكون نتيجة التعفن و الذي يؤدي إلى ما يعرف بحمى المستنقعات ، و هذا بالمناطق الساحلية للجزائر ككل و بايلك قسنطينة خاصة ، و هذا خلال فصلي الصيف و الخريف [2].

1-1-2-التساقط : تنقسم الجزائر ككل و بايلك قسنطينة خاصة إلى مناطق للتساقط تختلف كل منطقة عن الأخرى من حيث نسبة التساقط و نوعه . (التساقط في الجزائر) . فالتساقط يعتبر من العوامل المؤثرة على صحة سكان البايلك ، و خاصة سكان المناطق السهلية و التي تصبح بفعل التساقط إلى مناطق لتجمع المياه أو ما يعرف بالمستنقعات ، و مع استمرار هذه الوضعية فترة طويلة تحلل المواد و تصبح مواد سامة يكون نتيجتها ، ظهور الأمراض [3].

1-1-3-الرياح والهواء :تلعب الرياح دورا كبيرا في التأثير على صحة السكان حيث تعمل الرياح في الكثير من الاحيان الى نقل مختلف الجراثيم من الاماكن الموبوءة نحو مناطق هبوبها ، هذا من جهة ومن جهة ثانية هبوب الرياح محملة بالغبار و المال ومختلف المواد تؤثر على تنفس الانسان خاصة الاشخاص المرضى بالأمراض التنفسية ، كما تعمل الرياح الساخنة والتي تعمل على رفع درجات الحرارة في المناطق التي تضربها .

1-2-التضاريس : تشكل التضاريس بمختلف أشكالها و مظاهرها ، من مرتفعات و سهول و غيرها ، تشكل عنصرا فعالا له تأثير كبير على صحة السكان سواء بالسلب أو الإيجاب ، فالمناطق السهلية المنخفضة كثيرا ما تكون عرضة لظهور و انتشار مختلف الأمراض على رأسها الحمى . أما سكان المناطق المرتفعة فإن نسبة تعرضهم إلى الأمراض تكون قليلة ، و هذا نجده مرتبط بعامل آخر ، ألا و هو الحرارة ، هذه الأخيرة تمسي بطريقة عكسية مع الارتفاع ، فلما زاد الارتفاع عن مستوى سطح البحر ، قلت درجة الحرارة . كما تعتبر المناطق المرتفعة من المناطق الصحية نتيجة لنقاء الهواء

---

[1]- بوعزيز جهيدة ، مرجع سابق، ص، 22،23.

[2]- نفسه، ص ص22،23

[3]- نفسه ، ص ص ،30،31.

بها ، و هذا ما أيده الاطباء الفرنسيون ، و الذين أكدوا أن سكان المناطق المرتفعة ، و هنا نخص بالذكر منطقة القبائل (جرجرة) ، هم سكان أصحاء بنسبة قوية[1].

1-3-الموقع الجغرافي و تأثيره : تحتل الجزائر موقعا جغرافيا يمتاز بكونه موقعا يتوسط عدة دول ، فالجزائر لها حدود برية مع كل من تونس ، ليبيا ، المغرب الأقصى ، أما جنوبا فنجد الصحراء الكبرى ، و في الشمال البحر الأبيض المتوسط ،هذا الموقع الجغرافي جعل من الجزائر همزة و صل و حلقة تربط أوربا و افريقيا عبر موانئها ، هذا من جهة و من جهة ثانية تمثل جسرا و امتدادا طبيعيا بين جهتي الوطن العربي المغرب و المشرق ،هذا الموقع جعل الجزائر عرضة لمختلف الامراض و الأوبئة القادمة من مختلف المناطق المشرق – أوروبا ، و من الجهات الجنوبية حيث الصحراء ، هذا الانتقال للأمراض و الأوبئة كان كنتيجة لحركة السكان و ديمومتها ، في مختلف الجهات من و إلى الجزائر[2]. هذه الحركة التي كان وراءها النشاط التجاري من جهة و من جهة ثانية الانتقال إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج و العمرة ، كما كان لها عدة أسباب أخرى[3]، و كما هو معلوم يعتبر بايلك قسنطينة أوسع البايلكات على مستوى أيالة الجزائر،و امتدادها من الشمال حيث السواحل المتوسطية ، و وجود الموانئ التي تشهد حركة تجارية مع عدة مناطق خاصة أوروبا، حتى الجنوب حيث الصحراء الكبرى هذا الامتداد جعل من البايلك منطقة عبور لمختلف القوافل التجارية إضافة إلى الحدود الشرقية مع كل من ليبيا و تونس ، هذه الحدود الخارجية كثيرا ما كانت ممرات و سبلا انتقال مختلف الأمراض و الأوبئة للبايلك. و لم يقتصر انتقال مختلف الأمراض و الأوبئة لبايلك قسنطينة على الحدود الخارجية ، بل نجد أن البايلك كثيرا ما شهد انتشارا للأمراض و الاوبئة من مناطق داخلية كإقليم دار السلطان ، و بايلك الغرب .

[1]- بوعزيز جهيدة ، مرجع سابق، ص ص،38-40.

[2]- نفسه ، ص ص، 19،20.

[3]- نفسه ، ص ص ، 19،20.

كما تعد بعض المناطق الجغرافية كالمستنقعات مناطق تكثر و تنتشر فيها الأمراض على اختلاف أنواعها. كما يعتبر العامل المناخي كالجفاف – الفيضانات و غيرها ، عاملا مؤثرا في الوضع الصحي للبايلك[1]..

1-4-الكوارث الطبيعية و تأثيرها على صحة السكان :

1-4-1-الجفاف:يعتبر الجفاف من أهم العوامل الطبيعية المؤثرة على الإنسان و صحته بطريقة مباشرة و هذا من خلال الآثار الناتجة عن هذه الظاهرة الطبيعية و التي من أهمها :

*يؤدي الجفاف إلى نقص المساحات الزراعية و من ثم نقص الإنتاج الزراعي الذي يؤدي إلى نقص الغذاء و الذي يعد العامل الرئيسي المهم لصحة الإنسان و حياته .

* نقص الماء و الغذاء سيؤدي إلى سوء التغذية ، و هو ما يؤثر على صحة الإنسان مباشرة ، بحيث يصبح جسمه عرضة لمختلف الأمراض، فظاهرة الجفاف دائما تكون إحدى أهم أسباب ظهور الكوليرا ، لأن هذه الظاهرة تعمل على بقاء الهواء ملوث [2].

* كما يؤدي الجفاف إلى ظاهرة نقص المياه ، سواء بالنسبة لمياه الشرب أو المياه التي تستعمل في الأنشطة الاقتصادية من سقي للمحاصيل الزراعية و التي تسهل في إدارة الرحي لطحن الحبوب ، ففي هذا المجال حملت لنا نوازل ابن الفكون الكثير من النوازل المتعلقة و التي تتناول مشكل نقص المياه بالبايلك ، حيث جاء في احداها في قول السائل: " الحمد لله ، الغرض من ساداتنا الفقهاء رضي الله عنهم و نفع بهم ....و منها أجنة قديمة الغراسة تزيد على خمسمائة و هي تشرب من ماء هابط لها من أعلا(أعلى) أرحية للطعام تشرب الأجنة المذكورة من ذلك الماء المدة المذكورة من غير نكير و لا تغير من أحد . ثم قام الآن رجل ابتاع الأرحية المذكورة من بيت المال و ادعا و أن المخزن لما باع له الأرحية عين له في البيع الماء و أراد الآن افتكاك الماء أو كرايه فهل يمكن من ذلك مع وجود تصرف

---

[1]- بوحجرة عثمان : الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830"مقاربة اجتماعية " ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، 2014-2015، نفسه ، ص 47.

[2]- نفسه ، ص52،53.

الأجنة في الماء المدة المذكورة أم لا و لا يكلفون أرباب الأجنة بإظهار رسومهم و يكتفون بالتصرف المدة المذكورة و لا ينفعه تعيين بيت المال له الماء في البيع له و هل تقدم الأجنة في السقي إذا قل الماء من هذه الساقية عن الأرحية أم الأرحية تقدم على سقي الأجنة لأن الساقية مشتركة بين الأرحية و الأجنة ثلثاها للأجنة و الثلث الباقي للأرحية و تارة يقل الماء حتى لا يكفيهما جميعا...."[1]

*يعتبر الجفاف و نقص التساقط من العوامل الرئيسية لحياة الحيوان ، هذا الأخير يعتمد على هذا التساقط و نقصه سيؤدي إلى نقص المياه و الكلأ ، و تقلص المساحات الرعوية و الزراعية . و هنا يشكّل تأثيرا في نقص عدد رؤوس المواشي بفعل موت الكثير منها[2].

* **سنوات الجفاف** (**البايلك**):من خلال المصادر التي تناولت تاريخ بايلك قسنطينة نلاحظ أن ظاهرة الجفاف مست مختلف جهات البايلك ،كما أنها غطت مختلف الحقب التاريخية ، و من أهم السنوات و المناطق التي عرفت ظاهرة الجفاف نذكر :

–القرن 16 م (10هـ): ضرب الجفاف منطقة قسنطينة مع بداية القرن و الذي كانت منطقة جيجل مسرحا له سنة 1520م و دور خير الدين بربروس في مساعدة السكان المنطقة حيث امدهم بالحبوب (القمح).

–القرن 17 م (11هـ): شهدت البايلك (قسنطينة) خلال هذا القرن جفافا ضرب المنطقة ما بين 1600 م– 1610 م. و الذي استمر لسنوات و هذا ما أدى إلى آثار سلبية على السكان من خلال انتشار المجاعة في أرجاء البايلك .ليعاود الجفاف ضرب البايلك عدة مرات خلال هذا القرن و منه سنوات الأربعينيات.

1–4–2– الجراد: تعتبر ظاهرة زحف الجراد من الظواهر التي تعودت عليها منطقة قسنطينة بحكم زحف الجراد في مرات عدة على البايلك خلال فترة الحكم العثماني. بحيث تؤكد مختلف المصادر اجتياح الجراد لبايلك قسنطينة فها هو ابن الفكون في كتابه محدد السنان يذكر لنا أن الجراد ضرب

[1]– ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الاوراق :319،320،321.

[2]– علامة صليحة : الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830–1930، القافلة للنشر والتوزيع ،باب الزوار ، الجزائر ، 2016، ص52،53.

المنطقة عشرينيات القرن الحادي عشر هجري (1023 – 1024 –1025) [1]. أما ابن العطار فيذكر تاريخ 1054 هـ (   ) الذي شهدت تعرض قسنطينة لأسراب الجراد [2]. كما يذكر بعض الكتاب الأوربيون تعرض بعض مناطق البايلك مثل منطقة بسكرة للجراد و كيفية ترحيب السكان بذلك كونهم يستعملونه كغذاء لهم [3]. كما تذكر الباحثة قشاعي الموساوي أن سنة 1535 عرفت اجتياح للجراد شمل كل منطقة شمال إفريقيا [4].

1-4-2-1-تاثير الجراد على الجانب الاقتصادي: إنّ انتشار أسراب الجراد بالبايلك بأعداد هائلة تقدر بالآلاف إن لم نقل بالملايين سيكون له تأثير على المساحات الزراعية بحيث يعمل على إتلاف مختلف المحاصيل الزراعية [5]. و لم يستثن شيئا من الحبوب أو الأشجار المثمرة ، و حتى النخيل يكون عرضة لهذا الجراد[6]. كما يهدد الجراد و يتلف الأراضي الرعوية بالبايلك ، و بهذا فالجراد يهدد حياة سكان المنطقة لأن المجتمع الجزائري عامة و المجتمع القسنطيني خاصة مجتمعا زراعيا رعويا بالدرجة الأولى [7]. ففي هذا الشأن تذكر أحدى النوازل ظاهرة الجراد و كيف أضرت بالأرض و بالمحاصيل أكثر مما يضر بها الجفاف ، حيث يذكر السائل : " ....و ما المراد بقول الفقهاء اليبس هل ييس الأرض أصلا حتى لا تنبت شيئا أم لا لأن هذه الجهة قد كان بها عطش عام سبعة و ثمانين الماضي و لم يضر الأرض و إنما ضرها جند الجراد و ردت الناس زريعتها و عولتها..." [8]. فالجراد إذا

---

[1]- سعد الله ، شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص 27،28 . ربما محدد السنان .

[2]- بلعطار الحاج احمد بن مبارك: تاريخ بلد قسنطينة ، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي ، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، دون سنة ،ص51.

[3]- بفايفر ، مرجع سابق ، ص 148

[4]- القشاعي موساوي فلة ، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1519-1871) ، اطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 2003-2004 ، ص 52.

[5]- سعد الله ، شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص28.

[6]- بفايفر ، مصدر سابق ، ص 148.

[7]- سعد الله ، شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص 28.

[8]- ابن الفكون محمد :مصدر سابق ، الورقة 228.

طال أمده بالمنطقة و خاصة مع ظهور جيل جديد منه و المعروف بالمراد ، و هذا أخطر من سابقه خاصة إذا علمنا أن خروجه أو إفقاس البيض يتزامن مع فصل الاخضرار فيقضي على الأخضر و اليابس، فكثيرا ما كان الجراد سببا رئيسيا لظاهرة المجاعة [1]. فحسب احدى الباحثات أن نصف عدد المرات التي حدثت بها المجاعات بالجزائر العثمانية كان سببه الجراد [2].

إنّ العدد الهائل من الجراد الميت و ما تخلفه على الكثير من المياه بقسنطينة كالأنهار و الأودية ، و التي تتحول مياهها إلى مياه غير صالحة للسقي ، هذا سيكون له آثار سلبية على النشاط الاقتصادي للمنطقة فالكثير من الأسماك يكون مآلها الموت . كما أن تلوث المياه يتضرر منه مختلف البساتين و الجنات ، مثلما هو الحال في قسنطينة بعد تلوث مياه أوديتها و أمام هذا الوضع يلجأ السكان للبحث عن مصادر أخرى للمياه قصد سقي محاصيلهم و هذه المصادر تتمثل في الآبار و العيون و هذا أمام ارتفاع تكاليف الاستغلال ، كل هذا سيزيد من أعباء السكان الذين مسوا في عنصر حيوي تقوم عليه مداخيلهم و معيشتهم ، فالجراد إن لم يقض على المحاصيل و هو حي سيقضي عليها و هو ميت [3].كما أن انتشار الجراد و ما يخلفه من دمار على المحاصيل الزراعية يؤدي إلى غلاء المعيشة من خلال ارتفاع الاسعار بشكل رهيب [4].

1-4-2-2-تأثير الجراد اجتماعيا: المقصود من هذا التأثير هو تأثير الجراد على السكان مباشرة و هذا التأثير يظهر من خلال التأثير على صحة السكان من خلال:

***ظهور الامراض والاوبئة**: يؤدي تعفن الجراد إلى ظهور الأمراض و الأوبئة [5]. فالطاعون الذي ضرب نوميديا يعود سببه الأساسي إلى الجراد ، كما أن وباء الكوليرا هو الاخر سببه الجراد وهذا في عدة حالات [1].

[1]- علامة صليحة ، المرجع السابق ، ص 49،50.

[2]

[3]- سعد الله : شيخ الاسلام ....، مرجع سابق ، ص 28.

[4]- القشاعي موساوي فلة : النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، القافلة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2016 ، ص 64.

[5]- سعد الله : شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص 28،29.

*التلوث :يعد الجراد أحد أهم أسباب تلوث المياه و تسممها .ففي هذا الموضوع يذكر سعد الله نقلا عن عبد الكريم ابن الفكون في كتابه محدد السنان بقوله : " ... وقعت الجراد الوارد علينا حتى عم الأفق كثرته ، و أجدب السهل و الجبل منه حتى أنه سنة 1024 ه ، جعل من واديها (قسنطينة) قناطير .. يذكر لي من أثق به حين خرج مع أهل البلدة لمحاربته .....و قد تغير منه الوادي ما يزيد على شهر و صار كالقطران لونا و كالجيفة نتنا ....." [2].كما تزداد نسبة حامض الكربون في الهواء و هذا بفعل عملية تنفس الجراد [3] .في المقابل النقص الكبير في مادة الأوكسجين و هذا بسبب استنشاق الجراد لهذه المادة من جهة و من جهة ثانية فهو يقضي على النبات و الذي يعتبر المصدر الرئيسي للأوكسجين .

*تدهور المستوى المعيشي: نتيجة لتلوث المياه هذه الاخيرة تعتبر أساسية في معيشة السكان، فالماء له عدة منافع في الغسل ، الشرب ، السقي ، و أصبح الناس و خاصة الفقراء منهم لا يستطيعون الحصول على المياه بسبب غلاء و ارتفاع أسعارها ،حيث يذكر ابن الفكون : " ... و في مدة التغيير انقطع السقي من الوادي و فقد الماء فغلا ثمنه و صار الناس يسقون من العيون و الآبار ..."[4]

1-4-2-3-محاربة الجراد : يذكر لنا الأستاذ سعد الله نقلا عن ابن الفكون في كتابه محدد السنان أن السكان ببايلك قسنطينة لم يقفوا موقف المتفرج من الجراد الذي اجتاح أراضيهم ، بل نجدهم حاولوا محاربته و التصدي لهذه الكارثة و لو باستعمال طرق و وسائل بسيطة ، فمن بين الأساليب التي استعملها السكان لطرد الجراد استعمال النيران لأن الدخان يعد طاردا للجراد ، و بهذا

[1]- علامة صليحة : مرجع سابق ، ص47،48.

[2]- سعد الله : شيخ الاسلام ...، المرجع السابق ،ص ص28،27.

[3]- علامة صليحة ،مرجع سابق، ص47،48.

[4]- سعد الله : شيخ الاسلام ...، المرجع السابق ، ص ص 28،27

يحمون محاصيلهم ولو نسبيا . و هذا ما نجده في قول عبد الكريم ابن الفكون : " ... و قد ألهم الله الناس إلى دفعه عن الزرع و الأشجار أن يدخنون له فيبعد عنهم ...) [1].

1-4-3-المجاعة و تأثيرها : تعتبر ظاهرة أو كارثة المجاعة من الظواهر التي ميزت تاريخ أيالة الجزائر وبايلك قسنطينة على حد سواء ،فالمجاعة تواجدت عبر المراحل التاريخية للجزائر وللبايلك ، و مختلف المناطق الجغرافية . وتعود ظاهرة المجاعة إلى عدة عوامل مشتركة فيما بينها ، هذه العوامل منها ما هومن فعل الطبيعة ومنها ما هو مرتبط بتصرفات البشر.

1-4-3-1-العوامل :

****العوامل البشرية** : يعتبر الإنسان أهم أسباب حدوث المجاعات و هذا نتيجة أفعاله المختلفة و التي نختصرها في ما يلي :

** تقليص المساحات الزراعية و من ثم تراجع و قلة الإنتاج الغذائي ، و هذا بفعل إهمال السكان للنشاط الفلاحي ، و هذا الإهمال يتعلق بفعل آخر ، للإنسان دور فيه و المتمثل في مختلف المخاطر التي تحدق بالمحاصيل [2] ، وهذا بسبب تدهور الأوضاع السياسية و الأمنية [3].و كما هو معلوم فان بايلك قسنطينة كان مسرحا لقيام عدة ثورات ، والتي كانت احدى أهم أسباب المجاعات التي ضربت بايلك .و لعل من أبرز هذه الثورات ثورة ابن الصحري و ثورات منطقة القبائل. ففي هذا الباب يسوق لنا ابن العنتري مثالا عن كيفية تأثير الاضطرابات وانعدام الامن كل هذا أدى الى انعدام الحرث في كثير من مناطق البايلك والذي نتج عنه نقص انتاج الحبوب وكل هذا سببا كافيا لحدوث المجاعة[4].

---

[1]- سعد الله : شيخ الاسلام ....،مرجع السابق ، ص ،28.

[2]- بولقطيب الحسين : جوائح واوبئة مغرب عهد الموحدين ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، دون سنة ، ص30.

[3]- مزدور سمية : المجاعات والاوبئة في المغرب الاوسط (588-927هـ/1192-1520م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوي قسنطينة ، 2008-2009 ، ص 73.

[4]- هذه الاضطرابات وانعدام الامن والذي نتج عنه حدوث مجاعة بالبايلك كانت بعد موقعة وادي الزهور ومقتل الباي عثمان 1804(1219هـ) .انظر : ابن العنتري صالح : مجاعات قسنطينة ، تحقيق وتقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974 ، ص33،34.

**السياسة الضريبية للسلطة الحفصية المطبقة على سكان الاقليم الشرقي للجزائر ، و التي كان وراءها الحاجة إلى الأموال ، هذه السياسة كانت إحدى أسباب ظهور و انتشار المجاعة بالإقليم[1] ، لتستمر السياسة الضريبية ببايلك قسنطينة بعد ذلك زمن العثمانيين.

** كما يعتبر عامل عدم تخزين المؤن بمختلف أنواعها ، و هذا سواء بالنسبة للسكان أو السلطة ، هذا الامر يعد سببا في انتشار المجاعات و زيادة حدتها [2]، و تعد عملية تخزين المؤن لمواجهة الظاهرة من الافعال التي يمارسها السكان وهذا بحفر المطامير لتخزين المؤن والقوت حيث يذكر ابن خلدون :"...ويهيء مع ذلك الاسراب والمطامير للاختزان لاقواته ..." [3].

****العوامل الطبيعية** :يتمثل هذا العامل بالمناخ و مختلف عناصره من حرارة و تساقط ،و غيرها من العوامل الأخرى[4] ، و من أهم العوامل الطبيعية المؤدية بصفة مباشرة أو غير مباشرة :

–الجفاف : يعتبر الجفاف أهم عامل في ظهور و انتشار ظاهرة المجاعة ، فالكثير من المجاعات التي عرفها البايلك كانت نتيجة و بعد ظاهرة الجفاف ، فالمجاعة التي عرفتها احدى مناطق البايلك (منطقة جيجل) كانت نتيجة القحط و الجفاف الذي ضرب المنطقة 1520 [5]. كما كان للجفاف الذي ضرب البايلك بداية القرن السابع عشر (11هـ) ، و استمراره لعدة سنوات سبب رئيسي في إدخال البايلك في مجاعة لم تسلم منها مختلف مناطق البايلك [6]. و لم تتوقف المجاعة بل عاودت الكرة لتظهر بعد جفاف (1057 هـ) و الذي استمر مدة من الزمن مما أدى إلى حدوث مجاعة شملت أرجاء البايلك كانت آثارها وخيمة على السكان [7].

---

[1]– مزدور سمية : المرجع السابق ، ص ص 74-77.

[2] – نفسه ، ص104.

[3]– ابن خلدون : المقدمة... ، مصدر سابق ، ص 511.

[4]– مزدور سمية : المرجع السابق ، ص 73.

[5]– بنوجيت يوسف ، المرجع السابق، ص

[6]– لكحل الشيخ : نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الاول من القرن 11هـ/17م"1604-1659" ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012-2013، ص 42.

[7]– سعد الله ، شيخ الاسلام ...، ص80.

—**الجراد** : كثيرا ما كان الجراد وراء ظهور و انتشار المجاعات بإقليم قسنطينة سواء خلال قبة المدوسة أو الحقب التي قبلها و بعدها ، فالجراد يسبب إتلاف المحاصيل الزراعية و الذي ينتج عنه المجاعات [1].

—**التساقط:** أحيانا يكون التساقط سببا من بين أسباب حدوث المجاعات ، و هذا من خلال كثرة الأمطار و الثلوج على مختلف مناطق البايلك سيكون له تأثير سلبي على النشاط الفلاحي من خلال ترك النشاط الفلاحي أو أعمال الفلاحة ، ففي هذا المجال يذكر ابن العنتري أن 1838 م من أسباب المجاعة هو كميات التساقط الكبيرة [2].

1-4-3-2-تأثير المجاعة على السكان و الصحة :تخلف المجاعات آثار سلبية على الإنسان و صحته و أيضا تكون سببا في تغير سلوكياته فهي تعمل على :

** تؤدي المجاعة إلى سوء التغذية ، و هذا يكون له آثارا سلبية على جسم الإنسان بحيث يصبح الجسم ضعيفا و عاجزا أمام مختلف الأمراض أو ما يعرف بضعف المقاومة [3]. أو نقص المناعة .

** فالمجاعة تعمل على تهيئة البيئة لتجذر مختلف الأمراض و الأوبئة ، فالمجاعات كثيرا ما اقترنت و تزامنت مع الأوبئة مثل ما حدث 1643م [4].

**من الآثار السلبية للمجاعة على الإنسان (السكان) ، سقوط الضحايا (الموتى) نتيجة سوء التغذية أو الجوع .و هنا نستحضر إجابة أحد علماء قسنطينة الشيخ المحجوب الذي يخص لنا أهم آثار المجاعة و التي يبدو أنها ضربت قسنطينة عام 984 هـ ، حيث يقول : "... فأجاب رحمه الله ....و عدم احتياجه و فاقته فإذا ألم بالمحبس عليه سنة من سنين المسغبة ، كما هو في عامنا هذا

---

[1]- ابن العنتري ،مجاعات...، المصدر السابق ، ص ص 51-54.

[2]- نفسه ، ص ص15-16.

[3]- علامة صليحة ، مرجع سابق ، ص 56،57.

[4]- محرز أمين : الجزائر في عهد الاغوات 1659-1671.، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2007-2008، مرقونة ، ص 117،118.

أعاذنا الله منه من عدم وجود الأقوات و ارتفاع أسعارها وموت الناس جوعا ، ءال أمر المحبس عليه إلى العطب و أشرف على الهلاك من الجوع..." [1].

**تعمل المجاعة على رفع الأسعار المنتجات خاصة ذات الاستعمال الواسع بين أوساط السكان من حبوب وعلى رأسها القمح . حيث تذكر احدى النوازل :(....كما في عامنا هاذا أعاذنا الله منه من عدم وجود الاقوات وارتفاع اسعارها ...))[2]. ومن اهم المواد التي عرفت ارتفاعا في الاسعار القمح ، الزيت كما حاء على لسان صاحب احدى النوازل: " ... و سواء في ذلك غلا السعر كما في عامنا هذا ببلدنا فإن القفيز التونسي من القمح ثمنه إثنا عشر دينارا ذهبا قايمة بأعيانها ذهبية و الرطل من الزيت و السمن باثنين و ثلاثين (32) قفصي و قد كان في غيره من السنين ثمن القفيز المذكور نصف دينار ذهبا و بيع بذلك أعواما و انحط في بعض السنين إلى ثلاثة أثمان دينار ذهبي ، و قد كان ثمن كل رطل مما ذكره خمسة قفاصة إلى غير ذلك من شدة الاختلاف في اثمان المطعومات و غيرها ..." [3]. وفي نفس الموضوع يذكر ابن العنتري قضية ارتفاع الأسعار زمن المجاعات ارتفاعا جنونيا ، فحسبه بيع الصاع الواحد من القمح ب : خمسة (05) ريالات خلال القرن 17 .أو كما قال قبل صالح رايس ب 130 سنة . و نتيجة لارتفاع سعر القمح و انعدامه في مختلف الأسواق ، أصبح الناس (السكان) يطحنون القمح داخل البيوت و خفية [4].

هذا الغلاء الفاحش لمختلف السلع الاستهلاكية ذات الاستعمال الواسع سيكون له آثار سلبية على القدرة الشرائية للسكان و التي ستنهار أمام هذه الزيادات والتي تقدر احيانا بأكثر من 12ضعفا مثلما حدث مع القفيز من القمح .[5]

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 461.

[2]- نفسه ، الورقة 461.

[3]- نفسه ، الورقة 71.

[4]- ابن العنتري صالح ، مجاعات ...، المصدر السابق ، ص 45.

[5]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، ورقة 71.

** تخلف المجاعة عدة آثار سلبية على الإنسان و سلوكياته ، ففي هذا المجال يذكر أحد الكتاب : " ...فليس هناك كارثة أخرى تحطم شخصية الإنسان و تدمرها كما يفعل الجوع ، فإن الفرد إذا استبد به الجوع لا يتورع عن القيام بأي عمل شاذ ، إذ يتغير سلوكه من أساسه ، كما يحدث لأي حيوان نال منه الجوع ..." [1] .من خلال هذا الطرح فإن الإنسان بفعل و نتيجة للجوع (المجاعة) يتصرف تصرفات لا تختلف عن تصرفات الحيوان ، و يقوم بأفعال شاذة منافية بطبيعته [2].و من مجمل ما يمكن أن يفعله الإنسان نتيجة لتأثير المجاعة أو الجوع :

–*الهجرة و الفرار من موطنه زمن حدوث المجاعات ، و هذا بحثا عن الطعام .و هذا ما أكدته و جاءت به بعض نوازل ابن الفكون ، و التي أكدت أن هناك من تخلى و فر من زوجه ، و ربما أولاده و هذا زمن المجاعة ،كما يمكن زمن المجاعة و الحاجة إلى الطعام أن يعمل الآباء على بيع فلذات أكبادهم و زوجاتهم [3].

–*من أهم الأفعال الشاذة و التي تتنافى مع الطبيعة الإنسانية هو أكل الميتة و هذا بفعل الجوع [4].

–* من الأفعال التي يقوم بها الإنسان زمن المجاعات تكون أفعالا شاذة هو انتشار ظاهرة الفساد الأخلاقي و البغاء ، فهذه الظاهرة تزدهر أوقات الحاجة و الفقر[5].

**كذالك انتشار مختلف الآفات الاجتماعية [6]. ففي هذا المجال يذكر الأستاذ سعد الله أن المجاعة التي ضربت البايلك في خمسينيات القرن الحادي عشر هجري (17 م) أدت إلى زيادة عمليات النهب و كثرت الاعتداءات ‘وانتشار ظاهرة قطاع الطرق و اللصوصية و الحرابة و هذه الآفات تكون

---

[1]- البزاز محمد الامين : تاريخ الاوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مطلعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1992، ، ص359.

[2]- نفسه ، ص 359.

[3]- نفسه ، ص 359.

[4]- ابن العنتري صالح ، مجاعات...،مصدر سابق ، ص34.

[5]- البزاز ، المرجع السابق ، ص 360.

[6]- علامة صليحة ، المرجع السابق، ص 56،57.

دائما متزامنة مع مختلف الكوارث و الاضطرابات الاجتماعية و التي تكون نتيجة نقص الغذاء و الفقر و المجاعات [1].

**نتيجة الكوارث الطبيعية (المجاعات – الجفاف) الكثير من السكان يفقدون أملاكهم بأثمان زهيدة ، حيث يذكر ابن العنتري في هذا المجال أنه خلال 1836 و نتيجة للجفاف و المجاعة انخفض سعر المنازل بنسبة كبيرة ، فالدار التي كان ثمنها 10 آلاف أصبحت ب 1000 و ألفين (2000) . و حتى الكراء تناقص بنسبة هائلة من 1000 و ألفين حتى أصبح ب 100 فرنك لا أكثر [2].

–موقف السلطة العثمانية من المجاعات :يذكر لنا ابن العنتري بعض المواقف لبايات قسنطينة اتجاه المجاعات التي ضربت البايلك ، حتى و إن كانت في فترة متأخرة عن الفترة المراد دراستها ، إلا أنها تعطي لنا و لو فكرة عن كيفية تعامل السلطة مع مختلف الكوارث التي تضرب المجتمع و على رأسها المجاعات كما لا نستبعد حدوث مثلها في الفترة المراد دراستها .ومن اهم الإجراءات التي اتخذها البايات :

** فالباي عبد الله زمن المجاعة عمل على بعث كتب لكبار مختلف أعراش البايلك يحثهم على طرح منتجاتهم الفلاحية في الأسواق لحاجة الناس لذلك ، و هذا ما خفف نوعا ما المجاعة ، حيث توافدت الحبوب من ريغة و فرجيوه و غيرها من المناطق ،كما عمل على توفير الأمن لمختلف الكوشى بهدف منع نهب الخبز[3].

**كما عملت السلطة بالبايلك على إعفاء القبائل و الأعراش بالمناطق المتضررة من مختلف الكوارث كالجفاف و الجراد ، تعفيهما من الجباية تلك السنة [4].

---

[1]– سعد الله ، شيخ الاسلام ...، مرجع سابق ، ص80.

[2]– ابن العنتري صالح : مجاعات قسنطينة ، مرجع سابق ، ص ص 48،49.

[3]– نفسه ،ص ص42،41 .

[4]– نفسه ،ص 41،42.

رغم كل ما قامت به السلطات العثمانية ممثلة في هذا الباي إلا أنه حسب ابن العنتري لم يقم بفتح مخازن البايلك و التصدق منها للفقراء [1]، و لا نظن أن هذا الفعل كان نتيجة نقص الحبوب في المخازن بل يبين لنا مدى بعد السلطة عن الرعية .

2-العوامل البشرية : يعد العامل البشري عاملا أساسيا في زيادة المصاعب و المشاكل و تدني المستوى الصحي للسكان ببايلك قسنطينة ، و هذا العامل يتعلق بالسكان والسلطة على حد سواء .

2-1-السكان :

2-1-1-عدم معرفة السكان : ان جهل و عدم معرفة السكان لمختلف الوسائل و الأساليب الوقائية و التي تقيهم من خطر مختلف الأمراض و الأوبئة ، هذا من جهة و من جهة ثانية عدم معرفة الطرق العلاجية [2].

2-1-2-العامل الديمغرافي : يعد العامل الديمغرافي من أهم العوامل المؤثرة سلبا على صحة السكان سواء بالنسبة للجزائر عامة أو إقليم (بايلك) قسنطينة ، و هذا نتيجة بتزايد عدد سكان المدن [3].

2-2-السلطة : لعبت السلطة العثمانية الممثلة في البايات على مستوى بايلك قسنطينة دورا كبيرا في تدني و تدهور الأوضاع الصحية للسكان ، و هذا من خلال عدة أمور أولها تعامل السلطات مع الجانب الصحي و الذي يتميز بالإهمال و التهاون في وضع أية إجراءات للوقاية من مختلف الأمراض و الأوبئة ، و خاصة على مستوى الأرياف [4].

1- ابن العنتري صالح : مجاعات قسنطينة ، مرجع سابق ، مرجع سابق ،ص 42

2- القشاعي الموساوي قلة ، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ،1989- 1990، ص 30.

3- بوحجرة عثمان ، المرجع السابق ، ، ص46.

4- القشاعي الموساوي فلة ، النظام الضريبي ... ، المرجع السابق ، ص 30.

كما أن العلاج كان علاجا تقليديا يمشي في نطاق العشاب ، متنافيا و مخالف لما وصل إليه الطب في تلك العصور، كما أن السلطات التركية لم تتعامل مع فترات الوباء و انتشاره و هذا من خلال عدم تضييقها للإجراءات الصحية الملائمة و المعروفة للحد من انتشار الأوبئة [1].

العامل الاقتصادي : يتمثل هذا العامل بصفة خاصة في مختلف الضرائب التي أثّرت بشكل سلبي على سكان البايلك و التي من بينها العشور ، الغرامات ، الأمة ، المعونة ،.... هذا على مستوى الريف ، و ضرائب على الحرف و على الطرائق و غيرها ، و التي نجدها على مستوى المدن . و بالإضافة إلى الضرائب هناك المصادرات . من جهة ثانية النشاط الزراعي و وضعيته الصعبة ، و التي مازالت تعتمد على الوسائل البدائية البسيطة ،إضافة إلى مختلف المخاطر و الكوارث الطبيعية (المجاعات ، الجراد) و التي يكون لها تأثير على النشاط الاقتصادي للمنطقة . كل هذه العوامل متضافرة و مجتمعة ساهمت في تدني المستوى المعيشي للسكان و هذا ما ينعكس سلبا على واقع الصحة بالبايلك[2] .

2-3- الحروب والصراعات :تعد الحروب والصراعات من العوامل والاسباب التي لها تأثير مباشر على السكان وصحتهم ، هذا التأثير تأثير سلبي في مجمله .

2-3-1- الحملات الاجنبية : شهد بايلك الشرق او بعبارة اصح المناطق الشرقية من الجزائر شهدت عدة حملات اجنبية وهذا منذ مطلع القرن السادس عشر (10هـ) حيث تعرضت مدينة بجاية الى حملة اسبانية بقيادة سنة 1510م [3] كما لتتوالى الحملات فيما بعد على مناطق عدة من بايلك قسنطينة حيث تعرضت عنابة الى حملة اسبانية 1535م [4]كما تعرضت جيجل الى حملة فرنسية 1664م وغيرها من الحملات .حتما سيكون لها تأثيرات سلبية على السكان وصحتهم ، حيث تخلف القتلى والجرحى والمصابين وغيرهم من الامراض النفسية .

---

[1]- القشاعي الموساوي فلة ، النظام الضريبي ... ، المرجع السابق ، ص ص 30،31.

[2]- نفسه ، ص 44.

[3]- نور الدين عبد القادر ، مرج سابق ، ص49. – دراج ، مرجع سابق ،ص ص122-124

[4]- بونار رابح، مرجع سابق ، ص 565.

2-3-2-الحروب والصراعات الداخلية :عرف بايلك قسنطينة خلال القرنين السادس عشر (16) والسابع عشر (17) عدة ثورات وصراعات بين السلطة من جهة ومختلف القبائل والعائلات من جهة ثانية ، شملت هذه الثورات معظم جغرافية البايلك المدينة والريف ومن اشهر الثورات والصراعات :

*ا**لفتن** : عرفت مدينة قسنطينة سنة 1567 (975 هـ) فتنة تمثلت في خروج السكان عن الوالي ، هذه الفتنة كانت سببا في هجرة و فرار بعض السكان من مدينة قسنطينة[1].

* **الثورات** :

-**ثورة ابن الصخري** : فعلى سبيل المثال ثورة ابن الصخري 'جوان 1637 (صفر 1047) [2]و التي حسب المصادر تعد من أخطر الثورات التي شهدها بايلك قسنطينة ، حيث شملت رقعة جغرافية كبيرة مثلت معظم البايلك .كما ان عدد الرجال المقاتلين سواء من طرف ابن الصخري والتي قدرت عشرة الاف (10000) مقاتل[3] ، او في الجهة المقابلة مع السلطة العثمانية والتي كان معها حوالى ستة الاف (6000) رجل [4] .كل هذا زاد من خطورة هذه الثورة ، فمن مجمل ما خلفته هذه الثورة آثار سلبية امثلت تخريب الحقول والمساكن [5] ، والاكثر من هذا خلفت الكثير من القتلى [6]، وحتما خلفت الكثير من الجرحى والمشردين والمعاقين واليتامى والارامل كل هذا سيكون له تأثير سلبي كبير على السكان والوضع الصحي بالبايلك.

- **ثورة اولاد عبد المؤمن** : اندلعت هذه الثورة بمدينة قسنطينة 12 اكتوبر 1642م حيث ثار اولاد عبد المؤمن ضد اهانات واعتداءات جنود الانكشارية الاتراك ، دامت المعارك بين الطرفين يومين كاملين متخذة من شوارع وازقة المدينة مسرحا لها .ولم تخمد هذه الثورة الا بعد تدخل شيخ

---

[1]- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية ...، مصدر سابق، ص 159.

[2] - Féraud (ch.), op.cit. ; p.184..

[3] -Berbrugger(A), OP.CIT, p343-344..

[4]- Féraud (ch.), op.cit. ; p.184.

[5]--Idem, pp.183-181

- ابن العنتري : فريدة ...، مصدر سابق ، ص ص36،37.

[6]-نفسه ، ص37.

البلد والقاضي وغيرهم .خلفت هذه الثورة الكثير من الجرحي والقتلى من الطرفين حيث يذكر يحي بوعزيز ان عائلة عبد المؤمن لوحدها بلغ عدد ضحاياها 24 نفرا[1] .

– **ثورة أولاد مقران** :في 1643 م مع مطلعها ثار المقرانيون بعدة مناطق منها البيبان ونواحي سطيف لتبدا المعارك بين المقرانيين من جهة والسلطة التركية ممثلة في الاغا يحي وجنده من دار السلطان والقائد يوسف من قسنطينة والقائد مراد من التيطري والقائد شعبان من زمورة .انتهت هذه الثورة بعد تعهد الحكام الجزائر بإلغاء بع الضرائب وحرية التجارة بين الجزائر والمنطقة[2] .رغم انتهاء الثورة الا ان تأثيرها السلبي على السكان سيبقى هذا التأثير تمثل فيما خلفته المعارك بين الطرفين من قتلى وضحايا .

ثورة الأوراسي : هذه الثورة تزعمها يحي بن سليمان الاوراسي من فقهاء قسنطينة ، ثار هو واخوه احمد ضد السلطة التركية بناحية الاوراس .دارت عدة معارك بين الاوراسي جنود الترك من قسنطينة ومن الدار السلطان ،لكن الثورة بمنطقة الاوراس لم تنتهي بمقتل يحي الاوراسي[3] ، لكن ما يهمنا نحن من كل هذا هو تلك النتائج والتأثيرات السلبية التي خلفتها الثورة على الواقع الصحي للسكان ببايلك قسنطينة .فمما لاشك فيه ان الثورة خلفت الكثير من القتلى والجرحى والمشردين وغيرهم من الضحايا ، كما لا ننسى انعكاساتها النفسية على السكان .

المبحث الثاني : الأمراض و الأوبئة بالبايلك وتأثيرها على السكان

عرف بايلك قسنطينة عدة امراض واوبئة ، منها ما هو محلي متعلق بالمنطقة ، ومنها ما هو خارجي وافد الي المنطقة كوباء الطاعون القادم من مختلف المناطق سواء على من داخل ايالة الجزائر أو على مستوى المناطق الخارجية البعيدة كالأناضول و اوربا وغيرها .هذه الامراض والاوبئة وجدت وانتقلت الي البايلك نتيجة لعوامل واساب متخذة طرق ووسائل انتقلت عبرها .سنحاول في هذا المبحث التطرق لمختلف الاسباب

[1] –ابن العنتري ، فريدة ... ، مرجع سابق، ص38.

[2] – نفسه ، ص ص 38،39.

[3] – ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص ص 54،55.

وطرق انتقال هذه الامراض والاوبئة وعرض مختلف الامراض والاوبئة المنتشرة بالبايلك خلال القرنين 16-17م ومن خلال نوازل ابن الفكون بالدرجة الأولى .

1-أسباب وطرق انتقال الامراض والاوبئة :

1-1-الاسباب والعوامل : هناك عدة عوامل تكون وراء ظهور الامراض و الأوبئة ، من اهمها : المناخ وعناصره ، الغذاء ، حركة التنقل .وغيرها من الاسباب والعوامل .

1-1-1-العوامل المناخية : تعتبر العناصر المناخية إحدى الأسباب المؤدية إلى ظهور الأوبئة .

أ) **الحرارة و الرطوبة** : تعتبر الحرارة في بعض الأحيان من العوامل المسببة للوباء و هذا نتيجة ارتفاعها في بعض الأوقات من السنة [1].كما تعتبر الأمطار و الرطوبة من العوامل المؤدية و المساعدة على الوباء ، و هذا من خلال تهاطل الأمطار و ارتفاع نسبة الرطوبة ، و هذا ما يعلل ويسبب ظهور الوباء في فصل الربيع حيث تساقط الأمطار ،كما تعد الفيضانات أحيانا سببا من أسباب ظهور الوباء ثم انتشاره فيما بعد ، ومن الأمثلة التي كانت فيها الفيضانات سببا للوباء . ما حدث في القرن 17 ، حيث فاضت أودية متيجة مما نتج عنه الوباء.[2]

1-1-2-الاضطرابات المناخية : من بين الأسباب التي تؤدي إلى ظهور الأمراض و الأوبئة هو تلك الاضطرابات و الاختلالات التي تحدث للمناخ ، و منه اضطرابات فصول السنة ، هذه الاضطرابات تؤدي إلى تغيير خصائص و مميزات الفصول كأن يصبح الربيع يحمل غير مميزاته ، و نفس الشيء ينطبق على الخريف ، هذا يؤدي إلى تغيير في حالة الهواء و يصبح متعفنا ، و هذا سيكون له تأثير سلبي على مختلف الكائنات الحية .كما تعمل الرياح عملها في حدوث الأمراض و

[1]- القشاعي موساوي ، الصحة والسكان..... ، مرجع سابق، ص 90.

[2]- نفسه ، مرجع سابق، ص 91، 99.

الأوبئة ، فالرياح الشمالية و تواجدها مع كثرة الأمطار فصل الصيف يؤدي إلى تعفن الهواء ، و الذي يؤدي إلى ظهور الوباء [1].

1-1-2-فساد الهواء و الماء :

* **الهواء:** يعتبر فساد الهواء السبب الرئيسي لظهور مختلف الأمراض و الأوبئة و انتشارها ، و هذا يعود لكون الهواء يمثل حلقة مشتركة بين البشر (الناس) [2]. ففي هذا المجال يرى ابن خلدون أن الهواء و تلوثه أهم عامل مسبب الوباء ، و يربط ابن خلدون تعفن و فساد الهواء بكثرة العمران[3] .

* **فساد الماء** : تعد المياه الفاسدة من أكثر الأسباب المؤدية للأوبئة و الأمراض ، كالجرب ، الطاعون ، و غيرها من الامراض . و المقصود بالمياه بصفة خاصة المياه الراكدة لمدة طويلة والتي تصبح نتنة [4] .

1-1-3-الغذاء و دوره في الوباء : يعتبر الغذاء ضروري لمختلف الكائنات الحية و التي على رأسها الإنسان ، لهذا لا عجب في أن يكون الغذاء الذي يتناوله الإنسان سببا في إصابته و تعرضه لمختلف الأمراض و الأوبئة .ففي هذه النقطة يذكر ابن هيدور : "... و يحدث هذا المرض أيضا من فساد الأغذية المستعملة في زمن المجاعات و غلاء الأسعار فيضطر الإنسان إلى تناول غذاء غير مألوف قد فسد و تعفن لطول زمانه ، فيفسد المزاج من هذه الأغذية و تحدث الأمراض القاتلة." [5].

1-1-4-تربية المواشي : طبيعة المجتمع القسنطيني بأنه مجتمع فلاحي رعوي بالدرجة الاولى ، هذه الميزة جعلت من مهنته تربية المواشي سببا رئيسيا في معيشة السكان ، كما أن طبيعة العلاقة بين

[1]- مزدور سمية ، مرجع سابق ، ص120.

[2]- نفسه ، ص118.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ج1، ط1، دار يعرب ، دمشق ، سوريا ، 1425/2001هـ، ص ص 499،500.

- بولقطيب الحسين ، مرجع سابق ، ، ص22،23.

[4]- مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص119.

[5]- البزاز محمد الامين ، المرجع السابق ، ص390.

السكان و الماشية علاقة مباشرة حيث نجد السكان و الحيوان في الكثير من الحالات يشتركون في المنزل الواحد ، و هذا من شأنه التأثير على صحة الإنسان ، فالعديد من الأمراض التي تصيب الإنسان يكون مصدرها الحيوان [1]. و التي تنتقل عن طريق التنفس أو عن طرائق استهلاك حليب تلك المواشي ، مثلما هو الحال بالنسبة للحمى المتوسطية التي تنتقل عن طريق الماعز ، كذلك داء الكلب الذي ينتقل من الحيوانات للإنسان[2].

1-1-5-حركة التنقل : من بين أسباب ظهور المرض و الوباء هو تلك السفن و الأساطيل التي كانت ترسو بمختلف موانئ الجزائر ناقلة للوباء و القادمة بصفة خاصة من القسطنطينية ، هذه الأخيرة اعتبرت المصدر الرئيسي للوباء الذي اجتاح الجزائر و بايلك قسنطينة على حد سواء [3].

1-2-طرق و وسائل انتقال الأمراض و الأوبئة : هناك عدة طرق و وسائل تؤدي إلى انتقال و انتشار المرض و الوباء و هذا سواء بالنسبة للبايلك أو ايالة الجزائر عامة، ومن أهما :

1-2-1-موسم الحج : الذي يحدث فيه التقاء عدد كبير من السكان مما يسمح بانتقال المرض و الوباء من الأشخاص المصابين إلى الأصحاء.

1-2-2-القوافل التجارية : كثيرا ما كانت القوافل التجارية سببا في انتقال الوباء من منطقة إلى أخرى .

1-2-3-الأسواق :كما هو معروف أن الأسواق هي تلك الاماكن المعينة والمحدودة ،و التي تشهد تجمع عددا كبيرا من الاشخاص وحتى الحيوانات ،و هذا ما يجعلها بيئة خصبة لتواجد و انتقال المرض و الوباء[4].

[1]- علامة صليحة ، مرجع سابق، ص85،86.

[2]- نفسه ، ص 85،86.

[3]- القشاعي موساوي ، الصحة و السكان....، المرجع السابق ، ص 82.

[4]- القشاعي موساوي ، الصحة و السكان....، المرجع السابق ، ص 244.

1-2-4-الفرق العسكرية : كثيرا ما يكون الجنود أو العساكر وسيلة لنقل مختلف الامراض والاوبئة كالطاعون و هذا من خلال احتكاك العساكر بالسكان نتيجة الخروج لتأديب السكان ، أو من خلال جمع الضرائب ، و من الأمثلة على انتقال الوباء عن طريق فرق المحلة ، ما حدث سنة 1786 حيث انتشر الوباء جنوب بايلك قسنطينة [1].

1-2-5-المراسلات : تعد الرسائل بأنواعها الإدارية السياسية و الديبلوماسية التي تنتقل بين مختلف الأمصار و الأقطار و خاصة أثناء فترة انتشار الوباء أو الطاعون [2].

1-2-6-الملابس و الأغطية : الملابس وسط و مركز لمختلف الجراثيم و البراغيث الحاملة لوباء الطاعون ، و خاصة الألبسة الخاصة بالموتى ، إضافة إلى الجلود و خاصة القادمة من المناطق التي تعرف انتشار الوباء واستعمال هذه الملابس الموبوءة يساهم في انتشار الوباء [3].

2- الأمراض والاوبئة بالبايلك :

2-1- الامراض: عرف بايلك قسنطينة خلال الفترة الحديثة تواجد وانتشار لأمراض عديدة و متنوعة ،هذه الامراض سيكون لها تأثيرا على صحة السكان على مستوى البايلك . يمكن أن نصنف الامراض التي ضربت قسنطينة الى صنفين :الأول يمكن أن نطلق عليه الامراض المحلية والتي لها علاقة ببايلك قسنطينة ومكوناته المناخية والتضاريسية ، والتي من بينها بعض أنواع الحمى ، وبعض الامراض الجلدية وغيرها من الامراض الاخرى .أما الصنف الثاني فيتمثل في الامراض الخارجية أو الوافدة من مناطق خارج اقليم قسنطينة ، هذه الامراض وجدت لها سبيلا الى البايلك عبر عدة وسائل ومنافذ كمرض الزهري وغيره من الامراض الاخرى والتي لا ترتبط بالمنطقة .

2-1-1-المرض الزهري : أو المعروف بمرض الإفرنج أو كما جاءت تسميته في نوازل ابن الفكون بداء الفرنسي ، حيث يذكر صاحب احدى النوازل : " سيدي رضي الله عنكم و متع المسلمين

---

[1]- نفسه ، ص 245.

[2]- نفسه، ، ص ص246-247.

[3]- نفسه ، ص ص 247- 248.

بطول حياتكم جوابكم كان الله لكم و متع المسلمين بطول حياتكم جوابكم كان الله لكم عن مسألة و هي أن رجلا خطب من رجل ابنته فأجاب خطبته ....خرجت في البنت حبة فقيل أنها العدر المسمى بالفرنسي ..."[1]. و يتمثل هذا المرض في ظهور أورام ، و داء الإفرنج (الزهري) لم يكن منتشرا بإقليم قسنطينة فقط بل منتشرا في مختلف مناطق المغرب و هذا ما تؤكده المصادر التاريخية ، فها هو حسن الوزان يذكر لنا انتشار هذا الداء لمختلف بلاد المغرب الأقصى أو كما يذكرها ببلاد البربر [2].

حسب حسن الوزان فإن المرض الزهري لم يكن معروفا بمنطقة المغرب العربي ، و إنما الموطن الأصلي لهذا المرض هو إسبانيا ، حمله اليهود الذين هجروا أو طردوا من اسبانيا ، بعد قرار الملك فيرديناندا ملك اسبانيا . ليستقروا ببلاد المغرب حاملين معهم هذا الداء (المرض)، ثم بعد ذلك و نتيجة للعلاقات الجنسية بين افراد هذه الطائفة و سكان المنطقة انتشر المرض تدريجيا خاصة بين سكان السهول [3] ، ليصل إلى ذروته بعد 10 سنوات إذ لا تكاد تخلوا أسرة منه [4]. و حسب الوزان دائما فإن في بداية انتشار المرض كان المصابون بهذا المرض يعاملون مثل ما يعامل المصابين بالبرصام ،حيث عزل المصابون و ألزموا السكن مع البرصان لكن نتيجة لانتشاره و كثرة المصابين به أصبح المصابون يعيشون حياة عادية بمساكنهم و هذا بإسبانيا [5] . يعرف مرض الزهري في منطقة تونس بداء الإفرنج و هو نفس الاسم المعروف به في إيطاليا – مصر –و عند أهل الشام . و لقد كان لهذا المرض انتشارا و ازدادت حدته و شدته بالبلاد التونسية [6] و ربما تكون هذه الأخيرة المنطقة التي وصل منها المرض إلى بايلك قسنطينة بحكم الاحتكاك بين سكان تونس و سكان بايلك قسنطينة.

---

[1]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 61.

[2]- الوزان ، مصدر سابق ، ص 84.

[3]- بولقطيب الحسين : مرجع سابق ، ص60.

[4]- الوزان ، مصدر سابق ، ص84.

[5]- الوزان ، مصدر سابق ، ص 84

[6]- الوزان ، مصدر سابق ، ص84

أما أعراضه تكاد تتفق بعض المصادر التاريخية حول هذا المرض و أعراضه فحسن الوزان يذكر أن أعراض هذا المرض يتمثل في تلك البثور و القروح التي تظهر بجسم الإنسان حيث يقول:"...وداء الافرنج (الزهري) الفظيع بأوجاعه وبثوره وقروحه منتشرا كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه الا القليل ... "[1]. و نفس الشيء يذهب اليه **شتونيرغ** في كتابه الطب العشبي الجزائري في بداية الاحتلال و الذي يصف أعراضه التي تبرز و تظهر على شكل طفح في جلد الإنسان [2]، أما من نوازل ابن الفكون وحسب إجابة يحي المحجوب فإن هذا المرض (الإفرنجي) نوعان : النوع الأول تتمثل أعراضه في ظهور أو تشكل أورام بجسم الإنسان هذه الأورام تنفجر بالصديد تخلف بعد الشفاء انكماش على مستوى الجلد حيث يقول: " ...هذا مرض الإفرانجي هو على نوعين نوع منه تصديد الإنسان أوراما ثم تنفجر بالصديد فإذا بريت تبرأ عن شيء من تغوير و انكماش جلد..." [3] كما أن هذا النوع من الزهري يترقب عودته من جديد . أما النوع الثاني فهو أخف حدة من النوع الأول ، ويتمثل في ظهور حبوب تنتشر على جسم الإنسان يخرج منها أوعية وهو نوع لا يترك آثارا على الجسم ، وهذا بقوله:"....و النوع الثاني منه خروج حبوب تنتشر على سطح البدن يخرج منها أوعا ... فإذا برا فيبرأ عن غير شيء و يذهب أثره....."[4].

2-1-2-الحمى : تعد الحمى و أنواعها من الأمراض المعلومة على مستوى المناطق الشرقية للجزائر ، و هذا منذ القديم على الأقل منذ الحقب التاريخية السابقة للفترة المراد دراستها (الحديثة) ، وهذا ما تؤكده مختلف المصادر التاريخية حيث يذكر الرحالة ابن بطوطة أنه أصيب بالحمى في منطقة بجاية ، كما تعرض إلى حمى أخرى ببلاد بونة (عنابة) عندما كان متوجها إلى تونس و منها إلى الحجاز[5]. و لن تختلف الحالة في الفترة الحديثة حيث معرفة سكان البايلك للحمى و خاصة على

---

[1]- نفسه ، ص 84.

[2]- شونبيرغ ، المصدر السابق ، ص 42.

[3]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 61.

[4]- نفسه ، الورقة 61.

[5]- ابن بطوطة ورحلاته : تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص34،35.

مستوى منطقة الريف القسنطيني[1] . و يعود وراء انتشار الحمى بالبايلك عدة أسباب منها ما هو بشري ومنها ما هو طبيعي.

2-1-1-1-الاسباب:

-العامل الطبيعي : و يتمثل بالدرجة الأولى في طبيعة و تضاريس بايلك الشرق (قسنطينة) و التي تنتشر بها ظاهرة المستنقعات هذه الأخيرة تعد وسطا خصبا و ملائما لوجود و تنامي مختلف الجراثيم المسببة للحمى [2].كما تعتبر العوامل أو المتغيرات المناخية من أهم الأسباب التي تقف وراء الحمى و انتشارها بالبايلك[3].

-العامل البشري: أحد أهم أسباب انتشار بعض أنواع الحمى ببايلك قسنطينة يتمثل أساسا في المستوى المعيشي السيء للكثير من السكان ، و الذي نتج عن الفقر و العوز و هذا ما يؤدي إلي سوء التغذية، و هذا خاصة فترات الجفاف و المجاعات [4].

2-1-1-2- أنواع الحمى : هناك عدة أنواع للحمى معرفة على مستوى الأيالة الجزائرية عامة و بايلك قسنطينة خاصة منها :

**الحمى المترددة و المتواترة : هذا النوع من الحمى ينقسم إلى صنفين حمى بسيطة و حمى معقدة ، و هي من الأنواع المستوطنة بالمنطقة الشرقية للأيالة الجزائر[5].

الحمى الصفراء (**fievre jaune) [6]:يعود أصل و موطن هذا النوع من الحمى إلى أوربا و بالضبط إلى اسبانيا .والحمى الصفراء لها علاقة مباشرة بالمناخ و عناصره خاصة الحرارة ، تعرف ظهورا

---

[1]- سعيدان جمال الدين: الاحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين 1830-1919م ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة . ص 57.

[2]- القشاعي : الصحة والسكان...، مرجع سابق ، ص 149.

[3]- سعيدان : المرجع السابق ، ص 57.

[4]- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، مرجع سابق فسه ، ص .

[5]- سعيدان ، المرجع السابق ، ص ص 57-58.

[6]- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، ص 253.

و انتشارا خاصة نهاية فصل الصيف و حتى شهر نوفمبر[1]. و تعد الحمى الصفراء من بين الأنواع التي تخلف خسائر بشرية يكون لها الواقع السلبي على النمو الديمغرافي[2]، و من أكثر الضحايا نجد الأطفال و العجزة و هذا لكون هذه الفئات تمتاز بالضعف الجسدي و عدم القدرة على المقاومة .[3]

**حمى المستنقعات: و تعرف بحمى الملاريا تنتشر هذه الاخيرة في عدة مناطق من البايلك خاصة المناطق التي بها مستنقعات كعنابة و ضواحيها [4]. فالمياه الراكدة تعتبر وسطا و بيئة خصبة مناسبة للحمى الصفراء. و من أهم الأمراض التي تنتج عن هذا النوع من الحمى هو ذلك الإسهال الذي يؤدي إلى جفاف الجسم و منه إلى موت الإنسان .لكن رغم كل ما يقال حول هذه الحمى إلا أنها لم تصل إلى درجة الانتشار بالإقليم[5].

**حمى التيفوئيد أو الحمى التيفية :يصيب هذا النوع فئات من المجتمع خاصة تلك التي تعاني الفقر و التهميش و سوء التغذية ، و هذا بصفة خاصة خلال فترات الكوارث كالجفاف و المجاعات و غيرها [6].

**الحمى العادية :و هناك حمى عادية تصيب السكان نتيجة لأمراض أخرى أو جروح و هذا ما جاءت به النازلة التي عرضها عبد الكريم الفكون على شيخه التواتي ، حيث يقول السائل : " الحمد لله شيخنا و سيدنا أدام الله علاه ....إمام أهل مسجد راتب وقع بحمل مغسول أعضا به دمل ....إلى أن ربت و عظمت أعني تلك الدمل و صاده وجع الرأس و الحما منها ....." [7].

كما أن هناك أنواع أخرى جاء ذكرها في نوازل ابن الفكون و التي من بينها : حمى الربع و حمى الرق ، و التي يبدوا أنها من الأنواع التي كانت تصيب السكان ، منها ما هو خطير كحمى الرق

1- سعيدان ، المرجع السابق ، ص57.

2- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، ص 253.

3- سعيدان ، المرجع السابق ، ص 58

4- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، ص 253.

5- سعيدان ، المرجع السابق ، ص58.

6- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، 255.

7- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقتين : 19،20.

، و منها ما هو عادي كحمى الربع .و هذا ما يكتشف من كلام و إجابة عن إحدى المسائل بقوله : " ....المرض المزمن المتطاول الغير المخوفة....و حمى الربع ...و أما الأمراض المخوفة و ذات الجنب ، و حمى الرق ...." [1].

2-1-1-3-تعامل السكان مع الحمى: تعتبر الحمى من الأمراض التي تعامل مع السكان بصفة خاصة و كنتيجة لنقص العلاج و عقيدة السكان فإن فئات من السكان و خاصة القبائل البدوية كانوا يبتعدون عن المناطق التي تعتبر وسط وبيئة للحمى كالمستنقعات التي بها مياه راكدة[2]. كما يتدخل الجانب العقائدي الخرافي في تصرفات السكان اتجاه مرض الحمى فالسكان أو الناس كانوا ينظرون إلى المصاب بالحمى نظرة خوف فهم يعتقدون أنّ حسبهم به مس من الشياطين أو الجن و لهذا فهم يبتعدون عنه حتى شفائه من الحمى[3].

2-1-3-الامراض المزمنة : تعد الأمراض المزمنة من الأمراض التي تعرف انتشارا بين سكان بايلك قسنطينة و التي من بينها الربو و غيرها من الأمراض الأخرى[4]. و جاء ذكر هذا النوع من الامراض في نوازل ابن الفكون من خلال إحدى النوازل المعروضة على الشيخ سليمان بن يحي الأواري [5]، التي تضمنت سؤال أحد الأشخاص حول الهبة و علاقتها بالمرض المزمن، بحيث يذكر : " الحمد لله ما قولكم ....و هل وقوع الهبة في المرض المزمن كوقوعه في الصحة أم لا ، و هل لو نازع الخصم في كونه غير مزمن... و ما عندكم في مرض الزمانة هل هو ما طال بصاحبه غير بخوف أو له كالمرض الشتوي بالنسبة إلى زمن المصيف أو العكس كما أشار إليه الأطباء و نقله صاحب المعيار عنهم و ربما حد بما زاد على الأربعة عشر يوما على بحث في إطلاق اسم الزمن عليه..."[6].ليعطينا

---

[1]- نفسه ، الورقة ،389.

[2]- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، ص 255.

[3]- شلوصر فندلين ، مصدر سابق ، ص 127.

[4]- نفسه ، ص ص ،64،63.

[5]-الاواري:

[6]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 389.

الشيخ الأواري تعريفا يكاد يكون دقيقا للمرض المزمن ، بحيث يذكر أن المرض المزمن هو المرض الذي يصيب الشخص و يطول لكنه لا يكون مرضا يخاف الموت منه ، أي بمعنى آخر المرض المزمن هو مرض يصيب الإنسان لكن الموت منه يكون نادرا .وهذا ما يتماشى مع الامراض المزمنة في الوقت الحالي كمرض السكري ، هذا الاخير مرض يطول بالإنسان لكنه لا يؤدي الى الموت إلاّ نادرا ،حيث يقول المجيب: " ...المرض المزمن المتطاول الغير المخوفة كالجذام ...و المزمن هو ما طال في الغالب أمره و ندر الموت عنه "[1]. كما أن الشيخ ينفي أن تكون المدة الزمنية المحددة بأربعة عشر (14) يوما مقياسا ليطلق على المرض مرض مزمن ، وهذا بقوله : " ... و لا يلتفت إلى من حد بالأربعة عشر يوما و الله تعالى أعلم " [2].

2-1-4-أمراض العيون :تعد أمراض العيون من الأمراض التي كانت منتشرة بالبايلك ، حيث يكون التغيرات المناخية بالمنطقة دورا رئيسيا في ظهورها [3].ومن اهم امراض العيون مرض البياض .

- **مرض البياض**: هذا النوع من الأمراض يصيب عين الإنسان، حملته لنا إحدى النوازل يقول السائل: " ... وهي أن رجلا خطب بنتا من أبيها ... سمع أن بالبنت عيبا و هو البياض على العين فندم الزوج ...." [4]. و ما يلاحظ على أمراض العيون أنها بقيت منتشرة في الريف وبايلك قسنطينة فيما بعد وهذا ما تثبته مراسلة من صالح باي قسنطينة يطلب الطبيب من القالة وهذا لمعالجة عدة امراض كان من بينها مرض بياض العين [5]. ويبقى مرض العيون حتى فترة الاحتلال الفرنسي ، و هذا نتيجة لقلة الوقاية و العلاج [6] ، حيث يذكر شلوصر أن قسنطينة كانت ملئ بالعميان [7].

---

[1]- نفسه ، الورقتين :389،390.

[2]- نفسه ، الورقة 390.

[3]- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، ص257 . - بوحجرة عثمان : مرجع سابق، ص49.

[4]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقتين : 62،63.

[5]- مخطوط رقم 1641 ، المكتبة الوطنية ، الورقة: 53.

[6]- سعيدان ، المرجع السابق، ص 59.

[7]- شلوصر ، المرجع السابق، ص 82

إضافة إلى بياض العيون ، هناك أمراض أخرى إضافة الى التهابات تصيب عين الانسان ، و التي من بينها الرمد و غيرها [1].

2-1-4-الأمراض الجلدية :حملت لنا نوازل ابن الفكون معلومات عن تواجد بعض الأمراض الجلدية بإقليم قسنطينة ، هذه المعلومات حتى وان كانت قليلة الاّ انهّا اعطت لنا ولو اشارة الى بعض الامراض الجلدية التي ضربت سكان البايلك ، و من بينها ظهور دمل وحبات على مستوى جلد الجسم ، حيث تعرضت إحدى النوازل لشخص كان إماما ظهرت على جسمه دمل(حبات) صعبت عليه الاغتسال والوضوء للصلاة [2]. وفي نفس السياق يعرض لنا صاحب منشور الهداية قصة إحدى النسوة التي ذهبت إلى إحدى الشيوخ كانت بها جراحة في أنفها لم يجد لها الأطباء دواء [3].

2-1-5-الأمراض النفسية : رغم ان نوازل ابن الفكون لم تتطرق الى هذا النوع من الامراض والمتعلقة بالجانب المعنوي والنفسي ، الا ان تعرضت الى مختلف العوامل والأسباب المؤدية الى هذا النوع من الامراض. فالمرض النفسي نتيجة لمختلف الأعمال و الأفعال التي يكون مصدرها الإنسان أو الطبيعة هذه الأفعال المتمثلة في القتل بكل أنواعه ، إضافة إلى مختلف أعمال النهب و الغصب و التخويف . فعلماء النفس يجزمون على أنّ أفعال الإنسان تكون أكثر تأثيرا و وقعا على الفرد و المجتمع على حد سواء و هذا مقارنة بما تخلفه مختلف الكوارث الطبيعية [4]. هذا التأثير و انعكاساته النفسية مست مختلف شرائح المجتمع القسنطيني فحتى نخبة المجتمع من فقهاء و رجال دين و غيرهم لم تسلم منه. وهذا ما جاءت به وتضمنته الكثير من نوازل ابن الفكون ، والتي تعرضت لعدة أمثلة تخص مظاهر الظلم كالاغتصاب و التعدي على حقوق الناس كهدم مساكنهم وتشريدهم [5]، اضافة الى انتشار ظاهرة قطاع الطرق و الحرابة و غيرها من المظاهر الاخرى[6].

---

[1]- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ، ص 257.

[2]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقتين : 19،20.

[3]- ابن الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص156.

[4]- بوعزيز جهيدة ، مرجع سابق، ص 135.

[5]- ابن الفكون محمد ،ى مصدر سابق ، ورقات: 227،221،203،196،86،15.

[6]- نفسه، الورقة 320.

2-1-6-أمراض أخرى : الكثير من الأمراض التي كانت موجودة بين سكان البايلك سواء بكثرة أو حالات نادرة ، لكن للأسف سكتت عنها نوازل ابن الفكون ، و من أهم هذه الأمراض الجذري – السل التيفوس – و أمراض أخرى كثيرة .

****الجذري** : من الأمراض المعروفة و المستوطنة ببايلك قسنطينة و خاصة على المستوى الريف منه ، نجد مرض الجذري[1].

****أمراض الغدة** : و هو أيضا من الأمراض المستوطنة ببايلك قسنطينة [2].

****التيفوس** : (**typhus**) و يعرف هذا المرض بالهواء الأصفر [3] و هو نوعان : الطفحي و تيفوس مورين [4]. يعد هذا المرض من أخطر الأمراض التي تضرب السكان يتزامن و يرتبط بالمجاعات، الفقر و الجراد. فهو و سوء التغذية أمران متلازمان كما له علاقة بعدم وجود النظافة[5].

****أمراض الأعصاب** : من الأمراض التي جاء ذكرها في المصادر التاريخية نجد مرض الأعصاب ، حيث يذكر حسن الوزان أن هذا المرض ينتشر بين الأطفال في إفريقيا ، و يصيب الكثير من النساء في بلاد البربر، و بلاد السوادن [6].

****السل** : و يعتبر مرض السل من الأمراض المعروفة على مستوى القطر الجزائري ككل و هذا منذ العصور الوسطى و الحديثة [7].

2-1-6-أمراض غامضة : رغم المعلومات القيمة التي قدمتها لنا نوازل ابن الفكون حول الأمراض و أنواعها ، إلا أنه هناك حالات عديدة لأشخاص جاء ذكرهم في النوازل توفوا نتيجة

[1]- سعيدان ، مرجع سابق، ص 58

[2]- نفسه ، ص59.

[3]- القشاعي موساوي : الصحة والسكان...، المرجع السابق ،ص 260.

[4]- بوحجرة عثمان ، مرجع سابق ، ص 49.

[5]- نفسه ، ص49 .

[6]- الوزان ، مصدر سابق ، ص 85.

[7]- بوحجرة عثمان ، مرجع سابق ، ص 50.

أمراض بقيت غامضة ، و هذا نتيجة لسكوت هذه النوازل عن إعطاء معلومات أو إشارات حول هذه الأمراض الغامضة ، فها هي إحدى النوازل تتطرق لقصة الشيخ عبد الكريم الفكون[1] ، و هذا من خلال قول الشيخ نفسه حيث يقول : " ..و الحكم فيها عدم اللزوم ، و هذا ما أمكن مع عذر المرض القائم المانع من النظر و التفكير إلا ما سبق عن وقته عجل الله لنا منه بالشفا بجاه محمد المصطفى ..." [2].

وفي نفس الموضوع ألاو هو مرض الشيخ الفكون عبد الكريم جاءت نازلة أخرى حيث يقول عبد الكريم الفكون: " ....و المعنى يأباه لمن تأمل و فهم و هذا بحسب الطاقة ، و ملازمة المرض المانع إلا ما سبق في خزانة الحفظ ، و الله المسؤول في الشفا و التوفيق و الهادي إلى سواء الطريق . و لا تنسوني من إخلاص الدعاء ، و أختم كتابي بالصلاة على أفضل الرسل و الأنبياء .و آله و صحبه و سلم تسليما ..." [3].

في كلتا النازلتين بقي المرض غامضا و غير معروف، و هذا ما يجعلنا نطرح عدة تساؤلات : هل هذا المرض مرض عادي كباقي الأمراض التي تصيب الإنسان ويشفى منها ؟ أم أن هذا المرض هو المرض الذي توفي منه الشيخ عبد الكريم الفكون ؟.

ونازلة أخرى عرضت الشيخ محمد الأنصاري (شهر الكماد) حملت لنا معلومات حول شخص توفي جراء المرض الذي أصابه و هذا على لسان السائل بقوله : " ....الحمد لله ، سيدي رضي الله عنكم ...فإن الموصى جعل في وصيته ما يبدأ به و الباقي لأصحاب الثلث و توفي في مرضه المتصل بوفاته و ورثة زوجتاه ...."[4] . سكوت السائل عن نوع المرض يتركنا في حيرة من أمرنا هل هذا المرض من الأمراض الخطيرة التي يكون نتيجتها في الغالب الموت أم أن الشخص المتوفي نتيجة للكبر و العجز جعل جسمه لا يستطيع المقاومة مع أضعف و أبسط الأمراض التي تصبه ؟

---

[1]- تمت الترجمة له.

[2]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة 191.

[3]- نفسه ، الورقة ، 508

[4]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقتين : 359،360.

و في نفس المجال جاءت نازلة تعرضت لقضية مرض امرأة و التي يبدو أنها توفيت نتيجة هذا المرض الذي أصابها ، و هذا ما جاء في رسم و سؤال أجاب عنها يحي المحجوب : " ...و ما نسب إليها فيه و المعرفة بها تامة إلا أن بها مرض و ذلك بتاريخ عشية يوم الثلاثاء من يوم أربعة عشر من ربيع الثاني من عام أحد عشر ألف ...." [1]. و نفس الشيخ طرحت عليه نازلة حملت موضوع وفاة امرأة جراء مرض أصيبت به و التي من خلال النازلة يبدو أن هذه المرأة عرفت بقرب أجلها ، و هذا من خلال ما قامت به من أفعال كالإشهاد على إبراء زوجها من الصداق و غيرها من الأفعال التي تدل على أن المرأة كانت على فراش الموت ، حيث يقول صاحب النازلة : " ....جوابكم في مسئلة(مسألة) و هي أن امرأة أصابها مرض و أرادت أن تشهد عدلين بمالها و ما عليها فادخلا عليها عدلين ....و جميع ورثتها حاضرين فأشهدت العدلين أنها تصدقت على بعلها بجملة ما لها عليه من الصداق ....و الأخرى أشهدت لها ببعض الأسباب و دنانير فمكثت يوما ، و قدر الله تعالى بوفاتها ...." [2].

و لم يقتصر ذكر حالات الوفاة جراء المرض على كبار السن بل كان للأطفال والصغار نصيب من ذلك ، حيث حملت بعض النوازل معلومات عن حالات لبعض الأطفال الصغار توفوا نتيجة مرض أصابهم ، ومن هذه النوازل نازلة أجاب عنها الشيخ بن محمد عبد الهادي ، تطرقت إلى قضية وفاة بنته صغيرة بالسن نتيجة مرض أصابها لكن للأسف لم يأت ذكر المرض و لا نوعه و لا حتى إشارات تمكن القارئ أن يصل من خلالها إلى هذا المرض .و هذا ما جاء على لسان السائل : " ....جوابكم في مسئلة (مسألة) و هي أن بنتا صغيرة مراهقة للبلوغ أوصت بوصية لولدي أختها ... و ماتت الموصية...فذكر أنه تحملها على البنت الموصية قبل زمن مرضها الذي توفيت منه.." [3].

---

[1]- نفسه ، الورقة 365.

[2]- نفسه ، الورقتين : 451،452.

[3]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقتين : 497،498.

إن سكوت الكثير من نوازل ابن الفكون عن هذه الأمراض و أخرى يكون له أثر سلبي على قيمة المعلومات خاصة المتعلقة بالجانب الصحي في البايلك ،خاصة فيما يتعلق بأنواع الامراض التي ضربت المنطقة .

2-2-الاوبئة (الطاعون) :الطاعون هو عبارة عن مرض جرثومي معد ينتشر متخذا شكل وباء، ولفظ الوباء مأخوذ من العبارة اللاتينية pestis atra والتي تعني الموت الاسود ، ولفظة الطاعون في اللغة لا تعني مرضا بذاته وانما تطلق على كل مرض وبائي ومنه اصبحت كلمة طاعون مرادفا للوباء [1]. و تعد جرثومة انتيكابستيس (antiquapestis) مصدر لأكبر الأوبئة التي اجتاحت منطقة شمال إفريقيا منذ فترات و حقب تاريخية قديمة تعود الى ما قبل الميلاد (542 – 742 عام) ، حيث شهدت المنطقة حروب قرطاجة و دخول عدة عناصر بشرية إلى المنطقة.ليعاود الوباء (الطاعون) ضرب المنطقة من جديد خلال سنة 531 م و هذه المرة قادما اليها من منطقة مصر [2].

2-2-1- مصادر الوباء (الطاعون): يتفق الباحثون و المؤرخون و من بينهم شونبيرغ على أن الجزائر ليست موطنا لوباء الطاعون و إنما يدخل و يحمل إليها من عدة مناطق كالقسطنطينية— مصر —أزمير— و غيرها من مدن الشرق [3]. و المتتبع لمختلف الأوبئة التي ضربت و اجتاحت منطقة الجزائر عامة و بايلك قسنطينة خاصة و يرى طرق انتقالها و دخولها إلى الجزائر يتأكد من صحة نظرية أن الجزائر ليست موطنا للوباء وإنما يأتيها من مناطق مختلفة .

2-2-1-1-المناطق الخارجية :

****الأناضول** :كثيرا ما كانت منطقة الاناضول مصدرا للطاعون و الذي يتنقل عبر ميناء اسطنبول نحو مختلف الولايات العثمانية و منها الجزائر ، و هذا الانتقال إما عن طريق التجارة (التجار) ، أو

[1]- خياطي مصطفى : الاوبئة والمجاعات في الجزائر ، منشورات ، 2013، ص 19.
[2]- القشاعي موساوي ،الصحة والسكان ...، المرجع السابق، ص ص55،56.
[3]- شونبورغ ، مرجع سابق، ص39.

حتى عن طريق رياس البحر أنفسهم [1]. و خير دليل على ذلك وباء 1654 م و الذي عرف بالوباء الكبير أو وباء قونية و الذي يقال أن مصدره الأسطول العثماني ، و تم نقله عن طريق بحارته ، استمر هذا الوباء 03 سنوات مخلفا 1/3 (ثلث)سكان الجزائر[2] .

تونس : كثيرا ما كانت منطقة تونس مصدرا للوباء الذي يضرب الجزائر عامة و بايلك قسنطينة خاصة ، و هذا بحكم الموقع الجغرافي للبايلك و الذي تربطه حدود برية مع تونس، وانتقال الطاعون من تونس نحو البايلك كان عن طرق وسيلتين رئيسيتين هما: أولهما التجارية وانتقال التجار بين المنطقتين ، وثانيهما حركة تنقل الأشخاص بين المنطقتين ، كل هذا ساهم في انتقال الوباء نحوى بايلك قسنطينة مثلما حدث في سنة 1644م وانتشار الوباء القادم من تونس نحو قسنطينة ، و وباء 1649م الذي ضرب الإقليم الجنوبي الشرقي للجزائر ، و جنوب بايلك قسنطينة منتشرا في عدة مناطق كبسكرة ، و هذا ما يؤكده العياشي الذي مر بالمنطقة أثناء رحلته عودته من الحج. وحتى وباء 1673 م كان مصدره تونس و الذي انتشر برا ليصل وهران[3] .

2-2-1-2-مناطق أخرى : تتعدد المناطق الوافد منها الطاعون و هذا حسب وسائل انتقاله ، فكثيرا ما كان الحجاج مصدرا للوباء ، وخاصة المارين عن طريق الإسكندرية هذه الاخيرة تعد من بين اهم بؤر الوباء ، ليصلوا إلى موانئ شمال افريقيا ومنها موانئ الجزائر لينتقل الوباء فيما بعد نحو المناطق الداخلية [4] ، إضافة إلى منطقة بلاد الرافدين و ليبيا ، التي تعتبران من المناطق التي يستوطنها الوباء [5].

---

[1]- القشاعي موساوي ، الصحة والسكان ...، المرجع السابق ، ص 92 وما بعدها.

[2]- التر عزيز سامح :الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ، ط1، 1989ص ص ، 377،378.

[3]- القشاعي موساوي ،الصحة والسكان ...، المرجع السابق ، ص ص ، 96-98.

[4]- امين محمد :دراسات في تاريخ الجزائر الحديث،مطبعة انفو - برانت، فاس ، المغرب ، د ط، دت، ص49.

[5]- غطاس عائشة : الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة الثقافة ، العدد76،رمضان -شوال 1403هـ/يوليو - اغسطس 1983، ص124.

2-2-1-3-المناطق الداخلية :ينتقل الوباء من عدة مناطق من داخل الجزائر نحو بايلك قسنطينة عبر عدة مناطق وطرق منها التجارة البرية ، و أحيانا يكون الانتقال عن طريق البحر مثلما حدث مع تجار الزيت المتنقلين من مدينة الجزائر إلى بجاية حاملين معهم الوباء لينتشر نحو جيجل ،عنابة وغيرها من مناطق البايلك[1].

2-2-2-الوباء بالبايلك:

2-2-2-1-قبل التواجد العثماني :ضرب وباء الطاعون منطقة المغرب الأوسط عدة مرات منها على سبيل المثال خلال القرن الرابع الهجري (317 هـ /929م) حيث عرفت المناطق الشرقية اجتياح الطاعون لها[2]. و خلال القرن الثامن هجري عرفت البلاد التونسية اجتياح للطاعون في عدة سنوات منها 749 هـ[3] ،و خلال سنة 772 هـ – 773 هـ[4]. و الذي يكون وصل إلى مناطق من الشرق الجزائري .كما عرفت البلاد التونسية الوباء خلال القرن التاسع للهجري ، 805 هـ[5].

2-2-2-2-الفترة العثمانية :

– القرن السادس عشر ميلادي (القرن 10 هـ) : شهد القرن العاشر هجري (16 م) ظهور وباء الطاعون ببايلك قسنطينة على فترات متقطعة ، و حتى نسبة انتشاره تختلف من فترة إلى أخرى . فالوباء الذي كان مطلع القرن (1510م/915هـ) ظهر ببعض المناطق الشرقية للجزائر و على رأسها بجاية ، ليعاود الوباء الظهور مرة أخرى ببجاية 1535م(941 هـ) و هذه المرة مس الوباء عدة مناطق من البلاد الجزائرية ككل [6]، ليعاود الطاعون الظهور بالبايلك خلال نهاية القرن 1582 – 1583م (

---

[1]– القشاعي موساوي ،الصحة والسكان ...، المرجع السابق ، ص 149.

[2]– جودت ، مرجع سابق ، ص 454.

[3]– الزركشي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، الزيتونة ، تونس ط2. ص 85.

[4]– الزركشي ، المرجع السابق ، ص 188.

[5]– ابن القنفذ ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر –عبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، ص 199

[6]– القشاعي موساوي: الصحة والسكان... ، المرجع السابق ، ص 79.

990 هـ-991هـ) و بأكثر حدة من سابقه ليعرف هذا العام بعام الطاعون ، ومن أشهر ضحاياه بمدينة قسنطينة عبد الكريم الفكون (الجد)[1].ليختتم القرن السادس عشر (10 هـ) بظهور الوباء مرة أخرى 1590 م (998هـ) استمر حتى القرن 17م عرف بوباء تونس ، كانت له آثار جد سلبية على سكان الجزائر ككل [2]،و ما يميز هذا القرن أن الطاعون كان قليلا مقارنة بما سيأتي بعده خلال القرن 17 م (11 هـ).

- **القرن السابع عشر ميلادي** (11 هـ) : عرف هذا القرن ظهور وباء الطاعون في فترات متعددة ، فلا يخلو عقد من عقود هذا القرن من ظهور للوباء بالبايلك خاصة و الجزائر عامة . فمع بداية القرن ظهر الوباء بالبايلك 1010-1011هـ (1602 – 1603) و عرف انتشارا بمناطق البايلك كان له آثارا وخيمة على البايلك ككل[3]. ليعاود الوباء الظهور بالبايلك فترة حكم فرحات **باي** ( )[4].و في عهد حسن باي عاود الطاعون ضرب الإقليم من جديد 1622م مخلفا عدة ضحايا كان من بينهم الباي نفسه[5] . و مرة أخرى يظهر من جديد بالمنطقة 1634م و من أشهر ضحاياه بركات بن نعمان – عبد اللطيف المصباح – بركات عبد المومن ، و هؤلاء من كبار علماء مدينة قسنطينة [6].

و في خضم المشاكل التي عرفها بايلك قسنطينة من ثورة ابن الصخري ظهر الطاعون مرة أخرى 1644م (1054) [7]. ليعرف البايلك انتشار للوباء في عدة مناطق وصل الى بسكرة وكان ذلك

---

[1]- نفسه، ص88، .

[2]- نفسه ، ص91.

[3]- تزامن هذا الوباء مع ظهور القحط أدى الي حدوث مجاعة كبيرة ضربت المنطقة ، ومما زاد من حدتها الاعمال التي كان يقوم بها الفرنسيون ووكالة الباستيون بحث كانوا يصدرون الحبوب هذه الاخيرة كان الاولى ان يستفيد منها الجزائريون .وهذه الاعمال كانت من اسباب تخريب وتهديم الباستيون من قبل مراد رايس 1604م(1012هـ) .أنظر / الشيخ لكحل ، مرجع سابق ، ص42.

[4]- ابن العنتري ، فريدة ...، المصدر السابق ، ص33،34.

[5]- نفسه ، ص 33، 34.

[6]- نفسه ، ص ص 33-36.

[7]- سعد الله أبو القاسم ، شيخ الاسلام ....، رجع سابق، ص 27.

خلال سنة 1059 هـ(1649م)[1]. ليظهر الطاعون مرة أخرى بالجزائر ككل ، و منها بايلك قسنطينة عرف هذا الطاعون بالطاعون الكبير اشتدت وطأته سنة 1661 م(1071هـ) انتشر بعدة مناطق من البايلك وصل حتى المناطق الجنوبية للبايلك كبسكرة ، سيدي عقبة وغيرها، صادف هذا الوباء شهر الصيام (رمضان) من سنة 1074هـ[2]. لتشهد مدينة قسنطينة و من ورائها البايلك ظهور الوباء مرة أخرى 1662م (1073 هـ) و يعد من أشهر ضحاياه ، عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية [3].و لم يتوقف الوباء على الظهور حيث ظهر مرة أخرى 1675 (1085هـ) كان مصدره البلاد التونسية [4] .

2-2-2- الأوبئة و علاقتها بالكوارث الطبيعية :

2-2-1- 1- المجاعة : يربط ابن هيدور حدوث الوباء بالمجاعة مع استمرارها فيقول : " إذا كان الغلا و طال و اشتدت أسبابه لزم عنه الوباء و هذا علم صحي "[5].و هذا الطرح يوافقه فيه برودل (Broudel) و الذي يرى أن المشاكل الغذائية تعد أبرز أسباب انتشار وباء الطاعون[6]. أما ابن خلدون فإنه حتى و إن كان يتفق مع طرح كل من ابن هيدور و برودل الّا انه يربط ذلك بحالة الدول ، حيث يصف ظهور الوباء بقوله : " ... جاء للدول على حين هرمها و بلوغ الغاية من

1- العياشي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 538،539.

2- محرز ، المرجع السابق ، ص 116،117.

3- العياشي عبد الله بن محمد : الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمىّ ماء الموائد ،تحقيق وتخريج وتعليق الشيخ احمد فريد المزيدي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2011، ج2، ، ص 498.

4- القشاعي موساوي :الصحة والسكان....، المرجع السابق ، ص 99

5- البياض عبد الله :الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (6-8هـ/12-14م) ، ط1، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 2008، ص109.

6- البزاز محمد الامين ، مرجع سابق، ص309.

مداها ..."[1]،و بهذا يربط ظهور الوباء بحالة الضعف التي تعرفها الدولة و التي تكون اشعارا بنهايتها [2]. وفي نفس الاتجاه ذهبت الباحثة موساوي القشاعي و التي ربطت انتشار الأوبئة بالمجاعات [3].

2-2-1-2- الجفاف : لا يمكن الفصل بين الجفاف و الطاعون في الكثير من الحالات ، فهناك أوبئة ضربت الجزائر يعود سببها الرئيسي الى الجفاف مثلما حدث مع مطلع القرن السابع عشر (1600م) 1601-1614م و الأوبئة التي حلت بالجزائر نتيجة الجفاف الذي اجتاح المنطقة لتستمر 09 سنوات أدى إلى حدوث مجاعات أثرت على كل القطر الجزائري ، و يعد بايلك قسنطينة من المناطق المتضررة بهذا الوباء و خاصة عاصمة البايلك قسنطينة [4].

2-2-1-3- الجراد : يعد اجتياح الجراد للبايلك من أهم العوامل المؤدية للوباء ، فالجراد يتسبب في القحط و المجاعات و من السنوات التي اجتاح فيها الجراد بايلك قسنطينة 1535م ( )و الذي اجتاح كل منطقة الشمال الإفريقي و الذي كان السبب الرئيسي في حدوث المجاعة التي ضربت المنطقة ، كما اجتاح المنطقة مع مطلع القرن 17 و عقبة حدوث مجاعة 1601م ()و التي أدت إلى ظهور الأوبئة بالجزائر 1614م [5] .

2-2-1-4- المجاعة : تعد المجاعة من الأشياء المتلازمة لظهور الوباء ، حيث يرى ابن هيدور أنه هناك تلازم بين ثلاثة عناصر : الغلاء ، الجوع ، الوباء ، فيقول : " ...و لا يكون هذا الموت إلا بأثر الغلاء فهو لازم من لوازمه ...و إذا كان الغلاء و طال و اشتدت أسبابه لزم عنه الوباء و هذا علم صحيح و قانون مطرد لا يحتاج فيه إلى تعليل و لا إلى نظر في النجوم "[6] .

3- الأمراض و الأوبئة التأثير على السكان :

---

[1]-. البياض عبد ، المرجع السابق، ص109.

[2]- البياض عبد ، المرجع السابق ، ص109.

[3]- القشاعي موساوي ، الصحة والسكان....، المرجع السابق ، ص81.

[4]- نفسه ، ص 94..

[5]- نفسه ، ص ص 80-93

[6]- البزاز ، المرجع السابق ، ص391.

3-1-الفئات الأكثر تضرر من الوباء: تعد فئة الأطفال من أهم الفئات التي تكون أو من تتعرض للوباء ، و هذا لطبيعة أجسام هذه الفئة و التي ليس لها القدرة على مقاومة الأمراض ، فما بالك بالوباء (الطاعون). و هذا عكس الفئة العمرية الكبيرة و التي يكون فيها جسم الإنسان على قدر من القدوة يستطيع المقاومة [1]. و في هذا المجال حملت لنا احدى النوازل كيف أن وباء الطاعون قد تمكن من أحد الأطفال و الذي كان سنه لا يتجاوز 03 سنوات و هو في هذه المرحلة من العمر يكون جسمه غير قادر على المقاومة و الوقوف في وجه الطاعون ، و حتما سيكون مآله الوفاة و هذا ما جاءت به النازلة المعروضة على العالم المفتي محمد ربيع ، و التي جاءت كالآتي : "....ما قولكم في مسألة و هي أن ولدا صغيرا سنه نحو الثلاثة أعوام بحيث لم يضبط الشهادة و لم يعلم حكمها إلى أن صاده مرض الطاعون ...."[2].

3-2-أشهر ضحايا الأمراض و الأوبئة بالبايلك: خلفت الأمراض و الأوبئة التي عرفها بايلك قسنطينة عدة ضحايا ، كانت لهم مكانة على مستوى البايلك ككل أو على مستوى مناطقه المختلفة ، و هذا في مختلف المجالات السياسية و العلمية و الثقافية .

ففي المجال السياسي نجد من أشهر ضحايا الوباء (الطاعون) كان الباي حسين الذي توفي بالطاعون الذي ضرب البايلك 1622م[3]. أما في المجال العلمي و الثقافي فخسائر الطاعون كبيرة خاصة إذا ما عرفنا قيمة العلماء الذين كانوا ضحايا الوباء ، فبالنسبة للمجتمع القسنطيني فمن أشهر الضحايا نجد العالم عبد الكريم الفكون الحفيد (شيخ الإسلام) ، ففي هذا الصدد يذكر العياشي أن عبد الكريم الفكون توفي 27 ذي الحجة سنة 1073 هنتيجة وباء الطاعون حيث يقول : " و كانت وفاته رضي الله عنه عشية الخميس 27 ذي الحجة 1073 هـ() ، شهيدا بالطاعون [4]. وقبل عبد الكريم الفكون خلف عدة ضحايا من اهمهم الشيخ العالم التواتي ، هذا الأخير توفي نتيجة الطاعون

---

[1]- مزدور سمية ، مرجع سابق، ص125.

[2]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقة ، 399.

[3]- ابن العنتري محمد ، فريدة منسية....، مصدر سابق، ص 34.

[4]- العياشي ، المصدر السابق ، مج2 ، ص 514.

الذي ضرب تونس سنة 1031هـ(1621م)[1] . و هناك أيضا أحمد القشي[2] الذي توفي جراء الطاعون الذي ضرب البايلك سنة 1553 م (963 هـ) [3]. و يعد طاعون 1634 م من أشد الطواعين لما خلفه من وفيات ، مات عدة علماء من قسنطينة . و هم بركات بن نعمان ، عبد اللطيف المصباح ، بركات بن عبد المومن [4]. ولم يتوقف الوباء عن حصد العلماء حيث شهد مطلع القرن الثامن عشر مقتل العالم أبو طيب نصير بالوباء [5].

3-3-الأمراض والاوبئة وآثارهما على النمو الديمغرافي : تعد الأمراض و الأوبئة من العوامل الأساسية التي تكون لها علاقة مباشرة بالسكان ونموهم ،فالأمراض والاوبئة عند حدوثها دائما ما تكون لها آثار سلبية هلى الديمغرافيا . فإذا تتبعنا بعض التواريخ و السنوات التي شهدت ظهور و انتشار الأمراض و الأوبئة في بايلك قسنطينة ، نلاحظ حجم الخسائر البشرية التي خلفتها هذه الأمراض و الأوبئة . وحتى و إن كانت نوازل ابن الفكون لم تتطرق إلى كثرة الخسائر البشرية بالبايلك و التي سببها الأمراض و الأوبئة إلا أنها على الأقل ذكرت لنا بعض حالات الوفيات التي كانت نتيجة الأمراض و الأوبئة . إلا أن مختلف المصادر و المراجع الأخرى قد حملت لنا عدة معطيات تتعلق بالآثار السلبية التي تخلفها الامراض والاوبئة على الديمغرافيا .فالطاعون بصفة خاصة و علاقته المباشرة بالوفيات و ارتفاعها عددها يجعلنا نتتبع بعض السنوات التي ضرب فيها الوباء الجزائر ككل و بايلك قسنطينة خاصة ، لنقف على حجم الخسائر البشرية .

3-3-1-القرن 16 (**10هـ**): رغم أن هذا القرن شهد الوباء و انتشاره بنسبة قليلة إلا أن خسائره كانت كبيرة ، حيث كان للوباء الذي ضرب المناطق الشرقية للقطر الجزائري (1510م) و

[1]- ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص 59.

[2]-القشي:

[3]- نفسه ، ص 59،60.

[4]- ابن العنتري محمد ، فريدة منيسة...، المصدر السابق ، ص36.

[5]- الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر ، الرحلة الناصرية 1709-1710م (1121-1122هـ) ، تحقيق وتقديم عبد الحفيظ ملوكي ، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع ، ابوظبي ، الامارات العربية المتحدة ، 2011، ص140.

الذي اجتاح عدة مناطق منها مدينة بجاية خسائر بشرية قدرتها الباحثة القشاعي موساوي ب 100 قتيل يوميا [1]، و لنا أن نتخيل حجم الخسائر خلال شهر و التي تقدر ب : 3000 نسمة ، و هذا الرقم رهيب ، إذا ما عرفنا أن عدة مدن لا يتجاوز عدد سكانها 3000 نسمة (هنا نذكر) عدد سكان بجاية، يعني أن الطاعون قضى على مدن بأكملها . أما في النصف الثاني من القرن 16م (10 هـ) ، فقد ضرب الطاعون البلاد الجزائرية ككل ومنها مدن ومناطق البايلك كبجاية وعنابة وغيرها ، كان خلال 1553 م قدر عدد ضحاياه :ب 9000 ضحية [2].و لم يتوقف الوباء (الطاعون) عن حصد الأرواح البشرية خلال هذا القرن (16م) ، حيث عاود الكرة ،و يظهر من جديد بالبايلك في العشرين سنة الأخيرة من هذا القرن(16م / 10 هـ) ، حيث ظهر 1582 واستمر الى غاية 1584 م. استنزف البوادي مما جعل السكان يطلقون علي هذا العام (عام الطاعون). ليختم القرن السادس عشر بوباء ضرب الإيالة ككل ما بين 1590عرف بداء (طاعون البومة) خلف ما بين 200و250قتيل يوميا استمر الى 1991م لكن خلال سنة 1992م ازداد الوباء بسبب المجاعة الكبرى لينطلق من جديد مستمرا 03 سنوات عرف باسم طاعون تونس[3] .

3-3-2-القرن 17م (11هـ) : يعرف القرن 17 ميلادي (11 هـ) بقرن الوباء كما يمكن أن نسميه قرن الطاعون و هذا لأن أهم ما يميزه هو ظهور الطاعون خلال كل فترات هذا القرن ، فلا يكاد يخلو عقد من عقوده من وباء الطاعون . فخلال النصف الأول من القرن (17) ، عرف البايلك ظهور الطاعون في عدة مناطق و عدة مرات ، بدايته كانت سنة 1602م هذا الوباء ، أيضا كانت له آثار سلبية على ديمغرافية البلد الجزائرية ككل و قسنطينة خاصة .كما خلف الطاعون الذي عرفته فترة حكم محمد بن فرحات باي[4] سنتي 1602م و1603م خسائر بشرية كبيرة [5].

[1]- خياطي ، المرجع السابق ، ص31.

[2]- نفسه ، ص 32

[3]- نفسه ، ص 34.

[4]- حكم ما بين 1588م و1608م .

[5]- ابن العنتري محمد، فريدة منيسة ... ، المصدر السابق ، ص 33،34.

فسنة 1622 م عرفت ظهور الطاعون أو بالأحرى وصوله إلى بايلك قسنطينة كان له آثار سلبية حيث خلف عدد كبير من القتلى كان من بينهم الباي نفسه[1]. و لشدته عرف بالحبوبة الكبرى شمل المدينة و الريف على حد سواء [2].

و نفس الشيء كان مع الوباء خلال 1639-1649 الذي ضرب عدة مناطق قسنطينة – بسكرة و غيرها مخلفا خسائر بشرية كبيرة [3].و خلال النصف الثاني من القرن 17 م – (11هـ) لم يتوقف الطاعون على حصد المزيد من القتلى والضحايا فخلال العقد السادس من القرن خلف الطاعون الذي اجتاح مناطق عديدة من البايلك كقسنطينة ، بسكرة ، سيدي عقبة ، بجاية و غيرها من المناطق ،خلف كارثة ديمغرافية على البايلك حيث يذكر العياشي في هذا المجال أن الوباء خلف ببسكرة و المناطق المجاورة نحو 70 ألف قتيل[4].حتى وان كان عدد 70 ألف ربما فيه مبالغة لأنه ليس بالرقم الهين خاصة إذا عرفنا أن هذا العدد يمثل عدد سكان عدة مدن كبرى مجتمعة ، و هنا ما يضعنا أمام كارثة ديمغرافية عرفها البايلك ،.كما يذكر لنا احدى الباحثين حجم الخسائر البشرية التي خلفها الطاعون بمدينة بجاية و التي أضحت خاوية على عروشها و هذا ما جعل الأسطول الفرنسي يغض الطرف عنها و يكمل وجهته إلى جيجل حيث هدفهم[5]. ليظهر الطاعون من جديد في قسنطينة 1663م(1073هـ) في شهر رمضان لتزداد حدته في شهر ذي القعدة (اليوم الثامن) مخلفا 500قتيل ، ولم يتوقف الوباء بقسنطينة بل راح ينتشر في ارجاء البايلك وصول الى بسكرة وسيدي عقبة ووصل بجاية 1664م [6]. ثم عاد الوباء سنة 1676م(1066هـ) قادما من تونس عن

[1]– حسن باي الذي حكم من سنة 1608–1622م .انظر : ابن العنتري ، نفسه ، ص34.

[2]– القشاعي موساوي ، الصحة والسكان....، المرجع السابق ، ص95.

[3]– نفسه ، ص 96.

[4]– العياشي ، المصدر السابق ، صمج2 ، ص539،540.

[5]– محرز امين، مرجع سابق ، ص 79.

[6]– خياطي ، المرجع السابق ، ص 39

طريق البر[1].كما تعرضت بعض المناطق من الشرق الجزائري الى الطاعون مابين سنتي 1685-1686م وهذا حسب لعض المراسلات التي بعث بها اعضاء فرع الشركة الملكية بإفريقيا بالقالة [2].

4- المواقف من الأمراض و الأوبئة :اختلف المواقف من الامراض والاوبئة في البايلك ما بين المواقف العامة من السكان وما بين السلطة العثمانية الممثلة في البايات على مستوى قسنطينة .

4-1- موقف السكان: كان السكان يعتقدون أن مختلف الأمراض و الأوبئة التي لمستهم ، ما هي إلا عقاب من الخالق عز وجل هذا الاعتقاد جعلهم يستسلمون لها و لقضاء الله ولا يبالون بانتقال الأمراض ، حيث نجد أن النسوة كانوا لا يخشون الاحتكاك بالجثث الحاملة لمختلف الجراثيم والعدوى، و هذا دون وقاية أو خوف من انتقال المرض [3]. و هذا الاعتقاد كان سببا رئيسيا في رفض العلاج من بعض السكان منتظرين الفرج من الله [4].

كما كان الهروب موقفا و اسلوب من أهم الأساليب التي اتبعها السكان زمن الوباء، للفرار والهجرة من أماكن توافد الوباء نحو مناطق آمنة خالية من الوباء . و الهروب من الوباء لم بكن ميزة وخاصية تتعلق بسكان الجزائر والبايلك بل نجدها ترتبط بالكثير من شعوب المغرب العربي، فعلى سبيل المثال لا الحصر طاعون1627 م () بالمغرب خلف فرار عددا هائلا من سكان مراكش [5].

4-2-الحكام : لم يكن الحكام العثمانيون بالجزائر على قدر من المسؤولية اتجاه تفشي و انتشار الأمراض و الأوبئة ، فعدم المبالات بصحة السكان كان ميزة حكمهم ، كما لم تكن لهم استراتيجية اتجاه مواجهة الامراض الأوبئة كالطاعون .وهذا رغم ما قام به البايلرباي حسن بن خير الدين حيث انشاء مصحة(مستشفى صغير) 1544م فعلى مستوى مدينة الجزائر[6] ،و هذا رغم الإمكانيات

---

[1]- خياطي ، المرجع السابق ، ص 40.

[2]-نفسه ، ص 43.

[3]- القشاعي ، الصحة والسكان....، المرجع السابق ، ص 426،425.

[4]- نفسه ، 229.

[5]- نفسه، ص ص430-433.

[6]- نفسه ،ص ص 359، 360.

البسيطة ، حيث كان المريض يلزم بإحضار الفراش و الدواء و الطبيب و غيرها من ضروريات العلاج هذا على مستوى مدينة الجزائر عاصمة الايالة أما على مستوى البايلك فلم نجد للحكام العثمانيين دور في الجانب الصحي وهذا خلال القرنيين 16-17م(10-11هـ) .ليتحسن موقف الحكام على مستوى البايلك فيما بعد ، حيث نلاحظ خلال القرن 18 م نجد أن الحكام على مستوى البايلك كانت لهم سياسة صحية وقائية ، و من أمثلة ذلك صالح باي اذي ضرب طوقا صحيا حول عنابة ، حماية لها من الأوبئة وانتشارها هذا من جهة .ومن جهة ثانية عمل على منع احتكاك سكان البايلك بسكان البلاد التونسية زمن الوباء وهذا بفرضه ما يعرف بالحجز الصحي (الكارنتيتة) [1].

مثلما كان الهروب ملجا للسكان اتخذه الحكام كأسهل وسيلة للفرار من الوباء ، فالهروب كان في متناول الكثير من حكام الجزائر على اختلاف رتبتهم و مكانتهم من باشوات و بايات ،و لنا في هذه المجالات أمثلة عديدة حتى وان لم تكن تخص بايلك قسنطينة، فالباشا محمد **تركرلي** فرّ من مدينة الجزائر خوفا من الطاعون. و نفس الفعل اتخذه الباي عثمان 1794م باي وهران الذي فر من المدينة لمدة 3 أشهر مستقرا بسهل مليانة [2]

[1]- القشاعي ، الصحة والسكان....، المرجع السابق ، ص 363.

[2]- القشاعي ، الصحة والسكان....، المرجع السابق ،ص349.

المبحث الثالث :الرعاية الطبية بالبايلك :

تكاد تتفق المصادر التاريخية على انعدام الرعاية الطبية على مستوى الجزائر العثمانية ، و خاصة بايلك قسنطينة على الأقل خلال الفترة المراد دراستها .هذه الوضعية المميزة للجانب الطبي بالجزائر العثمانية ككل و بايلك قسنطينة بصفة خاصة توضحه بعض الحقائق و المعطيات و التي نلخصها في ما يلي :

1-السلبيات: من اهم السلبيات التي كان يعاني منها الجانب الصحي في البايلك نجد:

1-1- نقص الأطباء : مختلف المصادر التاريخية تذهب إلى نقص الأطباء في الجزائر العثمانية ، فهو الرحلة لوجي دي تاسي laugier de tassy ، يكاد يجزم أن الجزائر العثمانية ينعدم بها الأطباء[1].و هذا الانعدام عانا منه بايلك قسنطينة بصفة خاصة بالنسبة للأطباء الأوروبيين ، و هذا بالنسبة للفترة التي سبقت القرن الثامن عشر (18 م) [2].وحتى خلال القرن 18م يبقى هذا النقص ، فالباي صالح باي كان كثيرا ما يطلب الطبيب الاجنبي الموجود على مستوى القالة[3] ، هذا حال الباي

[1]- لزغم فوزية: الاطباء الاوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر 2 ، العدد 15-16 ، 2012-2013 ، ص162.

[2]- بوحجرة عثمان ، مرجع سابق ، ص 35، 36.

[3]- مخطوط رقم 1641 ، المكتبة الوطنية ، الاوراق : 53،56، 84.

وعاصمة البايلك فلنا أن نتخيل مختلف المناطق الاخرى .ويعود النقص في الاطباء خاصة بالنسبة للعنصر المحلي يعود بالدرجة الأولى لعدم الاهتمام بالعلوم العقلية و على رأسها الطب[1] .

1-2- مهنة التطبيب: الملاحظ على مهنة التطبيب أو الطبيب لم تكن مهنة وفق أطر وقواعد علمية ، وانما نجدها تمارس مثلها مثل باقي المهن والحرف الاخرى ، فهي مهنة تخضع لنظام التوارث ، فالابن يرث مهنة الطبيب عن الاب والحفيد عن الابن وهكذا ،وهذا ما أكده العالم هيلتون سامبسون (Sampson Hilton) هذا الاخير عاش فترة أربع سنوات بالجزائر خاصة على مستوى الريف [2].

والاكثر من هذا نجد أن مهنة الطب كانت تمارس من قبل الحفاف ، هذا الاخير زيادة على مهنته كحفاف نجده يمارس الطب والتداوي ، وهذه الظاهرة لم تقتصر على اقليم قسنطينة بل شملت القطر الجزائري عامة[3] .

أما الطبيب شاو (shaw) (الإنجليزي) فيرى أن الطبيب أو محترف الطب كان يعتمد على الأعراف المتداولة بالمنطقة [4]. لتذهب الباحثة فلة قشاعي موساوي إلى أعمق و أبعد من ذلك عندما تصف مهنة الطب على أنها مهنة يمارسها المشعوذون أكثر من ما يمتهنها العلماء و الأطباء [5]. و هذا اقرار من الباحثة على مدى التخلف الذي كان عليه المجتمع الجزائري في المجال الطبي .كل هذا ما يجرنا للحديث أو التساؤل عن من كان الطبيب و ما هي القواعد التي يعتمد عليها في ممارسة مهنة الطبيب .

---

[1]- لزغم ، المرجع السابق، ص 163.

[2]- لزغم ، المرجع السابق ، ص **161**.

[3]- شلوصر ، مصدر سابق ، ص 82.

[4]- لزغم ، المرجع السابق ، ص 162.

[5]- القشاعي ، الصحة والسكان....، المرجع السابق ، ص273.

1-3- عقلية السكان: تعتبر عقلية و اعتقادات سكان الجزائر عامة وسكان بايلك قسنطينة خاصة عاملا و سببا من أسباب تخلف الطب .فالناس على مستوى البايلك يعتقدون و يؤمنون بكرامات المرابطين و هؤلاء استغلوا هذا الوضع خير استغلال.

فلنا أن نتخيل كيف كان الناس خلال القرن 16 – 17 م (10-11هـ) علما أنهم في ثلاثينيات القرن 19 م مازالوا يؤمنون بأقوال أصحاب الكرامات الذين ادعو ا أن الوباء الذي ضرب قسنطينة 1834 م ما هو إلا شياطين أو جن يحومون في الماء لتسميم المدينة ، و تصديق الناس لذلك مما جعلهم يحملون عصيا و بدأوا يلوحون بها إلى السماء [1]، فهذا إن دل فإنما يدل على مدى تعلق السكان و إيمانهم بهؤلاء الذين يدعون الكرامات .

و فما يخص الأمراض الجنسية كالحمل و غيرها فالنسوة اتخذن من أصحاب الكرامات مقصدا لحاجاتهم و دوائهم [2]. هذا الإيمان بالكرامات لم يقتصر ذكره عند شلوصر بل ها هو لابي بواري (l'abbé poiret) يؤكد ذلك من خلال تطرقة لقضية تعليق التمائم التي يمنحها المرابطون للسكان المرضى[3]،كما أن الاعتقاد الراسخ لدى السكان و الذي مفاده أن الدواء الواحد كفيل بعلاج مختلف الأمراض [4].

1-4- العلاج ووسائله: أما فيما يخص العلاج و الأدوات المستعملة فالمصادر تكاد تتفق على بدائية العلاج و مازال تقليديا . فها هو لابي بواري (l'abbé poiret) يصف لنا العلاج لدى سكان الريف القسنطيني على أنها تقليدية بعيدة كل البعد عن العلاج الطبيي العلمي الصحيح [5].

1- شلوصر ، المصدر السابق ، ص 84.

2- نفسه ، ص84.

3- لزغم ، المرجع السابق، ص 161.

4- هابنسترايت .ج.او : رحلة العالم الاماني ال الجزائر وتونس وطرابلس ، تقديم وتعليق وترجمة ناصر الدين سعيدوني ، ط2 ، دار البصائر ، 2014، ص ص **72،73** – لزغم ، المرجع السابق ، ص161.

5- لزغم ، المرجع السابق، ص 161.

أما الرحالة الألمان هابنسترايت فيصف لنا حالة الطب و العاج على مستوى الجزائر ، حيث يذكر أن المرضى كانوا يعتقدون أن كل الأمراض يمكن أن تشفى بدواء واحد[1].

2- الامكانيات الطبية :رغم كل ما يقال عن الجانب الصحي و الطب بالبايلك من بدائية ، و عدم مواكبته لما هو حاصل في مناطق أخرى إلا أن الشيء المؤكد هو أنه كان هناك علاج لمختلف الأمراض ، حتى و إن كان هذا العلاج نسبي ، إلا أنه موجود يتماشى مع معيشة السكان . و هنا ما يجعلنا نتساءل ما هي الإمكانيات الطبية و الصحية بالمنطقة .كيف هذا العلاج ؟و إلى غيرها من الأسئلة ، سنحاول الإجابة عنها .

2-1- الإمكانيات الطبيعة :عندما نقول الإمكانيات هذا ليس معناها التطور بل الإمكانيات المتاحة للسكان حسب ظروفهم المعيشية و المادية ، فالإمكانيات من هذا المنطلق نجدها تتمثل في :

2-1-1-المواد : تعتبر الأعشاب كأهم مادة للتطبيب و العلاج ببايلك قسنطينة خاصة ، و على مستوى القطر الجزائري عامة . فالبلاد الجزائرية معروفة بتنوع غطائها النباتي و هذا تماشيا مع التنوع المناخي بالبلاد ، فالجزائر تحتوي على نحو 3500 نوع من النباتات منها حوالي 500 نوع يستعمل للعلاج و التطبيب. و تعد منطقة الشرق الجزائري و خاصة منطقة القبائل من أغنى و أشهر المناطق فيما يخص التنوع النباتي والطبي [2]، و هذا ما أكده مختلف المؤرخين فها هو الإدريسي يذكر و يؤكد أن منطقة بجاية تكثر بها النباتات كما و نوعا و من أشهرها ، القسطون ، الأفنستين ، و غيرها من النباتات ذات الاستعمال الطبي [3].

[1]- هابنسترايت ، المصدر السابق ، ص ص 72،73 . - لزغم ، المرجع السابق ، ص 161.

[2]- بوحجرة ، المرجع السابق ، ص68.

[3]- الادريسي الشريف: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية " مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " 548هـ/1154م ، صححه ونشره هنري بيريسي ، الجزائر 1957.

2-1-2-المياه المعدنية و الحمامات : تنوعت و تعددت الحمامات المعدنية لمنطقة الشرق الجزائري ، و من أهم هذه الحمامات المعدنية نجد : حمام المسخوطين(مسك الطين) [1](قالمة) ، حمام أسيف بجاية [2] و غيرها من الحمامات المعدنية الأخرى ، و التي تعد من أهم طرق ووسائل العلاج بإقليم قسنطينة.

2-2-الإمكانيات البشرية :تتمثل الإمكانيات البشرية في :

2-2-1-المعرفة : يتميز سكان إيالة الجزائر بكونهم على قدر عالي من المعرفة بالأعشاب الطبية و طرق استخدامها ، و التداوي بها[3]. و على الرغم من بدائية العلاج إلا أن المصادر الأجنبية تؤكد أن بعض الأطباء الجزائريين كان لهم مهارات و لهم دراية بعلم النباتات و هذا كان له دورا في القدرة على صناعة الأدوية من النباتات [4]. ومن اشهر من تخصص و أبرع في مجال الطب بالجزائر عامة و المنطقة الشرقية خاصة (قسنطينة)نجد:

ابن القنفذ: يعد ابن المنقذ من عماء قسنطينة اهتم بمجال الطب ، حيث ألف قصيدة حول الطب ، كما أن والده خلف لنا كتابا حول الطاعون [5].

أحمد بن قاسم ساسي البوني: من مواليد القرن 1003هـ/1594م بعنابة (بونة) ، يعتبر من علماء قسنطينة (البايلك) كان فقيها و طبيبا خلف عدة مؤلفات من أهمها تأليف بعنوان " مبين المآرب في العقل و الطب مع المشارب "ويعد هذا التاليف موسوعة صغيرة جول الادوية وطرق العلاج والاغذية وغيرها وهو كتاب قسمه صاحبة الى عدة فصول كل فصل اختص بجانب منها ما تعلق بتنويع

---

[1]- يعد هذا الحمام عن مدينة قالمة ب 18كلم درجة مياهه تصل الي 95درجة مئوية .انظر /-القشاعي موساوي ، الصحة والسكان..، مرجع سابق ، ص297.

[2]- نفسه ، ص ص 297،298.

[3]- نفسه ، ص289.

[4]- لزغم فوزية ، مرجع سابق ، ص 161.

[5]- القشاعي موساوي ، الصحة والسكان...، مرجع سابق، ص66.

الاغذية والمشروبات وغيرها ، إضافة الى اقتراح لعض الادوية الطبيعية لمعالجة مختلف الامراض كالرومان المفيد للكبد ، والعنب الجاف لمحاربة التعب[1].

إضافة الى ابن القنفذ والبوني اشتهر ببايلك قسنطينة عدة علماء منهم :حسان بن علي بن ميمون ابن القنفذ القسنطيني .أحمد يونس القسنطيني[2] .وغيرهم الكثير.

3-أساليب وطرق الوقاية: بحكم المجتمع القسنطيني مجتمعا مسلما فإنه لا بد من التطرق إلى طرق الوقاية من الأوبئة و الأمراض وفق الشريعة الاسلامية وجاء بها القرآن أو السنة . فالشريعة الإسلامية لم تترك أمر الوقاية من مختلف الأوبئة و الأمراض ، و خاصة المعدية منها . فالقرآن الكريم تضمن عدة آيات تحث على أن يبتعد المسلم عن كل شيء من شأنه أن يلحق ضررا به و بصحته حيث يقول الله تعالى : "((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا))[3]. و في موضع آخر يقول عز من قائل: ((وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**))** البقرة 195. إلى غيرها من الآيات الدالة و التي تحث على وجوب الأخذ بالأسباب[4].

أما فما يخص السنة النبوية الشريفة فنجدها لا تختلف عن القرآن الكريم من حيث طرق الوقاية و الحذر من الأوبئة و الأمراض . وهذا ما جاءت به أحاديث مختلفة .فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم ، " لا يورد الممرض على المصح " . و في رواية أخرى ((لا يوردن ممرض على مصح))[5] . و في حديث آخر يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لا عدوى و لا طيرة و لا هامة

[1]- خياطي مصطفى : الطب والاطباء في الجزائر العثمانية ، منشورات ANEP ، 2013 ، ص ص 120،121

[2]- سعد الله أبوالقاسم ، تاريخ الجزائر ... ،مرجع سابق، ج1، ص ص66،67.

[3]-سورة النساء : الآية رقم 71.

[4]- خوجة حمدان: اتحاف المنصفين والادباء في الاحتراس من الوباء ، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ، دط ، دسنة، ص81. – سورة البقرة : الآية رقم 195.

[5]- نفسه، ص ص 88-90 .

و لا صفر . وفر من المجذوم كما تفر من الأسد))[1].كما يقول الرسول صلى الله عليه و سلم عن الطاعون: " إن هذا الطاعون رجز و بقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فإذا و قع بأرض و أنتم بها ،فلا تخرجوا ، فرارا و إذا سمعتم به بارض قوم ، فلا تدخلوا عليه.)) [2].وفي قول أخر يقول صلى الله عليه وسلم : ((اذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها .))[3] .كما أن السابقين تعاملوا مع الأوبئة و على رأسها الطاعون من منطلق الحذر و تجنبه ، فها هو أبي موسى الأشعري يحث أصحابه زمن الطاعون فيقول : (لا عليكم أن تترهوا عن هذه القرية ، فتخرجوا في فسيح بلادكم ، و نرهبها حتى يرفع هذا الوباء ....).[4]. و لم يقتصر الفرار من الطاعون بل حتى الجذام كان الناس يفرون منه خشية العدوى [5]. رغم الشريعة من قرآن و سنة أتاحت الفرار و تجنب الوباء و المرض إلا أنها أكدت على أن ما يصيب الإنسان من وباء و غيره شيء كتبه الله عليه و ليس هو من فعله . حيث يقول تعالى : (قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا)[6] . و نفس الشيء تؤكده السنة النبوية يقول الرسول صلى الله عليه و سلم : (ما أصابك لم يكن ليخطئك ، و ما أخطأك لم يكن ليصيبك). و في نفس النطاق يذكر أبو موسى الأشعري [7].

أما ابن خلدون وفق نظرية للوقاية من الأمراض و الأوبئة أن على الإنسان أن يترك و يخصص مساحات بين المساكن و العمران ، و هذا بهدف تجدد الهواء و تنقية من مختلف الجراثيم و المكروبات المؤدية للأمراض و الأوبئة . فهو بهذا يؤكد أن مختلف الأمراض و الأوبئة تخلف ضحايا أكثر في المدن مقارنة بالريف [8] أمّا ابن حمادوش حتى وان جاء متأخرا فيذكر لنا قضية الحجر الصحي[1] ، حيث

---

[1]- نفسه – بن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز . محمد فؤاد عبد الباقي ، مج 11، ج 10 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

[2]- نفسه ، ص84..

[3]- بن حجر العسقلاني : المرجع السابق ، ص 152.

[4]- نفسه ، ص 94.

[5]- نفسه ، ص72.

6- نفسه. - سورة التوبة : الآية رقم 51.

[7]- خوجة حمدان ، المصدر السابق ، ص 81.

[8]-بولقطيب الحسين ، مرجع سابق ، ص23.

ذكر لنا قضية حجر مركب للحجاج قادم من الإسكندرية (1157 هـ) حاملا الوباء ، فما كان من السلطات الجزائرية إلا منعهم من الدخول و هذا خشية من العدوى ، و بعد مدة من الزمن سمح لهم بالدخول و هذا بعد التأكد من خلوهم و سلامتهم من المرض و الوباء [2].

4-العلاج و الطرق :من أهم أساليب و أدوات العلاج على مستوى بايلك قسنطينة نجد:

4-1-التداوي والعلاج بالأعشاب : كثيرا ما كان التداوي يعتمد بالدرجة الأولى على الأعشاب كمادة أساسية ، فلا نكاد نجد مرضا واحدا دون وجود علاج طبيعي له ، طبعا باستثناء الأوبئة كالطاعون ، و الكوليرا و غيرها من الأوبئة و الأمراض [3] .و من الأمراض التي عرفت لها أدوية طبيعية نباتية نجد داء الكبد و الذي يوصى لعلاجه بأكل فاكهة الرمان [4]. أما علاج الجراح فإن السكان كانوا يستعملون عدة مكونات في العسل بيض و ملح و غيرها [5].

4-2-التداوي والعلاج بالرقية :المجتمع القسنطيني مجتمع مسلم ، لذا كان من الطبيعي أن تكون الرقية إحدى أهم أساليب العلاج من مختلف الأمراض التي اصيب السكان. فكثيرا ما يلجا السكان وخاصة منهم المرضى إلى العلاج بالرقية ،وهذا ما تؤكده العديد من المصادر التاريخية. فنوازل ابن الفكون حملت لنا معلومات عن هذا النوع من العلاج ألا و هو العلاج بالرقية ،حيث تطرقت احدى النوازل لموضوع الرقية ، حيث يقول عمر الوزان : " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا رقيا من عين أو حمة معناه لا يباح ، الرقا إلا في هاتين فقط فإن الرقا مباح ، و إنما معناه لا رقا اشفع

---

[1]- الحجر الصحي : أو ما يعرف بالمحاجر الصحية والتي تعرف بالكرنتيتة ، وهي وضع أماكن مخصصة للوافدين من الخارج زمن الوباء ، وهي تشيه الاقامة الجبرية ، حيث يعزل الشخص لمدة 40 يوما ، وهذا حتي يتحقق من سلامته من الوباء . وهذه العملية كان الاوربيون يتبعونها . انظر /: خوجة ، اتحاف المنصفين ....، المصدر السابق ، ص46.

[2]- ابن حمادوش ، المصدر السابق ، ص 121.

[3]- بوحجرة ، المرجع السابق ، ص68.

[4]- القشاعي ، الصحة والسكان...، مرجع سابق ، ص287.

[5]- بفايفر ، مصدر سابق ، ص 162.

و انفع إلافي هاتين ، و قال صلى الله عليه و سلم العين حق ..."[1]. و من خلال قول عمر الوزان فإن الرقيا كانت استعمل لعلاج الكثير من الأمراض كالعين و الحمة و غيرها . و هذا يبين لنا مدى اتباع السكان لمنهج الرسول صلى الله عليه و سلم.

4-3-العلاج بمياه الحمامات: تعتبر مياه الحمامات المعدنية الأدوية التي استعملها السكان في العلاج ، و هذا نتيجة المواد التي تتكون منها هذه المياه ، كملح الكبريت و مختلف المعادن، و هذه المكونات كثيرا ما كانت أدوية للعديد من الأمراض [2]. حتى و إن كانت هذه الحمامات تدخل في اعتقادات السكان بالبركة ، و هذا يفسر لجوء البعض من السكان لهذه الحمامات بطلب من بعض المرابطين [3].

4-4-زيارة المرابطين و الصالحين : بغض النظر عن جدوى العلاج والدواء الا أنّ زيارة المرابطين و الصالحين تعد من وسائل وأساليب العلاج لدى سكان بايلك قسنطينة ، و هذا بسبب اعتقاد سكان البايلك بالشفاء على يد هؤلاء المرابطين ، إضافة إلى طلب البركة منهم. فالمرابط يمثل الطبيب في الكثير من الأحيان و الأماكن ، يرث هذه المهنة أب عن جد يرثها و يعلمها لأبنائه. فالعلاج عند المرابط تعليقها أو وضعها في أماكن معينة يحددها هو و هذا طلبا للشفاء و الوقاية [4].

4-5-العمليات الجراحية :رغم بدائية الطب و العلاج بالبايلك ككل إلا أن هذا لم يمنع من وجود استثناءات تمثلت في العمليات الجراحية التي كانت تجري ببعض مناطق البايلك ، و هذا منذ القدم منذ أكثر من 1000 سنة .فمنطقة الأوراس و جبال شرشار كانت تقام بهذه المناطق عملية جراحية تعرف **بالتربنة** تتم على مستوى الجمجمة و التي كانت تهدف إلى علاج مختلف الكسور التي كانت تحدث على مستوى الجمجمة و استئصال الأورام الدموية و غيرها[5]

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقة 584.

[2]- القشاعي ، الصحة والسكان...، مرجع سابق ، ص295.

[3]- نفسه ، ص 275.

[4]- نفسه ، ص ص 299-301

[5]- بوحجرة ، مرجع سابق ، ص ص 70،71.

الفصل السادس

الوقف ودوره في التكافل الاجتماعي ببابلك قسنطينة

المبحث الاول : الوقف : المشروعية والاهداف

المبحث الثاني : أقسام وانواع الاوقاف

المبحث الثالث : وضعية الاوقاف

يعد الوقف بنوعيه الخيري والذري من اهم مظاهر التكافل الاجتماعي الضاربة في تاريخ المجتمع الاسلامي ، فتاريخيا الوقف يعود الى القرن الاول من تأسيس الدولة الاسلامية الا وهي فترة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، فبالنظر الى الوقف من حيث الاسباب والاهداف يجعله من أهم الاساليب والوسائل المحققة للتكافل الاجتماعي سواء على مستوى الاسرة بين مختلف افرادها أو على مستوى المجتمع بين مختلف شرائحه وفئاته .من هذا المنطلق سنحاول التطرق الى الوقف ودوره في تحقيق التكافل والتضامن داخل مجتمعا مسلما محافظا كالمجتمع القسنطيني وفي فترة وحقبة تاريخية تعد مرحلة انتقالية لهذا المجتمع .

المبحث الاول : الوقف (المشروعية والاهداف)

1- تعريف الوقف:

1-1-لغة: المقصود بالوقف لغة المنع أو الحركة كقولك فلان وقف فلان أي منعه من الحركة أي ألزمه بالوقوف [1] .كما يقصد به الحبس فمنه قولك أوقفت عن الأمر أي أقلعت عنه وكلمة وقف وردت في القرآن في عدة مواضع منها " وقفوهم إنّهم مسئولون"[2] ، وقوله تعالى ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ))[3]، و كلاهما تدل على السكون كما جاء ذكر الوقف في عدة أحاديث منها: " ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ" و المقصود هنا قطع القراءة و التوقف [4] .

[1] - أحمد الرسيوني : الوقف الاسلامي مجالاته وابعاده ، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2014، ص 13 .

[2] - سورة الصافات : الآية 24.

[3] - سورة سبأ : الآية 31.

[4] - أبي عمر عثمان بن سعيد الداني الاندلسي : المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، دراسة وتحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمان المرعشي ، ط2، مؤسسة الرسالة 1987، بيروت لبنان ، ص48.

1-2-اصطلاحا (the trust) : الوقف أو الحبس مصطلح فقهي ، يقصد به نوع خاص من الصدقات ، فهو يطلق على كل الصدقات التي تتسم بالديمومة و الاستمرار [1].و قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه :"أحبس أصلها و سبل ثمرها" ، هذا الحديث و رغم قصره إلا أنه أعطى لنا تعريف للوقف امتاز بالاختصار و الدقة ، فالوقف من خلال حديث النبي صلى الله عليه و سلم المقصد به عدم التصرف بأصل الوقف ، بينما التصرف في عوائده و مختلف استثماراته في كل مجالات الخير و الإحسان و تسبيل المنفعة او الثمرة [2].و الوقف حسب المذاهب الإسلامية الأربعة نجد هناك اختلاف طفيف سنحاول التطرق إلى الوقف في مختلف المذاهب الإسلامية الأربعة.

1-2-1-عند الحنفية : عرفه المرغياني حسب أبي حنيفة فقال "حبس على ملك الواقف ، و التصدق بالمنفعة" ،و هذا التعريف أقر به الكثير من العلماء [3].

1-2-2-المالكية: حسب ابن عرفة فالوقف هو : "اعطاء منفعة شيء مدة وجودها لازما بقاؤه في ملك معطية و لو تقدير "[4].

1-2-3-الشافعية : عرفه الإمام النووي : "بأنه حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ،بقطع التصرف في قيته ، و تصرف منافعه تقربا إلى الله"[1].

---

[1]- أحمد الرسيوني ، المرجع السابق ، ص 13.

[2]- الضحيان عبد الرحمان بن ابراهيم : الاوقاف الاسلامية ودورها الحضاري الماضي والحاضر والمستقبل ، ط1 ، دار المآثر ، المدينة المنورة ، 1421/2001هـ، ص 25.

[3]- الخالد محمد عبد الرحيم : احكام الوقف على الذرية في الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة مع التطبيق القضائي في المملكة العربية السعودية ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، السعودية ، 1416هـ-1996، ص64.

[4]- نفسه ، ص 67.

1-2-4-الحنابلة : الوقف عند ابن قدامة هو : "تحبيس الأصل و تسبيل الثمرة "، وهذا التعريف نفسه ذهب إليه شمس الدين المقدسي [2].

من كل التعاريف السابقة للوقف يعتبر تعريف ابن قدامة الحنبلي "تحبيس الأصل و تسبيل الثمرة هو الأرجح و هذا كونه ":

أولا : تعريف ابن قدامة لم يعترض عليه مثلما حدث مع مختلف التعاريف الأخرى

ثانيا: أن تعريف ابن قدامة اقتصر على ذكر حقيقة الوقف دون الخوض في التعليلات الأخرى

ثالثا: أن هذا التعريف مقتبس من قول الرسول صلى الله عليه و سلم الذي اوتي مجامع الكلم [3].

2-الدلالة على الوقف: هناك عدة أقوال أو صيغ تدل على الوقف ، أو على إنشائه[4] ، فهناك صيغ تكون صريحة و تتمثل في الوقف كأن يقول وقفت .و الحبس: كأن يقول حبست، أو التسبيل كأن يقول الموقف سبلت و هناك صيغ تكون كناية و هي صيغ أو كلمات كمثل معنى يدل على الوقف أو الحبس و هي : تصدقت ، و حرمت ،أبدت [5] ، كما نجد مصطلح اعمر مثلما حملته احدى النوازل التي طرحت على العالم محمد المشدالي حيث جاء على لسان صاحبها بقوله: " ...جوابكم الراجح .ورايكم المصيب الناجح .في مسئلة (مسالة) رجل اعمر ولده محمد ارباعا وكل ذكر يحدث له ..."[6].

---

[1]- الخالد محمد عبد الرحيم ، ص68.

[2]- نفسه ، ص 72.

[3]- نفسه ، ص72.

[4]- أفندي حيدر : ترتيب الصنوف في احكام الوقوف ،ترجمة وتعليق اكرم عبد الجبار –محمد احمد العمر ،ضبط نصه ابو يوسف حسن ابن البشير الطيلوش، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ص93.

[5]- صالح الصالح محمد بن احمد : الوقف في الشريعة الاسلامية واثره في تنمية المجتمع،ط1 ، الرياض ، 1422هـ-2001، ص ص 77-78. - افندي حيدر ، المرجع السابق ، ص 93.

[6]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقة 303.

3- أركان الوقف : لوقف أربعة أركان تتمثل في الواقف (المحبس) ، الموقوف عليه ، المال الموقوف ،الصيغة . وهذا باتفاق المالكية ، الشافعية ، الحنابلة [1].

3-1-الواقف (المحبس): و يتمثل في صاحب الملك أو المال المحبس والواقف لابد من توفر شروط فيه من أهمها:

أ- **العقل** :وهو شرط أجمع عليه العلماء

ب- **البلوغ**

ج- **الحرية** :ليس عبدا وهذا بإجماع العلماء .

د-أن يكون محجوز عليه لأي سبب من الأسباب [2]،كالسفه و الغفلة .....

ه-سبب افلاسه (غير محجوز عليه).

و – عدم المرض مرض الموت عند قيامه بالتوقيف وهنا يكون الوقف مقدار الوصية وهو الثلث.

ي-أن لا يكون مكرها على فعله و تصرفه [3].

3-2-المال الموقوف: و يشمل مختلف الأموال الموقفة له عدة أشكال، عقارات، منقولات، و غيرها من الأموال، و المال الموقوف له شروط من أهمها:

** مملوكا للمواقف ملكا تاما[4]

---

[1]-الخالد محمد: المرجع السابق ، ص 91.

[2]- صالح الصالح : المرجع السابق ، ص ص 62،61.

[3]- نفسه ، ص 65.

[4]- نفسه، ص71.

** أن يكون معلوما وقت الوقف.

** يكون ثابتا (عقار-منقول).

** يباح الانتفاع به.[1]

3-3- الموقف عليه: و يتمثل في الجهة التي أوقف لأجلها [2]، و من بين الشروط التي يجب أن تتوفر في الموقوف عليه نجد:

أ) أن تكون الجهة جهة بر ب) غير منقطعة

ج) أن لا يعود الوقف على صاحبه (الواقف). د) أن يكون لجهة يصح ملكها أو التملك لها.[3]

4- أسباب الوقف: إذا كان السبب ديني واضح و جلي ،و الذي يعد أهم سبب و دافع لتوقيف الناس و تحبيسهم فهناك دوافع و أسباب أخرى نلخصها فيما يلي:

4-1-الأسباب الاقتصادية: أدت الضرائب المفروضة على السكان و التي تنوعت و تعددت مما أثقل كاهلهم ،فلجأ العديد منهم إلى جعل أملاكهم وقفا أو حبسا ، و هذا الوقف للهروب من ثقل الضرائب ، ففي هذا المجال ترى الباحثة موساوي قشاعي أن الكثير من الأراضي ببايلك قسنطينة تحولت إلى أراضي وقفية و هذا بسبب الضرائب المفروضة على سكان المنطقة (البايلك)[4].

---

[1]- الضحيان عبد الرحمان : المرجع السابق ، ص ص 34،35.

[2]- نفسه ، ص ص 34،35.

[3]- صالح الصالح : المرجع السابق ، ص 67.

[4]- القشاعي موساوي فلة :النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1830، القافلة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2015 ،ص 161.

4-2-الاسباب الاجتماعية :لعب السبب الاجتماعي دورا فعالا في توقيف الناس لممتلكاتهم ، فالتوقيف على الابناء نابع من الخوف عليهم من نوائب الزمن ، كما ان التوقيف على الاقارب والاهل نوع من التكافل والتضامن معهم ، وفي نفس المجال يكون الوقف الخيري فالتوقيف على الفقراء والمساكين واليتامى وعابري السبيل وغيرهم من المحتاجين يكون فيه الدافع الاجتماعي حاضرا وفعالا.

5-مشروعية الوقف : يعتبر الوقف من الأفعال الإيجابية التي جاء بها الإسلام ، ولقد أكد كلا من الكتاب و السنة على مشروعية هذا العمل الخيري ، و سنحاول تقديم أدلة من الكتاب و السنة تجيز و تحث على الوقف و الحبس .

5-1-القرآن : من منظور عمل لوجه الله من أجل الثواب نجده يتماشى مع ما جاء به القرآن والآيات كانت صريحة في ذلك [1]. الكثير من الآيات و في واقع متعددة تحث على فعل الخير و الإحسان و البر و غيرها من أعمال الخير ، و هذا المقصد و الهدف هو الذي جاء من أجله الوقف (الحبس) [2] ، فمن الآيات التي حثت على فعل الخير نجد: قوله تعالى:" لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ:"[3].

و قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[4]

---

[1]- الخالد محمد ، المرجع السابق ، ص07.

[2]- الضحيان : المرجع السابق، ص 26.

[3]- آل عمران 92.

[4]- سورة الحج : الآية 77.

و قال تعالى: " إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم "[1]. هذه الآيات و غيرها دليلا صريحا على مشروعية الوقف في حياة المسلم. و هذا لما له من منفعة على المجتمع.

5-2-السنة النبوية: من الأحاديث التي جاءت تحث على فعل الخير و الاحسان قول الرسول صلى الله عليه وسلم: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه و هذا بعد أن غنم أيضا بخيبر قوله:" ان شئت حبست أصلها و تصدقت بثمرها" [2] .و كذلك قول الرسول صلى الله عليه و سلم لأبي طلحة بعد جعل من أمواله له صدقة، قال: "... ذلك مال رابح ،ذلك مال رابح ،وقد سمعت ما قلت و إني أرى أن تجعله في الأقربين ، فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة بين بني عمه و أقاربه ..." [3]. كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم طبق فعل الوقف من خلال تأسيسه لمسجد قباء و الذي يعتبر أول وقف في الاسلام ،كما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، سبعة بساتين كان قد أوصى بها مالكها اليهودي مخيريق الذي قتل في غزوة أحد ، اوصى بها للرسول صلى الله عليه وسلم [4].

[1]- سورة التغابن : الآية 17.

[2]- الضحيان : المرجع السابق ، ص 26.

[3]- نفسه ، ص27.

[4]- نفسه ،ص28

5-3-الإجماع : اتفق جمهور العلماء من المذاهب الأربعة (مالكية ،شافعية ،حنبلية ،حنفية) على أن الوقف جائز من الناحية الشرعية في مختلف الأشياء دور أراض و غيرها، و رأوا أنه عمل صالح مستحب [1].

6- تاريخ الوقف: يعتبر الوقف من المظاهر الاجتماعية التي لها جذور في التاريخ ، فالوقف لم يكن ميزة خصت بها الحصبة التاريخية الحديثة ، بل نجده وجد مع بداية الدولة الاسلامية التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم .

6-1-أوقاف الرسول (صلى الله عليه وسلم): فحسب بعض الدراسات فإن أول وقف في الاسلام كان مسجد قباء[2]والذي يعتبر أول مسجد بني في الإسلام ، إضافة إلى المسجد النبوي بعد ذلك[3]..

6-2-أوقاف الصحابة : سار الصحابة رضي الله عنهم على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحبا لفعل الخير و الإحسان خدمة للناس و للدين. فمن بين أشهر أوقاف الصحابة رضوان الله عنهم وقف عثمان بن عفان جاء فيها :" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تصدق به عثمان ابن عفان في حياته ، تصدق بماله الذي بخيبر يدعى مال ابن أبي الحقيق ، على ابنه... ، صدقة بتة ،

[1]- صالح الصالح ، المرجع السابق ، ص 27-28.

[2]- الحجيلي عبد الله بن محمد لب سعد : الاوقاف النبوية و وقفيات بعض الصحابة الكرام ، دراسة فقهية –تاريخية –وثائقية ، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية ، مكتبة الملك عبد العزيز المدينة المنورة ، 25-28 محرم 1420هـ، ص26.

[3]- نفسه ، ص26.

بتلة لا يشتري أصله أبدا ، ولا هب ، ولا يورث ، يشهد علي بن أبي طالب ، و أسامة بن زيد ، و كتب"[1].

وقفية عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم : " هذا ما أوصى به عبد الله : عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين أن حدث به حدث ، ان شمغا ، و صرمة بن الأكوع ، و العبد الذي فيه ، و المائة سهم الذي بخيبر ، و رقيقة التي فيه و المائة الذي أطعمة لرسول الله صلى الله عليه و سلم بالوادي ، تليه حفصة ما عاشت ، ثم ذوي الرأي من أهلها ، ولا يباع و لا يشترى ، بنفقة حيث رأى ، من السائل و المحروم ، و ذوي القربى ، و لا حرج من وليه على من وليه ، إن أكل أو آكل ، أو اشترى رقيقا منه "[2] .و في رواية لأبي داوود : " وكتب معيقيب ، و شهد عبد الله بن الأرقم " [3].و تعتبر هذه أول وثيقة وقفية و اشهرها في الاسلام ، جاء ذكرها عند أهم الروات البخاري ، مسلم ، الترميذي ، النسائي و غيرهم [4]. اشتملت هذه الوثيقة على شرط الموقوف لصحته و منها أن يكون معلوما ، و ملكا للواقف ، و أن يكون عينا معينة ، و شروط الواقف : تحصر الوقف في بعض الأموال لحديث و إلى الوقف ، النص على أنه مؤبد [5].

إضافة إلى أوقاف كل من :علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، الذي أوقف أرض ينبع على الفقراء و المساكين .و الزبير بن عوام الذي أوقف بيوتا له على أولاده الاتباع و لا تورث و لا توهب

[1]- حيدر أفندي : المرجع السابق ، ص10.

[2]- الحجيلي عبد الله : المرجع السابق، ص40

[3]- نفسه ، ص 41

[4]- نفسه ، ص 43.

[5]- نفسه ، ص ص 51،50.

. كما وضع شرطا في الوقف و هو أن التي تطلق من بناتها لها الحق في السكن فإن تزوجت تفقد هذا الحق و لها ما لغيرها من ثمر الوقف [1].أما أنس فقد وقف دارا له ،و وقف ابن عمر حقه من دار عمر مأوى لذوي الحاجات من أسرة عمر[2]. أما من النساء فنجد عائشة أم المؤمنين و أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فكلاهما حبست داراحبست دارا لها بالمدينة المنورة [3].

7- أهداف ودور الوقف : الأوقاف من بداية نشأتها يخدمها لتحقيق أهداف نبيلة ، و قامت بأدوار فعالة و مهمة في تنظيم المجتمع الاسلامي و تسيير شؤونه و هذا من خلال مختلف أنواع الأوقاف ، من توقيف على الأيتام إلى التوقيف على المواقف العمومية [4] ، إلى أوقاف المساجد و المدارس .

فالأوقاف تحث على التضامن و التكافل الاجتماعي الاسلامي فهي عمل إنساني اتخذ صبغة دينية خدمة للمجتمع بكل شرائحه من هذا المنطق يصفة أحد الباحثين فيقول " الأوقاف عمل اجتماعي ، دوافعه في أكثر الاحيان اجتماعية و أهدافه دائما اجتماعية"[5]. فالوقف أو الحبس عملا و فعلا استثماريا بالدرجة الأولى .فالموقف قام بتمويل أمواله من حالة الاستهلاك إلى حالة الاستثمار و هذا الهدف أنتج أرباحا متخذة عدة أشكال منافع و خدمات ، تستثمر من أجل تحقيق هدف

[1]- الضحيان : المرجع السابق ، ص 29.

[2]- نفسه ، ص29.

[3]- نفسه ، ص ص30،31

[4]- نفسه، ص 97.

[5]- نفسه ، ص98،99.

يتمثل في الخير و الإحسان [1]. و منه فالوقف وجد وجاء لتحقيق هدفين رئيسي : المصلحة العامة و المصلحة الخاصة.

فالمصلحة العامة تتمثل في تحقيق التكامل و التكافل الاجتماعي الذي يتمثل و يتجلى في الإحسان و الاهتمام بمختلف الشرائح الاجتماعية التي هي في حاجة اليه و المتمثلة في المحتاجين الفقراء و الأيتام .و لم يقتصر هدف الوقف على دعم الفئات المحرومة السابقة الذكر بل كانت له أهداف أسمى من خلال الاهتمام بطلبة العلم و المعاهد و غيرها من الأعمال الإنسانية [2].أما المصلحة الخاصة ففي هذا الجانب نجد أن الواقف أو صاحب الوقف تحتمت في فعله العاطفة الفردية الانسانية و التي وجهته إلى الاهتمام بالأقربين اليه بداية من عائلته و أفرادها .فهو من وراء وقفه أراد أن يحقق و يؤمن للأبناء ومن بعدهم الأحفاد مصدرا من المال و هذا خوفا عليهم من المستقبل [3].

7-1-الدور الديني : يعتبر الدين هو أساس انشاء و ظهور ظاهرة أو عملية الوقف ، فالناس كان همهم الأول هو المطلب الديني الذي يتمثل في طاعة الله و الرسول (صلى الله عليه و سلم) ، و التقرب اليه طلبا للأجر و الثواب . ، من هنا جاء انشاء المساجد و صيانتها و اعمارها [4].

فالأوقاف تعتبر المصدر الأول للمسجد ليستمر في نشر رسالته ،فالوقف كان له الدور الكبير و الرئيسي في بعث و احياء المسجد و من ثمة لعب دوره في حياة المسلم و التي لا تقتصر على العبادة و الصلاة [1].

---

[1]- صالح الصالح ، مرجع سابق ، ص 50-51.

[2]- نفسه ، ص 51.

[3]- نفسه ، ص 51.

[4]- نفسه ، ص ص 71-74.

7-2-الدور الاجتماعي : يعتبر الوقف أو الحبس أهم نظام يحقق التكافل و التضامن الاجتماعي فالوقف له دافع ووضعية انسانية اجتماعية تكون في حكم الواجب خاصة في أوقات و مجتمعات خاصة فالتمايز بين الأشخاص من حيث الفقر و الغنى ، الصحة و المرض أمر محتم لذا من حكمه تعالى أن جعل التراحم بين مختلف فئات المجتمع واجب ،فالفقير يحتاج و له حق اتجاه الغني و الضعيف ينتظر اعانة القوي [2]. فالمجتمعات المسلمة تكون كتلة واحدة دعامتها روح التكافل و التضامن و التعاون بين افرادها فالوقف ما هو إلا تصرف طبعي من المسلم اتجاه أخيه [3].فالمسلم من واجبه عمل الخير لأهله و لإخوانه.

فالوقف في نوعه الذري أو الأهلي يعد أهم سبب لضمان مستقبل الذرية و الأبناء أو الأهل بصفة عامة ،و حمايتهم من الحاجة و السؤال مستقبلا [4].ونوازل ابن الفكون حملت لنا الكثير من الاوقاف العائلية او ما يعرف بالوقف الذري أو الاهلي والذى شمل مختلف الانواع ، فهناك من يقف ارضا ، وآخر حبس دار ، وآخر جنة وغيرها من الاوقاف[5] .

اما على مستوى الوقف الخيري فعلى مدى التاريخ الاسلامي كثيرا ما أوجدت اوقاف لخدمة الفئات المحرومة في المجتمع الاسلامي ومن ضمن هذه الفئات فئة اليتامى حيث هناك عدة وثائق تعود للفترة المملوكية بمصر حملت و نصت على التضامن مع فئة اليتامى و هذا من خلال الحث و الاعتناء

---

[1]- الضحيان : المرجع السابق، ص 69.

[2]- صالح الصالح ، المرجع السابق، ص202.

[3]- نفسه، ص 202.

[4]- السرجاني راغب : روائع الوقف في الحضارة الاسلامية ،اشراف عام داليا محمد ابراهيم ، ط1،2010 ، ص09.

[5]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، ورقات :372،357،356،325، 461،390.

بلباس اليتامى و هذا في فصل الشتاء ليحميهم من قره و في فصل الصيف يقيهم من حره [1].كما وجد الفقراء والمساكين نصيب من الاوقاف والاحباس تقيهم من تعب الحياة [2].

7-3-الأهداف العسكرية : حتى و إن لم تتطرق نوازل ابن الفكون إلى توقيف أو تحبيس أملاك لخدمة المجال العسكري إلا أن لا ينفي وجود أوقاف تخص و موضوعة في خدمة هذا المجال ، والتي منها أوقاف تخص الأسرى وافتدائهم ، وأخرى تخص المجاهدين في سبيل الله [3] ،و هذا الأمر معروف عن المسلمين و حبهم لمن يرابط و يجاهد في سبيل الله.

7-4-الأهداف الثقافية و العلمية : خصص الواقفون جزءا من أموالهم لهدف نبيل و هو خدمة العلم ونشره و الحفاظ عليه من خلال التحبيس أو التوقيف على دور العلم كالمدارس و روادها من طلبته و غيرهم [4]. وفي هذا المجال يذكر ابن خلدون بقوله :"...و قد كسدت بهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه و انقطاع سند العلم و التعليم ...و ووجود الاعانة لطلب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم" [5].وهذا ما حملته لنا بعض نوازل ابن الفكون[6].

7-5-أهداف صحية : هناك نوع من الاحباس موجهة لخدمة الجانب الصحي ، وهذا لمختلف الفئات بصفة عامة أو لفئات معينة من المجتمع. وهذا الهدف نجده يتجسد في بناء المستشفيات و المصحات و غيرها من الهياكل الصحية [7].

---

[1]- الضحيان ، المرجع السابق ، ، ص 105.

[2]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 351،459.

[3]- السرجاني راغب : المرجع السابق ، ص 09.

[4]- نفسه ، ص09.

[5]- الضحيان ، المرجع السابق ، ص 104..

[6]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق، ورقة 273،392،393.

[7]- السرجاني راغب : المرجع السابق ، ص09.

المبحث الثاني : أنواع الوقف

حملت لنا نوازل ابن الفكون انواع مختلفة من الاوقاف يمكن ان نقسمها الى قسمين رئيسيين وهما : الوقف الاهلي (الذري) والوقف الخيري ، كما يمكن ان نظيف قسما ثالثا وهو قسم مشترك بين الاهلي والخيري يطلق عليه الوقف المشترك.

1- الوقف حسب الجهة الموقوف عنها : ينقسم هذا الوقف إلى نوعين ويمكن نظيف نوع ثالث بينهما.

1-1- الوقف الخيري : يكون هذا الوقف في البداية على جهة خيرية ، و أما أن يستمر أو يؤول إلى شخص أو أشخاص معنيين [1]. يدخل فيه الفقراء ، اليتامى ، المساجد و غيرها [2]. الهدف و الغرض منه هو الأجر و الثواب من الله تعالى [3].

1-2- الوقف الأهلي : نجده يعرف بالمعقب بالمغرب أو ما يعرف بالذري[4] و هذا الوقف يحبسه المحبس على ذريته و التي تدخل الأولاد و الأهل [5] ،و قد يكون في البداية على النفس أو على شخص معين و أحيانا نجده يؤول في النهاية إلى جهة خير أي يتحول إلى وقف خيري[6].

1-3- الوقف المشترك : هناك من يرى أن هذا نوع من الوقف و هو يكون مشترك بين الأهلي و الخيري يكون في البداية بين الأهلي و الخيري في وقت واحد[7].

---

[1]- الخطاب المالكي يحي بن محمد بن محمد: أحكام الوقف ، اعداد عبد القادر باجي ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، 2009/1430، ص 26 .

[2]- صالح الصالح : مرجع سابق، ص53 .

[3]- الضحيان ، المرجع السابق، ص32 .

[4]- أحمد الريسوني : مرجع سابق ، ص 28.

[5]- الضحيان : مرجع سابق ، ص ص 32،33..

[6]- الخطاب المالكي يحي: المرجع السابق ، ص 26. :

[7]- صالح الصالح : مرجع سابق، ص 55

2- الوقف من حيث المال الموقوف: أو حسب المحل المراد توقيفه [1]، و هذا النوع يمكن تقسيمه إلى:

أ) **أوقاف العقارات** :وتتمثل في المباني (الدور ، الحوانيت) ، الأراضي ، الآبار ، البساتين و غيرها[2].

ب) **أوقاف المنقولات** : و هي مختلف الأشياء التي تنقل و تكون وقفا كالكتب ، الحيوانات ، السلاح ، و غيرها [3].

3- الوقف الأهلي (الذري): احتل الوقف الذري أو الأهلي ببايلك قسنطينة و من خلال نوازل ابن الفكون الحصة الأكبر و المرتبة الأولى في عدد النوازل التي حملت لنا تحبيسا أو وقفا ذريا (أهليا). هذا العدد الهائل من النوازل حول الوقف الذري بين لنا حجم التضامن الاسري من جهة و من جهة ثانية مدى خوف الآباء على الأبناء و حرصهم على تأمين حياة كريمة لا بنائهم و أعقابهم ، ومن جهة ثالثة المحافظة على أملاك لهم من المصادرة . هذه الأوقاف تنوعت حسب الأشياء الموقوفة فهناك من وقف أراضي و آخر وقف دارا أو جزء منها ، و آخر وقف حانوتا أو كوشة و آخر وقف بستانا أو جنة و غيرها من العقارات و المنقولات. كما نجد أن الوقف الأهلي (الذري) لم يقتصر على الأبناء و الأحفاد بل نجده هو أيضا شمل عدة أصناف منها ابناء الأخ، الاخوة أبناء العم و غيرها من الأهل و الأقارب هذا التنوع في المستفيدين من الحبس يؤكد مدى التضامن داخل الأسرة أو العائلة الكبيرة على مستوى البايلك . من هنا سنحاول التطرق الى مختلف الاوقاف الاهلية والتي حملتها لنا النوازل وهذا من خلال تقسيم الوقف حسب الواقف له أو المستفيد منه.

[1]- الضحيان :مرجع سابق، ص 32-33.

[2]- الخطاب المالكي يحي: المرجع السابق ، ص 26.

[3]- نفسه ، ص 26.

3-1- الوقف على الأبناء: يمثل الأبناء مكانة خاصة عند الأولياء خاصة و الأسرة عامة ، وهذا ما يفسر حجم و تعدد الأوقاف عليهم كما تنوعت حيث شملت مختلف العقارات و المنقولات .

3-1-1- العقارات :جاء وقف العقار من أراضي بساتين ،منازل ،و حوانيت و غيرها من الأملاك العقارية في المرتبة الأولى من حيث تحبيسها على الأبناء ، و هذا نتيجة لما تمثله هذه العقارات من قيمة معنوية و مادية لدى الموقف و الموقوف عليه على حد سواء.

3-1-1-1-الأراضي و الجنات: تعد الأرض والجنات من أهم الاشياء التي يملكها الفرد أو الشخص ، لها قيمة معنوية و مادية فهي رمز للأصالة و التواجد لذا يحرص الكثير من الآباء على تمليكها للأبناء حفاظا عليها و حماية لها من الضياع و تأمين الحياة للأبناء من جهة ثانية. و سنحاول عرض بعض الحلات لتحبيس اراضي وجنات على الأبناء في بايلك قسنطينة و هذا من خلال التعرض للنوازل التي حملت لنا هذه المعلومات ، فها هي احدى النوازل المعروضة على يحي المحجوب تمدنا بمعلومات حول تحبيس عدة أراضي من خارج قسنطينة ، حبسها مالكها على أبنائه حيث يذكر السائل: " ... أن جميع الأراضي المشتركة المعروف احداها بكذا و الثانية بكذا من أراضي المالح و الثانية بكذا من أراضي واد الرمل و الرابعة بكذا من أراضي فج الله و أكفر كل ذلك خارج مدينته قسنطينة محبسة من قبل زيد المذكور على أعقابه ثم على أعقاب أعقابه ذكورا و إناثا ما تناسلوا وامتدت فروعهم ....بتاريخ أوائل شهر الله رجب العز عام ستة وسبعين و تسعمائة بشهادة عدلين من عدول البلد المذكور"[1].

ونازلة أخرى تصب في نفس الموضوع الا وهو تحبيس عل الأبناء من طرف المدعو أبو عبد الله محمد بن باديس و حتى و إن كانت النازلة لم تشر إلى طبعته الشيء أو الملك الموقف إلا أننا من خلال استقرائها وجدنا أنها تتكلم عن غلة الشيء الموقوف و الذي لا يخرج عن أرض أو جنة أو غيرها من

[1]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، ورقة 390.

الأملاك التي لها غلة و هذا ما جاءت به النازلة :"شهد الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابي عبد الله محمدبن باديس أنه حبس على أولاده الصغار الذين في حجره ...وهم محمد و فاطمة و امة الواحد وعلى كل ولد يحدث له بعد ذكرا كان أو أنثى..."[1].

و من أشهر النوازل التي تناولت الوقف على الابناء النازلة التي تناولت وقفية أ افراد عائلة ابن الفكون والتي تعد أحد أعرق وأشهر العائلات على مستوى بايلك قسنطينة ، فالنازلة تعرضت لأبي الفضل قاسم ابن أبي زكريا بن يحي القاضي الذي حبس عدة أراضي و أملاك له على أبنائه الذكور منهم و البنات ، هذه النازلة سئل عنها العديد من الفقهاء من مصر ،تونس ، وفاس، عرضت و نزلت بمحمد بن عبد الكريم الفكون[2] جاء فيها : "...بعد ان استقر على ملك الشيخ الفقيه ...القاضي الاعدل ابي الفضل قاسم...المؤلف أبي زكرياء يحي جميع كذا و كذا داخل كذا و خارجها أشهد الآن الشيخ المذكور أنه حبس جميع ما استقر على ملكه من الأماكن المذكورة و المشار إليها كاملها ..على ولده فلان القريب عهد البلوغ و شقيقته فلانة و فلانة الصغيرتين في حجره و تحت ولاية نضره و على ابنتيه فلانة ...وعلى اعقابهم و اعقاب اعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الاسلام و ذلك كله بتاريخ أواخر شهر رمضان المعظم قدره عام ثلاثة و ستين و تسعمائة " [3].

3-1-1-2-الحمامات والافران : ولم يقتصر التحبيس والوقف على الابناء على الأراضي بل نجد هناك أملاك و عقارات أخرى منها الحمام و الكوشة وغيرها ، حيث يذكر السائل

[1]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، ورقة 353.

[2]- جد صاحب النوازل .

[3]- نفسه ، ورقتين : 325،326.

:"....ويعقب ذلك بخط محبسه . ما نصه الحمد لله في علم شهوده حيازة الفقيه عبد الكريم المذكور للحمام و الجنات و كوشة الجص بعقد الكرى و المساقات الحوز التام ....بتاريخ أواسط شوال عام خمسة و ستين و تسعمائة .فلان وفلان..."[1]

3-1-1-3-الدور(المساكن): تعتبر الدور أو المنازل من العقارات التي لها أهمية لدى السكان بايلك قسنطينة لما تمثله هذه الدور من قيمة مادية و معنوية ، فهي المأوى و الملجأ كما أنها رمز للعرض ،فهي تمثل رأس مال للأشخاص ،هذه الأهمية تظهر من خلال تحبيس الكثير من السكان للدور على أبنائهم حفاظا عليهم من التشرد و ضمان مأوى لهم مستقبلا و هذه الأوقاف حملتها العديد من نوازل ابن الفكون فها هي نازلة جاء فيها :"...أن جميع الدار المذكورة و كافة حقوقها حبست على الفقهاء أولاد المذكور أعلاه الذين من ذريتهم .و على أعقابهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم" [2].

وفي نفس الموضوع جاءت نازلة أخرى طرحت على السيد علي الاجهوري و التي تناولت قضية تحبيس دار على الأبناء و أعقابهم و التي يبدو أنها كانت في حالة متدهور من انهدام الحيطان و غيرها و هذا ما تؤكده النازلة على لسان السائل : "...بعد البسملة و التصلية الحمد بعد أن رفع فلان الفلاني الشريك في الدار الشرقية الباب السفلى الملاصقة للدار الكبرى المعروفة بسكن أولاد فلان الكاينين بكذا من بلد كذا و أخذ المحبس عليهم النصف و ثمنه منها ...و ايصال النفع للمحبس

---

[1]- ابن الفكون محمد ، الورقة 326.

[2]- نفسه ، الورقتين : 356،357.

عليهم المذكورين لانهدام الساس المذكورة من قبليها و جل حيطانها و ملاعبها و سقفها..."[1]،و نفس النازلة تتطرق إلى موضوع تحبيس دار على الابن و هذا ما يبينه السائل بقوله: "الحمد لله يشهد من يتسمى عقب تاريخه أنه لم يزل يسمع سماعا ماشيا مستفيضا على السنة أهل العدل و غيرهم أن جميع الدار التي بموضع كذا وحدها كذا محبسه على بني فلان و أنها لم تزل تحاز بحوز الاحباس و تحترم بحرمتها....." [2].

و تحبيس الدور و المنازل من قبل الآباء تكون على الولد الذكور بالدرجة الأولى و حتى إن دخلت الأنثى في الحبس فإن ذلك يكون بشروط كأن يشترط الوالد أن لا تدخل الأنثى إلا في حالات خاصة تتمثل في العزوبية و ما إن تتزوج حتى تفقد هذا الحق و الحالة الثانية التي يحق للأنثى أن تستفيد من الحبس هو التألم ففي هذه الحالة يعود لها الحق السابق، و نحن هنا لا نحكم عن هذه الأوقاف حكما شرعيا يقدر ما نوضح مدى خوف الآباء على الأبناء هذا الخوف يتجسد في هذه الأوقاف و التي سنتضمن لهم و لأولادهم على الأقل المأوى و أما حرمان البنت من الحبس إلا في حالات فإن هذا ربما يكون له أسبابه الاجتماعية و الا على رأس الخوف من خروج الأملاك من العائلة نحو الغير و تفتها . حيث جاء في احدى النوازل ما يلي : "....اشهد الفقيه فلان ....أنه حبس جميع الربع الذي يذكر بعد و هو جميع دار سكناه القبلية وجميع كذا وكذا حبس جميع ذلك على أولاده بلقاسم و شقيقته رحمونة و كافية ...الصغار في حجره و تحت ولاية نظره ....و على أعقابهم و أعقاب اعقابهم ما تناسلوا .....للذكر مثل حظ الاثنين و اشترط في حبسه ألا تدخل

[1]- نفسه، الورقة 372.

[2]- نفسه ، الورقة 430.

الانثى إلا اذا كانت عزباء فان استغنت بزوج كان حضها(حظها) في ذلك لم في طبقتها ......فإن تأيمت عاد لها حضها(حظها)..." [1].

و نازلة أخرى تصب في نفس الموضوع و هو تحبيس الدار على الذكور أما الاناث فإن حق الاستفادة يبقى مشروطا و هذا ما أكدته احدى النوازل حيث يقول صاحبها :" اشهد محمد أنه حبس جميع دار سكناه على ولده عبد الله و على كل ولد يحدث للمحبس ذكرا كان أو أنثى ....و اشترط في تحبيسه المذكور أنه لا يكون لكل أنثى ممن سيوجد له أو من عقبه و عقب عقبه مع وجود الذكور إلا السكن خاصة قبل التزويج أو بعده إذا تأيمت فإذا انقرض الذكور كلهم يتصرف من بقي من البنات و لو واحدة بالسكن و الاستغلال..." [2].

و أحيانا نجد أن الاباء يحملون على تحبيس جزء من مساكنهم على الابناء مثلما فعل أحد الأشخاص يدعى ابراهيم بن محمد و الذي حبست على محمد الصغير و أولاده [3].

3-1-1-4-الحوانيت: احتلت الحوانيت حيزا من الاحباس والاوقاف على الابناء نظرا لما تمثله الحوانيت هذه من قيمته و مصدر رزق للأبناء و الأحفاد، فالحوانيت باعتبارها مشاريع استثمارية و موردا هاما لمداخيل الأبناء سواء من خلال استغلالها في التجارة مباشرة أو عن طريق كرائها . هذا المورد أراده الأولياء أن يكون خير ضمان و تضامن مع الأبناء أمام نوازل الدهر ، فعملوا على تحبيسها عليهم حماية لمصدر رزقهم ، حيث يذكر السائل : "...و أشهد أيضا أنه حبس جميع

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر السابق ، ورقة 454.

[2]- نفسه، ورقتين : 452،453.

[3]- نفسه ، الورقة 392.

الحانوت على من ذكر أعلاه ....و اشهد أيضا انه حبيس جميع الحوانيت المخرجة منها على ولده عبد الله المذكور و على عقبه و عقب عقبه للذكر مثل حظ الأنثيين..."[1].

3-1-1-5-عقارات متنوعة: هناك عدد من النوازل تطرقت على تحبيس عقارات على الأبناء لكنها لم تفصح عن نوعية هذه العقارات أراضي كانت أم غيرها من العقارات لذلك ارتأينا أن نعرض بعض النوازل التي سكتت عن نوعية الوقف (الملك)،من مجمل النوازل نجد نازلة عرضت على القاضي علي بن القاضي جار الله ابن ظهيرة القرشي الحفصي من أهم ما جاء فيها : " ما قولكم رضي الله عنكم في رجل وقف عقارا على ولده عليه و بنته سعادة ثم على اولادهم و أولاد أولادهم..." [2].

3-1-2- اوقاف متنوعة : العديد من النوازل لم نتطرق إلى نوعية الملك المحبس (الموقف) على الأبناء ،و هذا ما جعل من الصعب حصر هذه الأوقاف كما يجعلنا نطرح الكثير من التساؤلات حول نوعية هذه الاملاك هل هي عقارات أو منقولات، ومن النوازل التي تطرقت للحبس دون ذكر الأشياء و الاملاك المحبسة ، نازلة جاء فيها :"...أشهد ابو الطيب أنه اوصى بثلث ما يخلفه موروثا عنه من قليل الأشياء و كثيرها الربع و غيره لمن يتزايد عند ولده موسى الصغير في حجره ثم لأعقابه من الذكور ما تناسلوا....بتاريخ أواسط قعدة الحرام عام أربعة و ثمانين و تسعمائة " [3].

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، ورقة 453.

[2]- نفسه ، الورقة 359.

[3]- نفسه ، الورقة 461.

ونازلة اخرى جسدت روح التضامن و التكافل بين الأب و الابن هذا الأخير و كان فقيرا حيث يذكر السائل أن زوجته طلقت عنه لأنه عجز عن النفقة عليها وهذا ما يتضح لنا من قول السائل : "...و يقضي به على موسى المذكور أم لا لأن موسى الموصى لا يتزايد فقير من فقر(فقراء) المسلمين و طلقت عليه الزوجة لعجزه عن اجراء النفقة عليها جملة ولا وجد سبيلا لإحياء نفسه فضلا عن الزوجة و قصد والده بما فعل تخصصه بالنفع و استغنائه عن المسئلة (المسألة) هو و عقبه ..." [1].و في نفس المجال جاءت نازلة اخرى حاملة لنا تحبيسا مبهم نوعه حيث يذكر السائل: "الحمد لله في رجل حبس على أولاده حبسا و نصه الحمد لله أشهد فلان الفلاني أنه حبس على أولاده و هم فلان وفلان و فلانة و فلانة و على أعقابهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم ...و لكم الأجر في حال الحياة و بعد الممات و السلام عليكم و رحمة الله..." [2].

3-2-التحبيس على الأقارب : تعددت و تنوعت الأحباس على الأهل والأقارب ببايلك قسنطينة و هذا من خلال ما احتوت عليه نوازل ابن الفكون من معلومات في هذا الموضوع ، هنا التنوع شمل مختلف افراد الأهل و الأقارب القريب منهم كالأخ و الأخت و غيرهم و البعيد كابن العم و غيره ، هذا التنوع و التعدد إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التكافل و التضامن الذي كان موجودا بين سكان البايلك خاصة على مستوى الأسرة الصغيرة و الكبيرة، هذا التكافل الأسري تجسد من خلال الوقف والحبس فهذا الأخير يعد أهم وسائل التضامن ، و الذي استغله الأهل و

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 461.

[2]- نفسه ، ورقتين 362،363.

الأقارب أشد استغلال ، و هذا الحبس نجده تنوع فشمل الأراضي و المساكن وغيرها من الاملاك الأخرى .

3-2-1-أبناء الأخ: من النوازل التي تطرقت الى التحبيس على ابناء الاخ نازلة تعرضت الى أحد الأشخاص قام بتحبيس دارا على أبنائه و جعل مآل أو مرجع الحبس (الوقف) يعود على ابن اخيه و هذا ما يؤكده قول السائل: "...فلان أنه حبس جميع الربع ... و هو جميع دار سكنا ....على أولاده بلقاسم ..... لم يكن من العقب من يرجع نسبة اليه رجع ذلك لأولاد فلان ولد شقيقه فلان ابن فلان ...))[1]. و نفس الشيء فعله آخر حيث حبس دارا على أبنائه و وضع مآل و مرجع الحبس على أبناء شقيقه مثلما توضحه النازلة : "...فإذا انقرضوا ذكورا و اناثا رجعت الدار المذكور لأولاد شقيقه....." [2].

ونازلة اخرى جاء فيها تحبيس على أبناء الأخ أو مرجع ومال الحبس يعود اليهم ، حيث جاء على لسان السائل:" ...وأشهد أيضا أنه حبس جميع الجوانب المخرجة منها......فإن انقرضوا عن آخرهم رجع ذلك لأولاد شقيقه المذكور......" [3].

و الملاحظ على هذه الاوقاف أنها شملت مختلف الطبقات الاجتماعية –العائلات الغنية منها و الفقيرة ، الدينية و العامة ، فمن العائلات العريقة على مستوى البايلك و بالتحديد مدينة قسنطينة

---

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة ، 454.

[2]- نفسه ، ورقة 453.

[3]- نفسه ، الورقة 453.

نجد عائلة ابن الفكون (صاحب النوازل) حيث نذكر إحدى النوازل قضية تحبيس قاسم[1] بن يحي الفكون لعدة أملاك مختلفة و متنوعة على أبناء أخيه حيث يذكر السائل:" بعد ان استقر على ملك ...القاضي الأعدل أبا الفضل قاسم بن الشيخ الفقيه...أشهد الشيخ المذكور أنه حبس جميع ما استقر على ملكه ....و على فلان و فلان و لدي أخيه لأبيه الفقيه العالم العلامة الخطيب البليغ أبي محمد عبد الكريم ...."[2] ، و في هذه النازلة نجد أن العم المحبسين حبس على أبناء أخيه تحبيسا مباشرا و ليس مرجع أو مآل مثلما كان عليه الحال في النوازل السابقة و هذا ربما يعود إلى وضعية المحبس المالية ففي الحلات السابقة كانت الملكية محدودة عكس عائلة الفكون التي تعتبر من أغنى العائلات على مستوى مدينة قسنطينة هذه الوضعية لعبت دورا في الوقف و الكيفية التي يكون عليها.

3-2-2-أبناء العمومة : خصص المحبسون على مستوى اقليم قسنطينة جزءا من اوقافهم لأبناء العمومة أو لأفراد للعائلة الكبيرة ، ومن امثلة ذلك ما اشارت اليه النازلة التي اجاب عنها العالم عمر بن محمد القلجاني[3] حيث ذكرت لنا ان رجلا حبس دارا على بنتي عمه وجعل مآل الحبس في

---

[1]- تمت الترجمة له قبل.

[2]- ابن الفكون محمد: مصدر السابق ، ورقتين : 325،326.

[3]- يبدو انه هو عمر بن محمد بن عبد الله الباجي التونسي ، المعروف بالقلشاني ، وليس القلجاني مثلما جاء ذكره في النوازل .اصله من باجة التونسية ، قاضي الجماعة بتونس ، من اكابر فقهاء المالكية ، ومن المحققين والحفاظ ، اخذ على الكثير من العلماء منهم والده أبي عبد الله محمد ، والقاضي أبي مهدي الغبريني ، والعالم محمد بن مرزوق ، وغيرهم ، كما اخذ الطب عن عن امام فنه الشريف الصقلي ، توفي سنة ثمان واربعين وثمانمائة (848هـ).انظر / التمبكتي : مصدر سابق ، ص 342،343.

النهاية على الفقراء و المساكين ، حيث يقول السائل : "....عن رجل حبس على بنتي عمه الدار التي ... بموضع كذا حبيسا تاما..."[1].

4- الوقف الخيري : الهدف من الوقف الخيري هو المساهمة في الحفاظ على تلاحم فئات المجتمع المختلفة[2] ، هذا الهدف أدركه سكان بايلك قسنطينة منذ البداية بحيث نجدهم سارعوا إلى تحقيقه من خلال تضامنهم فيما بينهم ، هذا التضامن و التكاتف بين أفراد المجتمع القسنطيني تجسد في الوقف هذا الاخير يعد أهم وسيلة لتحقيق ذلك ، هذا التفكير في التكافل جعل جزء كبيرا من الاوقاف على مستوى البايلك مخصصة لهذا الغرض ، ليتنوع و يتعدد هذا النوع من الاوقاف ليشمل التوقيف على الأيتام و المساكين ، و عابري السبيل ، و على المرافق العمومية من آبار ، و عيون و التي يحتاجها السكان والمجتمع ككل.

4-1-أوقاف الفقراء و المساكين : تعتبر طبقة الفقراء و المساكين من الفئات المحرومة و المعدومة في أي مجتمع من المجتمعات، فعلى مستوى بايلك قسنطينة نجد أن هذه الفئة عانت و لاتزال تعاني من الحرمان و التهميش .هذا الحرمان و التهميش نظرت اليه مجموعة او فئة من المجتمع القسنطيني بعين من الرحمة والعطف والاحسان هذا الاحسان والعطف تجسد في التضامن و التكافل مع هذه الفئات المحتاجة و لو بالقليل، هذا التكافل اتخذ عدة صيغ لعل أهمها الوقف أو التحبيس والذي يهدف الى تخصيص نصيب من أموالها و توقيفه ليكون عونا و سندا لهذه الفئات، و حتى و ان كان التحبيس ليس بداية ومباشرة و لكن مآلا و مرجعا .ومن النوازل التي حملت لنا معلومات عن

---

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 351.

[2]- السرجاني راغب ، مرجع سابق ، ص 09.

هذا الحبس نازلة جاء فيها : " ...رجل وقف عقارا على ولده علي ...ثم على أولادهم و أولاد أولادهم ....ثم على الفقراء...." [1] .

وآخر حبس دارا على اقارب له وجعل مآل الحبس في النهاية على الفقراء و المساكين و هذا ما تؤكده النازلة التي اجاب عنها العالم عمر بن محمد القلجاني حيث يقول السائل : "....عن رجل حبس على بنتي عمه الدار التي ... بموضع كذا حبيسا تاما فإن انقرضت احداهما رجع ذلك لأختها الباقية فإن انقرضتا معا رجع ذلك للفقراء و المساكين ببلد كذا...."[2].

هذه النازلتين تؤكد لنا مدة الرعاية و الاهتمام التي خصها سكان قسنطينة لفئة الفقراء و المساكين وهذا رغم ان هذه الأوقاف لم تكن بداية في أغلبها بل نجدها مرجعا أو مآلا . و كأن بهؤلاء السكان يؤكدون أن آخر اهتماما لهم الفقراء و هذا بما يعد تقصيرا من السكان خاصة الأغنياء منهم اتجاه الفئات المحرومة.

4-2-أحباس الطلبة و قراءة القرآن: يعد الطلبة و قراء القرآن من الفئات التي كان لها نصيب من اهتمامات المحبسين و الموقفين ببايلك قسنطينة، وهذا لما تمثله هذه الفئة ، فهي فئة تمثل العلم و العلماء ، كما تمثل القرآن الكريم هذا الأخير له مكانة خاصة عند المسلمين كيف لا و هو الشرع الذي أنزله الله.فالتحبيس على هذه الفئات يجني من ورائه المحبس خير كثير فتعليم و حفظ القرآن فيه جزاء في الدنيا و الآخرة .فالوقف منذ وجوده يعد من أهم مصادر تمويل الزوايا والكتاتيب ومن ورائهم الطلبة و حفاظ القرآن فيها ، لهذا الهدف و لا هداف أخرى عمل السكان على التحبيس و تخصيص أجزاء من أوقافهم لهذه الفئات ، سواء عن طريق التحبيس المباشر عليهم أو غير مباشر وهذا باشتراط مرجع ومآل الحبس

---

[1]- ابن الفكون محمد ، مصدر ، ورق 459.

[2]- نفسه ، ورقة 351.

يعود لصالحهم. ففي هذا المجال جاءت احدى النوازل لتأكد لنا ما سبق قوله ،حيث جاء على لسان صاحبها قوله : " ...وهي أن الفقيه أبا عبد الله محمد المدوري حبس أملاكا له داخل قسنطينة و خارجها على أولاده.....فإن انقرضوا عن آخرهم رجع شطر ذلك لقراءة القرآن بالجامع الأعظم داخل المدينة المذكورة ...." [1].

كما حبس آخر جزء من ماله حبسا و وقفا على كل من يقرأ القرآن ختمة الجمعة[2]. وهذه الحبس نجده لم يقتصر على قراءة القرآن فقط بل يخصص قسم منه على من يصلي على النبي صلى الله عليه و سلم 100 مرة و الذين يدعون و يرحمون على الواقف و والديه و ذريته .وعلى من يقرا البخاري في كل عام ، وكل هذا على مستوى جامع رحبة الصوف. كما اشترط الواقف وخص بالوقف حسن الصوت من الطلبة على مستوى المسجد، أما مقدار المبلغ الذي خصصه للقراء فكان درهمين جديدين لكل يوم مدة قراءة في شهر رمضان وغير رمضان و هذا كله يستخلص من المبلغ الذي تكتري به أرض ميلة و أخرى بقسنطينة (الفحص الأبيض)[3].حيث يذكر السائل :"....الذي اوصى به كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى ابراهيم بن محمد لطف الله به أن الثلث الذي أبقيته في الدار التي بأقصى الرايغة ......هو حبس على محمد الصغير و أولاده.......أوقفتها على من يقرأ القرآن العظيم ختمة في الجمعة و يصلي على النبي صلى الله عليه و سلم مائة مرة و يدعو الي و يترحم عليه و علي و الذي و يدعو إلي و لذريتي و لجميع المسلمين ....أو متى تكون فيه نجابه و قراءة و البخاري ...يقرأ في كل عام على كأنه في جامع رحبت الصفوف و يختار لهما بعض الطلبة الخيار ممن يكون يحسن القراءة يعطاه (يعطيه)على ذلك درهمين جديدين في كل يوم مدة قراءته في شهر رمضان أو غيره من كراء أرض ميلة و الأرض الذي بالفحص الأبيض..." [4].

---

[1]- محمد ابن الفكون : مصدر سابق ، ورقة 273.

[2]- نفسه ، ورقتين :393،392.

[3]- نفسه، الورقتين : 392،393.

[4]- نفسه ، ورقتين :393،392.

4-3-أحباس المساجد: و في سبيل تجسيد دور المسجد عمل سكان بايلك قسنطينة على التحبيس و الوقف على المساجد سواء على المساجد الموجودة على مستوى البايلك و بالأخص العاصمة مدينة قسنطينة أو المساجد التي تقع خارج البايلك.

4-3-1- مساجد قسنطينة : الكثير من النوازل يشير إلى قضية تحبيس أملاك على عدة مساجد داخل اقليم قسنطينة ، ورغم سكوت بعض النوازل عن ذكر اسماء هذه النوازل فان البعض الاخر تطرقت الى اسماء المساجد المحبس عليها . و الوقف على المساجد قد يكون وقفا مباشرا في البداية أو يؤول في نهاية المطاف على احد المساجد و هذا ما وقفنا عليه في الكثير من نوازل ابن الفكون ، ومن مجمل النوازل التي حملت لنا هذه المعطيات نازلة تطرقت الى دار محبسة على مسجد ابتاعها احد الاشخاص حيث يقول صاحب النازلة :"......جوابكم عن مسئلة (مسالة) و هي أن رجلا اتباع من آخر دارا و كتب عقدها و طلب المبتاع(المشتري) من البايع (البائع) عقد أصل ملكها......إلى أن قيل للمبتاع أصل ملك الدار حبس على المسجد الفلاني فبحث المبتاع على ذلك فوجد الأمر كما قيل له ...." [1].

المسجد الاعظم: و هناك مساجد جاء ذكرها في النوازل و كان لها نصيب من أحباس سكان قسنطينة نجد المسجد الأعظم و هذا الأخير نجد أن هناك من خصه بتحبيس على بيت و ضوئه (الميضة) . وهذا ما حملته لنا النازلة المعروضة على يحي بن سليمان[2] و على محمد ابن الفكون (الجد)

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 185.

[2]- يبدو انه يحي بن سليمان الاوراسي ، كان من اصدقاء عبد الكريم الفكون جد عبد الكريم الفكون صاحب المنشور ، قرا على قاسم الفكون ، كما قرا على الشيخ الوزان ، تصدى للافتاء بمدينة قسنطينة وافتى بدار السلطان مدينة الجزائر .له عدة تقاييد في

"...بعد أن تقرر أن من أملاك جانب المخزن المعمور من الربع الخاص بمدينة قسنطينة ....المذكور أعلاه حبسها عن أعقابه و بعد انقضاء الأعقاب يكون مرجع ..و الثلث على مساجد بمدينة كذا الذي هو بها و في الثلث نصيب منجزا في تحبيس حين العقد البيع بين من ذكر أعلاه على ميضة الجامع الأعظم بالمدينة المذكورة ...." [1].

مسجد الخضاريين: كان للمرأة نصيب من الاحباس على المساجد و خدمتها حيث تذكر احدى النوازل أن امرأة تصدقت بثلث امتلاكها على المساجد بمدينة قسنطينة يعرف بمجد الخضاريين[2] . و هذا ما أكدته النازلة التي طرحت على الجد محمد الفكون و أجاب عنها أبا عبد الله محمد المسراتي (تونس) جاء فيها : "...على أن يخرج من الثلث المذكور ... عينتهما من تركتها يصرف ثمنها في مصالح مسجد الخضاريين من قسنطينة..." [3].وهذه من الحالات النادرة في نوازل ابن الفكون التي حبس فيها تحبيسا مباشرا على المسجد و منذ البداية.

4-3-2-أحباس المسجد النبوي والحرم المكي :لقيت الأماكن المقدسة كالحرم النبوي و الحرم المكي عناية واهتمام لدى سكان بايلك قسنطينة، من خلال تخصيص أجزاء من أملاكهم و تحبيسها على هذه البقاع الشريفة ، و هذا الاهتمام و الاحترام الذي لقيته هذه المناطق ينم عن مدى تعلق

الفقه والنحو وغيرهما ، لكنه تعرض للوشاية والحسد ، مماجعله يفر من قسنطينة الى جبال الاوراس ليدخل في حروب مع السلطة العثمانية ، الى ان قتل .أنظر / عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ...، مصدر سابق ، ص ص 54،55.

[1]- ابن الفكون محمد، المصدر سابق ، اوراق : 81، 83،82.

[2]- مسجد الخضارين : لم نجد له تعريف ولكن يبدو انه احدى المساجد بمدينة قسنطينة عرف بهذا الاسم ربما لقربه من سوق الخضارين .

[3]- ابن الفكون محمد ، مصدر سابق ، الورقتين :403،402.

السكان الاقليم بالدين الاسلامي من جهة و من جهة ثانية ما تمثله هذه الأماكن من حرمة و عظمة لدى الفرد القسنطيني ، وكنوع من التكافل والتضامن مع سكان هذه المناطق بصفة خاصة ومع المسلمين عامة ، و هذا الاهتمام أكدت بعض النوازل و التي تعرضت الى بعض الأوقاف التي خصصها أصحابها للمسجد النبوي و الحرم المكي ومن أمثلة ذلك النازلة التي عرضت على محمد بن عبد الكريم الفكون (الجد) تطرقت الى شخص حبس نصيبا من أملاكه تحبيسا مباشرا على الحرم النبوي الشريف بحيث يذكر السائل"...و هي أن ورثة مشتركين في أملاك بينهم بالميراث عمد أحدهم إلى حصة منها و أوصى بتحبيسها على الحرم الشريف النبوي زاده الله تشريفا و تعظيما..." [1].

4-4-الأحباس على المياه : لقيت المرافق العامة بقسنطينة جانبا من اهتمامات السكان فإذا كان السبب هو طلب الأجر و الثواب من الله عز وجل فهناك اسباب أخرى وراء هذا النوع من الوقف فالتحبيس على العيون أو مياه الشرب ربما يكون قد ارتبط بظاهرة الجفاف و نقص المياه [2]. ومن النوازل التي حملت لنا هذا النوع من الأوقاف نازلة عرضت على عمر الوزان ، يقول صاحبها :"...أشهد الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابي عبد الله محمد بن باديس أنه حبس على أولاده الصغار...و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا...فإن انقرض جميع من ذكر فيه رجع ذلك حبسا على الماء لشرب بالبلد المذكور حسبما يراه من له النظر في ذلك... "[3].

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 113.

[2]- فتحه محمد : النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي "من القرن 06هـ- 09هـ /12-15م" ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الدار البيضاء 1999. ص108.

[3]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، ورقة 353.

4-5-التحبيس على الزوايا: الزاوية و المسجد نجدها في الكثير من الأحيان ملازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر هذا الشيء نجده حتى في الوقف هناك أوقاف على المسجد و الزاوية عامة ، و هناك نوازل ذكرت أناسا حبسوا على عدة زوايا جاء ذكر الزاوية منفصلا عن المسجد أو الجامع ، فالزاوية و ما تمثله من أهمية مادية و معنوية للمجتمع ككل، و هذا من خلال ما تقدمه من خدمات اجتماعية و دينية و علمية ، فالزاوية هي ملجأ الفقراء و المحتاجين و هي مقصد طلاب العلم و حفظت القرآن ،كما هي محطة يرتاح بها الحجاج و عابري السبيل و غيرها من الأدوار و المهام التي تقدمها الزاوية، انطلاقا من هذا الدور وهذه الاهمية جاء التحبيس على الزاوية خدمة للدين و المجتمع. ومنه فلا غرابة اذا وجدنا عدة أحباس على زوايا مختلفة من قسنطينة و حتى ان لم تكن الزاوية كأول جهة يوجد اليها الحبيس و مآل ومرجع الحبس يعود عليها ، فان هذا لا ينقص من قيمة العمل الخيري المتمثل في الوقف. وهذا ما حملته لنا احدى النوازل والتي من اهم جاء فيها :"...بعد سطر الافتتاح يشهد من يضع اسمه عقب التاريخ لمعرفة جميع الدار الغربية الكيانية بكذا من بلد كذا المشتهرة بأولاد فلان... أن جميع الدار المذكورة و كافة حقوقها حبس على الفقهاء أولاد المذكور أعلاه ...و على أعقابهم و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا ... و مرجعها بعد انقراض العقب المذكور على الزاوية الغربية الكاينة(الكائنة) أسفل الدار المذكورة..." [1].

[1]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، ورقتين : 356،357.

و من الزوايا التي كان لها نصيب من أحباس القسنطينيين وجاء ذكرها في النوازل زاوية الرماح [1] بمدينة قسنطينة ،حيث يذكر السائل :"...اشهد ابو الطيب انه اوصى بثلث ما يخلفه... لمن يتزايد عن ولده موسى الصغير في حجره ثم لأعقابه الذكور ما تناسلوا ثم بعد انقراض العقب رجع ذلك حبسا على زاوية الرماح الكاينة بعقبة الجلبيس من قسنطينة يكون ذلك وقفا ...عليها تصرف غلات ذلك في ضروريات الزاوية المذكورة.... بتاريخ أواسط قعدة الحرام عام أربعة و ثمانين و تسعمائة " [2].

4-6-أحباس الحجاج و المعتمرين :كان للحجاج والمعتمرين والقاصدين بيت الله نصيب من أحباس سكان بايلك قسنطينة ، وهنا لانفصل بين الحجاج والمعتمرين القاطنين بالإقليم والوافدين والمارين عليه من مختلف المناطق الاخرى سواء من داخل ايالة الجزائر أو من خارجها ، والشيء الجميل في هذا الحبس ان صاحبه امرأة هذه الاخيرة قامت بتحبيس بعض أملاكها على أخيها مشترطة مآل ومرجع الحبس سيعود على فئة الحجاج الذين ينزلون بمسجد الولي الصالح سيدي عبد الهادي و هذا تحت اشراف ناظر الأحباس في الزاوية وهذا ما جاء على لسان السائل بقوله: "... اشهدت الآن أمة الرحمن المذكورة أنها حبست جميع سهامها المذكورة ..على أخيها لأبيها الفقيه ..ثم على عقبة من بعده ثم عقبه الذكور ما تناسلوا فإن انقرضن عن آخرهن رجع ذلك للحجاج المشرقين و المغربين النازلين بمسجد الشيخ الولي العالي سيدي عبد الهادي و جعلت النظر في ذلك عند المرجع

---

[1]- زاوية الرماح: لم نجد حولها معلومات .

[2]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، الورقة 461.

للناظر في أحباس الزاوية حبسا تاما ووقفا مؤبدا حراما لا يباع و لا يورث الى أن يرث الأرض و من عليها " [1].

وهذا التخصيص لفئة الحجاج يوضح لنا مدى حرص السكان على راحة الحجاج من جهة و من جهة ثانية تبين لنا محبة السكان للبقاع المقدسة و هذا بالتقرب بخدمة حجاج بيت الله الحرام. و حتى و إن لم تترك المرأة الحبس عاما على الحجاج بل خصصت ذلك على الحجاج الذين ينزلون بهذا المسجد السابق الذكر كما أن هذا التخصص يجرنا نحو فكرة أخرى و هي أن الحجاج كانوا ينزلون بعدة مساجد من البايلك للاستراحة و التزويد بالطعام و غيره من الضروريات و هذا يوضح و يبين لنا حجم التكافل الاجتماعي الذي تحققه الاوقاف [2].

و ان كان صاحب الوقف في هذه النازلة السابقة قد حدد مآل و وجهة الحبس فإن نازلة أخرى تركت الموضوع عاما من خلال التحبيس على النبي صلى الله عليه و سلم و هذا بالإنفاق على كل من يستحق من الأشخاص الذين كتب الله لهم زيارة النبي صلى الله عليه و سلم و يدخل في صنف الحجاج و من المعتمرين حتى و إن كانت زيارة البقاع المقدسة في تلك الحقبة فيها من المشقة و هذا ما يجعل الناس يزورون قبر الرسول صلى الله عليه و سلم في مواسم الحج بالدرجة الأولى ليكون الحج مشتملا مع العمرة.

1- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، الورقة 411.

2- نفسه ، الورقتين : 411،412.

المبحث الثالث: وضعية الاوقاف بالبايلك

1-الناظر : تعتبر شخصية الناظر أهم شخصية تشرف على الوقف و كل ما يتعلق به [1]. فمسؤولية الوقف أو الحبس تقع على عاتقه ، فهو الطرف المخول بالدفاع عن هذه الأوقاف[2]. و يرتبط الناظر بالحبس خاصة من حيث عدد المشرفين على الأحباس أو النظار ، فكلما ازدهرت الأوقاف و زاد عددها أدى إلى زيادة عدد النظار و هذا لتغطية العدد الهائل للأوقاف[3] .

1-1-شروط الناظر : لم تختر شخصية الناظر اعتباطيا و إنما كان يختار بدقة متناهية و بعناية ووقف شروط نذكر منها :

. **الإسلام** : و هي أن يكون الشخص المشرف على الوقف معتنقا للدين الإسلامي .

. **العقل** : فلا يمكن أن يكون الناظر به نوعا من السفه أو الجنون أو غيرها .

. **البلوغ** : و هو بلوغ سن الرشد و هذا ما يجعله راشدا و قادرا على تحمل مسؤولية الإشراف على الأحباس [4].

- **الأمانة** : هذه الصفة تعتبر من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الناضر لما لذلك من تأثير و أهمية على الوقف [5].

. القدرة و الكفاءة : يجب أن يكون الناظر قادرا جسديا و نفسيا على تحمل مسؤولية النظارة ، و تكون له الكفاءة اللازمة للإشراف على الأحباس[6].

1-2- حقوق و واجبات الناظر :إن عمل الناظر و ارتباطه بالوقف جعله محصورا بين حقوق و صلاحيات يتمتع بها الناظر في المقابل نجد واجبات و أحيانا تتعدى لتصبح قيودا .

---

[1]- الضحيان : مرجع سابق ، ص 37.

[2]- ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقتين : 446،447-

[3]- فتحة محمد : مرجع سابق ، ص 114.

[4]- الضحيان ، المرجع السابق ، ص 37.

[5]-.نفسه ، ص 37.

[6]- نفسه ، ص 37.

1-2-1-الحقوق : منحت للناظر عدة حقوق من أهمها :

1-2-1-1- الأجر :فالناظر نتيجة لقيامه بأعماله ومهامه يكون ذلك مقابل أجر يحصل عليه [1].

1-2-1-2- الاستقلالية : كان الناظر يتمتع بالاستقلالية في تسير شؤون الوقف (الحبس) و هذا دون التدخل من أطراف أخرى في مهامه [2].

1-2-1-3- حرية التصرف : تركت للناظر حرية التصرف في الوقف ، بمختلف التصرفات كالإيجار ، البناء و غيرها من التصرفات و الأعمال و التي تصب في مصلحة الوقف و استمراريته و من ثمة دوام منفعته ، هذا الحق في التصرف حتى و لو تعارض مع شرط من شروط الواقف ، فمثلا إذا كان من ضمن شروط الواقف (المحبس) أن لا يؤجر الوقف و رأى الناظر أنه لا بد من تأجيره و هذا لمصلحة الوقف من هذا الإيجار ، فله الحق في ذلك [3].

أحيانا يجد الناظر نفسه عاجزا عن ترميم و إصلاح الحبس و هذا لقلة أو انعدام مداخيل هذا الحبس ، و هذا ما يجعله يتصرف و يلجأ إلى بيع الحبس و شراء عقار آخر بثمنه ، و هذا لاستمرار منفعة الحبس و الذي يكون في نفس الغرض و الوجه الذي أراده المحبس . فالناظر لم يتصرف من تلقاء نفسه و إنما عمل على إيجاد صيغة أو فتوة شرعية تتيح له التصرف ببيع الحبس و هذا ما جعله يقدم سؤالا للفقهاء يستفتي لإيجاد حل للنازلة التي وقعت عليه .و هذا ما حملته لنا إحدى النوازل من خلال قول السائل :" ... فرأى الناظر المشار إليه أن ليس للموقوف عليه الكوشة غلة بينا منه ما يذكر و ليس للكوشة خراج يرجا (يرجى) منه البنا و طلب الفقهاء المشاورين للبلد المذكور النظر في القضية وهل يسوغ بيع الكوشة لمن يبني ما هو واجب على مالكها و يجعل بثمنها موضعا آخر يكون في الوجه الذي أراده المحبس و هل لمالك العلو قيام بإبطال الحبس لأن الحبس فيها يضربه بعد

---

[1]- فتحة محمد : مرجع سابق ، ص ص 112،111.

[2]- نفسه ، ص 112،111.

[3]- السرجاني راغب: مرجع سابق ، ص ص 78، 79.

بناء ما يجب له بناءه أجيبونا عن ذلك كان الله لكم و السلام " [1] .و كان جواب الفقهاء و على رأسهم الكماد (محمد) بجواز بيع الحبس المتمثل في الكوشة لما لذلك من منفعة للمحبس عليهم من جهة و لصاحب الجهة العلوية للبناء و لدرء و رفع الضرر عن صاحب العلو و هذا بقوله :" ... فإن تعذرت المناقلة في الحال بيعت و اشترى بثمنها ما يكون وقفا ليرتفع الضرر بذلك عن صاحب العلو قياسا على ما إذا حبس أحدا لشركاء حظه و لم يرضى(يرض) الآخر بالحبس و تضرر منه فإن الحظ المحبس يباع و يشترى بثمنه ما يكون حبسا ليرتفع الضرر عن الشريك ..." [2].

1-2-2-الواجبات : للناظر عدة مهام و واجبات تتماشى مع صلاحياته ، ومن أهما:

* و السهر على الحفاظ على الوقف و هذا تفاديا لضياع الوقف و من ورائه ضياع المصالح و الحقوق. و الدفاع عنه و هذا بكل الوسائل و السبل المتاحة لذلك و التي من بينها اللجوء إلى القضاء لرد العدوان و التعدي على الوقف و إرجاع حقوقه[3].

* بحكم إشرافه على الوقف فإن الناظر من مهامه هو دفع كل الديون التي هي على عاتق الوقف .كما تقع على عاتقه تأدية مختلف الحقوق و الالتزامات لأصحابها من غلات و غيرها[4].و السهر على تنفيذ مختلف شروط الواقف (المحبس) و العمل على عدم مخالفتها [5].

بحكم هذه الواجبات أحيانا يصبح الناظر طرفا فاعلا في مختلف المشاكل و الصراعات التي تحدث و يكون الوقف فيها جزءا من المشكل مثلما جاء في إحدى النوازل و التي طرحت على العلامة أبي عبد الله الكماد و التي جاء فيها : " الحمد لله سيدى رضي الله عنكم و أرضاكم جوابكم في مسألة و هي أن الكوشة التي صارت حسبا بحكم ما جعله المحبس كان بأعلى مصرفها و أعلى بعضها علو لرجل أجنبي سقط العلو المذكور و أراد الآن مالكه المذكور إعادة بناءه و طلب من

[1]- ابن الفكون محمد : المصدر السابق ، الورقة 447.

[2]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 447.

[3]- السرجاني راغب : المرجع السابق ، ص 77.

[4]- نفسه ، ص 78.

[5] نفسه ، ص 78.

الفقيه زيدا بناء ما يركب عليه العلو المذكور ... فتعلل الفقيه محمد المذكور ... و أحال طلب الطالب على الناظر في الأحباس فألح مالك العلو المذكور على الناظر المشار إليه و طلب منه ما يوصله إلى بناء ما يركب عليه العلو المذكور ... "[1].من خلال هذه النازلة نرى أن الناظر بحكم إشرافه على الحبس يصبح هو المسؤول عن مختلف إصلاحات الوقف و عن مختلف الترميمات و الالتزامات تجاه أصحاب الحقوق مثلما هو الحال مع صاحب الطابق العلوي الذي تضرر من سقوط سقف الحبس المتمثل في الكوشة . هذه المسؤولية للناظر تزداد خاصة مع تخلي و انسحاب صاحب الوقف (الواقف) .

1-3-قيود الناظر (**القيود**): رأى الفقهاء أن لا بد من وضع قيود على شؤون الوقف و هذا بهدف حماية الناظر و الوقف على حد سواء و منها :

** البعد عن المحاباة فيما يخص تأجير الوقف و هذه المحاباة نجدها سواء لنفسه أو مع أقاربه. وتجنب الاستدانة على حساب الوقف ، و هذا مخافة أن يقع الوقف تحت الحجز من طرف الجهة الدائنة[2].

** عدم رهن الوقف ، لأن هذه العملية ستؤدي إلى ضياع الوقف و تعطيله و من ثم تعطيل منافعه.كما لا يجوز للناظر اعارة الوقف أو تأجيره لشخص أو جهة ما دون مقابل لذلك، كما لا يمكن للناظر السكن في الوقف [3].

2- التعدي على الأوقاف: تعتبر ظاهرة التعدي على الأحباس و الأوقاف من أهم الظواهر التي عرفت انتشارا واسعا ببايلك قسنطينة. هذا التعدي لم يقتصر على نوع معين من الاحباس وانما شمل مختلف الاوقاف على مستوى البايلك، كما أن المعتدين علي الوقف ينتمون طبقات مختلفة من المجتمع فنجد من ينتمي الى عامة الناس ومنهم من ينتمي الى الخاصة والطبقة الدينية. فها هو عبد

[1]- ابن الفكون محمد ، المصدر السابق ، الورقتين : 446،447.

[2]- السرجاني راغب : المرجع السابق ، ص 80.

[3]- نفسه ، ص ص 80-81 .

الكريم ابن الفكون (صاحب المنشور) يذكر لنا في مؤلفة بعض رجال الدين الذين تعدوا على حقوق الأوقاف و من جاء ذكره أحمد الغربي هذا الأخير كان يأخذ نصيبا من خراج ربعه، كما كان يتعدى على أحباس مسجد الشيخ عبد الهادي ، من خلال التصرف في بعض أوقافه [1].كما يتطرق ابن الفكون الى بعض النظار الوقف الذين كانوا يتعدون على مختلف الأوقاف. وهنا يذكر لنا ناظر مسجد الشيخ ابن مصالح عبد الهادي هذا الناظر كان يتصرف في بعض حقوق الوقف و يأخذها لصالحه دون التكفل بإصلاح المسجد الذي يعود عليه الوقف[2].ولم يقتصر التعدي عن الأوقاف بأخذ غلاتها بل الأكثر من هذا أن الأوقاف بيعت لمصالح شخصية. و من جملة الأحباس التي بيعت حوالي 35 حبسا و هذا حسب صاحب منشور الهداية نقلا عن والده[3].

و ظاهرة التعدي على الوقف أو الحبس نجدها شملت مختلف الأحباس من حيث الشكل أو الجهة الموقف لها. فحتى أوقاف المحبسة على خدمة المدينة المنورة كان لها نصيبا من هذ التعدي حيث عرفت الكثير منها عملية هتك لحرمتها من خلال بيعها أو ابتياعها أو التصرف فيها بمختلف انواع التصرفات[4].

و لم تبخل عليها نوازل ابن الفكون بمعلومات قيمة تخص ظاهرة التعدي على الأوقاف ،ومن مختلف شرائح المجتمع و مختلف فئاته. والتعدي على الاوقاف اتخذ عدة اشكال وطرق منها: التعدي على الحبس من خلال استبدال مآله أو منع منفعته على الجهة التي يؤول لها الحبس و هذا حسب

[1]- الفكون عبد الكريم: منشور الهداية ....،مصدر سابق ، ص 77.

[2]- نفسه ، ص 77.

[3]- نفسه .ص 88

[4]- نفسه ، ص 88.

المحبس، فالكثير من الأشخاص نجدهم يعمدون الى تغير مال الوقف و من ثمة بيعه أو اهدائه لمن يشغل منصبا في الولاية ، و الهدف من وراء هذا العمل هو التقرب من الولاة أو البايات و غيرهم من الحكام. ومن جملة النوازل التي طرحت و تعرضت لهذه الظاهرة النازلة التي طرحت على الشيخ سا لم بن محمد السنهوري و التي جاء فيها: " الحمد لله سيدي رضي الله عنكم و نفع بكم جوابكم في مسئلة و هي أن بلد فسد نظامها و تغيرت الشريعة بها و صارت عادتهم أن كل وقف انقرض عقب واقفه يدلون به الى الولاة و يبطلونه و يبيعونه لهم في مرضاتهم ليتوصلوا به الى رياسة الدنيا و لا يلتفتوا الى المرجع من مساجد أو غيرها و صار ذلك شانهم دايما و عادتهم و فقد في جميع الأوقاف ما قصده الواقف و نصه سيما فيما انقرض عقب واقفه...." [1] .

كما أن ظاهرة التعدي على الوقف كانت احدى الأسباب التي جعلت من الأشخاص يفكرون في نقل أوقافهم خارج الجزائر (البايلك) من خلال بيعها و من ثمة الشراء بثمنها وقفا آخرو هذا التفكير خوفا عليها من مختلف الانتهاكات و التعديات و هذا ربما يكون وراء ظاهرة زيادة أوقاف الجزائريين خارج الجزائر خاصة في الاماكن المقدسة كمكة و المدينة. و هذا ما أشارت اليه احدى النوازل حيث يذكر صاحب السؤال : " .... فهل حفظكم الله حيث ثبت ما ذكر من حال أهل البلدة و فسادهم لمن كان عليه وقف و أراد الانتقال و السكنى بأحد الحرمين الشريفين يبيعه و يستبدل بثمنه ربعا هناك للخوف على فساده و بطلانه و فقدان نص الواقف و قصده كما ذكر أم لا..."[2].

[1]- ابن الفكون محمد، مصدر سابق ، الورقة 449.

[2]- نفسه، الورقة 449.

كما لجأ البعض من الأشخاص الى عملية استئجار أو كراء الأوقاف ، ثم فيما بعد يتصرفون فيها بمختلف التصرفات التي تسيئ للوقف بحيث يعملون على استئجارها لأشخاص آخرين و هذا رغم معارضة المسؤول عن الوقف لذلك. و هذا ما أشارت اليه احدى النوازل و التي عرضت على المفتي السيد حميدة الغربي [1] و التي نصت على: "…. الجواب عن مسئلة (مسألة) و هي أنا رجلا أخذ أرضا من جانب الحبس على وجه المغارسة كما جرت بذلك العادة و مكثت بيده مدة تزيد على الثلاثين (30) سنة و لم يعمل في الأرض المذكورة شيئا الا أنه يتصرف فيها بالحرث و التحريث و قبض الوجيبة من حرث و بحاير المدة المذكورة ثم بعد مضي المدة المذكورة قام من ناب على الوقف المذكور يبتغي من ذلك الأجور و أراد افتكاك الأرض من يد من ذكر فأراد من بيده الأرض المذكورة أن يعطيها من رجل آخر على ع الوجه المذكور لتكون مغارسة من تحت مغارسة فعارضه صاحب الحبس في ذلك و منعه من أخذها و الحالة أن الرجل الاخذ لها الثاني من أهل الغصب و من لا تناله دعوة ..." [2].

يمكن أن تستنتج أن ظاهرة التعدي على الاوقاف من بين اهم أسبابها ضعف الدولة أو الولاية وعدم قدرتها على حماية الاوقاف وهذا ينطبق على بايلك قسنطينة فضعف بعض البايات في بعض الاحيان وتواطؤهم مع المعتدين انعكس سلبا على الوقف وحمايته ، وتفشي ظاهرة التعدي على

[1] –أبو العباس أحمد ، المدعو أحميدة بن حسن الغربي ، تولى نيابة القضاة ، كما تولى خطة الفتوى أيام أبي زكريا ابن محجوبة ، صاهر عبد الكريم الفكون ، يبدو انه في آخر ايامه خرج عليه العامة من الناس بسب تدخله في شؤونهم . أنظر / عبد الكريم الفكون : منشور الهداية ....، مصدر سابق ، ص ص 75،76.

[2] – ابن الفكون محمد: مصدر سابق، الورقة 356.

الوقف و تخوف السكان من ذلك سيؤدي الى نقص عدد الأوقاف و انحصارها و هذا ما يؤثر سلبا على الأوقاف و والدور الذي كانت تلعبه والمتمثل في التكافل الاجتماعي[1].

3- حالة الاوقاف والأحباس: اعطت لنا نوازل ابن الفكون صورة تكاد تكون كاملة عن وضعية بعض الأوقاف ببايلك قسنطينة و كيف أصبحت في وضع لا تحسد عليه، هذه الوضعية السيئة كانت ميزة مشتركة لمختلف أنواع الأوقاف الموجودة بالمنطقة فلم تسلم المساكن (الدور) و الكوشات ، و الاراضي وغيرها ، من هذه الوضعية الكارثية و التي تؤثر على الوقف و غرضه و من ثم نفعه و أحيانا تؤثر على استمرار الوقف كما سنتطرق إليه لاحقا، كما أن الإهمال و الوضعية السيئة شملت الوقف بنوعية الذري و الخيري على حد سواء.

3-1-الوقف الذرى (الأهلي):كثيرا من نوازل ابن الفكون حملت في طياتها الوضعية و الحالة السيئة التي أصبحت عليها بعض الاوقاف الذرية والعائلية ببايلك قسنطينة ، هذا الحالة السيئة نجدها قد مست مختلف أنواع الاحباس كالأراضي ، و مباني و غيرها.

فمن النوازل التي صورت لنا هذه الوضعية النازلة التي عرضت على السيد علي الاجهوري و التي لحضت لنا حالة احدى المساكن (الدور) المحبسة على الأبناء و التي أصبحت أو تكاد تصبح خرابا و هذا بعد تعرض أساسها وجل حيطانها و جدرانها و سقفها إلى الهدم ، وهذا أمام عجز المحبس عليهم من اصلاح ما يهدم منها و هذه الوضعية و الدمار التي تعرفه هذه الدار أو هذا الوقف يؤكده أهل الخبرة ممن جيء بهم لمعاينتها و الذين اكدوا على استحالة ترميمها و لا بد من تعويضها أو بيعها و

[1]- نفسه ، الورقة 449.

إلا فإن مالها الخراب و من ثم انقطاع و توقف فائدتها و منفعتها وهذا ما يؤكده قول السائل: "بعد البسملة و التصلية (الصلاة على النبي) الحمد لله بعد أن رفع فلان الفلاني الشريك في الدار الشرقية الباب السفلي الملاصقة للدار الكبرى المعروفة بسكن أولاد فلان الكائنين(الكائنتين) بكذا من بلد كذا و أخذ المحبس عليهم .....وسالوا منها النظر فيما يدفع عليهم الضرر الحاصل للمجاور و الشريك من الدار المذكورة و ايصال النفع للمحبس عليهم المذكورين لانهدام الساس المذكورة من قبليها و جل حيطانها و ملاعبها و سقفها و حصل بسببها ضرر كبير على من ذكر فيه فيمن حبس عليه و شريك و طلبوا منهما أن يوجها المعاينة حالة الدار المذكورة من له معرفة و خبرة بأحوال ما ذكر و هل هي ما يصلح التعويض فيها و يكون سداد في حق العقب و المرجع و من له فطنة بقيمة الرباع و علم التقويم ما ذكر من الحظ المذكور...بتاريخ أوائل ربيع الأول و بالقلم الحكمي و المداد الأكحل عام اثني و عشرين و ألف بشهادة عدليين من عدول البلد المذكور...)) [1]. ومع معاينة الدار المذكور يتضح ان هذا الحبس لم يصبح صالحا للانتفاع ووجب تعويضه أو بيعه اذا ما أراد أصحابه أن يستمر نفعه وهذا ما يؤكده من عاين الحبس (الدار) من أهل الاختصاص : ".. .يقول من يشهد بعد وصلت(بعدما وصلت) باستدعاء ممن يجب أعزه الله بقصد معاينة حال الدار المذكورة أعلاه ...فتطوفت عليها و أحطت بها نظرا و تأملا و اختبارا فظهر لي بعد التأمل و الاختبار ...و أنها ان لم تتدارك بالتعويض أو البيع تنقطع فائدتها جملة و تعود براحا و يتضرر منها مع ذكر غير من تضرر بها..." [2]، هذه الحالة التي وصل اليها الحبس و عجز الأبناء أو المستفيدين من الحبس من

[1]- ابن الفكون محمد: مصدر سابق ، ورقتين : 372،373.

[2]- نفسه، ورقتين : 373،374.

ترميمها و اصلاحها يكون له آثار سلبية على الحبس و غرضه و ربما تباع و هذا يكون له تأثير على موقع الحبس.

كما تطرقت نازلة أخرى الى كوشة محبسة على الأبناء و كيف أصبح حالها من سقوط سقفها و كيف أنه لم يكن لها غلة أو خراج يمكن أن يشتمل في اصلاحها و هذا ما يرسم لنا صورة عما آلت اليه بعض الأوقاف من نقص و انعدام الرعاية و الحفاظ عليها و إلا كيف نفسر عدم قدرة الكوشة على توفير مبلغ من المال يشتمل في اصلاحها و هي محلا تجاريا بالدرجة الأولى ، و هذا ما تؤكده النازلة التي عرضت على محمد الكماد و نفس الشيء تتعرض له الكوشة من حيث امكانية بيعها و تعويضها بوقف آخر يكون من ثمن بيعها [1]. و نازلة أخرى تطرقت لقضية أرض حبس تم تأجيرها على شكل المغارسة[2] ، لكن لمدة 30 عاما لم يغرس فيها انما بقي يتصرف فيها بالحرث ومختلف الاعمال و هذا ما سيكون له تأثير سلبي على هذه الأرض[3].

كثيرا ما تعرضت الأحباس للبيع أو تغير موقفها و هذا البيع يكون أحيانا بفتوى شرعية تتيح بيعه لأن الهدف من وراء ذلك سببه يعود بالمنفعة على صاحب الوقف و المجتمع ككل. فمن الأحباس ما بيعت لأنها كانت تمثل خطرا على الناس مثلما جاء ذكره في قضية الدار التي تهدمت و أصبحت

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقتين : 447،446.

[2]- رغم أن المشهور من المذهب لا يجوز المغارسة في أرض الحبس الا أن العرف الجاري بقسنطينة يبيح ويجيز ذلك. أنظر . ابن الفكون محمد: المصدر السابق ، الورقة 356.

[3]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقة 356.

تهدد الجيران [1].و قضية الكوشة التي تهدم سقفها ليدوم البناء الذي أعلاها فهنا أجاز الفقهاء البيع لأنه الهدف منه ابعاد الضرر سواء على الجار أو على الموقف له [2].

و هناك حالات أخرى تبيح للموقف عليهم بيع الحبس و من أهم هذه الحالات هو الحاجة و العوز الذي يكون عليه المستفيد من الحبس ، وهذا الحق في البيع يجيزه العلماء لما له من منفعة على الموقف عليه هذه المنفعة هي الغرض من الوقف في البداية ، هذه الحالة وقفت عليها احدى النوازل المعروضة على الشيخ المحجوب و التي من أهم ما جاء فيها : "...لأن موسى الموصى لما يتزايد فقير من فقرا (فقراء)المسلمين و طلقت عليه الزوجة لعجزه عن اجراء النفقة عليها جملة و لا وجد سبيلا لإحياء نفسه فضلا عن الزوجة ...فأجاب رحمه الله...و هو على تلك الحالة من الجهد و الجوع و الإشراف على الهلاك لباع نفسه في انقاذه من ذلك و هذا هو قصد الحبس لأنهم تارة يصرحون بشرطية بيع المحبس عليه إذا احتاج للحبس و تارة يغفلون على التصريح بشرطية اتكالا(توكلا) منهم على الله..." [3].

وفي نفس موضوع اجازة بيع الحبس عند الحاجة جاءت فتوى الشيخ المشدالي، والتي تعود إلى منتصف القرن التاسع للهجري (أواخر رجب 855 هـ).(القرن الخامس عشر ميلادي). والتي من أهم ما جاء فيها : " و سئل ايضا رضي الله عنه عن مسألته بفهم مضمونها من جوابه فأجاب رضي الله عنه...لكن استحب بعض المتأخرين أن يشترط فيه أنه متى احتاج المسجد إلى ثمنه باعه ...." [4].

---

[1]- ابن الفكون محمد : مصدر سابق ، الورقتين : 446،447.

[2]- نفسه ، الاوراق : 372،373،374.

[3]- نفسه ، الورقتين : 461،462.

[4]- نفسه: ، ورقتين : 304،305.

ان تغيير أمكنة الكثير من الأوقاف من خلال تحويلها او بيعها وشراء أوقاف أخرى ، هذا التغيير و البيع حتى و إن لم يغير الهدف الرئيسي و الغرض الذي أوقفت لأجله و لكن يجعل من الصعب حصر الأوقاف ومن ثم الاهتمام بها .


الخاتمة

حملت نوازل ابن الفكون بين سطورها وفي ثناياها فتاوى شيوخها وعلمائها ، حملت معلومات قيمة شملت مختلف مجالات ومناحي الحياة الاقتصادية منها والاجتماعية والدينية وغيرها .حيث من خلال دراستنا لموضوع الوضعية الاجتماعية من خلال نوازل ابن الفكون خرجنا باستنتاجات سنحصرها في النقاط التالية :

** أن مخطوط نوازل ابن الفكون يحمل بين طياته حقائق تاريخية تمثل مختلف الجوانب الحية للمجتمع القسنطيني، هذه الحقائق قلما نجدها في مصادر أخرى خاصة خلال الفترة المدروسة ، فالحقائق جاءت على لسان اصحابها ومن عاشها من السكان فهي صادقة وواقعية إلى أبعد الحدود. كما ان التنوع في المواضيع والمجالات التي جاء بها المخطوط من اقتصادية كالبيوع والشركات وغيرها من النظم والمعاملات المالية ، والاجتماعية من هبات وصدقات وطلاق وزواج وغيرها من المواضيع الاجتماعية الاخرى .كل هذا زاد من قيمة واهمية هذه النوازل .

**رغم ما تمثله الاسرة ضمن مجتمع اسلامي محافظ كالمجتمع القسنطيني ، الّا أنّ الأسرة وتكوينها بداية من الخطبة الى ليلة البناء والزواج ، اصبحت تتحكم فيها مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية على راسها العرف والتقاليد من جهة والمال والجاه من جهة ثانية .فالصداق وقيمته والشوار ومكوناته تتحكم فيه عوامل الغنى والفقر ، ومكانة الاسرتين ضمن المجتمع . فالزواج بمختلف مكوناته أصبح مسرحا وحلبة لتنافس وتباهي الأسر على مستوى البايلك . فهذه الظاهرة تحمل في طياتها ذلك التمايز الطبقي بين فئات المجتمع . وهذا ما كان له انعكاسات سلبية على العائلات والمجتمع على حد سواء وحتما زاد من متاعب ومصاعب الزواج وتكوين الأسرة .

**تعتبر ظاهرة الطلاق والخلع من الظواهر التي كان لها حضورا قويا داخل المجتمع القسنطيني ،هذه الطاهرة نجدها قد مست جميع شرائح وفئات المجتمع القسنطيني ، فالطلاق نجده بين وضمن الأسر والعائلات الدينية ، كما نجده ضمن عائلات السياسيين والعسكريين من قواد وغيرهم ، ونجده بين و في أوساط عامة المجتمع . هذه الظاهرة تعددت اسبابها ما بين اسباب داخلية تتعلق بالأسرة والعائلة بحد ذاتها وما بين اسباب وعوامل خارجية تتعلق بعناصر اخرى خارج الاسرة والعائلة ، كما تعددت آثارها والتي مست الاسرة بجميع عناصرها ومن ورائها المجتمع القسنطيني .

**الحضور الفعال للمرأة في البايليك سواء داخل الاسرة الصغيرة او ضمن المجتمع الكبير وهذا على كافة الأصعدة خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي . فعلى مستوى الاقتصادي ان ان دور المراة لم يقل عن دور الرجل ،فحضور المرأة كان على مستور كل المسائل الاقتصادية من بيع وشراء وتملك وعمل وغيرها من الامور الاقتصادية الاخرى .اما في الجانب الاجتماعي فدور المرأة نجد انه في الكثير من الاحيان يتعدى دور الرجل ، فالمرأة تواجد وبشكل فعال فب مختلف المسائل الاجتماعية فعلى مستوى التضامن نجد ان دورها كان بارز من خلال ما قدمته

في هذا المجال من مساهمات في الوقف والصدقات والهبات وغيرها من مظاهر التكافل والتضامن وهذا في شقيه الاسري او العائلي والاجتماعي .كما لعبت دورا مهما في المجال الطبي وخاصة فيما يخص طب النساء فهي القابلة والطبيبة .

**رغم الدور الذي تقوم به المرأة على مستوى البايلك في المجال الاقتصادي والاجتماعي ورغم الحقوق التي تتمتع بها ضمن المجتمع من تملك وبيع وشراء وغيرها من الحقوق الا ان المرأة القسنطينة مازالت تعاني من مشاكل ومتاعب تعددت اسبابها وعلى راسها العرف والتقاليد ولنا في قضية تهميشها في جانب الارث خير دليل على ذلك . ولم يقتصر الظلم من طرف الرجل بل كان للمرأة نصيب من ذلك وهذا اما بطريقة مباشرة او غير مباشرة بإرادتها أو غصبا عنها.

**التناغم الحاصل بين مختلف الفئات الموجودة على مستوى البايلك و التي تناولتها نوازل ابن الفكون ، فكل فئة من الفئات لعبت دورها الذي وجدت له ومن اجله .فأصحاب المهن الحرة من صنائع وحرفيين من تجار وجزارين ونحاسين ودلالين وبراحين وخبازين ، وغيرهم كل من هذه العناصر كان له حضور وان اختلف الحضور وفعالياته من فئة الى اخرى . ومن الفئات التي بصمت على حضورها وبقوة ضمن نوازل ابن الفكون وضمن المجتمع القسنطيني فئة رجال الدين والعلماء والتي تتكون من قضاة ومفتين وفقهاء وعلماء وغيرهم ، هذه الفئة كان لها دور فعال مس مختلف الجوانب السياسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، هذا الدور والحضور مكنها من احتلال مكانة مرموقة بين افراد المجتمع .لتاتي في نهاية الهرم فئة اطلقنا عليها الفئات الهشة هذه الاخيرة ورغم ما تعانيه الا ان دورها ضمن المجتمع القسنطيني كان بارزا فهي في الكثير من الاحيان تكون مؤشرا ومعيارا يتم من خلاله تحديد وتقسيم المجتمع .

**تعد عناصر الهيئة القضائية والعسكرية والسياسية من اهم العناصر الفعالة على مستوى البايلك نتيجة الصلاحيات والامتيازات الممنوحة لها .فمؤسسة القضاء بمختلف عناصرها من قضاة وموثقين وشهود عدالة وغيرهم من العناصر .تعد اهم هيئة على مستوى البايلك لما لها من

اهمية هذه الاهمية تتمثل في الدور المنوط بها ، فالقضاء وما يمثله للمجتمع افراده خاصة الضعفاء منهم ، فهو المنجد وهو الحامي لهم من ظلم المعتدين ، وكما تكون السلطة القضائية سندا وعونا للمظلومين يمكن ان تكون سبب في معاناتهم بسب انتشار الفساد على مستوى هذه الهيئة . أما فيما يخص عناصر الهيئة العسكرية والسياسية ورغم ان حضورها على مستوى نوازل ابن الفكون كان حضورا محتشما الا ان هذا لا يمنع من ان عناصر هاتين الهيئتين كانوا على راس مختلف عناصر المجتمع فلا صوت يعلو عن صوت الباي وحاشيته من عناصر سياسية وعسكرية .

**العرف والتقاليد لهما مكانة خاصة في وسط المجتمع فالعرف في الكثير من الحالات هو الدستور والقانون الذي يخضع له الجميع ، فالعرف والتقاليد نجدهم على مستوى كل الاصعدة ، في الزواج والصداق والشوار ، في الاوقاف والاحباس وغيرها من المجالات .وهذا يجعلنا نقر ان المجتمع القسنطيني في المدينة والريف على حد سواء مجتمعا تحتل ضمنه الاعراف والتقاليد حيزا هاما .

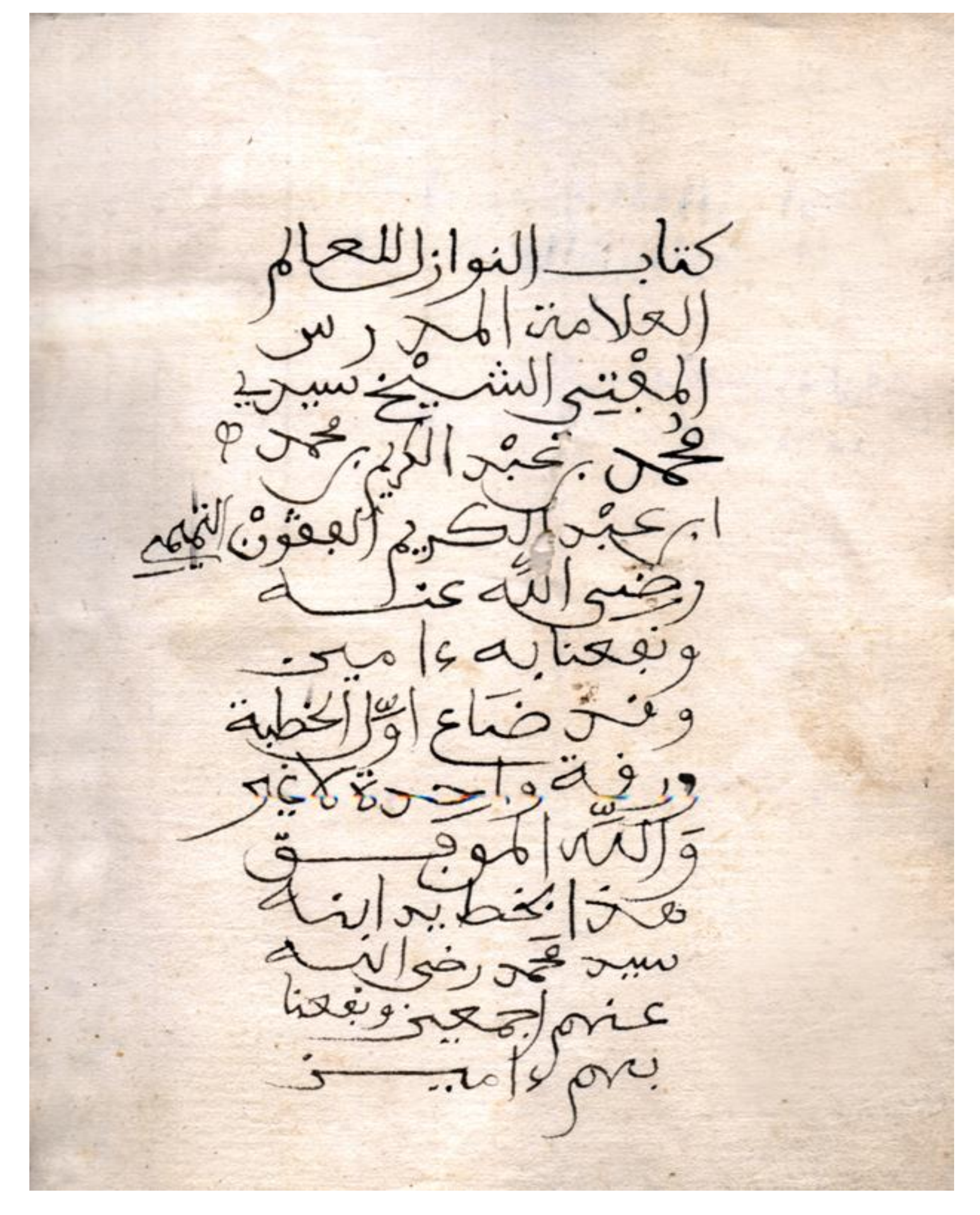
**رغم توفر البايلك على امكانيات هائلة سواء على المستوى البشري او الطبيعي الا ان واقع السكان ووضعيته الاجتماعية بقيت سيئة ، وهذا على مستوى كافة الاصعدة ، فعلى الصعيد الصحي والطبي نلاحظ ذلك التخلف والعجز الطبي والذي من مظاهره انعدام الاطباء وانعدام ووسائل العلاج من مستشفيات وغيرها من الوسائل .كذلك انعدام سياسة صحية من طرف السلطة التركية على مستوى البايلك ، هذه السلطة بقيت بعيد عن وعن تلبية متطلباتهم في المجال الصحي .كل هذا ساهم في تعرض الاقليم لمختلف الامراض والاوبئة وعلى راسها وباء الطاعون هذا الاخير اصبح وباء مرتبطا بالبايلك رغم انه وباء ومرضا وافدا .وهذا ما نتج عنه آثار سلبية على المجتمع القسنطيني في المجال الصحي .

**حملت لنا نوازل ابن الفكون مظهرا من مظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي ، هذا المظهر تمثل في الوقف او الحبس ، هذا الاخير تنوعت وتعددت مقاصده واهدافه ، فالوقف بنوعيه الذري (الاهلي) والخيري قدم خدمات جليلة في سبيل تحقيق التكافل بين افراد المجتمع القسنطيني ، سواء على مستوى النواة الاولى للمجتمع المتمثلة في الاسرة أو على مستوى افراد المجتمع الكبير وبين مختلف فئاته . فعلى مستوى الاسرة الصغيرة أو الكبيرة (العائلة) نجد ان الوقف ساهم في تحقيق ذلك التكافل والتلاحم بين أفرادها .هذا من جهة ومن جهة ثانية لعب الوقف دورا فعالا في حماية اصول ممتلكات الاسرة القسنطينية .أما على مستوى المجتمع فالوقف حافظ على ذلك الترابط والتلاحم بين افراده وفئاته ، فالغني تكافل وتضامن مع الفقير والحر وقف مع السجين .

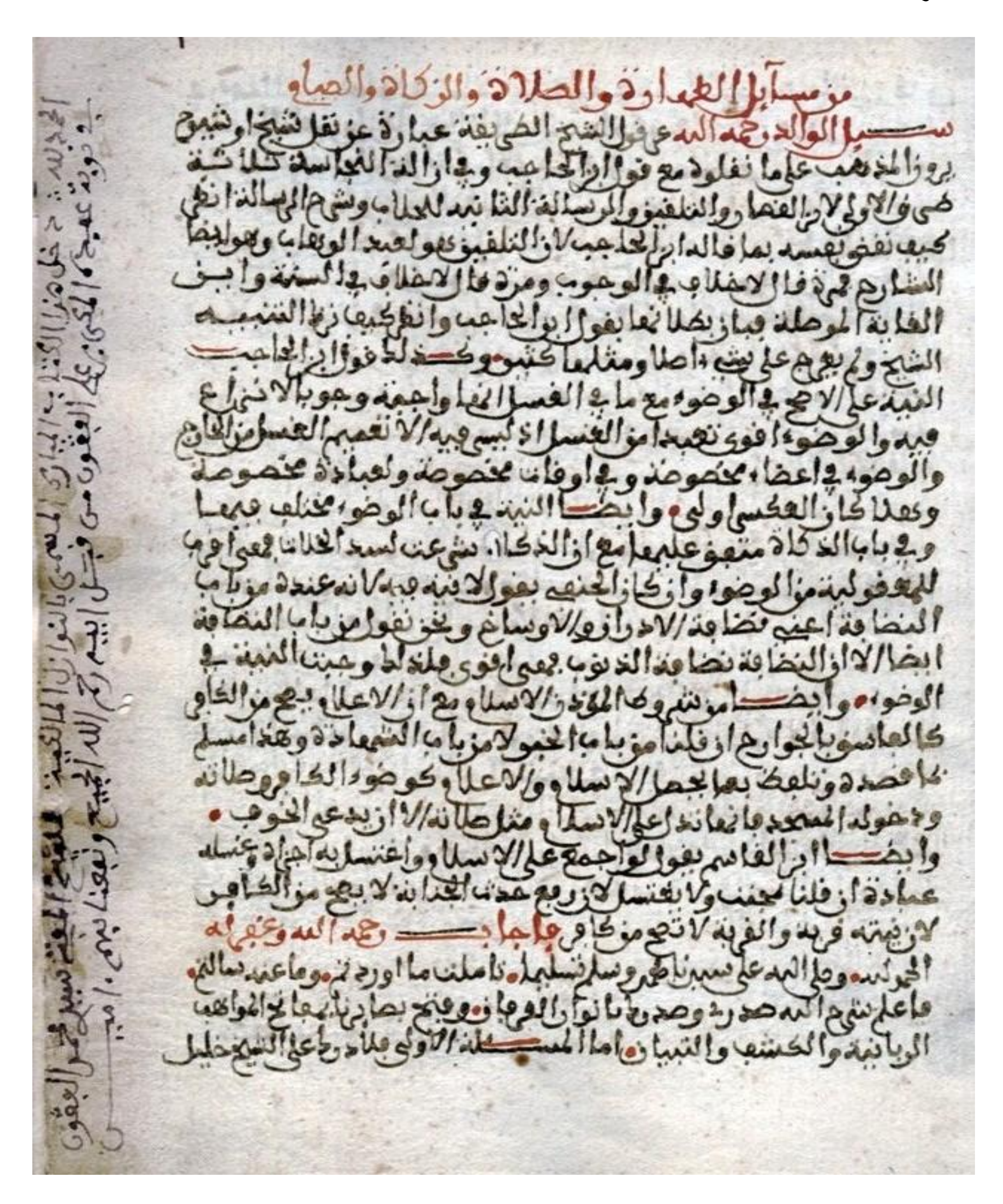
**بحكم مقصده وهدفه الاسمى الذي انشا من اجله الا وهو مرضات الله عز وجل وحب الخيرات نجد ان الوقف ومن خلال نوازل ابن الفكون قد تعددت اهدافه وأدواره الدينة ، وهذا ما يؤكده تنوع وتعدد اوقاف المساجد والزوايا على مستوى بايلك قسنطينة .فالوقف يعتبر اهم مورد لمداخيل هذه المساجد فبأموال الوقف تعمر هذه المساجد وترمم كل جوانبها من فراش واضاءة وتهيئة بيوت الوضوء فيها وغيرها من ضروريات المساجد والزوايا .ولم يقتصر الوقف او التحبيس على المساجد فقط بل نجد ان الحجاج والمعتمرين كان لهم نصيب من هذه الاوقاف .هذه على المستوى الداخلي أما على المستوى الخارجي فنلاحظ ذلك الارتباط الديني لسكان البايلك ببلاد الحرمين ويظهر هذا الارتباط من خلال مختلف الاوقاف والاحباس التي وقفها اصحابها على هذه المناطق الشريفة .

الملاحـــــــق




كتاب النوازل للعالم
العلامة المدرس
المفتي الشيخ سيدي
محمد بن عبد الكريم بن محمد
ابن عبد الكريم العبقوني التميمي
رضي الله عنه
ونفعنا به آمين
وقد ضاع أول الخطبة
ورقة واحدة لا غير
والله الموفق
هذا بخط يد ابنه
سيدي محمد رضي الله
عنهم أجمعين ونفعنا
بهم آمين

الملحق رقم (01):صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون .توضح جامع النوازل محمد ابن عبد الكريم الفكون .



الملحق رقم (02): صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون ،تبين عنوان الباب الاول (مسائل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام)). الورقة:01.

ومن مسايل النكاح والطلاق والخلع والعدد والنفقات

وسيل الجد الصالح ابا عبد الله محمد الفكون ... رحمه الله عن مسئلة

الملحق رقم (03): صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون، تحمل عنوان الباب الثاني ((مسائل النكاح والطلاق والخلع والعدة والنفقات)).الورقة :37

٧٥

ومن مسائل البيوع والصرف والشفعة والقسمة والاستحقاق

وسئل الجد الصالح أبا عبد الله محمد بن قلعة الموبلح رحمه الله ع مسألة
يفهم مضمونها من جوابه فأجاب رحمه الله البيع المذكور فيه إذا وقع
جار على أسلوب الشرع لا متعقب لأحد فيه ومدعي التاليج فيه لا يسمع منه لأن التاليج
لا يثبت إلا بإقرار المولج كذا أو بشهادة شهود البيع مثل أن يقولا أن توسطنا بين البايع
والمشتري وعضناه فاتفقنا جميعا على أن نخد عقداه من البيع الظاهر إنما هو سمعه
لا حقيقة له أو يقولا أقر بذلك المشتري عندنا بعد البيع وأما إن أرسل شهود
التاليج الشهادة فالذي عليه أكثر الشيوخ أنها باطلة لا عمل عليها وقصارى
هذه الشهادة المجملة بالتاليج أن عليه اليمين أنه ابتاع ابتياعا صحيحا ودفع
الثمن حسبما في عقده ويرتفع بذلك الاعتراض عنه مما لم يتضمن عقد التبايع
معاينة الاب قبض جميع الثمن فلا يمين على الابن بذلك وعدا إقراره ندما منه على ما فعله
لأن إقرار المولي بالدين أو بالبيع في الصحة قبل الحجر عليه للوارث ولد كان أو زوجة أو غيرها
عامل على مشهور مذهب مالك ولو كان في حوزه واعتمره إلى أن مات على الصحيح وبه العمل
والقول ببطلان ما كان في الصحة وبقي في حوزه إلى أن مات ولم تعاين البينة دفع الثمن
هو رواية حسين بن عاصم وهو شذوذ في المذهب وإنما تقلدها الشيوخ لكثرة
التاليج في زمانهم وفشوه في مكانهم والمشهور المعمول به خلافه كما ذكر وبه الفتوى
قاله القاضي العكوريني قال الشيخ السنوسي التونسي التوليج في الاعتراف بما في الايد
من الاعيان المتشخصة في الخارج باطل مسدود قال في الشركة منها ولو اعترف أحد
الشريكين لمن يتهم عليه بدين بطل ويريد إلا بمعين لأنه يبيح له ولا يتهم في الاعيان قال
وبالجملة الاعتراف بما في الذمة هو الذي في الخارج بخلاف الاعتراف بما في الايد من الاعيان
في باب التهم ومن هنا كانت بيعة النقد تقتضي تهمة الاستبقاء مع عبوا أهل العينة
ولا تتهمها حيث البيع بدين وحكم القاضي هنا لا يمنع لأن القاضي في زمننا مسجل
عليه أن لا يحكم إلا بالمشهور ولا بقول باطل المنصوص أن القاضي إذا حكم بالشاذ أنه
لا ينقض فإن ذلك لجامع عدم التحري عليه وأيضا القاضي قبل هذا الزمان معه ضرب من
الترجيح وفي هذا الزمان منتف بل ذكر القاضي عياض في تنبيهاته أن المجتهد إذا حكم
بشاذ من المنقلب الناسي فيه ينقض حكمه فكيف بالمقلد قال الامام ابن عرفة

الملحق(04): صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون، توضح عنوان الباب الثالث ((مسائل البيوع والصرف والشفعة والقسمة والاستحقاق)) الورقة :75.

الملحق رقم (05) : صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون ،تبين عنوان الباب الرابع ((مسائل الشركة والوديعة والعارية والقراض والصلح والغصب)) .الورقة :194.:

227

نوازل الاكرية والاجارة و[illegible] والرهون والطريق

سئل الجد الصالح ابو محمد عبد الكريم الفكون رحمه الله عن مسئلة وهي
ان جنانين بياضهما اكثر من سوادهما تكرى بالعام فلما حل ابان الكراء طلب
اربابهما من مكتريهما نقد الكراء فادعى المكترون بالجايحة في الثمرة بسبب
الذهب فيهما والحالة انهم عالمون بذلك وقت الكراء ودخلوا عليه فهل احفظكم
الله ما ذكر يكون جايحة مع كونهم دخلوا على ذلك وعلموا به اولا واذا قلتم بانه
جايحة فهل يصح اثباتها في ذلك فيما اكري بالعام كما في هذه المسئلة المسئول
عنها او لا يصح ذلك لان الجايحة انما تثبت فيما ابتيع من الثمار وهذه ليست
كذلك جوابكم ولكم الاجر رضي عنكم والسلام فاجاب رحمه الله
وعفا عنه وعليكم السلام والحمد لله الخلاف في مسئلة الجيش اذا اجتاحوا الثمرة
معلوم لكن قد ذكر في السؤال انهم عالمون بذلك وقد دخلوا عليه فيكون [illegible]
بلا [illegible] الخلاف بهذا كله فيما ابتيع من الثمار واما هذه المسئلة فليس
هي من ذلك لكون الجنانين بياضهما اكثر من سوادهما ومكتريان بالعام فالكراء
لازم لمكتريهما على كل حال لكونهم قد تمكنوا من الارض وتسلموا منفعتهما
فلا جايحة في ذلك بوجه من الوجوه والله اعلم وتقييده بخطه الحمد لله
الجواب اعلاه صحيح والله تعالى اعلم وكتبه عبيد الله سبحانه محمد [illegible]
الكماد وفقه الله [illegible] الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
ان كان الامر على ما وصف فما اجاب به المجيب امامه بمثله اجيب والله اعلم
وبه التوفيق والسلام من عبيد الله سبحانه بلقاسم العطار وفقه الله تعالى
وسئل الامام العالم العامل سيدي يحيى بن سليمان رحمه الله ونص السؤال
الحمد لله سيدي رضي الله عنكم ونفع بكم ومتع المسلمين بطول حياتكم جوابكم عن
مسئلة وهي ان رجلا له ارض محبسة عليه وعلى عقبه وان انقرضوا رجع ذلك الى
من عين له الحبس المرجع من بعد انقراض العقب فعمد اليها وكراها من رجل لمدة ستة
اعوام [illegible] وتطوع له المكتري بدفع وجيبة المدة المذكورة ثم ان المكتري خشي
من ان ينقرض الرجل المحبس عليه الارض المذكورة فينتقل الحق لغيره من العقب او
المرجع فطلبه في رهن شقص على ملكه من دار للمدة المذكورة واجابه الى ذلك
له ورهن الشقص المذكور من الدار المذكورة لمدة انقضاء الستة اعوام في كراء الارض

الملحق رقم (06): صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون تبين عنوان الباب الخامس ((نوازل الاكرية والاجارة والرهون والطريق)) الورقة :227.

الملحق رقم (07) :صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون .تبين عنوان الباب السادس ((مسائل الهبة والصدقة والوصايا والحبس)) الورقة249:

ومن مسائل القضاء والشهادات والقذف والزنى والسرقة والجراح

سئل الفقيه العالم المفتي أبو زكرياء يحيى المحجوب رحمه الله ونص

الملحق رقم (08) :صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون .تبين عنوان الباب السابع((من مسائل القضاء والشهادات والمواريث والقذف والزنا والسرقة والجراح)) .الورقة : 466:

٥٠٦

ومن مسائل كتاب الجامع

سئل الوالد رحمه الله عن القدرة هل تتعلق بعدم العرض والجوهر
أم لا. فأجاب رضي الله عنه الحمد لله والصلاة والسلام على
رسول الله هذه المسألة إحدى ثلاث المسائل التي منعها المعتزلة
الصفات التابعة للحدوث وثانيهما قبول الاثنين للجمع وثالثها
كون العالم عالما المعلل بالعلم وزعموا أنها لا تقع بالقدرة لوجوبها
وهو مذهب باطل لا تقوم لصاحبه حجة ومعتقده إنما يستهونه شبهة
لفظ الوجوب فتبع كثير من الأهواء وما شعر ومن أجل هذا أو نحوه منع
العلماء النظر في كتب الكلام لمن لا باع له في التحقيق ولا دراية له في
حل الشبهات وفي مقفل الخصوم وقد أبطل أيمتنا هذه الشبهة بوجهين
أحدهما منع بطلان اللزوم ولهم لا مخبر لهم عن إنكاره والثاني بطلان
الدعوى أما الأول فنقول لهم أليس متعلق القدرة الحادثة عندكم حال وهو
الوجود والصفات التابعة للحدوث أحوال مع المانع من تعلق القدرة
بهما وما وجه اختصاص تأثير القدرة ببعض الأحوال دون بعض وأما الوجه
الثاني فهو جواب ما لجأوا إليه في دفع الإلزام المذكور فإنهم راموا التخلص
منه بأن قالوا إنما فرقنا بين حال الوجود في تعلق القدرة الحادثة وحال
الصفات التابعة للحدوث من حيث وجوب تلك الصفات واستغنائها عن
المقتضي ولا كذلك حال الوجود قلنا لا نسلم القول بوجوبها لصحة انتفائها
ومالهم انتفاؤه بطل وجوبه ولا يخفى تحقق انتفائها قبل الوجود لها فإن المعتزلة
عينتا بوجوبها أنها لازمة الثبوت عند الوجود قلنا والوجود لازم الثبوت
عند وجودها وكذلك كل متلازمين متى ثبت أحدهما ثبت الآخر ونسبة التلازم
إليهما على حد السواء وليس لي أن نقول بثبوت أحد المتلازمين عند ثبوت الملازم له
وجوبا مع جانب الملازم له الآخر وإذا ترتب على الوجوب بهذا المعنى الاستغناء
عن الفاعل فيلزم ثبوته في الجانب الآخر ضرورة شمول المعنى فيلزم أن الجوهر لا تتعلق
به قدرة لوجوبه لتعلق العرض فانتفى الغرض من الجواب وبه يتضح لك بطلان قولهم
إن القدرة لا تتعلق بتحيز الجوهر. انتهى. وسئل الوالد رحمه الله ونص السؤال

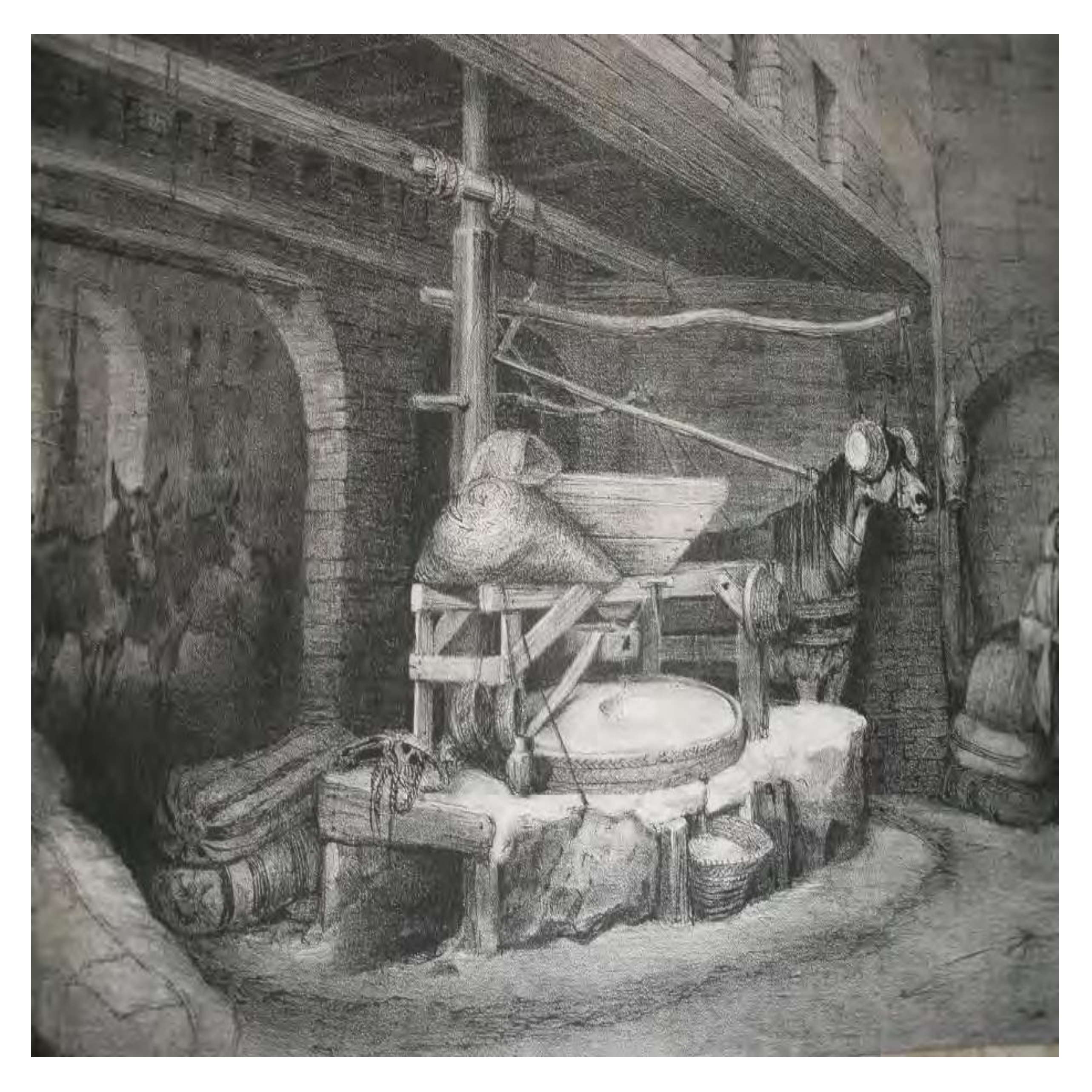
الملحق(09) :صورة من مخطوط نوازل ابن الفكون .تبين عنوان الباب الثامن ((مسائل كتاب الجامع)). الورقة :506.



الملحق رقم (10) :صورة تعود الى الفترة العثمانية(بداية القرن 20) تبين لنا السقا البسكري اثناء ملأ القلة استعدادا لبيعها في مدينة الجزائر. شريد حورية: مرجع سابق ، ص220.



الملحق رقم (11): رحي اليد مصنوعة من الحجر . شريد حورية : مرجع سابق ، ص163.



الملحق رقم (12): طاحونة تعمل بالطاقة الحيوانية . شريد حورية : مرجع سابق ،ص 164.ة



الملحق رقم (13):نماذج من طوابع الخبز مختلفة الاحجام والاشكال . شريد حورية :مرجع سابق ،ص 168.



الملحق رقم (14) : رسم تخطيطي لقالب ختم الخبز من مدينة قسنطينة يعود الى الفترة 07هـ-13م اقدم طابع بقسنطينة . شريد حورية : مرجع سابق ، ص 169.

(١)

الحمد لله * ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم الخ من القواد والعمال والخاص والعام ببلد قسنطينة سدد الله الجميع وبعد فان الشيخ العالم القدوة التقى الخ الناسك الابر النحرير المولى الخ البليغ سيدي عبد الكريم الفكون دامت بتوفيق الله عنايته ونفعنا ببركاته جددنا له على مقتضى ما بيده من الاوامر فلما كان توجه للارض المشرفة وزار قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد استخارة الله سبحانه وظهر له يتبع طريق امام التحقيق شيخ الاشياخ العارف بالله المحقق المتبرك به في الحركة والسكون سيدى احمد زروق نفعنا الله ببركاته الخ واذنا له بضرب الطبل ويتوجه بالمسلمين كما كان ويكون رئاس الرسول عليه الصلاة والسلام لا مانعا له ولا معارض ولا مدافع الخ لانه احق بها

ويقوم بحفظها الى موضعه فيما سعى وقلد اليه
واتباع الطريق فيما اقتدى واهتدى والرفق
بالرفيق والشادق المنزل للبيت العتيق يسير
على قدر سيرهم ولا يؤثر البعض على بعضهم الخ
قصدنا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم
الخ وكتب بامر عبد الله المجاهد في سبيل الله
ابي الحسن علي باشا ايده الله بتاريخ اوايل
رمضان المعظم عام ١٠٤٨ ثمانية واربعين والف
وبازله خاتم به ما نصه اضعف العباد علي

الملحق رقم 15 : وثيقة تولية عبد الكريم الفكون امارة ركب الحج سنة 1048هـ. ارنست مرسييه: قسنطينة في القرن 16م "صعود عائلة الفكون" ، قسنطينة1979.ص 17-18.

الحمد لله ليعلم من يقف على الامر الكريم الخ من
القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين

في الاحوال ببلد قسنطينة سدد الله الجميع اما بعد
فان حامله المعظم الفقيه الخ الاحسب الانسب
ابي عبد الله محمد بن المرحوم الخ الشيخ البركة
سيدي عبد الكريم الفقون نفعنا الله ببركاته الخ انعمنا
عليه وجددنا له حكم الاوامر التي بيده لاخواننا
الباشاوات المتقدمين قبلنا بان يكون في موضع
والده المرحوم المذكور اماما مرضيا وثقة مصححا
وخطيبا بالجامع الاعظم يصلي فيه بالناس
الصلوات الخمس مواظبا لها ومحافظا عليها
وملازما لها في اوقاتها ويخطب فيه الجمع والاعياد
ويكون جميع تصرف احباس الجامع المذكور من
على داخل البلد المذكور وخارجها على يديه يصرفها
في ضروريات الجامع المذكور في زيت واستصباح
وحصر ومؤذنين وحزابين وكناسين وشعالين
ومستخلف وجميع ما يحتاج اليه من بناء وترفيع
وهدم وما بقي ينتفع به كما هي عادته السابقة

المعلومة وكما هي عادة والده المذكور وعادة الايمة
المتقدمين قبله وكما هي عادة ايمة الجزاير المحمية
بالله مع حرمه واحترامه الخ ولا يقاس بها يقاس
به غيره وكما يحترمون جميع خدام الجامع المذكور
مع جملة خماسيه وشركايه بالحرم الداير بها
في ذلك على عادته السابقة المعلومة وعادة
المرحومين اسلافه قبله من غير معارض له في ذلك
الخ انعاما تاما وتجديدا مباركا الخ بحسب من
يقف عليه العمل بما اقتضاه الخ وكتب بامر
عبد الله المجاهد في سبيل الله تعلى الاسعد ابي
الصدق مولانا اسماعيل باشا ايده الله بتاريخ
اواسط صفر الخير عام اربعة وسبعين والف وباوله
خاتم به اسم اسماعيل بن خليـــــــــــل

الملحق رقم 16:وثيقة تولية محمد ابن عبد الكريم الفكون جميع وظائف والده وذلك سنة 1074هـ. ارنست مرسييه:المرجع السابق، ص ص 20-22.

(٣)

الحمد لله * ليعلم من يقف على امرنا الكريم من
القواد الخ المتصرفين في الاحوال ببلد قسنطينة الخ
اما بعد بان الفقيه الاجل الخ امير ركب المسلمين
وفاس رسول رب العالمين سيدي عبد الكريم الفكون
لما ان قدم الينا بمكتوب المعظمين المرضيين
جرحات باي ورجب باي علي انهم وهبوا له
سوق الفواكي والخضر وجميع داخله يكون بيد

السيد المذكور يصرفه في ضروريات الجامع . . .
زيت واستصباح وحصر وغير ذلك واصلاح من
غير معارض له في ذلك ولا منازع ولا مدافع . . . .
هذا عمل من يقف عليه والسلام وكتب بامر
عبد الله المجاهد في سبيل الله مولانا ابو الفلاح
مراد باشا ايده الله بتاريخ اوايل شوال عام
ستين والف * وبا وله خاتم فيه ما نصه اضعف
العباد مـــــــــــــــــــــــــــراد

الملحق رقم 17:وثيقة منح عبد الكريم الفكون مداخيل سوق الخضر والفواكه .مؤرخة في شوال 1060هـ. ارنست مرسييه:المرجع السابق، ص ص 24،25.

الحمد لله * ليعلم من يقف على كتابنا هذا بمقتضى
امر مولانا الباشا نصره الله من القواد الذي ببلد
قسنطينة الذي بان حامله المعظم الفقيه الذي امير ركب
المسلمين ورفاس رسول رب العالمين السيد المولى
والسند الاعلا الحاج المبرور البركة الشيخ محمد بن
المرحوم السيد الحاج عبد الكريم الفقون الذي جددنا
له بان يكون اميرا مرضيا وثقة مخصصا واميناً زكيا
على ركب المسلمين ورفاس رسول رب العالمين ينظر
في امورهم وكافة شؤنهم وما ربهم فعلى كافة اهل
ركب المسلمين المذكورين المتوجهين معه قاصدين
البقعة المشرفة على صاحبها افضل الصلاة وازكى
التسليم ان يكونوا كلهم عند نظره وسمعه وطاعته
بحيث لايخرج احد منهم عن امره ونهيه ويكون
مسموع القول عندهم نافذ الحكم فيمن يستحقه منهم
ويجري في ذلك على عادة والده المرحوم المذكور
وعادة من تقدم من المعظمين السادات الابرار
الاجلة الاطهار امراء اركاب المسلمين المتقدمين
قبله في اخذ عوايده وفوايده كما هي العادة المعلومة
والطريقة السابقة المتعادة واذنا له بحسب التنفير
حيث اراد المسير لزيادة قبر المصطفى البشير النذير
يؤذن في الناس بالحج بضرب الطبل سعيا لمن

اراد يؤدي الجربضة الى الاماكن العلية الشريفة لامانع له في ذلك لانه احق بها لكونه من اهلها ويقوم بحقها ، قال صلى الله عليه وسلم لاتعطوا الحكمة لغير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها من اهلها فتظلموهم الخ ماضيا فيما سعى ويوصى اتباع طريقة من به اقتدى واهتدى مع الرفق بالرفيق والشفقة بالمنزل للبيت العتيق يسير على قدر سيرهم ولا يدنى البعض على بعضهم الخ قصدنا بهذا الخ مع حرمة واحترامه ورعيه واكرامه وحفظ اجنابه بحيث لاتنهتك له حرمة ولايهضم له جناب الخ وكما يحترمون جميع خدامه واصحابه وخماميسه وشركايه بالحرم الوافر وكما ان جميع ما يدخله من باب البلد المذكور ويخرجه مسرحا من قايد الباب ولا تهتك له حرمة ولايصله احد باذاية ولا بمكروه جريا في ذلك على عادته وعادة اسلافه قبله من غير معارض له تجديدا تاما الخ وكتب عن اذن

المعظم مصطفى اغا الجيش المنصورة بالله تعالى بتاريخ اواخر رمضان عام خمسة وخمسين والف وخلفه طابع به ما نصه طالب اللطف مصطفى بن خليل

الملحق رقم18 : وثيقة تثبيت محمد ابن الفكون على وظائف ابيه عبد الكريم الفكون . ارنست مرسييه: المرجع السابق، ص ص26-29.

	عدد النوازل								
	الفصل 01	الفصل 02	الفصل 03	الفصل 04	الفصل 05	الفصل 06	الفصل 07	الفصل 08	المجموع
حميدة الغربي						01			01
عبد الكريم (الحفيد)	12	07	10	03	01	06	05	35	79
عمر الوزان	10	02	05	02	01	11	03	19	53
الونشريسي	02								02
محمدابن الفكون (الجد)	01	09	10	02	02	06		01	31
محمد التواتي	01		01			03		01	06
يحي بن سليمان	01		02		01	01		01	06
سعيد قدورة			02			02			04
ابو زكريا يحي المحجوب		06	09	09	01	13	07		45
محمد لن اسماعيل		01							01
علي الاجهوري		02	02	01		02		01	08
سالم السنهوري		01	01	02		05	02		11
منصور السويدي	01								01
قاسم الفكون		01	02						03

الزيلديوي		01							01
محمد بن قاسم		01							01
ابراهيم بن يوسف الغمري		01	02						03
حميدة بن باديس						01			01
عبد الرحمان بن يونس		01							01
بن عبد الرفيع						01			01
عيسى الغبريني		01							01
محمد بن قاسم الشريف		01		01			03		05
بن عظوم			01						01
عمر بن علي (فكرون السوسي)			01						01
القلجاني			01						01
ابو الحسن بن الغبريني						01			01
محمد بن بلقاسم المشدالي			01						01
محمد شقرون				01					01

محمد بن علي			01						01
سليمان بن يحي الاوراري			03						03
عبد الله الغمري			01						01
علي المرواني					01	01			02
محمد ابن عبد الرفيع					01				02
عمار بن داود			03	01		03			07
منصور بن عثمان					01				01
محمد الكماد			01			02			03
حميدة ابن باديس					01				01
محمد بن الخطيب					01				01
محمد الرصاع			01	02		02			05
ابو العباس احمد					01				01
محمد الخيتمي			02						02
يحي بن محمد الفكون					05				05
المسراتي						06			
عبد الله بن نعمون			01						01

بركات بن احمد الباديسي			01	01					02
احمد العبادي					03	02			05
عبد الله بن محمد الكماد				01		01			02
محمد بن علي الدكالي					01				01
ابو العباس احمد بن منصور						01			01
المرواني						01			01
محمد بن محمد الزواوي						01			01
منصور بن محمد السويدي						01			01
علي عبيد (التونسي)						01			01
ابو القاسم العبدوسي						01			01
محمد المشدالي						02			02
بركات الباديسي						01			01
محمد بن ابي القاسم						01			01

القصار(فاس)									
ابراهيم بن محمد الغرسي الكلتومي(تونس)							01		01
بلقاسم المشدالي						01			01
محمد بن عبد الهادي بن عليبن غانم قدسي						01			01
عبد الله الغمري						01			01
محمد بن قاسم الشريف						01			01
ابو الطيب صالح						01			01
محمد بن سلامة						01			01
ابو القاسم بن خالد						01			01
محمد القرافي(مصر)						01			01
احمد العبادي						01			01
كريم الدين						01			01
عيسي بن احمد بن يوسف						01			01

01			01						محمد بن بلقاسم القسي (فاس)
02		01	01						القلجاني
01			01						يحي السراج
01			01						ابو الحسن علي الواصلي (تونس)
01			01						ابو عبد الله محمد السنوسي
01			01						ابو النور الغفاري
01			01						محمد العطار
06			06						بركات بن سعيد
01			01						ابو الحسن علي بن يحي
01			01						محمد الغربي
01			01						محمد بن احمد الخطيب التلمساني
01			01						سليمن بن يحي الاواري
01			01						محمد بوربيع
01			01						محمد بن عبد الهادي

محمد المسراتي						01			01
محمد بن ابي القاسم						01			01
ابراهيم بن يوسف الغمري						01			01
علي بن القاضي جارالله ابن ظهيرة القرشي الحنفي						01			01
احمد العبادي						01			01
بلحسن بن ابي الفضل							01		01
يوسف الدميري							01		01
بلقاسم الاوراري							01		01
ابن عبد الله بن نعمون							01		01
احمد بن علي الجزيري							01		01
محمد بن عبد الهادي							01		01
حميد بن باديس							01		01
بركات بت احمد الباديسي							01		01

ابو الربيع سليمان الاوراري									01
المجموع									379

الملحق رقم 19:**جدول تقريبي**: يمثل اهم العلماء الذين اجابوا عن نوازل ابن الفكون ، وعدد النوازل التي اجاب عنها كل عالم، وهذا حسب كل فصل من فصول المخطوط الثمانية (08).

البيبليوغرافيا

1-الوثائق والمخطوطات:

- محمد ابن الفكون : **مخطوط النوازل** .خزانة أسرة الفكون ، قسنطينة.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمان التلمساني : **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة**، ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1626.
- **مراسلات بايات قسنطينة** ، مجموعة رقم 1641 ، المكتبة الوطنية (الجزائر) .

2-المصادرالمطبوعة باللغة العربية:

- ابن العنتري محمد الصالح : **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة،** مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الطبعة 2، دار هومة، 2007.
- ابن العنتري محمد صالح : **مجاعات قسنطينة** ، تحقيق وتقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974.
- ابن الفكون عبد الكريم : **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1408هـ(1987).
- ابن القنفذ ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب : **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر -عبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 .
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش : **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها** ، دراسة وتحقيق كعوان فارس ، ط1 ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009 .
- **ابن بطوطة ورحلاته** : تحقيق ودراسة وتحليل حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
- ابن حمادوش عبد الرزاق : **رحلة ابن حماد وش لسان المقال في النبأ عن النسب والحال،** تق، تح، تع، أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، عالم المعرفة ، الجزائر، 1983 .

- ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد : **مقدمة ابن خلدون** ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ج1، ط1، دار يعرب ، دمشق ، سوريا ، 1425/2001هـ.
- ابن مريم التلمساني عبد الله محمد بي محمد بن أحمد : **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان** ، اعتنى به محمد بن ابي شنب ، المطبعة الثعالبية الجزائر ، 1326هـ-1908م.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :**صحيح مسلم وهو : المسند الصحيح** ، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات ،مج 04، ط1، دار التاصيل، 2014م-1435هـ.
- احمد بابا التمبكتي : **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تحقيق على عمر ،ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ-2004م
- الادريسي الشريف: **وصف افريقيا الشمالية والصحراوية " مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " 548هـ/1154م** ، صححه ونشره هنري بيريسي ، الجزائر 1957.
- بلعطار الحاج احمد بن مبارك: **تاريخ بلد قسنطينة** ، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي ، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، دون سنة.
- بن حجر العسقلاني : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز . نحند فؤاد عبد الباقي ، مج 11، ج 10 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- البوني احمد بن قاسم: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة** ، تقديم وتحقيق سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة، الجزائر 1428-2007 .
- التر عزيز سامح :**الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية** ، ترجمة محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ، ط1، 1989.

- التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية : **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة** ، ضبط وتعليق ، خير الدين السعيدي الجزائري ، ط1 ، اوراق ثقافية للنشر والتوزيع ، 2017 .
- الحضيكي ابي عبد الله محمد بن احمد السوسي : **الرحلة الحجازية** ، ضبط وتعليق ، عبد العالي لمدبر ، مركز الدراسات والابحاث واحياء التراث ، الرباط ، المغرب ، دون تاريخ .
- الحفناوي محمد : **تعريف الخلف برجال السلف** ، دراسة وتقديم خير الدين شترة ، ج2، ط1، دار كردادة ، بوسعادة ، الجزائر ، 2012.
- خوجة حمدان بن عثمان : **المرآة** ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2005.
- خوجة حمدان: **اتحاف المنصفين والادباء في الاحتراس من** الوباء ، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ، دط ، دسنة.
- خيرالدين: **مذكرات خير الدين بربروس** ، ترجمة وتعليق محمد دراج ، ط2، الاصالة للنشر و التوزيع، الجزائر العاصمة ،2013.
- الدرعي أبو العباس احمد بن محمد بن ناصر ،:**الرحلة الناصرية 1709-1710م (1121-1122هـ)** ، تحقيق وتقديم عبد الحفيظ ملوكي ، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع ، ابوظبي ، الامارات العربية المتحدة ، 2011.
- الزركشي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم :**تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية** ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، الزيتونة ، تونس ط2.
- الزهار احمد الشريف : **مذكرات نقيب الاشراف** ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، ذخائر المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 22.
- سبينسر وليم : **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

- سولاي : ذكريات رحلة "**من مدينة الجزائر الى قسنطينة عبر المناطق الجبلية**" ،تقديم وترجمة تابليت علي، الابيار ، الجزائر ، 2015.
- شلوصر فندلين : **قسنطينة أيام احمد باي 1832-1837م** ، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو ،الشركة الوطنية للنشر التوزيع، بدون سنة
- العدواني محمد بن محمد: **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996.
- العياشي عبد الله بن محمد : **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمىّ ماء الموائد** ، ج2،تحقيق وتخريج وتعليق الشيخ احمد فريد المزيدي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2011،
- القاضي عياض :**مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** ، تق، تح ، تع ، محمد بن شريفة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ، ط1، 1997، ص 284.
- لابن منظور: **لسان العرب** ، دار صادر، د- ت، ج11.دار الكت
- مجهول : **سيرة المجاهد خير الدين بربروس** ، تحقيق وتقديم وتعليق ، ط1، عبد الله حمادي ، دار القصبة للنشر، 2009 .
- المقري احمد بن محمد : **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** ، حققه احسان عباس ،ج2 ،دار صادر ، بيروت لبنلن ، 1408هـ-1988.
- النسائي احمد بن شعيب : **كتاب السنن المعروف بالسنن الكبرى** ، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات ، مج 7، ط1، دار التاصيل ، 1433هـ-2012، ص 395.
- هاينريش فون مالتسان : **ثلاث سنوات في غرب شمال افريقيا** ، ج3، ترجمة وتقديم أبوالعيد دودو ، ط1، دار الامة ، برج الكيفان ، الجزائر ، 2008..
- الوزان حسن : **وصف إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

- الونشريسي احمد بن يحيى : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب** ، أخرجه محمد حجي وآخرون ،ج3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1981/1401.

3- المصادر باللغة الفرنسية :

- DE PARADIS VENTURE**:** **Alger au XVIII[ème] siècl**e, Edité par E .Fagnon, Alger, 1898
- . HAËDO, (F.D**.):** ***Histoire des rois d'Alger***, traduit et annotée par H. D. De Grammont, Alger, 1881.

4- المراجع باللغة العربية :

- ابو مصطفى كمال : **جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1997.
- أبي عمر عثمان بن سعيد الداني الاندلسي : **المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** ، دراسة وتحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمان المرعشي ، ط2، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان،1987.
- أحمد الرسيوني : **الوقف الاسلامي مجالاته وابعاده** ، ط1، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2014.
- أفندي حيدر : **ترتيب الصنوف في احكام الوقوف** ،ترجمة وتعليق اكرم عبد الجبار –محمد احمد العمر ،ضبط نصه ابو يوسف حسن ابن البشير الطيلوش، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.
- امين محمد :**دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، مطبعة انفو – برانت، فاس ، المغرب ، د ط، دت.
- البزاز محمد الامين : **تاريخ الاوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر** ، مطلعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1992.

- بزنشفيك روبار : **تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م**، تعريب حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- بن خروف عمار : **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ(16م)**، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
- بن قربة صالح : **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ،ط خ ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وأول نوفمبر 1954، 2007.
- بنوجيت يوسف : **قلعة بني عباس ابان القرن السادس عشر ميلادي** ، ترجمة سامية سعيد عمار ، تقديم محفوظ قداش ، دحلب ، الرغاية ، الجزائر ، 2009.
- بولقطيب الحسين : **جوائح واوبئة مغرب عهد الموحدين** ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، دون سنة ، ص30.
- بومعزة عبد القادر : **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين** ،ج1 ، ط1 ، دار على بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة ، الجزائر ، 2016.
- البياض عبد الله :**الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (6-8هـ/12-14م)** ، ط1، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 2008.
- جلال يحيى : **المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، د ط ، دار النهضة العربية بيروت، 1981.
- جودت عبد الكريم يوسف : **الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3-4هـ /9-10م** ،دون سنة..
- جوليان شارل أندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830** ، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة ،ج2، الدار التونسية للنشر، 1398.

- الجيلالي عبد الرحمن ،**تاريخ الجزائر العام** ، ج3، ط6، دتر الثقافة بيروت، لبنان ،1403هـ-1983 .
- حجي محمد : **نضرات في النوازل الفقهية** ، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، النجاح ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1420هـ-1999.
- الحجيلي عبد الله بن محمد لب سعد : **الاوقاف النبوية و وقفيات بعض الصحابة الكرام** ، دراسة فقهية –تاريخية –وثائقية ، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية ، مكتبة الملك عبد العزيز المدينة المنورة ، 25-28 محرم 1420هـ.
- حساني مختار : **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية،** ج3 مدن الشرق، د ط ، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- حمداوي جميل : **فقه النوازل في الغرب الاسلامي "نحو مقاربة تأصيلية "** ،ط1، الالوكة، 2015.
- الخالد محمد عبد الرحيم : **احكام الوقف على الذرية في الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة مع التطبيق القضائي في المملكة العربية السعودية** ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، السعودية ، 1416هـ-1996.
- خروبي عفيفة : **أصول ابي العباس الونشريسي من خلال المعيار المعرب** ، ج2 ، القافلة ،باب الزوار ، الجزائر ، 2011.
- الخطاب المالكي يحي بن محمد بن محمد: **أحكام الوقف** ، اعداد عبد القادر باجي ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، 1430/2009.
- خياطي مصطفى : **الاوبئة والمجاعات في الجزائر** ، منشورات ، 2013
- خياطي مصطفى : **الطب والاطباء في الجزائر العثمانية** ، منشورات ANEP ، 2013
- دحماني سعيد : **من هيبون –بونة الى عنابة : تاريخ تأسيس قطب حضري** ، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر،1428هـ- 2007.

- دراج محمد : **الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس 1512-1543**، ط03، شركة الاصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015.
- ربوح زهور : **أوضاع المرأة بالغرب الاسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي** ، دراسة فقهية اجتماعية، ط1، دار الامان ، الرباط ، المغرب ،2013 .
- ركيبي عبد الله ، **الجزائر في عيون الرحالة الانجليز** .
- الزبيري محمد العربي : **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سامي النبراوي نجلاء : **القابلة في المغرب و الأندلس 6-9هـ/12-15م (الدور الطبي ، القضائي ،و الاجتماعي)** ، الالوكة ، د ت .
- السرجاني راغب : **روائع الوقف في الحضارة الاسلامية** ،اشراف عام داليا محمد ابراهيم ، ط1،2010.
- سعد الله أبو القاسم : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، الطبعة 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986.
- سعد الله أبو القاسم : **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية** ، ط 1، دار المغرب الإسلامي، 1406(1986).
- سعد الله أبو القاسم : **تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830**،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، بدون سنة.
- سعيدوني ناصر الدين : **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- سعيدوني ناصر الدين : **ورقات جزائرية** " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2000.

- سعيدوني ناصر الدين، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص203.

صالح الصالح محمد بن احمد : **الوقف في الشريعة الاسلامية واثره في تنمية المجتمع**،ط1 ، الرياض ، 1422هـ-2001، .

- الضحيان عبد الرحمان بن ابراهيم : **الاوقاف الاسلامية ودورها الحضاري الماضي والحاضر والمستقبل** ، ط1 ، دار المآثر ، المدينة المنورة ، 1421/2001هـ.
- الطمار محمد ، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- طويل الطاهر : **المدينة الاسلامية وتطورها في الغرب الاسلامي من النصف الثاني القرن الهجري الاول الى القرن الهجري الخامس** ، ط1، مطابع حسناوي ، 2011.
- علامة صليحة : **الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر 1830-1930**، القافلة للنشر والتوزيع ،باب الزوار ، الجزائر ، 2016.
- العوامر محمد الساسي محمد : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ، تعليق الجيلالي بن ابراهيم العوامر ، ط خ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
- غطاس عائشة : **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية** ، المؤسسة الوطنية ، الرويبة ، الجزائر ، 2007، ص454.
- غطاس عائشة : **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م ، بدون سنة.
- فتحه محمد : **النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي "من القرن 06هـ- 09هـ /12-15م"** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الدار البيضاء .1999
- فيرو شارل : **تاريخ جيجلي** ، ترجمة عبد الحميد سرحان ، دار الخلدونية ، القبة الجزائر ،1431هـ-2010م ..

- فيلالي عبد العزيز :**مدينة قسنطينة (تاريخ، معالم ، وحضارة)** ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، بدون سنة.
- القرآن الكريم
- القشاعي موساوي فلة : **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837**، القافلة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2016 .
- القشاعي موساوي فلة :**النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1830**، القافلة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2011 .
- قشي فاطمة : **الزواج والاسرة في قسنطينة في القرن 18**، دار القصبة ، الجزائر ، 2007
- قشي فاطمة الزهراء ، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، منشورات ميديا بلوس ، قسنطينة، 2005.
- كورين شوفالي : **الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر** 151-1541م، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007.
- المدني أحمد توفيق : **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م**، ط 1، دار البصائر، 2007.
- المدني احمد توفيق ، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**(**سيرته ،حروبه ، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986.
- الميلي مبارك بن محمد : **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، تقديم وتصحيح محمد الميلي، دار الكتاب العربي، 2007.
- نور الدين عبد القادر : **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، د ط ، دار الحضارة، بئر توتة، 2006.

- وولف جون .ب: **الجزائر وأوربا 1500–1830**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط خ ، دار الرائد، 2009.

5- المراجع باللغة الفرنسية :

- .. DE GRAMMONT H-D **:** **HISTOIRE D'ALGER SOUS LA DOMINATION TURQUE 1515-1830** , PARIS , 1887.
- BELHAMISSI MOULAY: **histoire de la marine algérienne(1516-1830)**,enal ,Alger,1986
- GRANGAUD ISABELLE**:La ville imprenable , une Histoire Social de Constantine au XVIII ème Siècle**, éditions media- plus , Constantine , 2004.
- MERCIER ERNEST **:histoire de Constantine** ,Constantine , 1903
- MERCIER ERNEST : **Constantine au XVIe siècle "Élévation de La famille El Faggoun.1879.**
- VAYSSETTES (E) : **Histoire de Constantine sous la domination turque 1517 à 1837** présentation de oùarda siari media plus 2010.

6–الرسائل والاطروحات:

- آيت سوكي محند أكلي ، **تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وادوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10–13هـ/16–19م** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2 .
- بوحجرة عثمان : **الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519–1830"مقاربة اجتماعية** " ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة وهران 1 احمد بن بلة ، 2014-2015

- بوخلوة حسن : **عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (1580-1663هـ/988-1073هـ)** ، شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة السانية وهران 2008- 2009 .
- بودويرة حياة : **الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوة حلال القرن الناسع عشر** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، تخصص الريف والبادية ، جامعة قسنطينة 2 ، 2011-2012، ص 32.
- بوعزيز جهيدة : **الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1830/1185-1253هـ)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث تخصص الريف والبادية ، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012، ص .127
- حميود رتيبة : **الالغاز الشعبية في مدينة قسنطينة** ، **دراسة احصائية تحليلية** ، رسالة ماجستيرفي الادب تخصص أدب شعبي ، 2004-2005 .
- دواس أحسن : **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين – مقاربة سوسوثقافية** ، مذكرة ماجستير في الادب المقارن ،شعبة أدب الرحلة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007-2008.
- سعيدان جمال الدين: **الاحوال المعيشية والصحية في الريف القسنطيني فيما بين 1830-1919م** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة
- شريد حورية : **تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين الى نهاية العصر العثماني "دراسة تاريخية واثرية** ، اطروحة دكتوراه في الاثار الاسلامية ، جامعة الجزائر-2- 2010-2011 .
- شقطمي هناء : **الخطاب الفقهي والديني في المغرب الاوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ، مذكرة ماجستير في التاريخ ، جامعة قسنطينة 2 ، 2012- 2013.

- القشاعي الموساوي فلة : **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771–1837**،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ،1989- 1990.
- القشاعي موساوي فلة ، **الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1519–1871)** ، اطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 2003-2004.
- قشوان عبد الرزاق : **السلطة المحلية في بايلك قسنطينة**، ماجستير في التاريخ الحديث – تخصص الدولة والمجتمع – جامعة الجزائر 2، 2009-2010،.
- قفاف عبد الرحمان : **مرجعية الإفتاء على نوازل ابن الفكون من خلال مخطوط النوازل القرنيين 10–11هـ**، دراسة وتعليق: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، 2005-2006.
- كربوع مسعود: **نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي** ، جمعا ودراسة وتحليلا ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2012-2013.
- كرطالي أمين : **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الاويط خلال القرنين 9–10هـ/15–16م** ،شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2013-2014.
- لحمر كمال : **صورة المجتمع الجزائري في المجلة الافريقية 1856–1992**، شهادة دكتوراه علوم ، تخصص علم اجتماع التنمية ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010-2011
- لكحل الشيخ : **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الاول من القرن 11هـ/17م"1604–1659"** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012-2013.

- محرز أمين : **الجزائر في عهد الاغوات 1659-1671**.، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2007-2008.
- مزدور سمية : **المجاعات والاوبئة في المغرب الاوسط (588-927هـ/1192-1520م)** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوي قسنطينة ، 2008-2009.
- معاشي جميلة : **الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007-2008.
- ميود رتيبة : **الالغاز الشعبية في مدينة قسنطينة "دراسة احصائية تحليلية "** ، مذكرة ماجستير في الادب ، تخصص أدب شعبي ، كلية الاداب واللغات ، 2004-2005 .
- ولد خسال سليمان : **جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الاسلامي (633هـ-922هـ)** ،اطروحة دكتوراه في العلوم الاسلامية تخصص: اصول الفقه ، جامعة الجزائر ، ص 199،198.

1-3-المجلات الدوريات العربية:

- بوشنافي محمد : **صناعة الخبز ومقوماته في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830)** ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد رقم 10، ديسمبر 2015 .
- ذنون طه عبد الواحد: **نوازل ابن مرزوق الحفيد من كتاب المعيار :دراسة في بعض القضايا الاجتماعية الخاصة بالمغرب الاوسط** ، عصور الجديدة ، العدد 16-17 افريل 2014-2015، مختبر البحث التاريخي ، جامعة وهران.

- الزاهر ابتسام : **الادب النوازلي مصدرا لتاريخ الاماء "نماذج من المغرب الاوسط خلال العصر الوسيط "** ، عصور الجديدة ، العدد 13 أفريل 2014/1435 ، مختبر البحث التاريخي ، جامعة وهران ، ص ص 08-23.
- الزبيري العربي: "**نبذة تاريخية عن الدولة الجزائرية** "، مجلة الاصالة ،العدد14-15، ماي جوان 1973.
- سعد الله أبو القاسم :**أربع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة**، مجلة الثقافة ،العدد51، جمادى الثانية –رجب 1399هـ/مايو –جوان 1979م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
- سعيدوني ناصر الدين ، "**صفحات من ماضي الجزائر المجيد :البحرية الجزائرية**" ، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، العدد العاشر، جامعة الجزائر 1997/1417.
- عمارة : "**التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الاسلامي الوسيط**" ،مجلة ، العدد 26، رمضان 1429-سبتمبر 2008.
- غطاس عائشة : **الصداق في مجتمع مدينة الجزائر** ، **انسانيات** ، العدد 04 جانفي – افريل 1998.
- غطاس عائشة : **الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني** ، مجلة الثقافة ، العدد76،رمضان –شوال 1403هـ/يوليو –اغسطس 1983.
- قشي فاطمة الزهراء ، **شهود العدالة في قسنطينة القرن التاسع عشر الانتماء العائلي والمسار المهني** ، إنسانيات المجلة الجزائرية في الانثروبولوجة والعلوم الاجتماعية ، قسنطينة مدينة في تحول .
- كربوع مسعود: **كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي "المعيار المعرب للونشريسي انموذجا"**، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة باتنة ، العدد09مارس 2014.

- لزغم فوزية: **الاطباء الاوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني 1519–1830**، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر 2 ، العدد 15-16 ، 2012-2013 .
- لشهب بوبكر: **منهج الاجتهاد في النوازل** ،مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ، المركز الجامعي الوادي ، العدد 01 يونيو 2010 .

يوسفي صرهودة :**النساء والملكية في مدينة قسنطينة اواخر الحكم العثماني 1787– 1830** ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة قسنطينة 1 ، العدد40 ديسمبر .2013

7– الدوريات باللغة الفرنسية:

- BERBRUGGER, (A.), " **notes relatives à la Révolte de bensakhri**",in R.A, vol10, 1866
- FERAUD, (L .) **" Epoque de l'établissement des turcs à constantine**",in R.A, vol10,1866.
- FERAUD, (L .), **Les Corporations des Métiers à Constantine avant la Conquête Française**, Rev.Afr.,vol16, 1872.

8–القواميس و المعاجم :

- ابن منظور : **لسان العرب** ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، د- ت، ج11.
- ابن منظور: **لسان العرب** ، تحقيق عامر احمد حيدر –عبد المنعم خليل ابراهيم ، مجلد 03، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة ، **معجم مشاهير المغاربة** ، منشورات دحلب ، بدون سنة.
- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج5، دار االفكر، بيروت، لبنان، 1989م- 1399ه ،
- الفيروز ابادي محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط** ، ط1 ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، 1430/2009ه.

- نويهض عادل : **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، 1400(1980).

فهرس الآيات القرآنية والاحاديث

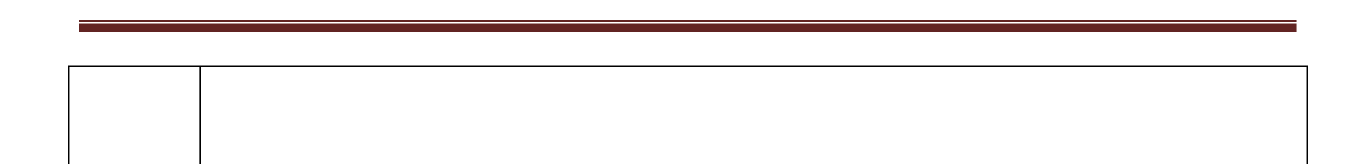
فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الآية	الصفحة
قال تعالى:((وقفوهم إنّهم مسئولون))	الصافات	24	277
قوله تعالى ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ))	سبأ	31	277
قوله تعالى((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))	الحج	.77	282
قال تعالى: ((إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)). .	التغابن	.17	283
قال تعالى:" لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ:"	آل عمران	. 92	282
قال تعالى : (قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا)	التوبة	50	272
قال تعالى : "خذوا حذركم "	النساء	77	270
يقول عز وجل : "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا	النساء	03	94

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ." .			
الله تعالى : "((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا))	النساء	.71	270
قال تعالى ((وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))	البقرة	195	271
يقول تعالى : ((قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا))	التوبة	50	272
قال تعالى﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	البقرة	229	109

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
283	يقول رسول الله صلى الله عليه " ان شئت حبست أصلها و تصدقت بثمرها"
283	يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: "... ذلك مال رابح ،ذلك مال رابح ،وقد سمعت ما قلت و إني أرى أن تجعله في الأقربين ، فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة بين بني عمه و أقاربه ..."
272	يقول رسول الله صلى الله عليه (ما أصابك لم يكن ليخطئك ، و ما أخطأك لم يكن ليصيبك).
271	يقول النبي صلى الله عليه و سلم ، " لا يورد الممرض على المصح " . و في رواية أخرى ((لا يوردن ممرض على مصح))
271	يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم (لا عدوى ، و لا طيرة ، و لا هامة ، و لا صفر ، وفرمن المجذوم ، كما تفر من الأسد))
271	يقول الرسول صلى الله عليه و سلم عن الطاعون: " إن هذا الطاعون رجز و بقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فإذا و قع بأرض و أنتم بها ،فلا تخرجوا ، فرارا و إذا سمعتم به بارض قوم ، فلا تدخلوا عليه.)).
271	يقول صلى الله عليه وسلم : ((اذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها .))
109	قال رسول الله صلى الله عله وسلم: " أقبل الحديقة وطلقها تطليقة ".



فهرس الاعلام

فهرس الاعلام	
الاب دان	168-
ابراهيم القادري بوتشيش	52
ابراهيم بن محمد لطف الله	303-119
ابراهيم بوعزيز	151
ابن ابي دينار	171-
ابن الصخري	25-65-188-190-230-238-258-
ابن العطار	227-193
ابن العنتري	20-230-232-235-236-
ابن الفكون	34-36-49-50-54-60-62-65-66-63-71-72-75-76- 77-86-101-107-111-120-121-122-139-140-142- 145-152-161-162-166-167-168-169-172-177- 179-180-183-185-188-189-193-194-195-197- 200-201-203-204-209-211-214-216-217-218- 222-225-226-229-230-234-240-244-245-248-

ابن قفطان احمد الطبري	54
ابن قنفذ	270
ابن مرزوق	-180
ابن منظور	75-46
ابن نعمون	-213-211-193-63
ابن هيدور	-259-258-241
ابو احمد اسماعيل	192-191
ابو اسحاق ابراهيم الشريف	-139
ابو اسحاق بن عبد الرفيع	180
أبو الحسن الزلديوي	90
ابو الطيب	-308-298-140
ابو الطيب نصير	261
ابو العباس احمد	121
ابو العباس احمد بن جلول	-216-201-200
ابو الفضل قاسم	-160-102-300-293-204-186-65

الفكون	
ابو بكر الصديق	188
ابو حنيفة النعمان	53
ابو داود	285
ابو عبد الله	191
ابو عبد الله بن محمد الكماد	-189-213-175
ابو عبد الله محمد ابن ابي عبد اله محمد بن باديس	-307-293
ابو عبد الله محمد المدوري	303
ابو علي بن محمد	192
ابو علي ناصر المشدالي	-180-181
ابو عيسى بن ابراهيم الهنتاتي	192-191
ابو فارس	191
ابو محمد عبد الكريم	160
ابو محمد عزوز بن	198

عمار	
ابو مدين الرشي	-168
ابو يوسف بن الحسين بن علي	191
ابوطلحة	283
ابوهريرة	271
ابي الحسن	124-209
ابي العباس احمد	209
ابي الفضل قاسم	141-126
ابي عبد الله المقري	-203-83-81
احمد ابن باديس	204
احمد الاوراسي	239
احمد العبادي	-132-123
احمد الغربي	-315-205-186-111
احمد الفاسي	203
احمد القشي	261
احمد المقري	-67-66
احمد بن حنبل	54

ربوح زهور	51
رحمونة	175-133-128-82
رمضان تشولاق	-218-24
الرومان	-34-32
الزبير بن العوام	285
الزبيري	36
زيد بن ثابت	53
سالم السنهوري	-316-163-120-104
سعد ابن المسيب	53
سعد الله ابو القاسم	-234-229-202-67-62-57
سعيد قدورة	156
سعيد ياح	-187
سعيدوني ناصر الدين	23
سليمان القانوني	23
سليمان بن يحي الاواري	-249-248
السمرقندي	54
سويد	-187

سيدي عبد الهادي	-315-309-131-124
الشافعي	-284-280-54
شتوتنبرغ	-254-245
الشريف الزهار	161-160-83-81
شعبان القائد	238
شمس الدين المقدسي	279
شوshaw	-267-169
شولصر	-268-250-170
صالح باي	-266-265-151-249
صالح رايس	31-23
عاشور القسنطيني (الفكيرين)	202
عائشة ام المؤمنين	53-286
عائشة بن ابي عبده	140
عائشة بنت مخلوف	140
العباس احمد	141-126
العباسي (صاحب النوازل)	54

عبد الرحمان الجيلالي	66
عبد الرحمان بن احمد الفزازي	196
عبد الرحمان بن دينار	55
عبد الرحمان قفاف	60
عبد الرفيع	157
عبد العزيز	191-24
عبد العزيز النفاتي	193
عبد الكريم الفكون (الجد)	-257-186-183-179-122-71-65-24
عبد الكريم الفكون الحفيد	-152-111-107-75-67-66-65-63-62-61-60-57 -230-229-204-203-202-197-188-187-183-153 -315-314-300-260-258-252-247
عبد اللطيف المسبح	-65-24
عبد اللطيف المصباح	-261-257
عبد الله	146
عبد الله العروي	51
عبد الله باي	235
عبد الله بن الارقم	285

الفكون	-183-160-67-65-64-63-61-60-56-26-44
فلة القشاعي الموساوي	281-267-261-259-227
فيرو	161-70
قاسم بن محمد	190
القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق	53
القاضي عياض	109-49
القائد يوسف	22
قبيلة عبس	53
قربة	51
قشي فاطمة الزهراء	-79-59
كونتابل بيكوليميني	149
لابي بواري	-268
لسان الدين الخطيب	196
لوجي دي تاسي	266
المازوني	54
مالك (الامام)	-159-158-55-54-50-48-47
محمد	121

محمد ابن احمد بن رشد القرطبي (الجد)	55
محمد ابن الفكون (الجد)	-177-162-160-167
محمد ابن باديس	-203-201-
محمد ابن جرير الطبري	53
محمد ابن عبد الكريم الفكون (صاحب النوازل)	-162-160-157-112-100-74-62-61-60-58-56-53 -183
محمد ابن فرحات باي	-193-25
محمد الانصاري الكماد	-313-320-252-204-167-129-127-94
محمد التواتي	-260-247-208-202-192-179-159-142-141-122
محمد الرصاع	190-142-125
محمد الزواوي	152
محمد المسراتي	-305-209-157-156
محمد المشدالي	279-158
محمد بن شريفة	51

يحي بن محمد الفكون	192
يحيى الفكون	-65
يحيى المحجوب	71-80-86-87-97-98-114-119-128-130-132-133- 140-159-172-174-175-183-186-189-193-195- 197-205-211-213-232-245-253-292-321-
يحيى بن سليمان	-305-167
يحيى بن يحيى الليشي	55
يوسف باشا	190

فهرس الاماكن

فهرس الاماكن	
المكان	الصفحة
أحد	283
ازمير	254
اسبانيا	-247-244
اسطمبول	255
الاسكندرية	-255-32
افريقيا	-251-264-224
افريقية	-118
الاناظول	255
الاندلس	-137-136-105-55-20
الاوراس	-274-239-201-199-193-184-183-117-64-37-26
اوربا	-247-240-224-42

ايطاليا	245
باب البحر	30
باب البنود	30
باب الجديد	30
باب الغرب	33
باب اللوز	30
باب المرسى	30
باب امسيون	30
باب تاطنت	30
الباستيون	190
بايلك التيطري	24-26-238-
بايلك الغرب	24-224-
بايلك قسنطينة	19-20-22-23-24-25-26-36-37-41-42-43-44-49- 56-58-61-62-63-65-70-81-83-87-91-91-94-98- 99-105-107-109-111-112-117-119-125-128-142- 144-146-149-150-151-152-156-160-161-162-166- 173-174-183-184-187-190-192-196-197-200-201- 202-204-219-220-222-223-224-225-226-229-230- 231-232-236-237-238-239-240-242-243-244-246- 248-249-250-251-254-255-256-258-259-260-261-

	-298-294-291-281-273-271-269-267-266-265-263 -318-317-314-307-306-304-303-302-301
بجاية	-237-246-181-180-179-36-32-31-30-29-23-21-19 -269-263-262-256
البحر المتوسط	-242-224-42-41-35-34-29-26
البرج التركي	33
بسكرة	-263-258-255-227-36-34-33-32-27-23
البطحاء	63
بلاد الرافدين	255
بلاد السودان	-251-83-42
بلاد المغرب	-137-84
بلد العناب	34
بني منصور	36-26
بونة	-246-33
البويرة	23
البيبان	-238-36-26-25
تبسة	26-37

التل	33
تلمسان	-181-180-92-87-28
توقرت	-27-23
تونس	-192-190-180-179-171-65-42-26-25-23-20-19 -306-293-246-244-265-261-258-257-256-255-224
جبال جرجرة	-224-26
جبل الادوغ	35
جربة	21
جرجرة	224
الجزائر	-174-168-112-83-77-65-48-34-28-26-25-24-22 -237-230-224-223-220-219-218-192-191--190 -259-258-257-256-255-54-246-245-242-240-238 -266-228-271-270-269-268-267-265-264-262-261 -308
الجزائر المدينة	-190-176-83-82-81-80-65-39-38-29-28-23-22-21 -316-265-264-256
الجلبيس	308
جيجل	-256-237-231-30-29-22-21
الحجاز	-246-255
حصن	23

البنيون	
الحضنة	26
الحنانشة	36
الحوض الغربي للمتوسط	21
خيبر	-285-284
دار السلطان	224-239
الرابعة	292
راس القرية	33
رايغة	235-142
الرايغة	303
الزاب	-36-26-23
زمورة	-238-23
زمورة	37
الزواغنة	36
زواوة	-181
الزيبان	26

	-170-169-168-167-166-163-155-150-147-148-146 -192-190-189-188-186-185-184-183-174-173-171 -210-209-206-205-203-201-202-200-198-194-193 -232-229-228-227-226-220-219-218-216-212-211 -267-264-263-262-258-257-255-240-239-238-235 -308-306-305-303-300-292-270
قصر الكوكب	31
قصر امينون	31
القل	-43-22
قلعة بني عباس	36
كوكو	22
ليبيا	-255-224
مازونة	50
متيجة	240
مجانة	-37-36-24
المدينة الجديدة	33
المدينة المنورة	-316-315-306-286

مراكش	264
مرسى الشعرا	29
المرية	32
المسيد	33
المسيلة	23
المشرق	224
مصر	-293-254-245-171-154-56
المغرب	-244-47
المغرب الاسلامي	-98-48
المغرب الاقصى	-264-244-224-56-55-31
المغرب الاوسط	-256-188-187-117-40-35-31-20
المغرب العربي	-264-244-105
مكة	316-306-
مليانة	265
منطقة القبائل	-230-224-160-198-94-72

ميلة	-304-303-209-200-141-43-37
الناصرية	30
نقاوس	26
نوميديا	228
هيبون	34
هيبون الملكية	34
واد الرمل	292
وادي الرمال	-27
وادي الشبكة	26
وادي الصومام	26
وادي بونموسة	35
وادي ريغ	-26
وادي زناتة	36
وادي سوف	-27-26
وادي	35

فهرس القبائل والجماعات والمذاهب

فهرس القبائل والجماعات والمذاهب	
الاسبان	19-20-21-23-28-31-35-192-237-
الاغالبة	32
الفنيقية	34
الافارقة	29
الانجليز	199
الاندلسيون	41
الانكشارية	193-238-
الاوربيون	227
اولاد بن جلول	193
اولاد بن عز الدين	36

اولاد بن عشور	36
اولاد بن قانة	36
اولاد عبد المؤمن	25-150-193-194-219-238-
اولاد مقران	36-37-238-
اولاد يعقوب بن علي	22
البجائيون	180-
البربر	244-251-
البساكرة	168-
بوصلاح	43
الترك	19-32-29-33-43-64-65-151-219-238-239-
التلمسانيون	180-
تميم	63
التوانسة	180-
التونسي	148-152
الجعفرية	54
الحفصيون	19-20-27-29-31-35-42-59-171-231-
الحماديين	32
الحنانشة	151

الحنفية	284
الدواودة	36
الرومان	27
الزواتنة	43
الزيدية	54
العالم الاسلامي	203
العباسية	53
العثمانيون	19-22-23-24-25-26-27-28-35-41-42-63- 173-183186-64-65-150-151-188-190-191- 192-193-201-220-226-236-255-256-265-
العرب	45-203-
الفاطميين	35
الفرنسي	78-244-237.
القبائلي	72
المالكي	137-280-284-
مرداس (قبيلة)	35-
المغاربة	180
المقرانيين	25

الموحدين	196-35-31
المولدون	33
النمامشة	37
النوميدي	27
اليهود	-244-219-191-72-44-43

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

346